ناصر الدين النشاشيبي

حديث الكبار

للتاريخ



تليجرام

هنا سور الازبكية

غواص في بحر الكتب

باحثون

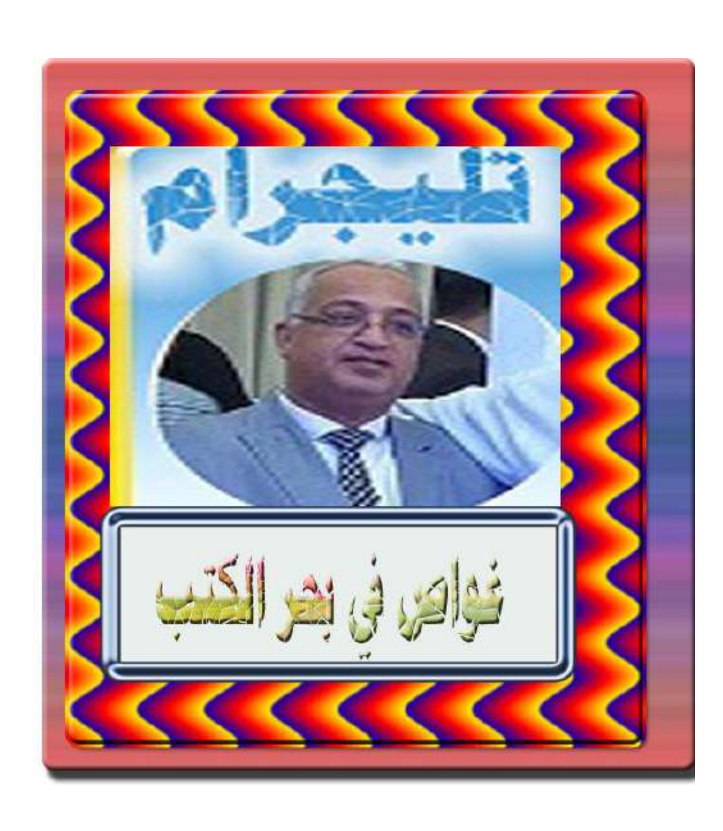
محمد خطاب

تليجرام

هنا

سور الازبكية


بسم الله الرحمن الرحيم


تليجرام
غواص في بحر الكتب

الإهداء

«السيف أصدق إنباءً من الكتبِ».

... ومن الأحاديث!

إلى كل مسؤول عربي يؤمن بصحة

هذا الكلام، أهدي هذا الكتاب!


تليجرام
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون
محمد خطاب

تمهيد

كل حديث من الاحاديث المنشورة في هذا الكتاب على ألسنة أصحابها الكبار، يحمل في ذاته مميزات الوقت الخاص، وخصائص الظرف المعين، ومبررات السبب الواحد الذي مهّد لظهوره أو ساعدني للحصول عليه من صاحبه.

وقد تعمدت ان اترك هذه الأحاديث كما هي، دون تبديل أو تغيير، لحرصي على ان تتحقق من وراء ذلك النتائج التالية:

اولاً: ان أعطي ـ من خلال الحديث ـ للقارىء العربي صورة صادقة، وواقعية، عن المرحلة التي جرت فيها المقابلة الصحفية، أو ولد فيها الحديث المنشور.

ثانياً: ان أصور ـ من خلال كلام صاحب الحديث ـ نفسية المتحدث وموقفه ورأيه واتجاهه في تلك المرحلة بالذات!

ثالثاً: ان أترك للقارىء العربي وحده حق الحكم على مدى ما حققه صاحب الحديث من خطأ او صواب في سياق ما اذاعه وادلى به من تنبؤات وآراء وتحذيرات حول أحداث الحاضر ومفاجآت المستقبل!

رابعاً: ان يتولى القارىء العربي ـ وحده ـ حق محاسبة «الكبار» في عالم السياسة والحكم على تباين آرائهم ومدى اختلاف مواقفهم بين عام وعام، خلال فترة سنوات عشر فقط، حددّها هذا الكتاب بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٥ ميلادية، وذلك بعد ان تولى هذا القارىء العربي حق محاسبة «الصحفي» العربي على مدى الأيام واتهامه لذلك الصحفي بالتقلب والتذبذب تقرّباً من الحكام وتزلفاً الى الكبار.

خامساً: ان يستخرج القارىء العربي، من حروف الكلمات التي نطق بها كبار القوم، ما يشاء من حقائق وتصورات يفسر بها لنفسه الوان الواقع العربي، بسواده وبياضه، بافراحه واتراحه. كما يعود اليها اي صحفي او كاتب او تلميذ تاريخ للدرس والاشارة!

وأقولها بصراحة:

ـ لقد تعبتُ لوفرة ما غنيت وما كتبت وما ألفّت عن قضايا بلدي واهلي! وفي هذه المرة تركت المهمة لغيري، يتكلم.. ويشرح.. ويغنّي.!

افتحوا آذانكم جيدا، واسمعوا معي أحاديث الكبار.
لعلكم بعد ذلك، ترحمون الصحفي حياً، او تترحمون عليه، ميتاً!
ومرة أخرى، يظهر السؤال ـ حسب التعبير الشهير ـ الذي يطرح نفسه، قائلاً:
ـ لماذا كان هذا الحرص، مني، على جمع هذه الاحاديث ونشرها في كتاب واحد، بعد ان سَبق لي ونشرت بعضها ـ لا كلها ـ في صحف الكويت وباريس ولندن وبيروت؟
والجواب قد اسمح لنفسي ان استعيره من قول ذكي سمعته على لسان الرئيس الامريكي الأسبق ريتشارد نيكسون عندما كان يصف لي هؤلاء الذين يسمعون كلام الكبار فيحرصون على كتابته ثم نشره ثم جمعه، فيقول:
«. . اننا نسمع في اصوات الكبار وفي خطوات اقدامهم ما يشبه رعود التاريخ، وبرقه، وولادته، واطفاله». ثم قال لي: «. . وعلى كل من يحس بهذه الصور، او يتبينها او يتأثر ببرقها ورعدها ان يهرع الى تسجيلها ونشرها لكي يستحق شكر التاريخ . .».
ولا يخالجنا أي شك في أن كُلّ واحد من هؤلاء الكبار الذين جاء ذكرهم او ورد حديثهم في هذا الكتاب قد استطاع ان يترك بصماته، لا على احداث بلده فحسب، وانما على احداث جزء كبير من اقطار هذا العالم، ايضاً! إنّ كل كبير من هؤلاء قد تمييز عن سواه بنوع خاص من معاني «الكبر»، وتمتع ـ دون غيره ـ بطابع ذاتي من مميزات الكبار. فالذي اشتهر منهم بالعظمة الثورية او الجلد على العمل او المثابرة على صعود سلم الزعامة او قيادة الجماهير، قد يختلف تماماً عن ذلك «الكبير» الذي اشتهر بنوع خاص من العبقرية في عقد الصفقات وجمع المال ومشاركة الحكام والتفرغ الى أختيار أحلى القصور، واقتناء أثمن اللوحات، والتمتع بما لايتصوره بشر من ملذات الحياة في هذا العالم المجنون. وكذلك، فان عظمة رجل مثل ريتشارد نيكسون، الممثلة في ذكائه ودهائه وجرأته، تختلف تماماً عن عظمة خليفته جيرالد فورد الممثلة في بساطته واستقامته! كلاهما قد دخل البيت الابيض. وكلاهما جلس وحكم في «المكتب البيضاوي»، وكلاهما حقق الكثير ـ لبلده ولقضايا السلام ـ من معاني العظمة ما هو معروف للجميع. ولكن كل منهما مشى في طريق، واشتهر في ناحية، واصبح كبيراً لاسباب تختلف عن الاسباب التي شهرت زميله.
لقد رأيت في شخصية فرديناند ماركوس ـ ديكتاتور الفلبين ـ وفي زوجته الداهية، صوراً لاتدعو الى التقدير او الارتياح، ولا الى التقدير والمحبة. صور كثيرة من التسلط والجشع والانفراد بالسلطة والاستهتار بالشعب. ولكن احداً لا ينكر ان ماركوس المذكور، قد حكم بلادة طيلة عشرين سنة، او يزيد، وان زوجته «ايملدا» قد حكمته ـ حكمت زوجها وبلدها ـ لنفس المدة، وان من يقدر ان يحكم بلداً كالفلبين التي هي جزيرة في بحر محاط بالشيوعية والفقر والتخلف والرشوة والفساد والمخدرات، وان «يرقص» على الف حبل، والف نغم،

ويلعب مع الف دولة والف حاكم سواء في أقصى اليمين ـ كأمريكا ـ ام في اقصى اليسار، كالاتحاد السوفيتي، لهو حاكم يستحق ان نسمع منه، وله، اذا تحدث، وان ننشر حديثه بعد ان نسمعه، وان نضعه في خانة كبراء اسيا، سواء كان معنى الكبر فيه، ايجابياً مشكوراً، ام سلبياً منكراً. ومذموماً!

والحرب ـ كما يقال ـ هي المسرح الكبير الذي يولد عليه الكبراء فيراهم العالم.

واذا كانت حروب العرب واسرائيل لم تستطع ـ رغم تكرارها ـ ان تلد عربياً كبيراً واحداً يقف الى مصاف كبار القواد المنتصرين في التاريخ من امثال فيغان، ومونتغموري، وايزنهاور لاسباب لامجال الآن ـ ولا حاجة ـ لذكرها، الا ان اثار هذه الحروب، ونتائجها واساليب معالجة ما ترتب عليها من احداث ومواقف وتطورات قد ادت الى خلق عدد قليل من «العرب الكبار» الذين تذرعوا بالذكاء الخارق والحيلة القوية والصبر الطويل والبذل المتناهي والكرامة الوطنية المطلقة، فاستطاعوا ـ ولو الى حد محدود ـ التخفيف من هول الهزائم واعادة الثقة بالنفس وازالة الأثار النفسية السيئة التي جاءت نتيجة ما اصابنا طيلة الثلاثين سنة الماضية من نكبات ونكسات وضربات! وفي بعض الحالات يكون كبراء السلام اكبر قليلاً من كبراء الحروب، ولعل هذا ـ بالضبط ـ ما جعلني احصر البحث في حديثي مع اكبر انجال «فيصل بن عبد العزيز» في موضوع والده الشهيد: فيصل بن عبد العزيز!

ترى، هل يعني حصر محتويات هذا الكتاب في الأسماء التسعة عشر، الذين قابلتهم خلال السنوات العشر الماضية، فتحدثوا لي، وحدثوني، ونشرت لهم احاديثهم في مختلف صحف العالم. . اقول، هل يعني هذا انني لم اقابل خلال هذه الفترة، سوى هؤلاء، أو ان ليس هناك كبيراً في العالم عامة، وفي الشرق خاصة يستحق السعي اليه والحصول على حديث منه للنشر، سوى من ذكرت؟

والجواب على الفور: لا!

وكما اشرت في بدء المقدمة، انني قصدت ان احصر مدة التاريخ بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٥. واقول الآن انني لم احاول ان انشر احاديثاً لشخصيات كبيرة وعزيزة توفاها الله، وتركت لي احاديثها امانة معي. . مثل صديقي الزعيم السوداني الراحل محمد احمد محجوب، والدبلوماسي الكبير الشاعر عبد المنعم الرفاعي، وسليمان النابلسي، والرئيس الأردني الاسبق عبد الحميد شرف، والأمير المغربي الراحل عبد الله، شقيق الملك الحسن، والرئيس اللبناني السابق الياس سركيس. . وغيرهم.

كما أني لم أقصد ان اعود كثيراً الى الوراء وانشر كلاماً كثيراً سمعته بنفسي ـ وعلى فترات متباينة ومتباعدة ـ من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في الخمسينات والستينات قبل وبعد ان صدر أمره بتعييني في رئاسة تحرير جريدة «الجمهورية» القاهرية، ومن الجنرال فؤاد شهاب

في بلدته «عجلتون» في قلب الجبل اللبناني عند عام ١٩٦٣، ومن شكري القوتلي في اوائل الستينات عندما كان يتنقل في حيرة وألم بين دمشق وبيروت والأسكندرية والقاهرة. كما أني قد استبعدت من النشر تلك الأحاديث التي أصر اصحابها على استبعاد الحديث عن قضية بلدي ـ فلسطين ـ في احاديثهم، كما فعل الملك الاسباني «خوان كارلوس» وبعض رؤوساء تركيا السابقين. اما الأحاديث المطولة التي خصني بها صديقي الزعيم الفلسطيني الكبير الراحل «موسى العلمي» والمسجلة بصوته على اشرطة خاصة عندي، فقد افرغتها كلها، وافردت لها كتاباً خاصاً رويت فيه تجربتي الطويلة مع هذا السياسي الكبير الذي كان ـ وعن جدارة ـ آخر العمالقة في حياة فلسطين الدبلوماسية والسياسية، وجعلت موعدي مع صدور هذا الكتاب في الصيف القريب.

اعود واقول ـ وباختصار شديد ـ مايلي:

ان صفة الرجل «الكبير» لاتعني بالضرورة انه الرجل الطيب او الرجل الوطني او الرجل الديمقراطي النزية. إن الأسكندر الكبير بالأمس البعيد، وهتلر او ستالين بالأمس القريب، وفرديناند ماركوس بالأمس «الحاضر»، كلهم كبار ولكنهم افتقروا ومازالوا الى عنصر الطيبة والخير والحكم الصالح. وانا ـ في هذا الكتاب ـ قد التزمت بدور الراوية والصحفي، لا دور المؤرخ ولا دور القاضي. كان ـ وما زال ـ كل همي، ان اضع بين ايدي المهتمين بقضايانا واهلنا وبلادنا، والمتتبعين للخيوط الرفيعة التي تشدنا الى العالم أو تشد العالم الينا، كتابا يكون بمثابة المرجع الموثوق ـ الصحيح ـ والقادر على ان يروي للمستقبل كيف كان بعض زعماء العرب وبعض زعماء العالم يفكرون ويخططون في فترة السنوات التي بدأت بأواسط السبعينات وانتهت باواسط الثمانينات.

لقد تركت كلمات الكبار على حالها، دون زيادة ولا نقصان، بل ودون تعليق مني او شرح او سرد خواطر او تفلسف لا مبرر له ولا سبب. إنني اؤمن بان القارىء الذكي يبقى على قدرة خارقة في التعرف الى اسرار الكلمات، وادراك بواطن المعاني، والتسلل الى صدور الحروف والعبارات. وفي الكثير من الاحيان، يكون القارىء ليس اقل ذكاء ولا فهماً من ذلك الكبير الذي اعطى لي حديثه الصحفي الطويل، للنشر.

وبعد..

قيل انه من عوامل الزعامة ان يولد الكبير في بلد كبير لكي يصبح كبيراً. وانه ـ لو ولد كبير عملاق كجمال عبد الناصر، في بلد كاليمن الجنوبي، او الشمالي ـ مثلاً ـ، لبقي مجرد ضابط برتبه كولونيل في جيش اليمن السعيد.! وقيل كذلك، ان من مستلزمات ولادة الرجل الكبير ان يجد امامه او حوله قضية او موضوعاً يشكل له مايشبه التحدي المصيري الدائم.. فاما ينتصر عليه ويصبح زعيماً، او يحترق به ويصبح شهيداً!

وابادر واعترف بان قضية فلسطين ومأساتها كانت هي ذلك التحدي الدائم لكل زعيم عربي، والتي منحت كل رجالات العرب، الكثير من ضوئها ونارها وقداستها وجبروتها، فرفعت البعض الى مرتبة القدسين والزعماء الخالدين، واعطت البعض صفة الشهداء الأطهار البررة، ومازالت تختار كبارها وتقذف بهم: اما الى دنيا العظمة والزعامة واما الى دنيا الاستشهاد والذكر العطر..

ومازال في دفتر التاريخ، مكان خال وكبير لذلك «الكبير» العربي المجهول القادر على ان يقول بانه كان في مستوى الاحداث، وأنه صمد امام التحدي الكبير، وانه ـ حرباً ام سلماً ـ استطاع ان يعيد للعرب كرامتهم وللأسلام مسجده الأسير!

★★★

مرة أخرى، وبعد.

قد يسألني أحدهم لماذا كان حرصي على ان أختار هذه الأحاديث ـ دون غيرها ـ وأعيد نشر بعضها رغم مرور الأيام وتتابع الأحداث ومرور ملايين اطنان المياه من تحت كباري الأنهر في مختلف انحاء الأرض؟

قد يسألني أحدهم: أليس الحاضر اكثر اثارة من الماضي، وأليس المستقبل اكثر اهمية من الحاضر؟ مالنا وللأمس وقد انطوى بافراحه واتراحه، ولم لا نتجّه الى الغد، والى المجهول، والى المستقبل لكي نجعل افراحنا فيه تتفوق على احزاننا، ونجعل النصر ينتصر بألويته وزغاريده على الهزيمة وسواد ايامها.؟

وجوابي واضح وبسيط. إن كل واحد من أحاديث هذا الكتاب ينطوي على اكثر من سرّ واكثر من رأي واكثر من خبر واكثر من موقف! إن الصحفي الناجح يقيس درجة نجاحه بمدى ما يقدر ان يحصل عليه من اخبار واسرار من خلال عمله المتعب. والحديث الصحفي الناجح هو الحديث الذي يتمكن فيه الصحفي من ان يُرغم صاحب الحديث على ان يتكلم وان يستطرد وان يكشف الأسرار بعيداً عن الكلمات المعادة والعبارات الجوفاء! ان الحديث الصحفي أشبه بالمعركة التي يستنفذ فيها الطرفان كل ما لديهما من ذكاء وفطنة وقوة اعصاب. واذا كان من طبيعة المسؤول ـ بل من واجبه ـ ان لايتكلم كثيراً لكي لايفضح الأسرار، الاّ ان من واجب الصحفي ـ الأول ـ أن يستعين بكل الحيل ويلجأ الى كل الأساليب لكي يجبر ذلك المسؤول على ان يفرغ له جعبته المليئة بالاخبار والأسرار! ومقياس نجاح اي حديث صحفي يتجلى في مدى خطورة الآثار التي ترتبت عليه، والضجة التي احدثها، والأحداث التي خلقها، والتغيرات التي أوجدها! أنني أذكر هنا ـ مع التواضع الشديد ـ ان الحديث الصحفي الذي أخذته من «اميل لحود» وزير مالية لبنان عام ١٩٥٣، وتضمن اتهام من الوزير المذكور للشيخ «بشارة الخوري» رئيس الجمهورية يومذاك حول الفساد واعمال الرشوة التي يقوم بها

افراد عائلته . . هذا الحديث بالذات، قد صدر في «اخبار اليوم» وتناقلته جميع صحف لبنان فور وصوله، وكان محور النقاش المحموم الذي دار في مجلس النواب اللبناني بين انصار بشارة الخوري ومعارضيه، كما كان هذا الحديث اكبر مسمار دقته الصحافة الحرة في نعش الفساد وأدى الى قيام الأحداث التي ارغمت بشارة الخوري على الاستقالة!

واذكر هنا ـ مع تواضع مماثل ـ الحديث الصحفي الذي أخذته في بدء عام ١٩٥٨ من الزعيم السوري الشيوعي «خالد بكداش» والذي هدد فيه باغراق دمشق في بحيرة دم . . مما ادى الى تتابع الاحداث بسرعة مذهلة انتهت بسفر الضباط السوريين الى القاهرة وبدء مباحثات قيام الوحدة بين دمشق والقاهرة! في ذلك اليوم، اعطاني «صبري العسلي» حديثاً رد فيه على خالد بكداش، فافردت له صحف النيويورك تايمس، والهرالد تربيون مكاناً واسعاً على صفحاتها الأولى، وبدأ كل مسؤول سوري يبحث عن طريق الخلاص من خطر ظهور حمامات الدم الحمراء على أيدي الشيوعين في بلده.

واذكر مع الفخر حديث «فارس الخوري» لي، في اخر ايام أديب الشيشكلي . . وحديث «ولي برانت» معي أيام حصار الشيوعين لمدينة برلين، وكان «برانت» رئيساً للبلدية ورمزاً للصمود في وجه ذلك الحصار . !

كما اذكر احاديث الرئيس اليوغوسلافي ـ تيتو ـ لي ايام ازمة «تريستا» بين ايطاليا ويوغوسلافيا من عام ١٩٥٤، وحديث حسين فاطمي ـ وزير خارجية مصدق ـ معي في دار السفارة الاردنية بطهران حيث لجأ اليها فاطمي هرباً من المطاردة التي أمر بها الشاه للقبض عليه! واذكر الحديث الذي فزت به في فندق «بالاس» بمدينة «مونترو» بسويسرا من جلالة الملك الراحل «محمد الخامس»، ملك المغرب بعد اطلاق سراحه من المنفى وعودته الى بلاده مظفراً! واذكر كذلك الأحاديث التي خصني بها «احمد بن بيلا» في العيد الوطني الأول لاستقلال الجزائر، واحاديث «توفيق ابو الهدى» ـ رجل الاردن القوي الراحل ـ لي، على تراس فندق «سان جورج» ببيروت وما تضمنته تلك الأحاديث من كشف لأسرار حرب ١٩٤٨، وقضايا المثلث . . واللد والرمله . . ووصاية الأمير «نايف» على العرش . . ومناورات العراق الملكي للالتفاف حول الأردن . . الى أخره! كل هذا لن انساه! ففي كل سطر من سطور تلك الاحاديث رأيت مجد الصحافة وسعادة الصحفي! وفي كل فقرة من فقرات تلك الاحاديث كان يختبأ الخبر، والسّر، والرأي! وفي نجاح تلك الأحاديث هبت نسائم الراحة والقناعة والاطمئنان التي مسحت عن جبيني عرق الاسفار وتعب المقابلات!

★★★

ولكن مقابلات الصحفي، ليس كلها، مدهونة ـ كما يقال ـ بالعسل او مجبولة بالمذاق الحلو! إن هناك نوعاً من البشر لاينفع معهم ذكاء الصحفي ولاحيلة الكاتب ولا الصبر ولا

الخبرة! واذكر أنني قابلت الجنرال «زاهدي» بعد فشل انقلاب الدكتور محمد مصدق عام ١٩٥٣ في مكتبه برئاسة اركان الجيش الأيراني، بطهران، ودار بيني وبينه الحوار التالي:

انا: ما هي آخر اخبار الأنقلاب ياسيدي الجنرال؟

زاهدي: لا أعرف!

أنا: هل قبضتم على الدكتور مصدق ياسيدي؟

زاهدي: لا أعرف!

أنا: هل يعود الشاه من ايطاليا بعد فشل الأنقلاب؟

زاهدي: لا أعرف!

أنا: هل يبقى الجيش في مقاعد السلطة أم ان الأمور قد تعود الى حالتها الطبيعية قريباً؟

زاهدي: لا أعرف!

وقلت للجنرال زاهدي على الفور:

ـ عندي سؤال أخير ياسيدي!

وأجابني بالانجليزية: تفضّل!!

قلت: اريد ان اسألك عن صحتك.. ومعنوياتك واخبار العائلة.. والاولاد.. واين ستقضي اجازة الصيف؟

ولأول مرة، انفرجَت اسارير الجنرال زاهدي، وضحك مقهقهاً وبدأ يجيبني على اسئلتي!

واشهد ان رئيس وزراء مصر السابق، ووزير خارجيتها الرقيق الأنيق الدكتور «محمود فوزي»، هو المثال الحي للرجل الذي لايقول شيئاً ولايفيد بشيء.. وبكل براءة وضياع وتمثيل.! وقد عرفت «الدكتور فوزي» في القدس في اوائل الاربعينات عندما كان قنصلا عاماً لمصر في عاصمة فلسطين، وكان يقضي معظم اوقاته منهمكاً في استقبال الملكة «نازلي» او وداع «زينب الوكيل» حرم النحاس باشا، او اقامة الحفلات للسيد حسين سعيد، خال «الملكة» فريدة وعشيق السيدة.. اسمهان!

وفي عام ١٩٦٥، طلب مني حسونة باشا، امين الجامعة العربية، ان اسافر الى باريس واضع نفسي تحت تصرف المشير عبد الحكيم عامر، الذي وصل الى العاصمة الفرنسية في اول زيارة رسمية يقوم بها مسؤول مصري كبير الى فرنسا منذ قيام الثورة..! كان حسونه باشا، كما قلت هو «رجل» الجامعة العربية، وكنت أنا في منصب السفير المتجول لتلك الجامعة! وعندما وصلت الى باريس أتصلت بالسيد «النجار» سفير مصر الذي اخبرني بأن المشير مع الدكتور فوزي يقيمان بفندق «كريون» الشهير، وانه ـ أي السيد السفير ـ قد اعد لي فطور عمل مع الدكتور فوزي في جناحه بالفندق يتبعه لقاء لي مع «سيادة المشير عامر..».

وفي الموعد المحدد، كنت أدق على باب جناح محمود فوزي، فيلقاني بالأبتسامة «الكليشه»

والعبارات المألوفة، ودار بيني وبينه الحديث التالي، كما سبق لي ودونته في كتابي «سفير متجول» منذ اكثر من عشرين سنة. !

قلت له: إيه الأخبار يا دكتور فوزي؟

قال: الآله ما شيه كعهدها دوماً. ! ماشيه!

قلت: أعني أخبار المشير وزيارته لباريس. ؟

قال: المهم في نظري ليس المقدمة، بل المهم هو الكتاب. !

قلت: هل تعني مقدمة الزيارة؟

قال: أعني ان الجوهر يجب ان لايقل نظافة عن المظهر، والا ضاع منا كل شيء!

قلت: هل تعني جوهر الزيارة، ومظهرها؟

قال: أعني ان علينا ان لانضيع في غمرة الشكليات فتضيع من ايدينا الاساسيات!

قلت: ارجو ان يكون سيادة المشير قد حقق شيئاً من وراء هذه الزيارة؟

قال: المهم ـ عندي ـ ان نحقق تحقيق النجاح!!

قلت: هل أفهم من سيادتك ان المشير لم ينجح؟؟

قال: النجاح له سبيلان: اما بساعدك، او بضعف الآخرين.. !

قلت: ترى، بايهما نجح سيادة المشير؟!

قال: يعجبني قول «مونتسكيو» انه من متطلبات النجاح ان تبدو بليداً في ثياب حكيم!

قلت: وهل أرتدى سيادة المشير ثياب الحكيم ياترى؟

قال: أهم شيء هي العقيدة! انها أهم من الحكمة!

قلت: وهل شعر الفرنسيون بثبات «عقيدة» سيادة المشير عامر يا دكتور فوزي؟

قال: نحن نعمل بروح فواره! إن سر اليابان موجود في روحها لا في الراديو ولا في المسُجّل!

قلت: وهل اثمرت هذه الروح عند حكام باريس؟

قال: قلت لك يا أخي ان المهم ليست المقدمة، بل المهم هو الكتاب!!

وناولني الدكتور محمود فوزي قطعة خبز مدهونة بالزبدة وهو يقول لي في خبث:

ـ زبدة باريس.. كباريس، أليس كذلك؟

قلت: لذيذة؟

قال: شفافة. !

قلت: خفيفة؟

قال: دسمه.. وناعمة!

قلت: ومفيدة ايضا!

قال: بل هي ضرورة. !

وعدت اسأل الدكتور فوزي:

ـ هل تعتقد ان سيادة المشير سيعود سعيداً وموفقاً الى القاهرة؟

واجاب: إن الركن يجذب ابناءه بُحب كبير!!»

قلت للدكتور فوزي وانا اهم بالأنصراف:

ـ اشكرك! فقد أحطتني بأسرار الموقف كلها!

ورافقني الدكتور «فوزي» الى باب الشقة الانيقة وهو يقول لي مع ابتسامة دبلوماسية صفراء:

ـ دع هذا الذي سمعته مني، سراً بيننا!

وعندما هبطت الى صالون الفندق، وجدت صديقي وزميلي احمد بهاء الدين بانتظاري. وسألني بهاء بلهف:

ـ ماذا قال لك فوزي!

قلت: المهم ليس المقدمة، بل المهم هو الكتاب!

قال بهاء: فوزي.. فوزي.. ماذا قال لك فوزي؟

قلت: يجب ان لا نضيع في الشكليات فتضيع من ايدينا الاساسيات..!

ونهض «بهاء» من كرسيه وهو يسألني بغضب:

ـ إيه؟

قلت: لا شيء.!

قال: انا اسألك عن الدكتور فوزي؟!

قلت: وانا اعيد لك بالحرف ما سمعته منه!!

وتركت «بهاء» غارقاً في بحر «الاسرار» التي سمعها مني ورأيته يضرب كفاً على كف وكأنه يندب عقلي واتزاني.

ومن المعروف ان كريشنامنون ـ وزير دفاع الهند الراحل ـ كان يكره «فوزي» ويكره داج همرشولد. وعندما كان يريد ان يشتم احدهما، يقول عن همرشولد انه «فوزي آخر».. ويقول عن «فوزي» انه صورة طبق الأصل من داج همرشولد، امين الأمم المتحدة!!

ما علينا..

نعود الى موضوع أحاديث هذا الكتاب، ونقول:

● لقد حرصت على ان يأتي ترتيب نشرها تباعاً حسب الأقدمية التاريخية من حيث موعد صدورها، وليس هناك أي اعتبار اخر.

● كما حرصت على ان اشطب منها العناوين الفرعية والعناوين الرئيسية وبعض المقدمات،

مراعاة لحجم الكتاب ومنعه من التضخم . .

وشعوري الخاص تجاه كل حديث من هذه الأحاديث التسعة عشر، هو في ثلاث كلمات :

ـ الفخر، والأعتزاز، والسعادة المطلقة!

ناصر الدين النشاشيبي

لنـــدن ـ ٣٠/٨/١٩٧٥

سفـــير "فوق العادة" وفوق المألوف!

"سيوف مع علي وقلوب مع معاوية"

محمد مهدي التاجر



لنـــدن ـ ١٩٧٥/٨/٣٠

سفـــير "فوق العادة" وفوق المألوف!
«سيوف مع علي وقلوب مع معـاوية»

محمد مهدي التاجر

جرى هذا الحديث بيني وبين الملياردير السيد «مهدي التاجر»، في لندن، وفي يوم الثلاثين من شهر أغسطس ـ آب من عام ١٩٧٥، اي، قبل سقوط الشاه، وقبل اندلاع حرب العراق وايران، وقبل حرب لبنان، وقبل مجيء مناحيم بيغن الى الحكم في اسرائيل، وقبل الكثير من الاحداث السياسية والعسكرية الهامة التي اجتاحت عالم الشرق الاوسط خلال السنوات العشر الماضية؛ وبدلت الكثير من حكامه، ومن قضاياه، ومن ملامحه.

ومنذ عشر سنوات كان مهدي التاجر في عنفوان امجاده السياسية والمالية! كان سفيرا للامارات في بريطانيا وفي فرنسا معا، وكانت ضرباته المالية تشغل العالم، وكان صديقا للشيخ زايد رغم صداقته المعروفة المطلقة للشيخ راشد، وكانت علاقته بالاوساط العربية، القومية المتشددة لم تفسد بعد رغم ان بعض الصحف العربية، قد بدأت يومذاك في مهاجمته والغمز من مشاريعه ومواقفه وسياسته وتصرفاته.

انا اعرف، والقارىء يعرف من هو مهدي التاجر..

ولكن، من واجب الصحفي في بعض الحالات ان يتجاهل الامور او يدعي الغباء او يغض الطرف عن هذا وذاك، سعيا وراء الوصول الى الحقائق المدفونة في صدور اصحابها، من الذين يكرهون الصحافة، او ينفرون من اصحاب الاقلام، او، يتوجسون خيفة من كل ما، ومن له علاقة بالنشر والطبع والتوزيع، ويتمنون لو ان الله سلط على البشر مصيبة تمحق باثارها كل من هو صحفي وكل من هو كاتب وكل من هو صاحب قلم.!

ومهدي التاجر انسان لم يحاول ان يخفي فداحة ثروته واتساع مطامعه! قالت عنه صحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية في عام ١٩٧٥ وعلى اتساع ثمانية اعمدة من مقال شغل العديد من صفحاتها انه «اغنى رجل في العالم»..!

وقالت عنه صحف اخرى انه يملك اكبر واغنى مجموعة في العالم بأسره من السجاد الايراني، ومن التحف الثمينة النادرة، ومن القصور التاريخية المنتشرة في انحاء انجلترا واسكتلندا وويلز، بالاضافة الى العشرات من العمارات في عواصم اوروبا واميركا والعالم العربي، مع عشرات من الشركات والمؤسسات! وباختصار فقد عاش «مهدي التاجر»،

شريكا للسلطان وللسلطة معا في النفوذ وفي المال، وفي كل ما يقدر ان يحققه المال من شهرة، ومن قوة، وفي كل ما يمشي في ركاب النفوذ من رخاء وحرص على جني المزيد من المكاسب والارباح ورغد العيش. . !

اما عن الاثر السلبي الذي نتج عن امتلاك الثروة الفادحة على مواقف الرجل السياسية والوطنية، فقد بدا جليا واضحا طيلة السنوات العشر الماضية اعني بعد وليس قبل ان ادلي لي مهدي التاجر بهذا الكلام المثير في صيف عام ١٩٧٥، وكان له اثر مباشر على صحة الرجل العامة، وعلى سمعته وعلى علاقته بالمجتمع العربي، وعلى سمعة «دبي» وموقفها خلال الحرب العراقية الايرانية بوجه خاص. . . !!

وعندما بدأت الاقلام العربية في مختلف العواصم، تغمز من جانب مهدي التاجر ـ وكان ذلك في بدء عام ١٩٧٥ ـ التقيت به راكبا عاديا بين ركاب الدرجة الاولى على طائرة «اير فرانس» المسافرة بين باريس ولندن. فكان من الطبيعي ان يبادرني بمشاعر الشكوى والالم والضيق من هجوم الصحافة العربية على شخصه الناتج عن «جهل» الناس لحقيقته وشخصيته! ولم اجبه! ولم اسايره في اسباب شكواه! ولم انضم الى رأيه في توجيه اللوم الى الصحافة التي تهاجمه! ولعل سكوتي او تجاهلي لثورته قد حمل مهدي التاجر على ان يلح بدعوتي للالتقاء معه بعد ايام قليلة في صالون منزله ـ أو قصره ـ المنيف، وكان ثالثنا في الجلسة هو المرحوم الامير مولاي عبدالله ـ شقيق ملك المغرب والذي كان يزور لندن في جولة خاصة وينزل ضيفا على مهدي التاجر في ذلك القصر المنيف. .

وقلت لمهدي التاجر وآلة التسجيل مفتوحة امامه على آخرها:

ـ سأحاول ان لا اجعل حواري معك كالراقص في الظلام، بلا رابط ينظم خطواته، وبلا انسجام يحفظه من السقوط! انا اعترف باني لا احمل معي اسئلة معينة اتوجه بها اليك، ولكن هذا لا يمنعني من أن اسألك: «لماذا تهاجمك الصحافة العربية بكل هذا العنف؟»

واجاب مهدي التاجر وهو ينظر الى وجه الامير المغربي ـ المتعب ـ وكأنه يستجدي منه العون والنصح:

ـ انا تاجر عملي، اعمل بما فيه مصلحة شعبي واهلي لاعتقادي ان مصلحة العرب هي مصلحتي الخاصة ايضا، وانني اذا تبرأت ـ لا سمح الله ـ من عروبتي اكون قد تبرأت من مصلحتي ومن ذاتي! لذا، فمن المؤكد ان الحملة ضدي مصدرها خارج العالم العربي، واصحابها هم الذين يشعرون بالضيق من نجاحي. ان العالم العربي هو المستفيد من نجاحي ولا يمكن له ان يهاجمني. ان الحملة ضدي تأتي من خارج الحدود العربية رغم انها ـ اي الحملة ـ منشورة على صفحات جرائد تقول انها. . عربية!».

قلت لمهدي التاجر وكأني اهرب من مثل هذا الموضوع الشخصي. . الجاف:



السفير «التاجر» يقدم الاميرات الى الشيخ راشد

ـ هلا حدثتني عن حياتك الديبلوماسية الحالية في بريطانيا؟

قال: انا هنا منذ ولادة الاتحاد! وحياتي، كحياة غيري من الزملاء السفراء العرب، محصورة في حضور الحفلات الرسمية التي ندعى اليها دون ان نقدر على تقديم الشيء المفيد لبلادنا . .

وهزني شيء في الجواب فسألته:

ـ ان اصدقاءك كثر في بلدك . . هلا أخبرتهم بهذا الواقع، قل لي يا اخ «مهدي» من هو اقرب الناس في دولة الاتحاد الى قلبك؟

واجاب التاجر بعد صمت وتردد:

ـ انا انظر الى الشيخ زايد والشيخ راشد كأصدقاء اكثر منهم كرؤساء! ولكن هذا لن يغير من الموقف شيئا، ان كلاً منهما رئيس لي. اما على مستوى الزمالة فان احمد السويدي هو رفيقي، وصديق دربي اكثر من سواه. انه اكثر من اخ بالنسبة لي! وليس بين اخوتي من هو اعز علي من احمد السويدي . . !

سألته وهو سفير بلاده في بريطانيا وكأني احثه على الكلام:

ـ وهل انت راض عن نوعية ومستوى الوجود العربي في بريطانيا!

قال:

ـ ابدا . ! مطلقا! انا غير راض! ان بعض السفارات العربية في لندن لا تستحق الوجود! ان شغلتنا ـ كما اخبرتك ـ محصورة في حضور الحفلات الرسمية! ان العلاقات العربية مع



السفير الاسطورة ـ بين الحسناوات

بريطانيا لا تعتمد على مجهود اي سفير عربي مبعوث من بلده العربي الى بلاط سان جيمس!»

ثم جاء دور الحديث عن الاتحاد.. والشيخ زايد.. ورجال ابوظبي. وعندما سألت مهدي التاجر عن رأيه في اتحاد الامارات العربية، اجاب بصراحة يحسد عليها:

ـ سأحدثك عن الاتحاد بعد ان انتهي من حديث الدفاع عن نفسي وعن آرائي..

ثم اضاف:

ـ ان شعاري في الحياة هو شعار صريح، واضح يقول: «وقل اعملوا فسَيَرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون..» صدق الله العظيم.

«.. وانا رجل احب العمل. ولا احب الا النجاح! واكره كلمة فشل! ولم امر طيلة حياتي في ازمة من النوع التي تترك بصماتها على شخصيتي أو عملي. والله يا سيدي انني لم اعرف المآزق في حياتي، وطريقي الى تحقيق ما اريد هي القناعة..! هل تعرف كيف افهم القناعة؟! اراك تشك في كلامي! احس وكأنك لا تصدقني! اكاد اسمعك تصيح في وجهي كيف احدثك عن «القناعة» وانا المشهور بثروتي ومطامحي واملاكي؟ يا سيدي ان مفهومي للقناعة هو ان لا ابقى فقيرا! القناعة لا تعني الفقر. القناعة تُنَظِّف عملية جمع المال!؟ الثروة ليست مجرد جمع النقد!! انها مجموعة عناصر اذا تكاملت اصبحت غنى..!؟»

ولم افهم شيئا..!

وفجأة انتقل مهدي التاجر لكي يحدثني عن.. «الاصدقاء»، فقال:

ـ لو سألني احدهم ان اختار بين مالي وبين اصدقائي، لاخترت اصدقائي.! المال انا قادر

على جمعه. اما صديقي فاني عاجز ان استبدله او استعيده اذا ضاع! وانا اقسم لك بالله العلي العظيم، واقسم لك باولادي وعائلتي وكل مقدساتي انني مستعد ان افقد كل قرش املكه وان لا افقد واحدا من اصدقائي. انا قادر في كل وقت ان اجمع اضعاف الثروة التي املكها ولكني عاجز عن أن استبدل واحدا من اصدقائي. لا يا سيدي! ان الثروة ليست مجرد «مال» اضعه في البنوك، وانما هي اشياء اخرى لها علاقة بالطبائع، والشخصية، والاخلاق، والنشأة، والتربية، والنظرة الى الحياة..»

وقاطعته اسأله عن اولاده الذين لا يعرفون لغتهم العربية ولا يتحدثون بها، فقال «التاجر» يدافع ـ في هذه المرة ـ عن اولاده بعد انْ دافع امامي عن نفسه:

ـ يا سيدي.. اقول لك اولا انا عندي خمسة اولاد، واثنان منهم ـ فقط ـ لا يعرفان اللغة العربية! السبب هي المدرسة.. انا احضرت اولادي الى لندن عندما كانت بلدي تفتقر الى وجود مدارس جيدة بالمعنى المفهوم! وكان هدفي من وراء وجودهم في لندن، ليس تعليمهم اللغة وحدها، وانما ـ وبكل صراحة ـ كانت المدارس العربية تفتقر الى عنصر «التربية» الذي احرص عليه ويحرص عليه مثلي كل اب يحب مصلحة اولاده. وعندما يحصل ولدي على الشهادة الجامعية سيعود الى بلده، ويتعلم لغته حتى يجيدها..! المهم ان يحصل على التربية.. على العلم! اللغة العربية هي ـ في تقديري ـ لغة «محلية»!! اللغة الدولية العالمية هي اللغة الانجليزية..!!»

وقاطعته فجأة وبضمير مستريح تماما:

ـ واين كان تحصيلك الدراسي او الجامعي يا اخ مهدي؟

واجاب «التاجر» بلا عقد:

ـ انا يا سيدي ـ لما تعلمت ـ لم يكن في بلدي مدرسة حكومية لكن ـ نحن بيت التاجر ـ قبل ان نمتهن التجارة، فنحن بيت علم! وكانت عندنا مدرسة خاصة في «البحرين» اسمها مدرسة بيت التاجر! هذه حقيقة! كل من هم في جيلي قد تعلموا في مدرسة بيت التاجر!. وبعدها درست الادارة العامة.! ان ابن عمي عبد الرسول التاجر مازال يرأس مدرسة بيت التاجر في البحرين ويخدم العلم والعلماء..»!

سألته: وهل انت سعيد لاقامتك في بريطانيا طيلة السنوات الماضية؟ اعني: اما كنت تود ان تبقى في بلدك وتمارس بداخله لعبة الحكم؟

قال التاجر: كنت اتمنى لو كان الوطن العربي هو البلد المفضل عندي لكي استقر فيه.. ولكن؟».

ـ ولكن ماذا يا أخ مهدي؟..

ـ ولكن للاسف.. ان عالمنا العربي. اعني جو العالم العربي غير مهيأ لكي يسكن فيه

إنسان «طويل اللسان» مثلي!! ان الاوضاع العربية خارج الامارات غير صالحة لواحد مثل مهدي التاجر. . !!»

قلت: ولكنك لا توظف اموالك في الوطن العربي. . فلماذا؟

قال: يجب ان يكون المآخذ ضدي لو كنت اوظف اموالي في مشاريع لا يستفيد منها الوطن العربي! ان اموالي ليست ودائع نقدية في البنوك، وإنما هي ملايين موظفة في شركات عالمية تعمل في كل مكان. !».

وانتهى مهدي التاجر من الدفاع عن نفسه، وجاء الدور للحديث عن قضايا الخليج ودول الخليج. .

سألته: ماذا تفهم من عبارة امن الخليج؟ اعني، هل الخليج قادر في النهاية على ان يحمي نفسه او ان يقف على قدميه على المدى البعيد، في الداخل وفي الخارج معا؟

واجاب: «ان امن الخليج، يعتمد على الجيوش، و على الأسلحة! اريد ان اقول أنه باستثناء اميركا والسوفيت لا توجد هناك قوة عسكرية فعالة في العالم قادرة على ان تحقق الاهداف السياسية البعيدة المدى للدول والشعوب! ومهما حاولنا في الخليج ان نكدس الاسلحة فلن نقدر في النهاية ان نواجه اميركا او نواجه السوفيت! ان امن الخليج يعتمد على تعاون اهل المنطقة في الخليج! وعلينا ان نصادق بعضنا وان نصدق بعضنا! ان امن الخليج يعتمد على اصحاب الخليج. . وعلى «العربي» في الخليج ان يدرك ان ليس في وسعه الاستغناء عن «الايراني» في الخليج!! وان على «الايراني» في الخليج ان يدرك بان قوة ايران العسكرية لن تغني ايران مطلقا عن التعاون مع العرب في الخليج!! هذا الشعور هو وحده القادر على حماية شعوب الخليج! ليس عندنا ما يقلقنا على اميركا او روسيا. وليس من مصلحتنا ان ننحاز الى اميركا او الى روسيا. ان مصلحتنا في الخليج هي مصلحة عربية. . وايرانية معا! وعلينا ـ كعرب ـ وبكل صدق وامانة ان نصافح ايران، وعلى الايرانيين ان يبادلوننا هذه الثقة وهذا الحب. . »!!؟

سألته وقد بدأ الحديث يدخل في الجد:

ـ وما هو تفسيرك للحملة القاسية التي يتعرض اليها اتحاد الامارات في هذه الايام؟ ترى هل هي حملة مستوردة من الخارج؟

واجاب مهدي التاجر بصوت لم تتركه المنهجية:

ـ ان لا اشك في ان ولادة الاتحاد كانت بمثابة نصر عربي كبير لدول منطقة الخليج. . وهذا النصر لم يلق الترحاب ولا التأييد من اعداء العرب! وكذلك، فان على العالم العربي ان لا ينسى مبادرة الشيخ زايد في حرب «رمضان» حيث كان «زايد» اول من تبرع بالمال الوفير لتلك الحرب، واول من اقدم على قطع الامدادات البترولية عن الغرب، واول من اقدم على

الانضمام «للجبهة»، واول من اعلن ان البترول العربي ليس اغلى من الدم العربي، واول من اعطى البترول هوية عربية!! لم يأت قبل زايد عربي واحد اعطى البترول العربي هويته العربية..!.. زايد كان اول من دفع بالبترول العربي الى المعركة! هل نسينا ماذا جرى في مؤتمر «الخرطوم» عندما جرى البحث في موضوع المساعدات المالية للدول العربية المواجهة للعدو الاسرائيلي؟ هل ننسى انه لولا معجزة السماء، وشخصية الملك «فيصل»، لما حصلت تلك الدول على نصيبها من الدعم العربي المالي الذي لم يزد يومها عن مائة مليون دولار بينما بادر الشيخ زايد في اليوم الاول من حرب رمضان الى دعوة السفير المصري والسفير السوري لمقابلته وسلمهما تحويلات مالية باكثر من مائتي مليون دولار جرى استلافها من البنوك من اجل ضمان سرعة الحصول على المبلغ المطلوب وتوظيفه لحساب مصر وسوريا في الحرب التي اشتعلت يومذاك؟! هل ننسى كل ذلك؟ وهل ننسى ان زايد قد جند كل سفراء بلاده في جميع انحاء العالم وامرهم بالحصول على كل ما يمكنهم من مال وطعام ودواء وعتاد وارساله الى سوريا ومصر؟ هذه امور خالدة لا تموت ولا يطويها النسيان! واذا نسيها العرب فان عدو العرب لا ينساها بل يبادر الى الطعن في زايد والتآمر على دولته، وعلى شعبه، وعلى اتحاده للانتقام منه! لقد خلق زايد تضامنا عربيا ادهش به العالم، وفرض عليه ـ على هذا العالم ـ واجب الشعور بالاحترام والتقدير للامة العربية في تلك المرحلة. والاستعمار لن يغفر للشيخ زايد هذا الموقف!. وما عجز عن ان يفعله العدو ضد زايد من خلال صحفه وابواقه حاول التعويض عنه عندما مضى يجند بعض المرتزقة من صحف العرب للانتقام من الشيخ زايد والطعن فيه والتطاول عليه، ثم محاولة نشر مزاعم الخلاف والفرقة بين زايد وراشد، والدس بينهما من اجل تفتيت الاتحاد الذي قام! وانا اؤكد ان العلاقة القائمة بين الرجلين هي اقوى مما يتصوره المرتزقة، او اسيادهم! انهم يتظاهرون بالحرص على الاتحاد فيدسون بين الشيخ زايد والشيخ راشد ويمارسون سياسة الاستفادة من كل خلاف قد ينشأ بين الرجلين، ويستجدون المال الرخيص للتمجيد بالواحد على حساب ذمِّ الآخر، وهذه مدرسة صحفية معروفة اكل عليها الدهر وشرب.. وان مصلحة العرب هي وحدها الحكم الذي يلجأ اليه زايد، وراشد، في حل كل خلاف قد يقع بينهما! ان زايد لا يعيش في ماضيه!؟ وراشد ليس سجين أمسه، وانما هو صانع يومه وغده!!! والاتحاد ليس مسؤولية محلية، ولا هو من اختصاص عائلة زايد او راشد وحدهما بل هو مسؤولية عربية ترفض دسائس المرتزقة وتفرض على كل من الرجلين التعاون والتلاحم!!».

ثم اضاف مهدي التاجر ومازالت نبرة التحدي تصبغ كلامه:

ـ ان شعب الامارات لا يقبل بدس وترهات الصحافة الصفراء! ان شعب الامارات يشفق على اصحاب الصحف الصفراء ويرثي لحالهم كما يرثي لحال الذين يمدونهم بالمال،

ويوظفونهم لحسابهم! وراشد يعرف ذلك! وزايد يعرف ذلك! وسكوتها على تلك الحملات لا يعني عدم ادراكهم للاسباب التي تقف وراءها. ان تلك الحملات لا تستحق شرف الرد عليها. وعندما تقوم الصحف بالهجوم على شخصي.. على «مهدي التاجر» بالذات، فاني اقول، بأنها حملة ليست موجهة ضد شخصي بقدر ما هي موجهة ضد الذين يعتمدون على مهدي التاجر.! واذا كانت عيوب مهدي التاجر بالقدر الذي تصوره تلك الابواق، فان عيوب الذين يثقون بمهدي التاجر تزيد عن عيوبه، بل وتفوقها.

ان الحملة موجهة في الدرجة الاولى ضد رئيس الدولة، ضد الشيخ زايد. وسكوته على الحملة مرده انها حملة رخيصة ومكشوفة ولا تستحق الرد. ان القافلة تسير!..» بس.. فقط لا غير!

وسكت الديبلوماسي الملياردير فجأة، وانتهى هذا الحديث الشخصي المتقطع كضربات قلب مريض، والذي دافع فيه صاحبه عن نفسه دون نكرزة او تحد او استفزاز او احراج من احد..!

كان همي ان اترك مهدي التاجر يتكلم على «راحته» لأني اردت ان يصبح هذا اللقاء الصحفي معه مجرد مقدمة عابرة ادخل بعدها، الى لقاءات اخرى دسمة، وساخنة، وطويلة، وقريبة واحصد عنده منها ما اتمناه من اسرار واخبار..

وبالفعل تمت الخطة، ونجحت.



اللقاء الثاني

بعد مرور عام ونصف تقريبا على هذا اللقاء الاول، اي في يوم ٢٨ يناير من عام ١٩٧٧ عدت والتقيت مع مهدي التاجر في حديث ساخن وصريح وطويل، لم يتسلح فيه الرجل بالديبلوماسية الموقرة، او التحفظ التمثيلي، بقدر ما استسلم للصراحة والكلام الواضح البسيط وقال اشياء كثيرة قد لا تكون جديدة على مسامع زايد.. وراشد.. والسويدي.. وبقية حكام الامارات، ولكنها، وبالتحديد، ليست مقبولة منهم، ولا هي شهية كالعسل على قلوبهم.!

مثلا: عاد مهدي التاجر يؤكد على ضرورة قيام التعاون العربي الايراني، في منطقة الخليج كأساس للاستقرار وللسلام..!

مثلا: انطلق مهدي التاجر، يهاجم امامي عقلية «القبيلة» التي تسيطر على الامارات، وينتقد رؤساءه الذين يهجرون مكاتبهم ومسؤولياتهم جريا وراء القنص والاجازات



مهدي التاجر بين الشيخ زايد . . والشيخ راشد

والرحلات . . واللذات!

مثلا: اصر مهدي التاجر على ان يستقيل ويترك منصبه ويفتح المجال امام الشبان الصغار لتولي المسؤوليات بدلا منه . !

وكلام كثير كثير: عن البترول، والسعودية، وواحة البريمي!

واسمعوا ما سمعته منذ عشر سنوات من مهدي التاجر، واتركوا الحكم له او عليه . . للتاريخ!

سألت مهدي التاجر عن دوره في حل مشكلة الحدود التي كانت قائمة حتى اواسط السبعينات بين الامارات من جهة والسعودية من جهة اخرى، فاجاب وقد ادرك كمية الغبار والاشاعات المحيطة بهذا الموضوع:

مشكلة الحدود بين الامارات والسعودية، ليست بالشيء الجديد! فقد مضى عليها زمن طويل دون العثور على حل. ويا سيدي ـ كما تعرف ـ لقد مضى على هذه المشكلة اكثر من ثلاثين سنة . ! وحاول الانجليز حلها ففشلوا! وكذلك العرب ولكنهم لم يوفقوا! وكلفني الشيخ زايد الاتصال بالسعودية لما يعرف من حسن علاقتي مع القادة السعوديين، فقمت فورا بالاتصال مع سمو «الامير» فهد ومع سعادة الاخ كمال ادهم ـ وكان هذا بالضبط ـ في عام ١٩٧٤، واستطعنا خلال ساعات قليلة فقط ان نصل الى الحل المطلوب. فالواقع ان هذه المشكلة لم تكن سوى مجرد سوء تفاهم بين الاشقاء اكثر منها مشكلة حدود بالمعنى المفهوم. فلا الشيخ زايد يطمح في السعودية وارضها ولا هي تطمع في زايد . . ».

قاطعته اسأله:

- هل صحيح ما يقال ويشاع ان الحل كان على حساب اراض تخص سلطنة عمان واعطيت للسعودية؟.

واجاب: الملك فيصل هو الذي اقر الحل، وفيصل ملك لا يعطي الرشاوي لأحد.!

ثم اضاف:

سر نجاحنا في العثور على حل مرده اننا وضعنا اصابعنا على سر الخلاف القائم بين الامارات والسعودية. والامارات لا تقدر ان تأخذ أراضي من احد وتعطيها للغير. ان ما حدث هو بالتحديد ان السعودية تنظر الى الاجزاء الشرقية الجنوبية من الامارات على انها منطقة سعودية! والمعروف دائما ان السعودية كانت تطالب دوما وعلى مدى السنين بواحة «البَريمي» التي تقع على الحدود بين ابوظبي وعمان! وعندما باشر المسؤولون مؤخرا في تخطيط الحدود الجديدة، وجدوا امامهم اجزاء من اراض عمانية وقد دخلت ضمن حدود الامارات العربية المتحدة! عندئذ قالت الامارات ان بينها وبين الاخوان «العمانيين» اتفاقية قديمة جرى توقيعها على عهد الانكليز ونحن والعمانيون نتمسك بهذه الاتفاقية وهكذا اعيد العمل بالاتفاق القديم ولم تخسر عمان شبراً من أراضيها لحساب السعوديين ولم تعط الامارات اي ارض لا تخصها الى السعوديين على حساب.. عمان!».

سألته عن قصة أسعار البترول، وتكاد تتحول إلى مأساة؟..

واجاب مهدي التاجر، وكانت هذه المأساة تشغل بال العرب في ذلك العام وتقلق ايامهم، وما احوجنا الى ذاكرة قوية لا تنسى ولا تسامح:

- المعروف ان السعودية قد تضامنت مع الامارات حرصا على وحدة دول منظمة الاوبك لاعتقادنا بان بقاء وحدة المنظمة يسبق في الاهمية اي حرص او مراعاة للاوضاع الاقتصادية في دول العالم الحر..»

ثم اضاف:

- ولا شك ان الاوضاع الاقتصادية المهتزة في دول اوروبا الغربية واميركا واليابان تستحق الانتباه والتعاون والتضحية بين الدول المنتجة للبترول، ولكن الحرص على وحدة الاوبيك تأتي في الدرجة الاولى، وتسبق في اهميتها اي حرص منا على مساعدة دول العالم الحر! لذا، فان الاتفاق بين دول الاوبيك على اية زيادة في اسعار البترول قد لا تراعي مصلحة الدول الغربية في العالم الحر ولكنها تضمن استمرار وحدة الدول الاعضاء، واهم وافضل الف مرة من ان يختلف الاعضاء في اوبيك على قيمة الزيادة في الاسعار مراعاة من بعضهم لمصلحة الدول الصناعية وتأتي الزيادة المقررة اقل من المطلوب ويبدأ الصراع بين اعضاء المنظمة وتكتنفها الخلافات التي قد تطيح بالمنظمة نفسها!!.

يعني: من مصلحة العالم ايضا ان تبقى منظمة الاوبيك على قيد الحياة. وزيادة بنسبة العشرة في المائة على اسعار البترول مع بقاء المنظمة وانسجام اعضائها، خير الف مرة من زيادة محصورة بنسبة خمسة في المائة فقط ولكن مع اختلاف يقوم بين الاعضاء وصراع يلف جلساتهم وغدهم! اما بالنسبة لنا ـ نحن في الخليج ـ وخاصة في الامارات وفي السعودية فان اتفاقنا مع ايران، هو موضوع مهم.. ومهم.. ومهم جدا!! ان اتفاقنا مع ايران هو وحده الذي يكفل استقرار المنظمة كلها..!! هذه حقيقة لاشك فيها! اضف الى ذلك ان مسألة تحديد اسعار البترول تبقى مجرد وجهة نظر يختلف فيها وحولها الناس، انا ـ مثلا ـ اسأل: هل كانت زيادة العشرة في المائة في اسعار البترول ستلحق الضرر بالاقتصاد العالمي بحيث ان اقتصاد الدول الصناعية يعجز تماما عن ان يتحمل مثل هذه الزيادة. واجيب على الفور ـ وانا رجل ادرك خطورة ما اقول واعرف موضوعي جيدا ـ ان الدول الصناعية قادرة على ان تتحمل زيادة العشرة في المائة في الاسعار وان مشروع قرار زيادة العشرة في المائة في الاسعار لم يكن يضر أحداً. ومع ذلك، فان حصر الزيادة في خمسة في المائة ـ فقط ـ كانت خطوة لا بأس بها وكان لها أثر طيب في اميركا..!!».

قلت: ـ وهل سيكون لها اي اثر سياسي ايجابي بالنسبة لنا.. نحن العرب؟

اجاب: لا! لن يكون لها اي اثر سياسي على المدى البعيد.. او القريب!.

ثم اضاف: لقد قلنا ـ مثلا ـ اننا نحن العرب قد اتخذنا هذا الموقف المساير الودي للدول الصناعية لكي تقف الدول المذكورة معنا ـ مع العرب ـ في قضية الشرق الاوسط، ولكن، جاءنا الجواب من اكبر دولة غربية، بل من زعيمة العالم الحر واعني امريكا حيث قالت لنا امريكا وبالفم المليان ان لا علاقة بين قرار منظمة اوبيك وبين موقف امريكا في قضية الشرق الاوسط! وكانت اول صفعة تسقط على الوجه العربي! اما عن بقية الدول الاقتصادية في اوروبا واليابان فان موقفها لن يكون اقل سوءاً من الموقف الامريكي مادامت هذه الدول تسير في فلك امريكا وتأتمر بامرها! انا لا اشك ان هذه الخطوة الاخيرة التي اتخذتها السعودية ودولة الامارات بشأن اسعار البترول هي بادرة لا بأس بها.. مادمنا نرى امامنا ازمة اقتصادية قائمة في دول اوروبا الغربية وان علينا ان نساعد هذه الدول للتغلب على ازمتها، ولكن..»

وسكت مهدي التاجر وهو ينفث هواء الضيق والتململ، فسألته:

ولكن ماذا؟

واجاب بعد تردد:

ـ ولكن يا حبذا لو جاء بعد هذه البادرة شيء من المتابعة او بالانجليزية Follow - Up.. اي ان نتصل على الفور بالدول الغربية بعد اعلان القرار المذكور، ونقول لها اننا قد اختلفنا مع اخواننا داخل منظمة الاوبيك، وقررنا من اجلكم زيادة الخمسة في المائة فقط لاغير،

ولكن هذا يجب ان لا يعني اننا قد اصبحنا بعد اليوم نحمل المسؤولية عن كل ما يصيبكم من ازمات، او ان نصبح ملتزمين بايجاد الحلول لمصاعبكم المالية والاقتصادية، اوان نرفض مستقبلا زيادة اسعار بترولنا العربي اكراما لخاطركم او ان تصبح الدول العربية المنتجة للبترول هي الجهة التي سيطالبها العالم بالتكفير عن اخطاء الدول الغربية وعثراتها واضرابات عمالها وافلاسات مصانعها او ان يصبح العربي الخليجي هو المسؤول عن تعويض امريكا عما تدفعه لاسرائيل او تعويض فرنسا عن نفقاتها النووية لكي تصبح دولة عظمى. ان مسؤوليتنا الاولى كدول منتجة للبترول هي تجاه مواطنينا! ان كلام شاه ايران الذي ادلى به مؤخرا هو كلام مسؤول وخطير وقائم على ارقام ودراسات وعلم، عندما قال الشاه انه منذ الزيادة البسيطة التي طرأت على اسعار البترول مؤخرا، اصبحت ايران تستورد السلع الصناعية من دول الغرب باسعار تزيد عن خمسة اضعاف ثمنها الاصلي فلماذا ـ والكلام للشاه ـ لا أسمح لنفسي بان ازيد في اسعار بترولي بنفس النسبة التي زادت على اسعار السلع الصناعية التي استوردها من الخارج..؟

قال مهدي التاجر:

ـ هذا كلام ـ يعني الشاه ـ رجل مسؤول عن اربعين مليون مواطن يريد ان يجد لهم المسكن والطعام والتعليم والعلاج والعمل، ويستحق الاهتمام والدرس والتأمل.

قلت لمهدي التاجر:

ـ وماذا يقول الانجليز عن هذا الموضوع.. موضوع حصر زيادة الاسعار ضمن خمسة في المائة فقط؟

قال: الانجليز لا يعارضون ان تكون الزيادة عشرة في المائة! هذه معلومات! وكذلك معظم دول اوروبا الغربية لم تعارض ان تكون الزيادة في عشرة في المائة! فلماذا نكون «ملوكا» اكثر من الملكيين، ونصبح امريكيين اكثر من امريكا؟ لماذا؟ انا لا اعني انني ضد القرار الذي اعلنته حكومتي وبلدي في هذا الشأن! انا عندي مآخذ حول الموضوع. مثلا: لم يكن هناك اي مبرر ان نختلف مع بقية اعضاء المنظمة من اجل الاكتفاء بزيادة لا تتجاوز الخمسة في المائة! مثلا: السيد زكي اليماني والدكتور مانع العتيبة يملكان من الاسباب ما جعلت كلاً منهما ينصح حكومته بان لا تتجاوز الزيادة حد الخمسة في المائة! عال! ولكن هذا القرار قد اخلفنا مع الجارة الكبرى ايران وانا لا اريد ان اهاجم القرار ولا اريد ان ادافع عنه، ولكني اقول انني كمواطن عربي عادي، ومن ناحية المبدأ، اسأل هل يجوز لنا ان نكتفي بزيادة خمسة في المائة وان نضحى بخمسة في المائة.. اجل، خمسة في المائة من دخلنا القومي.. خمسة في المائة من ثروتنا العامة..»

«ماذا سيترتب على مثل هذا القرار من نتائج؟ ولو جرى هذا الامر في بلد كبريطانيا هل كان

وزير البترول او حكومته بأسرها تجرؤ على اتخاذ مثل هذه الخطوة دون الرجوع الى البرلمان ودون اجراء استفتاء عام تشترك فيه الامة باسرها؟ ان قرارنا بالتنازل عن خمسة في المائة من ثرواتنا ودخلنا القومي . وهي ثروة تصل الى الاف الملايين من الدولارات ـ قد ضحى بها العرب من اجل خاطر امريكا وعيون اوروبا وضمان مد اسرائيل بالمال والسلاح الاميركي؟ انا لا اعترض على الرقم سواء كان خمسة او عشرة انا اعترض على المبدأ. على اسلوب اتخاذ القرار! على الانفرادية في تقرير الامور! كيف نجرؤ على اتخاذ مثل هذا القرار ومسؤولياتنا ليست محصورة في داخل الجزيرة العربية وحدها وانما نحن مسؤولون عن مصير الامة العربية باسرها؛ ألسنا مسؤولين عن الاربعين مليون مصري من الذين لا يجدون امامهم ما يسد جوعهم؟ اليس اجدى بنا واولى، بدلا من ان نعطي اموالنا للدول الصناعية ان نعطيها للاردن، او لسوريا، او للمغرب. انا اعترض ـ مطلقا ـ كعربي على هدر اموال العرب. ان اموال البترول هي اموال كل العرب. . ولا يجوز لانسان فرد. . او لوزير. . او لحكومة ان تتخذ قرارا يهدر اموال العرب. ان المعنى الحقيقي لقرار الخمسة في المائة ان تخسر دولة الامارات العربية حوالي الف مليون دولار. . فلماذا؟ لماذا؟ لماذا يا ناس لماذا؟

وسكت مهدي التاجر على مضض وعلى مرارة معا. . !

فسألته عن موضوع اخر. . عن لبنان وقد بدأت الحرب تأكل بره وبحره: وماذا تقول عن لبنان؟

فقال لي التاجر الديبلوماسي:

ـ لبنان كان حتى اليوم هو رئة العرب الوحيدة الواحدة! كان لبنان هو البلد العربي الوحيد الذي يجمع كل المتناقضات الموجودة في العالم العربي وكل ما قيل ضد صحافة لبنان، فقد كانت صحافة لبنان هي الصحافة الوحيدة القادرة ان توصل الكلمة المطلوبة الى البيوت المحرومة من نعمة الكلمة المطلوبة. وخدمات لبنان للعرب فاقت كل خدمات العرب للعرب، او للبنان! وما حدث في لبنان هو نتيجة «الخير الزائد». وقديما قيل الزائد كالناقص. الزائد من الحرية ومن الرخاء ومن الاستقرار قد دفعهم الى الاسترخاء والى. . «البطر»! ونسي اهل لبنان النظام. ونسوا الحكم. ونسوا النظام. وهذه هي النتيجة. بعضهم يقول ان بعض المسلمين جهلة. ترى من هو المسؤول؟ من المسؤول عن الامية في صفوف بعض المسلمين من المسؤول عن تجاهل اللبناني لاخيه اللبناني؟ جميع فئات لبنان تحمل مسؤولية ما جرى في لبنان! ولكني متفائل بمستقبل هذا البلد وعلى جميع المستويات. انا ارى الزواج الكاثوليكي بين القضيتين الفلسطينية واللبنانية. وحل الواحدة سيؤدي حتما الى حل الاخرى. . ».

قلت مقاطعا: وما رأيك في ما وصلت اليه القضية الفلسطينية في هذا العام. . عام ١٩٧٧. . . ؟

واجاب مهدي التاجر:

ـ انا اقول برأي يختلف عن رأيك، وعن رأي العرب. انا اقول بان هذه القضية لا يحلها الا اهلها. لو تركنا الحل لاميركا، لجاء الحل كما تراه امريكا وفي الوقت الذي تختاره هي، لا نحن! مجيء رئيس امريكي جديد لا يؤثر على القضية. الوقت ضدنا والرئيس الجديد يريد ان «يتعلم» القضية على مهل قبل ان يبدأ في معالجتها. لست متفاءلاً لأن وضعنا العربي لا يدعو للارتياح ولأننا اعجز من ان نأخذ زمام المبادرة بايدينا او ان نفرض الحل الذي نريده. ان أي حل يفرضونه على العرب، هو حل يخسر فيه العرب ولا يكسبون منه! اي حل ينتج عن الاعتراف باسرائيل يعني خسران العرب لجزء من ارضهم.. ووطنهم! لماذا العجلة؟ لماذا التهافت؟ لماذا الركوع؟..»

ثم اضاف:

ـ لقد اصبحت اسرائيل ولاية اميركية.. وهدفها هو «الوجود» الامريكي للشرق الاوسط ولاوروبا معا.. وعندما تقع المشاكل في المستقبل، لن تكون بين اسرائيل والعرب، وانما بين هذه الولاية الامريكية المسماة اسرائيل وبين العديد من دول اوروبا..! انا لا اخاف على جنوب لبنان من اسرائيل! الليطاني ليس نهر «المسيسبي» ونحن في عام ١٩٧٧ نعرف سهولة تحويل مياه البحر الى مياه شرب! الخطر من اسرائيل هو على الاردن وحده! ودور اسرائيل هو دور البوليس الامريكي المشرف على سلامة ابار البترول. وسيأتي يوم ليس ببعيد لن تكتفي فيه اسرائيل بالحرص على مصالح امريكا بل ستلتفت الى مصالحها هي حتى ولو تضاربت مع مصالح امريكا، وقد نجد امريكا تعود لكي تحالف العرب او تسلحهم لكي تواجه الدور الاسرائيلي المناهض للمصالح الامريكية في المنطقة..»!

قلت لمهدي التاجر:

ـ وهل تسمح اوضاع «الامارات»، لأية حكومة في الامارات ان تلتفت الى مثل هذه القضايا العربية والدولية الخطيرة، وتوليها اهتمامها ونشاطها؟

واجاب التاجر:

ـ الشيخ زايد هو المسؤول الاول عن تأسيس دولة الامارات! وعملية التأسيس اخذت من الشيخ زايد الكثير من الوقت والجهد والاعصاب! وهناك اشياء يعرفها الناس، واشياء يجهلونها؟ وكان مع الشيخ زايد نفر قليل يساعده على تأسيس الدولة. وكنت ارجو لو ان هذا النفر القليل قد استمر «يعمل» مع الشيخ زايد من اجل «صيانة» الامارات. ان صيانة المؤسسة اهم من تأسيسها! ويبقى الشيخ زايد بحاجة الى من يساعده في الصيانة اكثر مما كانت حاجته الى من ساعده في التأسيس! ونحن الان في شيء اسمه: «دولة»! وقد جاء الوقت الذي يجب علينا ان نعرف ونقرر نوعية الطريق الذي نسير فيه. كنا في الماضي محكومين

بنظام قبلي. وكان ذلك يرضينا. فللحكم القبلي عيوب، ولكن له مزايا ايضا. ومن مزايا الحكم القبلي السرعة في اتخاذ القرارات. ومن اخطاء هذا الحكم الانفراد في اتخاذ القرار. ولكن المزايا كانت تغطي العيوب. والان، وقد اصبح لنا دولة فاننا نتساءل: «هل نحن، دولة قبلية ام نحن في دولة حديثة او عصرية» انا لا اعرف انا لا استطيع ان اعيش وفوق رأسي اكثر من قبعة واحدة. على المسؤولين اختيار نوع «القبعة» التي يرونها وانا على استعداد لأن أرضى بها. ولكني اريد ان اعرف واستريح. هل مازلنا قبيلة ام اصبحنا دولة عصرية. انا كمواطن ارى ان الدولة ـ دولتي ـ رغم عصرية الطابع والمظهر الا ان بعض «الامارات» فيها مازالت محكومة بنظام قبلي. !».

وسكت التاجر قبل ان يستطرد في سرد مآخذه على دولة الامارات التي ينتسب اليها ويمثلها لدى بلاط سان جيمس فقال:

ـ هذه واحدة. اما الثانية فمما لاشك فيه ان الشخص الذي يبني المؤسسة هو غير الشخص الذي يؤثثها، او يؤجرها او يحرسها او يوظف اموالها. . ! من هنا، فنحن مازلنا ومنذ تأسيس دولة الامارات نستعين بنفس الوجوه ونفس الاسماء ونفس الاشخاص في تسيير الامور. انا ـ مثلا ـ لقد آن الوقت ان اخرج انا من منصبي ويأتي شخص آخر مكاني. اليس من حق شخص آخر غير مهدي التاجر ان يصبح سفيرا للامارات في لندن وفي باريس؟ لقد مضى علي ربع قرن وان اعمل في «دبي» وفي الامارات وقد حان الوقت لكي استريح واعود الى التقاعد واباشر اعمالي الحرة بعيدا عن الحكم. لو كنت اشعر باني مازلت قادرا على الخدمة لما قلت بطلبي ان استريح. لكني قلت للشيخ زايد وللسويدي باني اريد ان اتقاعد. انا فخور بحبهم لي، ولكني لو كنت مكان الشيخ زايد او السويدي لانهيت خدمات مهدي التاجر. . فورا».

قلت: وماذا ايضا. . ؟

قال السفير الذي ينادي باعلى صوته: «اقيلوني يا ناس»:

ـ اعود واقول ان الاتحاد يحتاج الى حكمة جديدة ومتطورة. ان على الشيخ زايد ان يهيء ـ ومن الان ـ الشخص الذي سيقود السفينة من بعده! الدنيا كلها تعرف انه لولا الشيخ زايد لما كان هناك هذا الشيء الذي اسمه الاتحاد ولكن هذا لا يعني انه يجب اذا زال الشيخ زايد ان يزول الاتحاد! ان عظمة الشيخ زايد ليست في تأسيس الاتحاد ثم يذهب ما اسسه، بذهابه، وانما بان يبقى الاتحاد حتى ولو غاب المؤسس. . ! الشيخ «راشد» غير راغب في ان يكون رئيسا. ماذا يحصل لو غاب زايد؟ يجب على زايد ان يأتي بالرجل الذي يتوسم فيه الخير لكي يتحمل المسؤولية من بعد. . »

سألته مقاطعا:

ـ ولكن الاختيار قد يخلق حساسيات وخلافات متوقعة؟!

اجاب: اليس افضل ان نخلق حساسية اليوم بدلا من ان نخلق فوضى. . غدا؟ الاتحاد ليس شركة تجارية ولا دكاناً لبيع السجاير! نحن في دولة وما يجري هنا فيها غير مقبول! ها قد اقبل موسم «القنص» واسأل عن رئيس الدولة فلا اجده لأنه مسافر. ونائب رئيس الدولة خارج البلد. . ورئيس الوزراء خارج البلد. . ولم يبق الا عين الله! جرائدنا نشرت سلسلة اخبار عن سفر فلان وفلان الى باكستان والى الهند والى اوروبا. . ولم تنشر عن عودة احد منهم الى البلد! هذا موقف يستدعي الحزم والعلاج! وما اقوله لك ليس بالسر. !

وعاد يكرر:

ـ انا قلق!. . انا اسأل ماذا سيكون مصير هذه الانجازات التي حققها زايد.؟ انا لا احذف من حسابي ان تنتقل احداث لبنان الى داخل دول الخليج! نحن نبني المصانع ونستورد الاف البشر الاجانب لادارة هذه المصانع، وتصبح الاقلية هي الاكثرية. ماذا سيجري في عام ١٩٨٥ لو اصبح الاجانب اربعة ملايين، وبقي اهل البلاد على حالهم وعلى عددهم؟! هل يبدأ الصراع بين الوافد الاجنبي واهل البلد؟ هل «يصير» عندنا ما صار سابقا في امريكا!! في بعض دول الاتحاد لا يزيد عدد السكان الاصليين عن عشرين في المائة! ان ما حدث في لبنان هو ناقوس خطر! وكذلك ما جرى في مصر مؤخرا من ثورة شعبية تطالب بالاكل من حكومة عاجزة عن ان تشبع هذا الشعب! ان على العرب اتخاذ موقف من مصر يختلف عن الموقف الحالي المتسم بطابع «الاحسان»! ان على العربي في الخليج ـ في السعودية او في الامارات ان يقاسم ثروته مع العربي في مصر! وعلينا ان نرتب الثروة العربية ونوظفها لحساب كل العرب لأن ذلك يحل الازمة العالمية باسرها! يجب ان يكون لكل عربي أينما كان حق في المال العربي أينما كان!! انا ادعو الى تنظيم حكومة مركزية تجني الضرائب من كافة انحاء العالم العربي وتدفع المعونات الى الدول العربية المحتاجة. ! هذا البترول العربي الذي نتمتع بخيراته، لو لم يكن بترولا عربيا شاملا لما بقى حتى اليوم في ايدي اصحابه! ان الخوف من كل العرب ـ من المحيط الى الخليج ـ هو الذي حمى البترول من العدوان وابقاه في ايدينا، فمن حق الذين حموا البترول التمتع ايضا ـ بخيراته! ان من مصلحتي ـ كمواطن اسكن الخليج ان يكون اخي العربي في مصر وفي الاردن وفي سوريا بالف خير والف كرامة، لأن هؤلاء الاشقاء هم الذين سيدافعون عني عند الحاجة! لو اخذت مصر حقها من البترول العربي ورفعت مستوى المعيشة فيها لفتحت ابوابها امام اغنياء الخليج للعمل والاستثمار! انا لست ضد «الغزو» العربي لاوروبا اذ فيها الكثير مما يجب علينا ان نتعلمه منها، ولكن الوطن العربي احق من اوروبا بالزيارة والنفقات وبالعملة الصعبة. !

ومضى مهدي التاجر ينتقل في حديثه بين مائة موضوع وموضوع فسمعته يقول لي وكأنه يتحدث مع نفسه:

ـ الشارع الانجليزي تغير الى ما هو احسن! والجامعات في بريطانيا امتلأت بالتلامذة الانجليز بعد ان كانت في الماضي تمتلىء بالتلامذة الاجانب! الشخص الذي يشعر بالالم هو الشخص الملىء عافية وصحة، وهذا ما يجعلنا نسمع أنّات الانجليز وشكاويهم في هذه الايام! ان ثروة الانجليز في المواطن الانجليزي المتعلم هي ثروة حقيقية وهائلة! انها ثروة العلم التي لا تنصب ولا تنتهي، كالبترول مثلا! ان كل ما يهم المسؤول الانجليزي في هذه الايام هو ان يمضي في عملية تحويل بريطانيا من دولة كانت استعمارية الى شركة تجارية بريطانية! في الماضي كانت بريطانيا تصدر الموظفين والسلاح والاستعمار، ولكنها اليوم تصدر للعالم استاذ الجامعة، وطبيب المستشفى، والمحامي الكفؤ! في الماضي كان العالم يلعن بريطانيا واليوم يصفق العالم لبريطانيا! والعرب يحبون بريطانيا ويشعروف بالضعف نحوها. والانجليزي يشهق عندما يسمع اسم مصر او العراق او الاردن. هذه حقيقة ثابتة ومستمرة. والحب قائم بين العرب والانجليز. . ».

سألته: هل هذا ما جعلك تشتري عشرات من القصور الانجليزية الاثرية «بقصد الحفاظ عليها»!

اجاب: نعم انا قلت ذلك! انا قلت انني أقتنيها ـ اي القصور ـ لأنها قصور فنية وتستحق الاقتناء! ان تجارتي في بريطانيا تجارة مربحة جدا! والقصر الاخير الذي اشتريته واسمه: «ماري وورث». . وعمره ثلاثمائة عام، هو قطعة فنية، بل تحفة هائلة، وثمنه مغرٍ، وحوله اربعمائة فدان في قلب مقاطعة «كنت» وهندسته رائعة وبداخله من اللوحات الفنية ما لا تقدر بثمن!».

وقلت لمهدي التاجر الذي يملك من الملايين ما يستطيع بها ان يشتري كل شيء واي شيء: ترى ما هي عناصر الاغراء التي تدفعك الى شراء الشيء واقتنائه. وما هو الشيء الذي تحرص على شرائه اكثر من سواه!

واجاب مهدي التاجر:

ـ الانسان بطبعه يحاول اقتناء الاشياء التي تدخل السعادة الى قلبه. وانا بطبعي احب الارض. . وابحث عنها. . واشتريها لعل السر ان امي قروية. . فلاحة. . . والحمد لله! انا افضل الارض على اللوحة، وعلى الجواهر وعلى الاسهم. وعلى اي شيء اخر. . »

انا أسألك يا اخ مهدي: هل تحققت كل امانيك في هذه الحياة!

واجاب السفير الذي يحب العرب ويحب ايران، ويحب الامارات ويحب الشيخ راشد ويحب الارض ومن عليها:

ـ اجل! والحمد لله. . ! انا تاجر ابن تاجر ابن. . ابن تاجر! و «دبي» هي صاحبة الفضل علي! والشيخ راشد هو المتفضل علي ولولاه لما وصلت إلى ما وصلت اليه، وكنت مجرد موظف

عنده ومازلت مجرد موظف عنده! وانا انسان يحب الجمال ويعشقه، وهوايتي هي «جمع الاصدقاء» ولا يخيفني خطر الخطف من احد، وقد علمتني الحياة درسا واحدا هو: «ذل من لا عشيرة له»! لا المال ولا الجاه قادر على اسعاد الشخص اذا لم يسعده اهله . . ! انا ضد اسرائيل وانا عدو لها، ولن يغير من موقفي هذا صلح يعقده الفلسطينيون او سلام يقره العرب! اسرائيل في قاموسي دولة فاسقة فاجرة متآمرة كافرة وعدوة للاسلام وللعروبة ولكل مسلم ولكل عربي! كل ذرة رمل عربية تطأها قدم يهودي هي مسؤولية عربية، وكل عربي يقرها او يقبل بها هو كافر بالله وباليوم الاخر! ولا جنيف ولا القرارات الدولية قادرة ان ترغمني ان اسالم من اراه عدوا لي. «القدس» مسؤولية كل مسلم وليس امرها وقفا على منظمة التحرير او على الفلسطينيين!! ان الاموال العربية المودعة لدى البنوك اليهودية في بريطانيا هي سر قوة اليهود في بريطانيا. انا فخور بنجاحي لا كوني «محمد مهدي التاجر» بل كوني مسلماً وعربياً.
ان اتحاد الامارات ليس اتحاداً يضم سبعة اشخاص، وانما هو اتحاد يضم سبع امارات! وشعوب هذه الامارات تريد الاتحاد وتتمسك به وشعاري في العمل السياسي هو شعاري في العمل الاقتصادي هو نفس شعاري في العمل الديبلوماسي: الصدق! وزعماء العرب الذين كانوا الى امس القريب هدف الهجوم الشعبي عليهم بوصفهم زعماء «رجعيون»، هم الذين اثبتوا اليوم انهم الد اعداء الاستعمار واشرس اعداء الصهيونية! واكثر الزعامات الثورية في العالم العربي يفرضها العسكر وتحميها الجيوش ضد رغبة الشعوب. إن الحروب القادمة بين العرب واسرائيل ستكون برعاية ومال واشراف الدول العربية المحافظة وليس سواهم. كانت السعودية بالامس البعيد تتمتع بالزعامة الروحية لمنطقة الخليج، وللجزيرة باسرها. اما اليوم فان السعودية تتمتع بالزعامات: الروحية، والسياسية، والبترولية، والمالية. . . كلها!. ان سياسة دول الخليج التي كانت تنبع من لندن بالامس قد اصبحت اليوم تنبع من «الرياض» وحدها. عمي في السعودية وخالي في السعودية! وفي خير «دبي» خير لكل اتحاد الامارات. .
وقل على لساني: نحن الان في صيف ١٩٧٧، وقد اثبتت ايران انها بعد ان اصبحت دولة قوية وبدأت وفود المهاجرين الايرانيين الذين وفدوا الى الخليج في العودة الى ايران. . اقول لقد اثبتت ايران انها دولة صديقة للعرب، وشقيقة للمسلمين، وانها ليست دولة توسعية وانما هي الدرع لقضايا العرب والمسلمين معا. . ! »

-نعم؟ نعم؟ نعم!! ماذا تقول؟ ماذا؟

وانتهى حديث محمد مهدي التاجر. . .



قصر الشيخ زايد - الريف البريطاني - ٧/٨/ ١٩٧٥

الشيخ زايد يقول كل شيء!

"أنا أحارب ومعي الأمة العربية كلها ..."

الشيخ زايد يقول كل شيء!

"أنا أحارب ومعي الأمة العربية كلها ..."

لم يعد الشيخ زايد يزور بريطانيا كما كان يفعل في اواسط السبعينات.

في السبعينات - وبالتحديد في السابع من شهر اغسطس من عام ١٩٧٥، كان الشيخ زايد يزور لندن ويقيم في قصره الريفي السابح في عالم الحدائق والأحراش والغزلان وكنت مدعوا للالتقاء به وتناول طعام الغداء على مائدته، والتحدث معه في المواضيع الكبرى التي كانت تشغل بال العرب في ذلك الوقت.

وفي الشيخ زايد بساطة الصحراء، وعفوية الطفل، وعنفوان الخيل وصراحة البدوي! وفيه ذكاء، واندفاع، وقوة على الصبر، وبراعة في التهرب من السؤال الحرج.. !

وعندما قابلته، كان العالم يتحدث بحذر عن مولد دولة الامارات العربية، وعن مستقبلها، وعن اسعار البترول المتراقصة، وعن آثار حرب ١٩٧٣، وعن حدود الامارات مع جيرانها، وعن تهديدات امريكا لدول البترول وعن الخلافات القائمة بين ابوظبي ودبي، أو بين الشيخ زايد والشيخ راشد.. فكان من الطبيعي جدا ان يشمل حديثي معه - بالسؤال - كل هذه المواضيع، وان يشمل حديث لي - بالجواب - ما يريد ان يفصح عنه او يسرده في ظل مسؤوليته كرئيس لدولة الامارات العربية من اسرار وآراء ومواقف.

وفجأة، سألت الشيخ زايد:

- هل انت رجل تؤمن بشيء اسمه الوحدة العربية. اعني هل انت عربي وحدوي تؤمن بالفكرة الوحدوية ام لا تهمك الا مصلحة ابوظبي مثلا؟! واجاب زايد:

- دولة الامارات محدودة الامكانيات! دولة صغيرة، ولكنها لا تتأخر عن القيام بواجبها تجاه العرب! أنا شخصيا - أنا الشيخ زايد - استطعت ان اثبت لاخواني واشقائي العرب ان دولة الامارات قد قامت باكثر مما كان منتظرا منها حيال اخوانها في السنوات الاخيرة. قد يقال بأننا لم نساهم ولم نواجه على الوجه الاكمل، ولكن الحقيقة اننا ضمن ما نملك قد قمنا بكل الواجب. لقد شهد اشقائي العرب في سوريا ومصر انه لا يمكن للعرب الانتصار الا ببقاء التضامن العربي الذي قام في حرب اكتوبر. هذه هي الامنية الكبرى لكل عربي وهذه هي مصلحته. قلت لمصر ولسوريا ان مواجهتكم للعدو منذ عامين قد اكسبتكم تأييد الامة

العربية كلها، وحققت لكم اروع صورة للتضامن بين بعضكم بعضاً، وعليكم الابقاء على هذه الصورة من اجل قطف ثمرات النصر. !»

سألته: وهل في حسابكم ان تتكرر «المواجهة» بين العرب واليهود في الغد القريب؟

اجاب: أنا اتوقع كل شيء واي شيء. ولكن الاوراق قد اختلطت والحسابات لم تعد معروفة مني او عند غيري، والموقف يتبدل من يوم الى يوم. ان العدو ليس وحده. والقرار ليس قراره بمفرده، وانما يشاركه في القرار الدول التي تحالفه وتسنده وانا اعرفها. . »

قلت: اعني هل نحن مع قضيتنا نمشي صوب الانفراج ام صوب حرب جديدة قادمة كحرب ٧٣؟

واجاب بلغة الالغاز: طريقنا ملأى بالحفرات والالغام والمهالك، وقد انتقل العرب من دنيا الانقسام الى دنيا العمل المشترك. . الى الوحدة، وحدة المصير لا وحدة الشكل الدولي. . اعني وحدة كوحدة حرب «رمضان» وليس شيء اخر. . واذا مس الوحدة المذكورة بعض الكسل او الضعف فالامر لا يتوجب القلق. !»

قلت مقاطعا: هل افهم منك ان الخلاف الناشيء - مثلا - بين العقيد القذافي وأنور السادات هو خلاف مرحلي ومؤقت وسيزول قريبا؟

اجاب زايد، وكان قد توسط بنفسه من اجل ازالة هذا الخلاف:

- ان قصة الخلاف بين ليبيا ومصر ليست صعبة. ومن يعرف تفاصيل هذه القصة لا يتوقع لها ان تدوم طويلا. ! ولكن الذين لا يعرفون يظنون العكس. انا اعتقد ان هذا الخلاف لا «كمين» له!

قلت: ما معنى «لا كمين» له؟

قال: لا مصيدة له. ! واذا كانت هناك اصابع ملوثة بالميكروب تلعب بالجرح وتلوث الدم فالامر صعب. اما بين ليبيا ومصر «فالكمين» غير موجود. ؟!»

سألته: وفي هذا الخلاف، ايهما على حق يا شيخ زايد. ؟

قال: لو كنت اعيش في مصر او في ليبيا لاجبتك بالحقيقة. ولكني لا اعيش الا في ابوظبي رغم اني قد اجتمعت بالرجلين واستمعت منهما الى اسباب الخلاف. وهذا لا يكفي. انا لست قاضي محكمة لكي اصل الى قراري خلال يوم او يومين، او بعد جلسة او جلستين!»

قلت: يعني لابد من جلسات اخرى. !

وقهقه زايد واجاب:

- لابد. . لابد. . جلسة وجلسة وجلسات كثيرة!

سألته:

- وماذا ستفعل في المغرب خلال زيارتك القادمة اليه بعد ايام؟

اجاب: الملك الحسن عاتبني لاننا نقضي الصيف في اوروبا وقال لي لماذا لا تأتون الى المغرب وعرض عليّ «المصيف» في الدار البيضاء وفي منطقة «المحمدية». . و «افران». . وسنذهب اليه. ومن المغرب سنذهب لزيارة الاندلس.»

ثم سألني الشيخ زايد فجأة:

ـ لماذا ضاع الاندلس من العرب.؟!

وتركت له مهمة الجواب عندما قلت له:

ـ انت اقدر مني على ان تجد الجواب القاطع لهذا السؤال.! ولكن زايد لم يتكلم! رأيته يطرق برأسه واجما ولا يقول شيئا. فسألته:

ـ هل تسمح لي بالعودة معك الى سؤالي الاول في هذه الجلسة وهو: هل انت رجل وحدوي تشدك الافكار الوحدوية ام انك تفضل التركيز على مصالح بلدك وقضايا دولة الاتحاد. . وحدها؟

فأجاب الشيخ زايد بن نهيّان، وقد اختار ان يتحدث عن الاتحاد لا عن نفسه:

ـ نحن في الامارات اسرة واحدة. . ورغم اننا اسرة واحدة الا اننا لا ننقطع عن تبادل الاراء، ومناقشة المواضيع، والتشاور المستمر. هناك ما يربطنا من اواصر الحب والنسب الشيء الكثير.! ومنذ القرار البريطاني حول الانسحاب من بلادنا ـ وكان قرارا اشبه بالانذار المفاجيء لنا ـ ونحن نتداول حول كيفية انشاء هذا الاتحاد! كان ذلك صعبا بالنسبة لي شخصيا! لقد استمرت عملية التشاور والدرس اكثر من ثلاث سنوات وقام الاتحاد والحمد لله. ولكننا كنا نخطط ونأمل ان يقوم الاتحاد على «تسعة»، لا على سبعة! والمحاولة بدأت من اول الامر على اساس ان تشمل «تسعة!» الا ان «قطر» اختارت ان تعلن استقلالها وقيام دولتها فأعلنا مباركتنا لها قبل ولادة الاتحاد. وكذلك «البحرين»! ولم نعاتب احدا! ولم نعارض احدا! وباركنا للجميع وباركنا الجميع، واستمر تعاوننا مع البحرين ومع قطر. وبعد هدر الكثير من الوقت والجهد قام هذا الاتحاد. نعم! لقد قضينا ثلاث سنوات قبل الاتفاق على صورة الاتحاد بالرغم من كل ما يربطنا من اواصر الصداقة والمحبة والقرابة. لم يكن لدينا اية خبرة حول كيفية قيام الاتحادات الا ان حرصنا على التقارب وايماننا بالله وثقتنا بشد الازر والمؤازرة قد حققت المعجزة.!»

ثم قال الشيخ زايد:

ـ وسواء كان الاتحاد مزرعة او مبنى او ملعباً، فان الامر يحتاج دوما الى دراسة وفحص وتدقيق وبحث عن الاخطاء بعد ان يتم البناء.! وهذا ما فعلناه تجاه هذا المولود الجديد حيث وجدنا اننا بحاجة الى التعديل والاضافة وتحسين بعض الامور هنا وبعض الامور هناك! ومع الزمن بدأنا نرى المآخذ على بعض القوانين التي اتخذت؛ فأمرنا بتعديلها. لقد كان كل همنا

ان يصبح هذا الاتحاد مصدر خير وسعادة لكل المواطنين في هذه البلاد، وان يتطور مع الزمن وان يصبح ركيزة ناجحة تشجع الأشقاء في كل وطن عربي على التقارب والاتحاد. . مثلنا!».
قلت:
ـ وهل انت راض عن هذا المولود بعد مرور هذا الزمن؟
ولم ينتبه الشيخ زايد لسؤالي فمضى يقول مسترسلا:
ـ وانضم المولود الى الجسم الكبير للامة العربية. . واصبحت الامة العربية تحسب للمولود حسابا، وتعده لوقت الحاجة، ومدى قدرته على دعم الاشقاء وخدمتهم في المستقبل! ونحن الآن قد استخلصنا العبر والدروس من قيام الاتحاد المذكور. كما اننا ـ طيلة السنوات القليلة الماضية ـ قد استوعبنا نتيجة الدرس والفحص، الامور المتوجب تعديلها في جسم الاتحاد وفي فروعه وفي دستوره. !»
سألته:
ـ وهل هناك امثلة ملموسة في هذا الموضوع؟
اجاب الشيخ زايد على الفور:
ـ مثلا، هناك موضوع السلطة العليا في الاتحاد، وان تكون سلطة فعالة وبارزة، وان تكون وزارة الداخلية ـ والأمن من اختصاصاتها ـ وسلطاتها شاملة فوق ارض جميع دول الاتحاد، وبذلك تحدد المسؤولية! كذلك يجب ان يوحد الجيش بقيادة واحدة تنبثق من القائد الأعلى والقائد العام! ان همي هو ان احدد السلطة وان احدد معها المسؤولية! وكذلك هناك موضوع الميزانية العامة حيث يجب توحيد الدخل والانفاق. هناك امارات داخل الاتحاد تملك دخلا هائلا ولكنها ترفض المشاركة في الميزانية العامة للاتحاد مما يحصر جهة الانفاق في «ابو ظبي» وحدها التي تنفق على جميع امارات الاتحاد! اكرر: ابوظبي وحدها هي التي تنفق! لماذا ابوظبي لوحدها؟ والجواب انه قبل قيام الاتحاد كان هناك مشكلة الحدود بين ابوظبي وسلطنة «عمان». وتجنبا للخلافات والمشاحنات عمدنا فورا الى حل قضايا الحدود القريبة والبعيدة بيننا وبين «عمان» على ايام «سعيد بن تيمور» ـ رحمه الله ـ والمعروف لدى الجميع بأنه، لم يكن يميل كثيرا الى حب الوفاق والتفاهم مع اي عربي! ثم عمدنا الى حل مشكلة حدودنا مع دولة قطر. وكسبت قطر الكثير من وراء حرصنا على سرعة انهاء المشكلة! ثم نجحنا في حل الحدود بين ابوظبي، ودبي، واضاف الشيخ راشد «١٢» كيلو الى ارض دبي ورضينا بذلك وفي هذه الارض التي اضفناها الى «دبي» توجد حقول البترول. هذا هو الدليل الاكبر على صفاء نوايانا ونبل اهدافنا للعمل قبل ولادة هذا الاتحاد. وبعد قيام الاتحاد مضت ابوظبي ـ وحدها ـ تنفق على مدارس الاتحاد ومستشفياته وعماله وموظفيه. الحقيقة اننا سعداء بأن نؤدي هذا الواجب لبلدنا وبمفردنا. ويبقى ان نعالج هذه المآخذ الثلاث في اقرب فرصة وندخل ما نراه من



المؤلف مع الشيخ زايد

تعديلات على الدستور والقوانين بحيث تتوحد سلطات وزارة الداخلية، ويتوحد الجيش، ويتوحد الدخل مع الانفاق. وهذا كله قادم وقريب!».

وسألني الشيخ زايد:

هل فهمت الى اين وصلنا.. والى اين نذهب من هنا؟

قلت له: سأحاول ذلك..

قال: الحمد لله ان الاتحاد اصبح يملك كافة المرافق الناجحة، واصبح الاتحاد يملك المستشفيات والعيادات الحكومية والمدارس والمؤسسات العامة التي تشرف على خدمة الناس في المدن وفي القرى وفي قلب الصحراء!

لقد قمنا بمحاولة لإسكان القبائل المتنقلة في اماكن ثابتة، وانشأنا لهم قرى بمراع زراعية واسعة للعناية بمواشيهم حيث حفرنا لهم الابار الارتوازية وضمنا لهم وجود الاشجار من النخل وسواه..»

قلت للشيخ: ولماذا لا تحاولون توحيد «العملة» في دول الامارات؟!

قال: توحيد العملة امر سهل! ولكننا سنوحد عملتنا بالاتفاق مع الكويت، وقطر، والبحرين.!»

قلت: ولماذا لا توحدون خطوط الطيران.. مثلا؟

قال: وهذه ايضا سنوحدها! وكذلك الجيش سنوحده كما قلت لك سابقا. وسيكون هناك تنسيق بين اجهزة الأمن بين الامارات وبين الاتحاد وجيرانه».

سألته: الا يخيفكم وجود بعض دول الخليج الصغيرة على ما هي عليه الآن من العزلة والضعف مما يغري العدو والطامع والاجنبي . . ؟؟

سألني: وماذا تريدني ان افعل!؟

ثم اضاف:

ـ لقد استنفدنا ثلاث سنوات طوال لكي ننشىء اتحادا بين امارات متجانسة يربطها القرب، والحسب، والنسب، والحاجة، فما بالك لو حاولنا الاتحاد مع دول اخرى كقطر . . او البحرين . . او الكويت؟ ان ذلك قد يستغرق العمر كله ولا نصل معه الى نتيجة!»

ثم قال:

ـ لقد حاولنا مع الجميع، ولكنا فشلنا. وبدلا من الفشل المكرر لماذا لا نحاول ان نخلق جوا من التعاون فيما بيننا ينطوي على التعاون الاقتصادي ثم تعاون في ميادين الامن ثم تعاون بين الجيوش. كل دولة مستقلة تبقى على حالها. وعندما يشعر الشعب بان المصالح بدأت تترابط وتتشابك بين هذه الدول ويدرك اهل قطر ان مصلحتهم هي في الارتباط مع الامارات ويشعر اهل الامارات ان مصلحتهم تبقى في العمل مع البحرين ويشعر الجميع ان لا غنى لأحد منهم عن الاخر . عندئذ، ومع السعودية ومع سلطنة عمان، نصبح قوة يحسب لها الف حساب. هذا هو مفهومي للعمل الوحدوي المترابط بجميع قواعده الكبار والصغار. عمل وحدوي يربط بين الشعوب لا بين الرؤساء او الامراء وحدهم. ومن واجبنا القومي ان نمضي في تنفيذ هذا العمل لكي يصبح حقيقة . . »

قلت: متى . .

قال: يجب ان لا نسرع الخطى ثم نندم على العجلة! يجب ان نتأنى ونبني طوبة فوق طوبة . ونفحص . . وندرس . . !

قلت وانا احاول ان اضع اصبعي على الجرح:

ـ وهل «لدبي» ـ مثلا ـ اي اثر سلبي على مسيرة هذا الاتحاد في الطريق الذي تريدونه . . ؟!

اجاب فوراً:

ـ لا!

ثم قال ولم يعجبه سؤالي:

ـ ابدا! ان دبي ـ لا اظن ـ انها تريد الخروج من الاتحاد او زعزعته! لا اعتقد ان في «دبي» اي جهل او طفولة تدفعها الى مثل هذا التفكير! ان «دبي» تريد البقاء في الاتحاد على الوجه الاكمل، وتريد للاتحاد ان يبقى! ان دبي ترى في بقائها في الاتحاد بقاءاً لها ووجودا لها. ماذا يضمن لأبوظبي ان تبقى لو خرجت من الاتحاد؟ اذا كانت ابوظبي التي تتولى الانفاق على

جميع دول الاتحاد تشعر بانها انما تحافظ بذلك على سلامتها وعلى امنها وعلى وجودها، فما بالك كيف تشعر دبي مثلاً؟ الانفراد يعني الزوال. .

قلت: وهل هذا هو رأيك في زميلك الشيخ راشد. .

سألني زايد: ماذا تعني. . ؟

قلت: اي نوع من الرجال هو الشيخ راشد، هل هو سياسي؟ هل هو تاجر؟ هل هو رجل اعمال امتهن السياسة؟؟ من هو راشد؟ قال الشيخ زايد عن زميله «اللدود» الشيخ راشد:

ـ الشيخ راشد عنده ميزتين اثنتين هو رجل سياسي اولا وهو رجل عنده مهارة في التجارة والاقتصاد! وهو رجل مشهور له بالتروي والتأني ولا يستعجل ولا يقبل الافكار الجديدة بسرعة!»

سألته:

ـ وهكذا اكاد اشعر من كلامك انك تشعر بالاطمئنان الكلي على مسيرة هذا الاتحاد الجديد، سواء من ناحية المضمون ام من ناحية المشاركين والمساعدين والاشقاء.؟

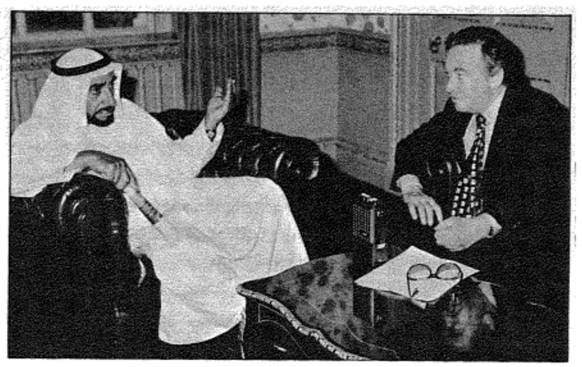
قال زايد: الحقيقة ان الاتحاد يبشر خيرا. هكذا تقول بوادره. . ولله الحمد ان هذا الاتحاد قد حقق للشعب الكثير في اماله التي كان يتطلع اليها. التاجر مبسوط والموظف سعيد والعامل فرحان. بعض الصحفيين جاءوا الينا وافتروا على الحقائق الموجودة في ابوظبي وكذبوا علينا وعلى قرائهم، وعندما جاءت صحفهم الى ابوظبي سمحت لها بالدخول ثم جاء ذلك الصحفي لزيارتي واعرب لي عن اسفه وندمه فقلت له لا بأس عليك. . واذا كان الافتراء سيجلب لكم المال فلا مانع لدينا من افترائكم علينا. اكتبوا واكذبوا. . واقبضوا. . واستمروا».

قلت: ومن يقف وراء الحملات عليكم وعلى ابوظبي. . ؟

قال: لا يهمني ان ادري. .

قلت: ولكن الحملة لا تكاد تترككم حتى توجه صوب رجالكم مثل راشد. . او مهدي التاجر. !

قال زايد: انا صريح معك. . ولا علي من «مهدي» ولا على «مهدي» مني. . الا بالحق! اقول لك منذ قيام الاتحاد و«مهدي التاجر» يكرر عبارة معينة يقول فيها: «انا عليّ واجب قمت به واريد ان اكمله». وعبارة تقول: «انا خدمت الشيخ راشد في دبي كالولد الذي يخدم والديه. . ولكني اليوم ـ والكلام على لسان مهدي التاجر ومنسوب اليه ـ اموالي تشغلني وتتعبني لذا اريد ان اكمل عملي لكي اطمئن على الامارات وعلى راشد نفسه». فقيل له: يجب ان تخدم وان تستمر في الخدمة وان لا تنقطع. فأجابهم: لا! انا لا اريد ان اكمل. وعندما قام الاتحاد قلت لمهدي ان عليه الاستمرار في الخدمة وامرت بتعيينه سفيرا في



ناصر الدين النشاشيبي يستمع الى كلام الشيخ زايد

بريطانيا: انا الذي اخترته بنفسي. لا زيد ولا عبيد. وطلب «مهدي» الاعتذار والاعفاء فرفضت طلبه وارسلته سفيرا الى لندن».

ثم سألني زايد:

ـ هل تسمع رأيي باختصار عن مهدي التاجر الذي يقولون اني لا احبه بسبب حبه لسواي. اسمع: مهدي رجل صالح في هذه الدولة..

قلت: وفي منصبه..؟؟

قال: وفي منصبه ايضا..!

ثم اضاف: «دع الناس يتكلمون! يجوز انني مخطىء! ويجوز ان غيري هو المخطىء! انا اعرف ان هناك هجوما مركزا على مهدي التاجر! لماذا؟ مهدي التاجر ليس باول شخص يتعرض الى النقد والهجوم! مادام مهدي يعمل في الحياة العامة فان الهجوم عليه شيء طبيعي.. ومقبول!»

قلت للشيخ زايد: ولكن الهجوم قد انتقل مؤخرا من شخص مهدي التاجر الى شخصية دولة الاتحاد.. فما هو تفسيركم لذلك؟

واجاب الشيخ زايد بعد صمت يسألني:

ـ وماذا يقولون عنا في هجومهم..؟!

قلت: يقولون ان الخلافات تجتاح الامارات الاعضاء، وان الاموال تهدر ولا يعرف احد مصيرها، وان البعض لا يتنبأ للاتحاد بطول العمر، والهجوم مليء بالغمز والتشكيك.

فقاطعني زايد يقول وقد ارتفعت نبرة صوته:

ـ شوف! ان لا ارى مانعا ان يقال بان في الاتحاد بعض «النقص» وانه ـ اي الاتحاد ـ بحاجة الى تحديد امور كثيرة في قوانينه وسلطات قادته. ولكن رغم كل ذلك، اريدك ان تعرف انت، وان يعرف معك كل عربي، ان الطامعين فينا كثيرون، والاعداء كثيرون، واصحاب المصلحة في التهجم علينا، كثيرون، والدساسون كثيرون. وهذا كله سيستمر طويلا. نحن كعرب لا نريد ان نعتقد بأن هناك صحيفة عربية واحدة يحلو لها ان تتبرع بالتهجم علينا بلا سبب او ان تنتقدنا لوجه الشيطان! نحن نسمح بالنقد الواضح ونهلل له اذا اخطأنا او كان لدى المهاجين عذرا في هجومهم علينا! نحن لا نفرط بالمصلحة العامة!؟ واذا فرطنا اهلا وسهلا بالهجوم علينا! وبدون ذلك، لا يجوز لأي صحفي عربي ان يهاجمنا! ولا نستطيع ان نسكت كل الطامعين والمتربصين بنا! هناك دول عظمى لها اغراض ومصالح في بلادنا ويهمها استمرار التجريح والطعن فينا..

وهنا قلت للشيخ زايد مقاطعا:

ـ الدول الكبرى التي تتحدث عنها لا تكتفي بالحرص على استمرار الطعن، وانما هي تتولى تهديدكم وانذاركم ومطاردتكم بالوعيد القادم عبر البحار والمحيطات لاحتلال منابع البترول!؟

قال زايد: هذا موضوع سألني عنه مئات الناس وحدثني عنه الصحفيون والاصدقاء.! وانا الان اعيد امامك ما سبق لي وقلته للذين يهددون. ان امريكا اما ان تكون مجرد دولة عظمى، او مجرد دولة اجنبية من بين الدول الاخرى. وفي الحالة الاولى نحن نستبعد على امريكا العظمى ان تتولى تهديد الدول النامية التي تملك البترول. ولكن اذا قلنا ان امريكا هي من نفس البضاعة.. بضاعة الدول الاخرى في اوروبا وغيرها، فعندئذ يجب علينا ان لا نستبعد من امريكا شيئا. قد تنفذ تهديداتها وتتصرف كما سبق وتصرف غيرها ضد مصر في الخمسينات وضد غير مصر في الستينات!»

سألت زايد:

ـ واذا اصبح الافتراض الثاني حقيقة، وتحولت امريكا الى مجرد دولة عادية كدول العصابات التي ضربت مصر عام ١٩٥٦ او غزت الحبشة في الثلاثينات او حاربت شعب الجزائر بالحديد والنار، فماذا سيكون موقفك كرئيس دولة اتحاد الامارات العربية؟

واجاب الشيخ زايد:

ـ لا اريد ان اصدق ان امريكا تريد ان تتنازل عن وضعها الدولي كزعيمة للعالم الحر وان تتحول الى مجرد بريطانيا اخرى او فرنسا اخرى او ايطاليا اخرى..

قلت له:



المؤلف مع الشيخ زايد

ـ ولكن وزير الدفاع الامريكي ـ بالذات ـ لم ينقطع عن توجيه الانذارات والتهديدات لدول الخليج. أليس هذا كافيا لاقناعكم بجدية الموضوع.؟

قال زايد:

ـ ما يخالف!

ثم اضاف:

ـ اذا تجاهلت امريكا كيانها ووزنها وحرمتها فلا مانع لدينا ان تقترف الجريمة..

ـ وماذا سيكون ردكم عليها؟

اجاب:

ـ ان دول الامارات ـ في البترول الذي تملكه ـ ليست وحيدة ولا منعزلة. والامارات عندما تخوض معركة الدفاع والمقاومة، لن تكون وحدها ولا بمفردها! سأقاوم ومعي الامة العربية كلها! ساواجه ومعي العرب كلهم! وقرارنا في ان نلعب ورقة البترول لخدمة قضايانا في المستقبل هو قرار عربي لخدمة كل العرب في كل مكان. والعدو الذي سيواجهنا، سيواجه معنا مائتي مليون عربي. هذا هو موقفنا. وهذا هو مصيرنا. نحن نسير من اجل قوميتنا وبلادنا ونترفع عن المصالح الخاصة لكي نخدم المصلحة العربية الواسعة.!»

عظيم يا شيخ زايد! ولكن كيف تحاربون وليس هناك السلاح المطلوب لخوض المعركة. اين وصلت مراحل تصنيع السلاح ومساهمة الامارات في انشاء مصانع السلاح بالقاهرة.. مثلا؟

قال زايد:
ـ الموضوع يسير سيرا طبيعيا. . ومتابعة الدراسة تمشي مشيئا متئداً رغم احساسنا بان مراحل انشاء المصانع المذكورة قد تأخرت كثيرا عن موعدها المفضل! لقد تأخرنا كثيرا! وعلى جميع الدول العربية ان تتعاون لكي يتم التصنيع بينها. . ليس في ميدان السلاح وحده، وانما في الميادين الاخرى على اسس التكامل الاقتصادي الصحيح! يجب ان نوقف الكثير من الاشياء التي نستوردها وان يتم صنعها فوق ارضنا وبمصانعنا وايدي ابنائنا! لم لا؟؟ ماذا ينقصنا؟!.

ثم وصلنا بالحديث الى النقطة الحرجة عندما سألت الشيخ زايد عن رأيه في تقلب اسعار البترول وما تتعرض له السوق العالمية للبترول من هزات وضربات، فقال لي:

ـ والله انا لا اوصي بزيادة الاسعار كما اني لا اوصي بتخفيضها!

ثم اضاف:

ـ هناك مجموعة دول قد اتفقت ضمن منظمة «الاوبيك» على الموقف المطلوب. !

صمت سائلا:

ـ ولكن هذه المجموعة ـ كما نعلم ـ مازالت تختلف على تحديد الرقم الصحيح لسعر البترول. انت تقول لي انه متفقون، وانا اقول انهم على خلاف! فأين موقفك من هذا يا شيخ زايد؟

قال: معلش! لا بأس!

قلت: ماذا؟

قال: حتى ولو اختلف «الاخوان» فلا بد لخلافاتهم من الحل ضمن جلسات مغلقة واحاديث متصلة وبروح الاخوة. .

قلت: هذه مجرد امنيات يا سيدي الشيخ.

قال: معلش.

قلت: لابد ان اسمع منك شيئا يصور موقفك من قضية مهمة كأسعار البترول. .

قال: مهما زدنا في اسعار البترول فان الدول المستهلكة مازالت هي الرابحة بسبب الزيادة التي طرأت على اسعار السلع الصناعية، ولكننا نرغب في توفير الامر على الدول الصناعية كذلك نريد ان نوفر النفقات على كل الدول الاخرى، سواء كانت صناعية ام لا، وانا اريد ان يستمر الحوار بين الدول الصناعية والدول المنتجة للبترول. ! ويهمني ان اشيد بموقف فرنسا الاخر في المؤتمر الذي عقد بين الدول المنتجة والدول المستهلكة والذي لم يحقق نجاحا فقرروا تأجيله الى شهر سبتمبر القادم. كان الموقف الفرنسي مشرفا ومساندا للحق وللعدالة. ورغم فشل المؤتمر فاني لا ارى في ذلك اكثر من مجرد صدمة مؤقتة خلقتها الدول المصنعة



الشيخ راشد يستمع الى المؤلف

لحرصها على مصالحها وفائدتها. وستدرك هذه الدول ان هناك دول قريبة من الدول المستهلكة قادرة على ان تلبي حاجاتنا باسعار اقل، وان تراعي مصالح الجميع بلا بخل ولا إجحاف لأحد!

ثم عاد الشيخ زايد يكرر:

- هذا هو موقفنا جميعا. موقفي انا وموقف الاتحاد. وموقف راشد.. وموقف الجميع..»

شكرا يا شيخ زايد. ولكن؟

ترى كيف يفكر.. راشد؟؟ وهل حقا - كما يقول زايد - ان راشد يشاركه تفكيره ويؤيد خطواته ويؤمن بهذا المولود الجديد الذي اسمه: دولة اتحاد.. الامارات.. العربية!؟

بعد يومين اثنين من مقابلتي للشيخ زايد، كنت اقابل الشيخ «راشد» في صالونه الخاص الملحق بمكتبه في الدور الخامس من مبنى فندق «الكارلتون تاور» الذي يملكه في لندن..

وكان في ذهني - وانا أصافحه - ثلاثة اسئلة فقط لاغير، لم اتردد في ان اسردها امامه واترك له حرية الرد عليها.

قلت له: شيخ راشد.. الخصوم يقولون ان «دبي» ستترك الاتحاد فماذا تقول؟

قال: اقول ان دبي هي آخر من يترك دولة الاتحاد ودبي هي التي تصلي من اجل قوة الاتحاد ونموه وازدهاره وتطوره.!

قلت: بعيدا عن المجاملات، ما هي مآخذك على صديقك الشيخ زايد رئيس دولة الاتحاد.

واجاب راشد: الشيخ زايد هو «خير واحد» موجود عندنا. وهو يمثل السعد كله. !
سألت:

ـ هل تقول انه يمثل السعد كله. ؟!

اجاب: اجل هو يمثل السعد كله!؟!

قلت: وماذا يعجبك فيه مادمت ترفض ان تسمعني ما لا يعجبك. ؟

قال راشد: زايد رجل يقبل النصائح.. والاقتراحات.. وهو على استعداد دائم لمقابلتنا والاستماع الى وجهة نظرنا في امور الدولة..

ثم سألني:

ـ هل هذا يكفيك.. انا كلامي قليل ترى!

قلت: انا اعرف مقدار ضعفك امام صديقك مهدي التاجر، ولن اسألك عنه الا اذا رغبت انت ان تحدثني عن قصة صداقتك معه. ؟

واجاب راشد او دكتور «شخت» الخليج:

ـ سأحدثك عن مهدي التاجر بشرط ان تقفل جهاز التسجيل وتسمع بأذنيك ولا تكتب حرفا واحدا. !

وكان مهدي التاجر يسمع الحديث، ويضحك..

ونسيت كل كلمة سمعتها من راشد عن التاجر.. ! خاصة، وقد جلست بعد ذلك مع «مهدي التاجر» نفسه، وسمعت منه على مدى الساعات الطوال، قصته مع زايد، ومع راشد، ومع دولة اسمها: اتحاد الامارات!

□□□



جنيف ١٨/١٠/١٩٧٤
لندن - ٨/٨/١٩٧٥

فهد بن عبد العزيز قال لي:
«سنستعمل سلاح النفط مرة أخرى»!
فهد الجزيرة يتكلم

جنيف - ١٨/١٠/١٩٧٤ - لندن - ٨/٨/١٩٧٥

فهد بن عبد العزيز قال لي: "سنستعمل سلاح النفط مرة أخرى"! فهد الجزيرة يتكلم

جرى الحديث التالي مع سمو الأمير «فهد بن عبد العزيز» في ١٨ اكتوبر عام ١٩٧٤، في مدينة جنيف بسويسرا.

كان سموه يومذاك النائب الثاني لرئيس الوزراء في المملكة العربية السعودية، وكان الجالس على العرش السعودي هو الملك فيصل بن عبد العزيز، وولاية العهد معقودة «للأمير» خالد بن عبد العزيز.

كان سمو «الأمير» فهد، يستعد يومذاك للعودة الى وطنه بعد ان قضى قسطاً من اجازة الصيف في اوروبا.

كان الحديث عن الغد... ومعه! فالمتحدث هنا، يتدفق شباباً.. وبلاده هناك، فتية. وغدهما المرجو أكبر من ماضيهما ومن حاضرهما معا!

فيه من بلده الشيء الكثير! فيه الكثير من شمول الصحراء وعمقها!.. فيه الايمان المجبول بالوهج عندما تمد شمس مكة يدها لكي تصافح ذرات رمل القداسات! فيه الحب لشعبه.. عفوا، لربه ودينه اولا، ولمليكه، ولوطنه، ولشعبه! فيه الايجاز المركز المقصود عندما يتكلم بهدوء.. وعزيمة.. وسهولة.. ووضوح.. فلا تملك - انت - الا ان تستزيده، ولا يملك - هو - الا ان يبتسم، ثم يعتذر، ولا يزيد!

وأسأل نفسي: لماذا؟ وفي هذه الايام بالذات، لا يتسع عندي مثل هذا الحوار السياسي الا مع مثل هذا الكبير القادم من ارض النبوة، أسعى لكي ألقاه واسأله، ويسعى - هو لكي يرحب، ويتكلم، ويرد؟

لماذا السعودية بالذات؟!

وبلا تردد:

- لأنها باوضاعها، وبترولها، وارادتها، ومع كل اجلالي واحترامي لكل الطائرات والصواريخ والدبابات، لم يبق في يد العرب، بل لم يكن في يد العرب، سوى هذا البترول السحري، كسلاح واحد وحيد، وهو الطائرة والصاروخ والدبابة، في معركة الثأر بالامس، وفي معركة المصير بالغد!

صدقوني. . فان تهديدات واشنطن حول الاسعار والتضخم والانتاج والتوزيع والغلاء والكساد. . كل ذلك ما هو الا مجرد صراخ، مجرد الم، مجرد خوف، مجرد كابوس قاتل يفترس احلام الدنيا، احلامهم، ويقلقهم، ويحطم اعصابهم، ويدفعهم متسائلين محمومين كضحايا المخدرات في انديتهم الصفراء، عما اذا كان اصحاب البترول سيعودون للعب بورقة البترول بعد اليوم، فيصيب اوروبا واميركا في الغد، اكثر مما اصاب الاوروبيين والامريكيين بالامس!

صدقوني، فقد يكون للبترول الف علة وعلة، ولكن عزيمة الرياض قادرة على ان تجعل من هذه اللعبة أكبر شفاء لا للقدس وحدها، بل للجولان، وشرم الشيخ، وغزة هاشم، والضفة كلها!

وبعد هذا فان حديثي هنا يفتش عن الامس، بقدر ما يمشي صوب المستقبل. . .

انه حديث مع الغد. .

غدي، وغدك، وغده هو. . صاحب هذا الحديث عندما اسأله:

□ واكبر اولادك؟ . . ماذا تريد له؟ وماذا تريد منه؟

ـ أريده كأبيه، كجده، كأعمامه، كسيوف اسرته، كلها مشهرة لخدمة الله، والارض، والناس! واريد منه ان ينقل ذلك الى اولاده من بعده.

□ وانت؟ انت يا «سمو الامير»، هل في كل ذلك ما أرضاك، او ما يرضيك عن نفسك؟

ـ رضاي من رضى ربي علي! وويلي وويل ابي ـ كما كان يدعو الله عمر بن الخطاب خليفة المسلمين ـ ان لم يغفر لي ربي، او لم يرض عني!

□ احس بأنك تصبو صوب «عمر» أو، يهف بك الشوق الى ذكراه؟

ـ وهل مثل عمر في عدله وانصافه؟؟ انه اقرب خلفاء المسلمين الى قلبي! بل هل مثل عمر في حزمه وحسن ادارته؟ انه عبقري!

وتذكرت أنني استمع الى من يمسك بزمام الامن «الداخلي» في بلده، فعدت اسأله:

□ وبين قادة فتوحات المسلمين، من منهم اقرب اليك؟

فأجاب: هناك رواد الاندلس، وبناة امبراطورية المسلمين في دنيا اسبانيا، موسى إبن نصير. . وطارق بن زياد!

□ وعند غيرنا غير المسلمين؟

ـ *الجنرال الراحل «دوايت ايزنهاور!». انه الفذ في لباسه العسكري*، كما هو الفذ في لباسه المدني! . .

قلت بعد صمت:

□ اسألك بعد تردد عن صفات الراحل الكبير الملك عبد العزيز. ما هي ـ في مفهومك ـ



المؤلف مع الملك فهد بن عبد العزيز

اعظم مزاياه؟

قال على الفر:

ـ عفوه عند المقدرة! ان عندي آلاف القصص التي تشهد له بذلك وتجعلنا نشعر بالاعتزاز من أجله. اعني: «نحن اولاده واهله!».

قلت:

ـ وعن جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز؟ ماذا؟ ماذا يعجبك فيه أو يشد حبل حبك له؟

قال: بعض الحكام يتكلمون بالاحاديث. وبعضهم يتكلم بالمشاريع. وبعضهم بالآمال، اما الملك فيصل بن عبد العزيز فانه يتنازل عن مهمة الكلام والحديث، لاعماله! انه يتكلم من خلال العمل او يترك للعمل مهمة الكلام. وليس كالعمل، صادقا وناطقا! انه ابلغ حديث، وابلغ لسان!..»

قلت وانا احاول ان امشي قدما الى المجهول، احاول استكشافه او التعرف عليه:

□ لو خيروك بين العيش فوق قارب بوسط البحر، او مع كوخ فوق قمة جبل، او تحت خيمة فوق ارض الصحراء، فأيا من الثلاثة تفضل؟

قال «ابن الصحراء» ضاحكا:

ـ انا اترك الجواب لك!

ثم استطرد يقهقه:

ـ ليس القارب، ولا الكوخ على اي حال..!

قلت وامامي السلطة الشرعية حكم في الاشراف على مواسم الحج، وتنظيمها وادارتها وسلامتها:

□ مواسم الحج؟ كانت عند الشعراء مواسم ادب. وعند الخلفاء مواسم نفوذ. وعند النساء من امثال «بنت عبد الملك» مواسم حب! فما هو مفهوم الحج في نظرك؟

قال: الجانب الديني فيها واضح لي وللملايين من اخوتي المسلمين! اما في ما عدا ذلك، فالموسم الذي أريده هو الموسم الذي يتحول الى مؤتمر اسلامي كبير، وحضوره بالملايين، أما شعاره فواحد فقط: خدمة الاسلام.. اليوم وغداً.. وبعد غد!..

قلت: ومعنى العائلة.. أعني العائلة الصغيرة.. كيف تفهمها؟

قال: يهمني فيها ومنها طابع الاستقرار عليها وحولها! الاستقرار نعمة كبرى ليس مثلها.. نعمة!

قلت وأنا اقترب بالحديث نحو «العام» مبتعداً رويداً.. رويداً، عن الجانب الخاص:

ـ لو اني سألتك عن أثر البترول، ثروة ونفوذا، في حياتك. هل تجيبني؟

قال مسرعاً:

ـ ولم لا اجيبك!؟ البترول.. هو.. مايزال وسيبقى لبلدي الذي كان يفتقر الى الامكانيات والثروة، فأصبح يملكها! البترول.. هو.. لشعبي الذي، ككل شعب، يحتاج الى العلم والدواء، والكساء، والعمل، والخدمة، والتطور! أثر البترول عند الوطن وعند الشعب كبير، كبير، وبلا حدود.. اما أثره عندي.. عندي أنا، فانه كالاتي: «فهد ابن عبد العزيز بالامس، هو فهد إبن عبد العزيز، اليوم».

ثم استطرد:

ـ وهو.. هكذا. غدا، وبعد غد.. والى ما شاء الله!

قلت:

□ ولو سألتك عن نفسك.. لو سألتك ان تقول لي من أنت.. لو سألتك ماذا تتمنى ان يقال عنك.. لو؟

فقاطعني كالعاصفة:

ـ أنا ابن عبد العزيز.. أنا فهد.!

ثم اكمل يقول:

ـ لا شيء آخر! لا شيء مطلقا!

وبعد...

هل في هذا الحبر المسكوب حتى الان ما يكشف عن «نوعية» الرجل الذي سيتولى الرد على اسئلتي المتراصة المتزاحمة، والتي فقدت نصفها وسط محاولتي ان ادرس شخصية المتحدث قبل

ان أسأله وقبل ان يجيب؟

ارجو ذلك! فقد قفزت مباشرة الى موضوع البترول، وقلت «للامير» فهد بن عبد العزيز آل سعود، النائب الثاني، ووزير الداخلية السعودي:

□ هل في سياسة السعودية ان تعود وتلعب ورقة البترول من جديد اذا ما تعثر الحل لمشكلة الشرق الاوسط؟ وهل هي قادرة على ان تفعل ذلك، وان تنجح؟

واجاب الامير:

ـ البترول ورقة خطيرة لا يمكن استعمالها دون مبرر كبير ومعقول وضروري! وليس من خدمة المصلحة العربية في شيء ان نعالج هذه الورقة بالعاطفة او التشنج، ولا ان نثير موضوعها بمناسبة او غير مناسبة! اما اذا تعثر الحل لمشكلة المشاكل، واعني مشكلة العرب الكبرى، فان الامس القريب قادر على ان يذكر العرب، والعالم بأسره. وبالدور الواضح الذي قامت به السعودية حول هذا الموضوع! تسألني: هل يتكرر الموقف اذا تكررت الاسباب التي دعت اليه؟ اجيبك: لا شيء يقف في طريق اي عربي للوصول الى حل عادل ومقبول لقضية الشرق الاوسط ولاستعادة حقوق شعب فلسطين، كاملة كلها، ولن ندخر قوة، ولا مالا، ولا امكانيات من اجل الوصول الى هذا الحل! لا شيء يهم. المهم وحده هو تحقيق العدالة والكرامة والحقوق في الحل القادم المنتظر! ثم اني اسألك: لماذا نستبق الحوادث؟ أترك الجواب الى حين، فلكل حادث.. الف حديث!

قلت: ما زلت اطمع في سماع الجواب عن بقية السؤال. اعيد: هل السعودية «قادرة» على ان تعود وتلعب ورقة البترول، وان تنجح؟

قال:

ـ الاحداث القريبة أثبتت اننا أسياد أنفسنا، وأسياد مواردنا وارادة النجاح لا تنقصنا في كل ما نقوم به، ومع ذلك.. ورغم كل شيء، فاننا لا نغفل ان نأخذ في الحساب وفي التخمين والتخطيط، الاساليب التي «قد» يلجأ اليها الغير للحيلولة دون ذلك.. ولكن الله معنا!

قلت: المعروف انكم التقيتم بالرئيس السابق ريتشارد نيكسون، في واشنطن قبيل استقالته باسابيع قليلة، فهل شعرتم من حديثه معكم بقرب موعد خروجه من البيت الابيض؟؟

قال: انا حريص على ان لا اخوض في هذا الموضوع لأكثر من سبب! ومع ذلك فان موضوع استقالته لم يرد في حديثه الطويل معي، ولم اشعر شخصيا بانه سيقدم على الاستقالة! اعود فاقول: من الخير ان لا نخوض في موضوع نيكسون في الوقت الحاضر... سواء بالنسبة لنا، او بالنسبة اليه!

قلت: ولكن هذه الاستقالة تجرنا الى ما هو اهم منها بالنسبة الينا، نحن العرب. أعني: قضية السياسة الامريكية ومدى احتمالات تبدلها في عهد الرئيس الجديد؟؟

قال: لا اتوقع، كما لا أتنبأ، بأي تبدل في سياسة امريكا الحالية. اكرر: حاليا.. اي في الوقت الحاضر. واما الغد فأمره وعلمه عند ربي!

قلت: وروسيا؟ الم يحن الوقت لكي نعثر على هذا الود المفقود بينكم وبين موسكو؟

قال: سر هذا «الود المفقود» في سؤالك يعود الى الخلاف العقائدي الذي هو اختلاف، في حد ذاته. ولقد اثبتت احداث الشرق الاوسط ان العقائد الغريبة عن المنطقة، مهما كانت او تبدلت او تعقدت ستبقى مختلفة في طبيعتها وجوهرها عن دين الشعب العربي، وعاداته وتقاليده! وفيما عدا ذلك، فان المجالات الدبلوماسية قائمة بيننا بوسائلها الدبلوماسية المعروفة، كتبادل الرسائل والتهاني في المناسبات..

ثم سكت قليلاً قبل ان يضيف:

ـ ولكن التجارب القريبة اثبتت ايضا ان موسكو لم تدخر وسعا في مساعدة الدول العربية التي لها، معها ـ مع موسكو ـ علاقات وصداقات خاصة.. اليس كذلك؟

قلت: هذا الكلام يمضي بنا الى سؤال جديد لفرط ارتباطه بالموضوع، ان يطرح نفسه، وهو: الى اي مدى لعبت السعودية دورها في ابعاد مصر عن منطقة «القطب الشمالي».. او القطب السوفياتي؟

فابتسم «الامير» فهد لغرابة التعبير في السؤال وقال:

ـ نحن لا نسمح لأنفسنا بما نحرمه على غيرنا! فاذا كنا نمنع غيرنا من ان يتدخل في شؤوننا، فمن باب اولى ان نمنع انفسنا من التدخل في شؤون الغير! ان السعودية لم تتدخل ـ وبأي شكل كان ـ في موضوع العلاقات الخاصة التي كانت تربط موسكو بالقاهرة لأن ذلك ليس من حقنا...!

قلت:

□ اذكر ان الرئيس السادات قد اعرب عن امتنانه لأن السعودية قد عوضت مصر ـ عسكريا وماديا ـ بكل السلاح الذي فقدته مصر في حرب رمضان. فهل تظنون ان مثل هذا التعويض قد يغني مصر عن اللجوء لطلب مساعدة عسكرية «سلاحية» من موسكو؟

أجاب:

ـ لكي ارد بجواب واف عن هذا السؤال، يجب ان اخوض معك في بحث موضوع احتياجات مصر العسكرية، وعما اذا كانت قضية الشرق الاوسط ستتعثر في طريقها. فالاول طويل، والثاني مجهول، وكل ما استطيع ان اقوله لك الآن هو اني لا استطيع الجزم بان التعويض الذي قدمته المملكة لمصر كاف من الناحية العسكرية.. حيث ان الظروف ـ في

الغد القريب ـ قد تختلف . . .

ومضت لحظة، اكمل «الامير» فهد بعدها قائلا:

ـ اما اعتماد مصر في المزيد من حاجاتها العسكرية، على موسكو، فالامر كله، ليس لي. انه بيد مصر، ورجالاتها الذين هم اقدر مني على فهم خبايا الموضوع وادراك حقيقة مصالحهم . . .

قلت، وحديث البترول يشدني اليه قبل ان اشده اليَّ:

□ نعود الى حديث البترول، واسعاره . . وأضع امامك السؤال التالي: ما هو السر في حرص السعودية على تخفيض اسعار النفط، بينما غيرها يطالب برفع الاسعار؟

قال:

ـ نحن كدولة منتجة للنفط، لسنا وحدنا . . بل هناك غيرنا من الدول المنتجة . . وما يسري على «الواحد» منا يسري على المجموع . . ولا نكره ان يتضاعف دخلنا من انتاج النفط . . ويبقى السؤال الحائر الذي يقول: «الى اي مدى يستطيع المستهلك ان يدفع كل زيادة في سعر النفط الذي يشتريه في وقت اختل معه نظامه الاقتصادي والصناعي!؟ ثم اني اقول لك بان كلمة «الحرص» التي اوردتها في سؤالك قد تختلف في معناها عن «حرص» المملكة في سياستها البترولية . . اذ ان حرصنا هو من نوع التحسب للنتائج . . الجيد منها والسيّء على المدى البعيد، وعلى المدى الابعد الذي قد يسببه الارتفاع المتزايد في اسعار النفط!! انني لا اجد في اعطاء الجواب عن سؤالك اية صعوبة عندما اؤكد لك بان الحكمة تفرض على الدول المنتجة للنفط ان تجتمع على مختلف المستويات الفنية والمالية لكي تدرس آثار رفع الاسعار، آخذة بعين الاعتبار ان لا يكون هناك «ضرر ولا ضرار» بالنسبة للمجتمع الدولي الذي يجب على كل منا ان يحس بمسؤولية كاملة، تجاهه! ثم اني أسألك: هل الدول الصناعية وحدها هي التي تستورد منا النفط؟ اليست هناك، ايضا وايضا، دول نامية . . في عالم ينمو . . ؟!

قلت:

□ موضوع النفط، ينقلنا الى ايران. بالمناسبة: ما هو حاضر علاقة المملكة، مع ايران؟

اجاب:

ـ انها علاقة صداقة وطيدة وتفاهم تام لا يشوبها شائبة، وكلها مدعمة بمصلحة هذه المنطقة قبل اي شيء. وفي هذا ما يكفي!

قلت: حديث إيران يطلق من لساني أكثر من سؤال في وقت واحد. هناك من يسأل مثلا: ما هو سر اختيار هذا الوقت بالذات لانهاء الخلافات القائمة مع دولة الامارات؟؟ وهناك من يسأل مثلا: ما هي التفاصيل السرية التي لم تنشر ضمن الاتفاقية الاخيرة بين السعودية وتلك

الامارات؟ وهناك من يسأل مثلا.. ومثلا: هل تؤيد السعودية اي مشروع يوحد بين سوريا، والعراق في المستقبل؟. هل أقف.. هل اكمل.. هل أطمع في جواب؟!

وعاد سمو الامير فهد بن عبد العزيز يبتسم ويقول:

ـ سأجيبك عن كل سؤال بمفرده! نبدأ بالسؤال الاول حول اتفاقنا الاخير مع اتحاد الامارات ونسألك: الا تتمنى انت ان تزول الخلافات بين جميع العرب في هذا اليوم قبل الغد، وفي الغد قبل بعد غد؟؟ نحن في المملكة نؤمن بأنه ليس هناك من صعاب تحول دون تفاهم الاخ العربي المسلم مع اخيه العربي المسلم.. وكنا دائما ننتظر رحيل الاستعمار عن دول الخليج لكي نرسي معها اقوى اسس التفاهم والتعاون! فلما تحقق ذلك، بادرنا الى السعي لوضع امانينا موضع التنفيذ... وقد وفقني الله ان اذهب الى هناك وان احقق الاتفاق الذي ارضى الاطراف جميعها دون حاجة الى اي وسيط او عناء...».

واضاف الامير يقول:

ـ ثم اكمل الرد لكي اجيب عن بقية السؤال فأقول ان ليس هناك اية اسرار في ما اتفقنا عليه! النقاط معلنة كلها والحدود معروفة كلها وستأخذ طريقها للنشر على صفحات الخرائط الدولية! ولا ضرورة للملحقات السرية او غيرها. ارجو ان تتأكد بان ما أقوله لك هو الحقيقة كلها... واني لم اخف عنك شيئاً!»

وتوقف لحظة تذكر خلالها الشطر الثالث من السؤال، ثم قال:

ـ اما في ما يتعلق بالوحدة بين سوريا والعراق فان سياستنا تعتمد على تأييد قيام اية وحدة بين اي قطرين عربيين او اكثر، بشرط واحد بسيط هو ان لا تأتي مثل هذه الوحدة نتيجة ضغط او اكراه او فرض.. اعني الوحدة لأجل الوحدة، ولأجل منافعها وخيراتها، فان ذلك اقصى امانينا، وغير ذلك.. لا! اننا نؤمن بان الوحدة الكبرى هي الهدف الحتمي للدول العربية على المدى البعيد، ولكننا لا نغفل اهمية شرط توفر الظروف المناسبة التي تهيء لذلك!...».

انتهى الحديث؟.

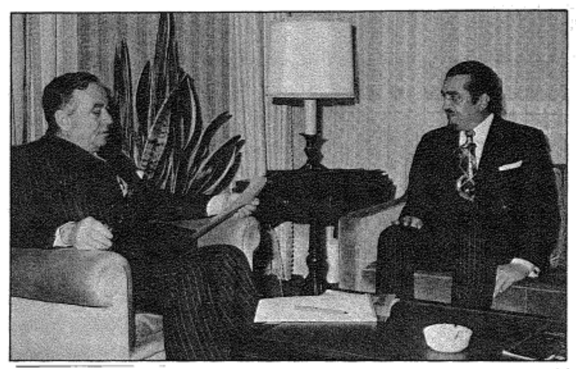
لا! لم ينته شيء! وما زلنا في وسط الطريق!

فقد سألت الامير فهد:

□ اريد ان اسألك عن علاقة المملكة باليمن الجنوبي ولكني اخشى ان تقطع عليَّ الطريق وتؤكد لي بأن العلاقات بينها ـ او بينكم ـ على احسن ما يكون...!

وضحك الامير فهد وقال:

ـ انا اعلم ان مثل هذه العلاقة ليست على ما يرام، ولكن، هل المملكة مسؤولة عن ذلك؟. اكتب عن لساني: المملكة لم تسع لايجاد اي سوء تفاهم مع اليمن الجنوبي! المملكة



المؤلف مع الملك فهد بن عبد العزيز ١٩٧٥

تتمنى قيام علاقات متينة اخوية مع اليمن الجنوبي! واليمن الجنوبي في نظر المملكة جزء لا يتجزأ من الوطن العربي! وليس بيننا وبين اليمن الجنوبي اية اسباب للخلاف ويدنا ممدودة لهم للتفاهم. . ونؤكد لهم اننا لم نتدخل ولن نتدخل في شؤونهم الداخلية. . ونحب ان نعيد الى اذهان الجميع صور موقفنا في الامم المتحدة دفاعا عن استقلال اليمن الجنوبي وحقوقه واماني شعبه المشروعة! وبعد هذا هل من ضرورة لمزيد؟ قل لهم عن لساني ان قلوبنا مفتوحة وايدينا ممدودة وكل ما نتمناه لهم هو الخير كل الخير!».

قلت: سوريا؟

قال: ما بها سوريا؟

قلت: لماذا تغدقون على غيرها. . بالقروض، على مصر مثلا، وتقطرون او تبخلون على سوريا؟

قال: في سؤالك اتهام لا ارضاه لنا بالنسبة للمواقف المتعددة التي وقفتها بلادي مع البلدين المذكورين! فالسعودية صديقة لكليهما. . وقد وقفت، وستقف دائما، معهما دون اي تفضيل او تمييز بينهما، خاصة وان كلا منهما قد ساهمت، وحاربت، وضحت في سبيل القضية الكبرى! اعود إلى «سوريا» واقول مؤكدا لك بأننا قد قدمنا ـ اعني المملكة ـ للشقيقة سوريا كل المساعدات الممكنة، واننا لن ندخر وسعا في سبيل المضي بهذا السبيل الى النهاية. . ولكن».

وسكت الامير فهد!

فسألته: ولكن.. ماذا؟؟

اجابني: ولكن لماذا لا تبادر بقية الدول العربية الاخرى الى تقديم المساعدات للشقيقة سوريا، كما تفعل المملكة السعودية؟!

قلت: ومني.. الى الدول العربية.. الاخرى!

ثم عدت أسأل:

ـ ولكن مساهمة السعودية في «الصندوق الاسلامي» لم تكن بالارقام التي كانت منتظرة منها، فلماذا؟

اجابني فهد:

ـ بلادي هي صاحبة فكرة انشاء الصندوق الاسلامي، وهي أول من تبنى هذه الفكرة وإخراجها الى حيز الوجود، وقد ساهمنا بما يلزم هذا الصندوق من اموال.. وسنساهم بالمزيد في المستقبل. ولكن..

قلت مقاطعا: ولكن ماذا؟

اجابني: ولكن اين هي الدول الاسلامية الاخرى لكي تساهم مثلنا في هذا الصندوق.. وماذا تنتظر؟!

قلت: ومني، الى الدول الاسلامية الاخرى!

ثم عدت اكمل العبارة التالية:

□ سنترك كل شيء، ونصل الى موضوع نظام الحكم في السعودية! هذا موضوع حساس لا أخال الامير سيتركه او يتجنبه. انني اسأل:

متى تبدأ المملكة السعودية في السير نحو حكم ديمقراطي، شعبي، برلماني ملكي، ومتى يتساوى ابناء الشعب مع ابناء الامراء في الحكم والوظائف والفرص؟!

واطرق الامير فهد برأسه يفكر لحظات قبل ان يقول:

ـ العدل هو الاساس، والحكم في السعودية هو حكم ديمقراطي فردي عادل! وتلك حقيقة يعرفها ويلمسها كل من يزور المملكة او يتعرف عليها ولا اخالك تعتقد بان «الديمقراطية» محصورة في معناها ومفهومها ضمن النظام البرلماني وحده، فالامثلة عندي وعند التاريخ عديدة على فشل النظام البرلماني. وبالتالي ضياع الديمقراطية التي وصلت في بعض مراحلها القصوى الى حد الفوضى! وكم من بلد في العالم يسير على نظام الحكم البرلماني، بينما هو اكثر دول العالم فوضى وانتهازية وانفرادية وتعسفا! ثم كم من بلد اخر يحكم بنوع الحكم الفردي وهو في الحقيقة من اكثر دول العالم عدالة وديمقراطية وامنا واستقرارا! مرة اخرى اقول لك بأن «العدالة هي اساس الملك»، والعدالة اهم من نوع الحكم، وابقى من فلسفته! والمعروف ان لدينا في المملكة مجلس شورى يساهم في مسؤوليات الحكم. وسيتطور هذا المجلس بحيث

يستطيع ان يساهم في مساعدة المسؤولين واسداء الرأي والمشورة لهم، على ان يضم خيرة رجالات المملكة العربية السعودية، ويتحقق القول الكريم: «وأمرهم شورى بينهم..»!

ثم اكمل الامير فهد يقول:

ـ ذلك ما عندي عن سؤالك حول نظام الحكم السعودي وامكانية تطوره.. اما عن التساوي بين ابناء الشعب وابناء الامراء. فاني اؤكد لك بان الامراء، وابناء الامراء، ليسو سوى ابناء الشعب، وان الفرص المتساوية لا تفرق بينهم ولا بين احد منهم، وفرص العمل مفتوحة امام الجميع، والقانون للجميع وعلى الجميع، والبلد للجميع وفي خدمة الجميع!...

قلت:

□ وانت.. كيف تتصور بلادك السعودية عام ٢٠٠٠؟!

أجاب:

ـ كما يتصورها اي مواطن سعودي واي حاكم صالح لبلده من حيث الوصول الى المستوى الاكمل في مجال العلم، والمستوى الاعظم في المجال الاقتصادي، مع محاولة الاكتفاء الذاتي، وعدم الاعتماد على الخارج في ما يتعلق بتفهم وممارسة علم التكنولوجيا الحديثة! انني اغمض عيني الآن لكي اعود وأفتحهما عام ٢٠٠٠ على بلدي، لكي اراها جنة خضراء.. ارضها خير، ومدنها منارات، وسماؤها دخان المصانع، وبناياتها جامعات، وشعبها ينعم برضى ربه ويشكر نعماءه عليه! بلدي عام «٢٠٠٠» هو بلد كل عربي، جيشه جيش العرب، واهله اهل العرب، ومجده من مجد العرب! بلدي عام ٢٠٠٠ هو الموسم الدائم لأرباب الفن والادب والشعر والخلق والابداع، يحاول اهله بعث امجاد الاسلام الاولى، واعادة حضارة المسلمين، حياته سباق بين شبابه، وعمره تحفز نحو الاجمل، والاحسن، والاكمل، والأعلى! بلدي عام ٢٠٠٠ هو الامل الاكبر...!»

قلت:

□ ثم اعود اليك أنت؟... كيف تفهم الحكم، وكيف تمارسه؟

وأجاب:

ـ انا رجل مسؤول.. ومسؤوليتي هي في تفهم شعور شعبي على اكمل وجه، بل واصدق وجه! وانا مسلم، وامارس عملي في توخي العدل والنظام المنبثقين من عقيدتي الاسلامية الراسخة! وأنا عربي.. ولي تقاليد واسس ثابتة. لا اتخلى عنها لأنها تراث خالد ورثناه عن الآباء والاجداد! وانا شرقي، وينبع عندي الحرص على طبيعة ابناء هذا الشرق في ما يحفظ لهم دينهم، ويصون شرفهم، ويرعى كرامتهم! وبعد هذا، فانا الخادم لعروبتي وديني، وشرقيتي، وسعوديتي...»!

قلت: والمنطقة.. منطقة شرقنا هذا، ماذا تتنبأ لها؟

قال: ان في يدنا، يد اهل المنطقة، مفاتيح السلم ومفاتيح الحرب معا.. فاذا استطاع هذا الشرق ان يجتاز المرحلة الحاضرة بسلام، والخروج من هذا «الامتحان» الرهيب، بنجاح، فعند ذلك لن يكون لهناء العرب وسعادتهم ورخائهم حد! اننا في مرحلة دقيقة يتوقف عليها الشيء الكثير في الغد البعيد ايضا! ويجب ان نكون حذرين، متيقظين حتى تمر السحابة بسلام! هل كلامي هذا بحاجة الى شرح؟!».

قلت: لا! ولكنه - اي كلامك هذا - ينقلنا الى صلب الموضوع..

سألني: أي موضوع؟

قلت: فلسطين؟

قال: عندما يكتب تاريخ هذه القضية على حقيقتها، وبتفاصيلها، فسيعرف العالم عامة، والعرب خاصة، دورنا المشرف كمملكة عربية اسلامية حيال اخطر قضايا العرب والاسلام! ولن اكشف لك عما قامت به المملكة من خلال جهد جلالة الملك فيصل - شخصيا - واتصالاته، ومراسلاته، وحرصه على ان يجعل وجهة نظره واضحة معروفة لكل من لهم رأي في هذه القضية سواء في واشنطن أو في لندن أو في باريس! يكفي الآن ان اقول لك شيئا واحدا هو ان قضية فلسطين - هي اللب والجوهر والاساس - في ما يسمى بقضية الشرق الاوسط - ستبقى محور ديبلوماسيتنا، وهدف اعمالنا، وشاغلنا الاول والاكبر الى ان يعود الحق العربي الى اهله!».

ثم اضاف:

- انني اتوقع تبدلا كاملا في النظرة الى هذه القضية، ومفهومها الدولي، بعيد طرحها للمناقشة في الامم المتحدة! كما اتوقع تبدلا كاملا، على ضوء ذلك، في السياسة السابقة التي مشت عليها الامم المتحدة حول تجميد كل القرارات السابقة المتعلقة بهذه القضية، خاصة وقد اثبتت الاحداث بما لا يتطرق اليه اي شك ان الاوضاع القائمة لم تعد تحتمل المزيد من مثل هذا التجميد! وقد فهم من يهمهم الامر في دنيا واشنطن ولندن وباريس وغيرها، معنى ذلك! واني لاشعر بالسعادة في ان يتحقق ذلك! وفي الوقت المناسب، بما يخدم هذه القضية ويبعثها حية مجلجلة في ضمائر الشعوب، واذهان الامم! «اننا - نحن العرب - نريد بعث القضية كلها سياسيا، وديبلوماسيا، بعد ان بعثها ابناؤها واهلها من شعب فلسطين، بالدم، والروح، والجهد، والحياة!».

وساد بيننا سكوت قصير..

ان في حديث فلسطين - من القداسة والخلود - ما يفرض ما هو اعظم من الكلام. واقوى من الحديث.! يفرض الصمت!

وسمعت نفسي أقول للامير فهد:

□ بعد هذا كله، هل استطيع ان اسألك عن من هو الممثل الشرعي ومن هو الممثل الوحيد، ومن هو «الواحد» ومن هو «الشريك» في تمثيل شعب فلسطين؟

وأجابني، فورا وبلا تردد:

ـ ان الممثل الشرعي الواحد والوحيد لشعب فلسطين هي منظمة التحرير!!

ثم اردف:

ـ وقد كنا ـ اعني المملكة ـ احد الموقعين على ذلك، في مؤتمر الجزائر وفي لاهور!.

ثم أردف:

ـ وهذا الموقف لن يحتاج منا الى مواربة او مداراة او لعب بالألفاظ! منظمة التحرير هي الممثلة الوحيدة وهي المسؤولة الوحيدة! وسنقول ذلك من جديد، وبكل تأكيد وبلا تحفظ في مؤتمر القمة القادم! تلك هي سياسة المملكة وسياسة جلالة مليكها. . ولا اعتقد ان احدا يعارض في ذلك، بل اني اعتقد بانه ليس لاحد ما ان يعارض في ذلك!. . .».

ثم عاد واردف:

ـ وقد يسمح لي الظرف ان اهمس في آذان اخوتي الفلسطينيين ـ والشيء بالشيء يذكر ـ ان عليكم التمسك بوحدة صفكم ووحدة هدفكم ووحدة جهادكم. . فبهذا ترصفون طريقكم الى النصر، وتشقون سبيلكم الى الحرية والكرامة. .»!

وبعد. .

كان الامير فهد بن عبد العزيز آل سعود، يتكلم، بينما العاصفة في الخارج تلفح زجاج الغرفة بالمطر، والصفير، ونواح اعاصير «جنيف» المملوءة بالعنف والقسوة في بداية فصل الشتاء. . .

ورفعت صوتي أضع امامه سؤالي الاخير، محاولا ان اقوى على صوت الريح في الخارج فقلت:

□ ترى، هل لديكم القناعة المطلقة بان «القدس»، ومسجدها الاسير وصخرتها الحزينة ودروبها الغالية، الباكية، ستعود الى اهلها، الينا، في ذات يوم ليس ببعيد، فنكحل برؤيتها العين قبل ان يضمنا الثرى؟!

ونهض الامير فهد من مقعده، واتجه ببصره الى الخارج حيث العاصفة قد بلغت ذروتها، وقال لي بعد صمت ليس بقليل ولا بقصير:

ـ هل تظن ان هذه العاصفة المحمومة في الخارج ستدوم الى الابد؟؟

قلت: مطلقا! وستشرق غدا شمس جنيف من جديد!

قال: ومعها، ومثلها، بل وقد يكون قبلها، ستشرق شمس القدس من جديد!.

وعاد فهد بن عبد العزيز الى كرسيه، وقال:

ـ القداسات اقوى من الزوابع.. المدن اقوى من الاعاصير.. والارادة والحق والايمان وعقيدة الاسلام اقوى من الازمات! وستعود القدس يا اخي، وسنصلي في مسجدها الغالي من جديد، وسندخلها مع كرامتنا المستردة، ورؤوسنا المرفوعة، واعلامنا المنطلقة الى السماء!...».

ثم نظر صنوبي.. وحدق في وجهي وكأنه لمس لمعة الدمع في عيني فسألني:

ـ هل ستكون انت.. هناك؟. هل ستنتظرنا؟. هل سنراك معنا؟!!

★★★

بعد اقل من عام واحد فقط، عدت وقابلت «الأمير» فهد بن عبد العزيز في لندن.

وكان ذلك في ٨ أغسطس من عام ١٩٧٥ وفي فندق «دورشستر» الشهير في العاصمة البريطانية.

وكانت حصيلة اللقاء، في هذا الحديث الصحفي.. الشهي!

★★★

لندن ٨ أغسطس ـ آب ١٩٧٥

قال لي «الأمير» فهد:

«... نحن امة تؤمن بالقدر! احكم القول بلسان «الكتاب» الكريم يقول: «قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا». لماذا، وممن، ومما نخاف الا خوف العبد لربه؟! قيل لنا، بعد حادث الغدر بأخي الملك فيصل، ان نأخذ الحيطة والحذر لعل هناك من يقف مع القاتل او وراءه بقصد المضي في العدوان. ولكننا لم نأبه بالحذر الذي لم نألفه، والذي يتنافى مع طبيعتنا الواضحة، وخط سيرنا اليومي البسيط في معيشتنا. الحارس هو الله. والمحبة من الشعب. وما رأيناه وشعرنا به ولمسناه من محبة شعبنا لنا، ومشاركته الاسى في مصابه ومصابنا، لأعظم برهان على ان هناك شعبا يأتمر بأمر الله في محبة المخلصين لله ورسوله. «ولله جنود اذا ارادوا، اراد!» فقد كان القاتل عدوا للدين وللمروءات في الغدر بالانسان النقي التقي الذي احب الله، والاسلام، والقدس! وجريمة القتل كانت تستهدف الاسلام والعروبة والاقصى قبل ان تستهدف فيصلا واخوته وبلده. ولكن الله ـ عز وعلا ـ اراد لنا نحن اخوان فيصل واهله، ان نرتفع فوق جراحنا، وان نطوي الصدور على آهاتنا، وان نجمع حكمتنا، وان نمشي صفا واحدا وراء اخي الملك خالد بن عبد العزيز...».

ـ «... هل غسل المجرمون عقل المجرم، ودفعوه للقتل؟..

ـ «... يجوز... والعلم عنده تعالى.



مع الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية

ـ «هل استغلوا وضعه، وتفكيره، وضعف بصيرته، فأمعنوا في الجرم.. ودفعوه.. واندفع معهم؟

ـ «يجوز! فالجريمة، كالمجرم... خسة وعار!

ـ «هل تآمروا مع الشيطان، لطعن العقيدة الاسلامية، والاستقرار المزدهر، والنظام الذي يبني، والقلاع المحيطة بتراث الاسلام للحفاظ عليه.. فطعنوا من كان يمثل كل هذه المعاني، الخالد دوما، فيصل ابن عبد العزيز؟

ـ «... يجوز! انهم اعداء الله... واعداء دينه... واعداء النظام. «ولكن العزاء، عزاؤنا لمسناه عند الامة كلها، وفي الشعب السعودي الذي تفجع للكارثة كأصدق ما يكون التفجع، وبكى المليك الراحل كأحر ما يكون البكاء، ونقم على الجريمة، وصاحبها كأقسى ما تكون النقمة... فأشعرنا باننا كلنا اسرة واحدة في السراء والضراء، نسعد معا لانتصارات السعودية، ونحزن معا لكل آلامها...».

«وبعد...

«فقد اجتزنا المحنة، بصبر، وجلد، وانتصرنا عليها. وها نحن نمضي مع الزمن في سير احداثه، نحاول ان نواجه مشاغل اليوم بالعمل، ونواجه قضايا الغد... بالامل!».

وسكت الامير فهد بن عبد العزيز، ولي عهد المملكة العربية السعودية وكأنه قد استنفد المقدمة لكي نبدأ الحيث. في ٨ اغسطس عام ١٩٧٥

قلت له:

ـ اجل يا سمو الامير. . فقد تركتك منذ شهور قليلة بعد عودتك من مؤتمر الذروة لدول البترول في الجزائر، وانت على موعد مع دعوة لك في بغداد. . ودول الخليج . . ثم دعوة غيرها الى طهران. . والكويت. . وباريس. والزيارات كثيرة. . واخبارها اكثر. فهلا تحدثني عنها؟

وسألني الامير:

ـ من أين نبدأ؟

قلت:

ـ نبدأ بالعراق. .

قال: خلال مؤتمر الجزائر الاخير، وعندما قمت بتمثيل جلالة المرحوم الملك فيصل، في مباحثات الذروة البترولية، التقيت بالاخ صدام حسين، وكان ذلك من حسن حظي ان وجدت لديه تفهما كاملا لمشاكلنا وقضايانا المشتركة، واتفقنا على ان نكمل الحديث الذي كان يسوده المحبة والود، في زيارة قريبة اقوم بها الى بغداد. . . وبالفعل، وعندما تمت الزيارة، سعدت بان المس الاتفاق الكامل بين العراق وبيننا على كافة المواضيع، وخاصة في ما يتعلق بالقضايا التي تخص بلدينا، وبالتحديد حول موضوع «الحدود». . . فوصلنا مع اخوتنا هناك الى اتفاق نهائي حيال هذه النقطة، ثم تطرقنا الى بحث قضايا المنطقة وتأكد لدينا ما سبق واتفقنا عليه بالامس من وجوه التجاوز فوق الخلافات الجزئية، من اجل خدمة قضايانا كوحده، وكل، ومجموع. . . فتبقى الامة العربية كلها، كرجل واحد، قادرة على ان تواجه مشاكلها العالمية، وان توصل حكمتها للعالم باسره، فيشعر الوجود بقوتها، ووزنها، وأثرها، وينظر اليها بالاقدام الذي تستحقه.

ثم اكمل الامير فهد:

ـ اذا استطعنا ان نكون مع انفسنا، ارغمنا العالم على ان يكون. . . معنا، فنحن لسنا ضد احد. لا ضد الشرق باشتراكيته او شيوعيته ولا ضد الغرب بنظامه الرأسمالي وانظمته المعروفة! نحن ضد من هو. . . ضدنا. ونحن مع. . . من هو معنا. ان كل املنا في الدول الكبرى ـ ولا ضرورة لذكر الاسماء ـ ان تفهمنا من خلال تفهم قضايانا. واهم قضايانا هي. . . قضية شعب فلسطين!».

ـ يعني؟.

ـ يعني الانسحاب. . . وتنفيذ قرارات الامم المتحدة. . . وضمان حقوق شعب تشرد. . . واعادة معنى الكرامة له. . . و. . . والامر لا يحتاج الى شرح؟

ـ نعود الى اخبار الزيارات، ما هي اخبار زيارة طهران؟

قال «الامير» فهد بن عبد العزيز؟

ـ ان مصلحة الامة العربية، بل والامة الاسلامية كلها، ان يكون هناك تفاهم كامل بين العرب وايران. . . طالما هناك مصالح وقضايا مشتركة بين العرب والايرانيين. واذا كان التفاهم بين دول المنطقة واجب وضروري، فان التفاهم بين العواصم العربية وطهران اكثر ضرورة ووجوبا! وعلى هذا الاساس، ذهبت، ومن الشاه ـ شاه ايران ـ وجدت تفهما سرني واسعدني، يسر كل عربي ويسعده، للقضايا العربية، والتأييد المطلق للعرب ولشعب فلسطين. . . بالذات!».

فقلت مقاطعا:

ـ بل اطمع منك ببعض التفسير؟.

قال الامير:

ـ ان ابتعاد الامة العربية عن ايران، بالامس، لم يكن في مصلحة العرب ولا في مصلحتهم. وقد ادرك اليوم ـ قادة العرب ـ ان من صميم خيرهم ومصلحتهم ازالة الحواجز المعلقة مع دول اسلامية كبرى، كايران. والحمد لله ان الظروف قد تغيرت، وفهم العرب ـ اليوم ـ ان الدول الاسلامية، سواء في اسيا ام في افريقيا، ـ هي السند لنا في جهادنا وعملنا. . . واكبر دليل على صحة هذا القول ان دولا اسلامية كتركيا ـ مثلا ـ قد حرصت خلال المؤتمر الاسلامي الاخير في جدة، ان توجه الدعوة لعقد المؤتمر المقبل لوزراء خارجية الدول الاسلامية في بلدها. . . هذا دليل على تماسك المسلم مع اخيه المسلم في سائر انحاء الكرة، تجاه سائر قضاياهم. . . ومن الخير، والضرورة، ان يفهم العرب هذه الحقيقة، ويسعون بجد للافادة من التجمع الاسلامي القوي المؤثر الذي يقوى على اي تجمع آخر، ويهدف لخير البشرية، ضد كل عدوان، ومع كل خير وسلام. . . ضمن إطار واحد يسوده التفاهم والاخاء والمحبة والتعاضد. . . والتساوي!».

قلت للامير:

ـ وهل اثار الشاه، او رئيس وزراء ايران، اي موضوع خاص مع سموك، خلال المباحثات؟

اجاب:

ـ مطلقا! ولم يحاول مسؤول واحد، سواء جلالة الشاه او رئيس وزرائه اثارة اي موضوع خاص يهم جانبا دون الاخر، ولن انسى قول الشاه لي بالحرف الواحد: نحن ـ ايران ـ جزء من المنطقة. . . ومنكم. . . ويهمنا ان نصل الى حل عادل وسريع لسائر قضايا المنطقة لان في استقراركم استقراراً لنا، والقلاقل التي تصيب طرفا تؤثر على الطرف الاخر. . . وقضية فلسطين، هي قضيتنا، والحل العادل لشعبها، هو قاعدة سياستنا وقلب قناعتنا. . .».

عظيم. .

ونصل الى باريس . .

ـ قل لي يا سمو الامير عن اسرار زيارتكم لفرنسا، هل صحيح ان قيمة التعاون الاقتصادي بينكم وبين فرنسا يصل الى ٢ بليون دولار؟ .

وأجاب الامير فهد :

ـ قد تكون معلوماتك مستقاة من . . . الصحف . الا توافقني ان معلومات الصحف ـ احيانا ـ لا تصل الى لب الحقيقة؟ لقد اطلعت ـ شخصيا ـ على ما جاء في الصحف حول ما قيل انه قد تم الاتفاق عليه مع فرنسا . . . واستطيع ان اؤكد لك ان ما نشر لا يتفق مع حقيقة ما اتفقنا عليه . . . »

ـ لا يتفق مع الحقيقة!؟

ـ اجل . . . لا يتفق معها!

ثم اكمل :

ـ بحثنا الصلات الثنائية بيننا . . . واستعرضنا مراحلها . . . وسعدنا بتحسنها واطرادها وقوتها . . . وحرصنا على ضرورة بحث نموها وازدهارها في ضوء بحث جميع القضايا ـ سياسية واقتصادية وعسكرية ـ التي تعود بالخير والفائدة على البلدين، بالتساوي . . . » .

ـ ثم . . .

ـ لا شيء! واؤكد لك انني لم اوقع على اي اتفاق يلزم المملكة العربية السعودية بمفردها، بشيء . . . وانما تركنا الامور الى لجان خاصة، ومختصة، تقوم بدراسة المواضيع، وتقرير الصالح والمفيد منها، ثم ترفع نتيجة دراساتها الى كل من البلدين، وبعدها نعود ونختار ما هو صالح ومفيد لنا، في ضوء ظروفنا ومصلحتنا . . . وما هو مفيد وصالح لفرنسا في ضوء ظروفها ومصلحتها . . . غير انني اؤكد لك عن صدق رغبة السعودية في تقوية علاقاتها مع فرنسا في سائر المجالات التي يمكن استيعابها في المملكة العربية السعودية . »

ـ مثلا؟ .

ـ مثل النواحي الاقتصادية . . . ثم الاجتماعية . . .

ـ والسلاح؟ . الم تبحثوا معهم موضوع انشاء مصانع للطائرات؟

ـ لم نبحث شيئا من هذا الموضوع! . . .

لم نتطرق الى موضوع انشاء مصانع للطائرات من فرنسا، في بلدنا . . .

ـ وانشاء مصانع في . . القاهرة؟ مصانع اسلحة . . ومصانع طائرات . . ماذا تم به؟ الم تبحثوا في موضوعه؟

أجاب الامير فهد :

ـ هذا موضوع مختلف . هناك لجنة مؤلفة من السعودية ومن دولة الامارات، ودولة

قطر... مهمتها بحث الموضوع، واختيار الاسلوب المناسب الذي يحقق لنا الخير والفائدة في حال تنفيذ الاقتراح... والباب مفتوح امام اية دولة عربية تريد ان تساهم معنا... او تشترك في اللجنة المذكورة... سواء من اجل تنفيذ هذا الموضوع ـ موضوع مصانع الطائرات ـ ام غيره.»

ثم اضاف:

ـ ان اية مساهمة عربية متعاونة في تنفيذ اي موضوع اقتصادي او تجاري او عسكري او انتاجي، انما يعود بالخير على الامة العربية كلها. اعود واقول لك... نحن نبدأ، ونترك الباب مفتوحا على مصراعيه امام الاشقاء والاخوة للمساهمة معنا في شرف خدمة امتنا... واذا تضافرت الجهود سنجد انفسنا ـ وفي خلال مدة محدودة ـ وقد استطعنا ان نضمن الاكتفاء الذاتي لما نحتاج اليه من انتاج في السلاح، او الطائرات، او غيرها... وهذا في اعتقادي هو اهم الاسباب التي تخلق الروابط المتينة المطلوبة بين الدول الاشقاء... العرب. اذ من المعروف، والبديهي معا، ان الروابط الاقتصادية لها الدور الرئيسي في ازلة الفوارق وتذويب الخلافات، وانشاء التقارب بين الشعوب...».

ثم اضاف الامير فهد:

ـ واحب هنا، ان اؤكد مع الصراحة كلها، حقيقة واضحة، وهي ان اتفاقاتنا ـ السلاحية او غيرها ـ مع فرنسا، عندما تتم، او مع غيرها من الدول اذا تمت، لن تؤثر بحال من الاحوال على ما سبق واتفقنا عليه مع الولايات المتحدة الامريكية! اننا نتعاون مع الولايات المتحدة كدولة صديقة لنا، لبلادنا، وتقدم الى السعودية ـ بلادنا ـ دائما، وفي مختلف الحالات، سائر التسهيلات التي تنشدها السعودية، والتعاون الذي تطمع به. ان علاقتنا بالولايات المتحدة، ـ اقتصاديا ـ لها صفة الاستمرار... والتطور... والبقاء، لانها علاقة لا تعود على بلدي الا بالخير والمنفعة بوضوح لا يحتاج مني الى شرح. على انني اتمنى ان يصبح لنا هذه النظرة الودية الواضحة نفسها مع سائر الدول الأخرى، ضمن حدود مصالحنا المشتركة، وداخل اطار ما تستطيع المملكة ان تستوعبه من... تطور».

ثم اضاف الامير فهد:

ان بلادنا لها الاوضاع المتميزة بها... ولا يجوز لنا ان نتجاهل هذه الاوضاع فنحاول ان نربط انفسنا، او نربط بلدنا باتفاقيات لا نقدر على استيعاب مضمونها ولذا وجب علينا الحذر... والتأني... والدراسة... والتدرج، كي نقدر على الاستيعاب والافادة، سواء في مجال الصناعة، او غيرها...».

وقفزت قصة «السلاح»، مع هذا الحديث الى ذهني، ـ وما اكثر ما يقال ويكتب وينشر عن السلاح في هذه الايام ـ فوجدت نفسي أقول للامير فهد بن عبد العزيز..

ـ نعود الان الى موضوع السلاح! منذ اكثر من شهرين كنت ازور الولايات المتحدة الامريكية في مهمة خاصة. وفجأة، وعلى شاشة التلفزيون الامريكي، وفي صفحات الجرائد الامريكية، رأيت معالم الضجة حول ما يسمى بتحقيقات لجنة مجلس الشيوخ الاميركي مع الشركات الامريكية التي تعمل على اسس عالمية. ورأيتهم هناك ـ يركزون الهجوم ـ ويحاولون خلق علامات الاستفهام والتساؤل حول الكثير من الصفقات التي عقدت بين الولايات المتحدة وبعض الشركات الامريكية في موضوع.. السلاح. والمعروف لدي ـ كعربي وصحافي ـ يا سمو الامير، ان بعض الاعضاء المحققين المسؤولين في هذه اللجان هم، اما من اليهود الصهاينة المعروفين بصهيونيتهم، او من المتعاطفين معهم. ان الذي يرئس لجنة تحقيق السناتور «تشرش» هو المستر «ليفستون» المعروف جدا وجيدا بولعه الصهيوني. ولجنة الاسهم والسندات التي تشرف ـ عادة ـ على مثل هذه الشركات ـ يرئسها المعروف لدى العرب ولدى مكاتب المقاطعة، المدعو «ليفين».. وكذلك مساعده المشهور المستر «بلوم». القصة طويلة يا سمو الامير، ولكنني اطمع ان اسمع رأيكم حول هذه الضجة العجيبة..

وأجابني الامير فهد:

ـ لا انا، ولا الحكومة السعودية، ولا اي مسؤول سعودي نقبل او نرضى او نتسامح في ان ندفع الى وسطاء اية مبالغ القصد منها التأثير على تحقيق عمليات البيع، سواء في ما يتعلق بالاسلحة ام بغيرها. اننا لا نتدخل في تفاصيل العلاقات التجارية بين الشركات الاجنبية والشركات السعودية التي تتعاون مع هذه الشركات او تقدم لها الخدمات... لاننا نعلم ان هذه العمليات، تخضع في ارقامها وتفاصيلها لقوانين البلاد المصدرة. كما اننا على ثقة من وطنية ونزاهة رجال الاعمال السعوديين في بلادنا. ولم يصلنا رسميا اي شيء يطلب منا التدخل او التحقيق، بل لعل ما وصلنا حتى الآن يثبت عكس ذلك ويؤكد نزاهة ما قد تم، ويضع العقود والاتفاقات فوق الشبهات. انني لم اسمع بمثل هذا الا من الصحف... فهل نبني سياستنا، او نشغل لجاننا، او نقضي اوقاتنا، ولا هم لنا، الا الرد على... الصحف؟».

قلت للامير فهد:

ـ انا سعيد ان اسمع منك ذلك.. لاني اعلم مدى التغلغل الصهيوني في وزارة الدفاع الامريكية. اليس غريبا ان يكون بين السعودية والولايات المتحدة كل هذه العلاقات التجارية، والاقتصادية، «والسلاحية» طوال هذه السنوات الطويلة الماضية، ثم لا تثار مثل هذه الضجة، ولا تسمع بها، ولا تصل الى مسامع اللجان الاميركية المختصة.. الا الان، فقط؟

قال لي الامير فهد، متنقلا بالحديث الى موضوع آخر:



ناصر الدين النشاشيبي مع الملك فهد بن عبد العزيز جنيف ١٩٧٥

ـ نصل الى ما سألتني عن مفهومي «للامن الخليجي» . . . اذ ليس لنا ان نضيع الجهد والوقت في الرد على تخرصات الأعداء، لاننا سواء في سياستنا البترولية، او في ما يتعلق باقتراحاتنا وبرامجنا لعقد المؤتمرات البترولية المقبلة بيننا وبين غيرنا، او في ما يتعلق بأسعار البترول في العالم، انما نستهدف اولا واخيرا، مصلحة البشرية، وخير الانسان، وازدهار الحضارة، واستقرار السوق الدولية. . . قبل ان نفكر بالربح لنا، او الربح لمن ينتج البترول مثلنا! سيطوش دوما سهم اسرائيل وسهام الصهيونية العالمية التي تقف وراءها، ولن تؤثر هذه الدسائس والمؤامرات على خطتنا الثابتة الواضحة وبرامجنا «التسلحية» سواء بالنسبة للولايات المتحدة. . . او بالنسبة لغيرها. !».

وقبل ان يبدأ الامير فهد حديثه عن الامن الخليجي لم ينس ان يكمل لي بعض النقاط التي كان قد بدأها في الحديث عن زيارته الاخيرة الى فرنسا قائلا:

ـ درسنا جميع الاقتراحات الفرنسية. وسوف يأتي وزير خارجية فرنسا لزيارة المملكة مع بعض الوزراء الفرنسيين المختصين لاكمال الابحاث في ما يتعلق بالنواحي الفنية والتفصيلية.

ـ متى سيكون ذلك؟

ـ في شهر اكتوبر المقبل من عام ١٩٧٥!.

ـ وهل ستدخل في نطاق التعاون اي شركات فرنسية معينة؟

ـ المهم هو رسم الاطار. وبعدها ستنضم الى العملية شركات فرنسية واخرى

سعودية . . . كثيرة . »

ـ وهل وعدت فرنسا بتزويد السعودية «بالطاقة الذرية» بقصد استخدامها في الاغراض السلمية؟

ـ لم نبحث شيئا بالتفصيل . . . وانما لمسنا كل الاستعداد من الرئيس الفرنسي، ومن رئيس وزرائه ومن الوزراء لتزويد السعودية بكل ما تحتاج اليه من خبرة وطاقات لانشاء وتطوير مصانعها . . . »

ـ والطاقة؟ .

ـ تركنا الموضوع دون تحديد . . . ولكنه ـ قطعا ـ سيتحدد في الوقت المناسب!

ـ هل اعطيتم، او وعدتم فرنسا، بمنحها قرضا ماليا قيمته ستة او ثمانية «بلايين» فرنك لمدة ٧ الى عشر سنوات . ؟

وأجاب الامير فهد :

ـ لم يتم بت اي شيء ـ بصورة قاطعة ـ الى ان يجتمع المسؤولون في الحكومتين في الرياض خلال شهر اكتوبر المقبل؟ . »

قلت :

ـ كيف انتهت هذه الزيارة الرسمية لفرنسا وكيف تنظرون الى نتائجها في ميزان النجاح . . والقيمة . . والاثر؟

أجابني :

ـ كانت زيارة ناجحة دون شك . . . والسبب ان هناك رغبة اكيدة وصادقة لدى جلالة الملك خالد، وفخامة الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان، في تطوير العلاقة بين البلدين، وعلى هذا الاساس وبهذه الروح دارت المباحثات الودية التي لم يتخللها اية صعوبات او غموض، او مشاكل! . . . »

قلت : وماذا عن السياسة الفرنسية تجاه العرب؟ .

قال الامير فهد : سياسة فرنسا بالنسبة للامة العربية هي سياسة ودية معروفة . . . وصريحة . . . ومنطقية . ويا ليت مثل هذه السياسة المنفتحة تجد طريقها الى بقية دول العالم! اننا لا نطالب احدا سوى ان يكون عادلا في حقنا، منصفا لمطالبينا، متفهما لنا . »

ـ وهل بحثتم مع الرئيس الفرنسي، قضية فلسطين؟

ـ فرنسا، سبق لها، واوضحت معالم سياستها تجاه القضية الفلسطينية «بوجوب انسحاب اسرائيل من الارض المحتلة وضمان حق الشعب الفلسطيني» . وهذا يكفينا . وهذا ما نأمل ان تتبناه بقية الدول الكبرى في العالم!»

قلت للامير فهد :

ـ وماذا عن رأيكم في شخصية الرئيس جيسكار ديستان؟.
أجابني:
ـ لقد رأيت فيه رجلا ذكيا، عظيما، مدركا لقضايا العالم، عاملا لخير السلام والبشرية بكل اخلاص. وهو دائم التفكير في القضايا الدولية كاهتمامه بقضايا فرنسا الداخلية. . !»
ـ وماذا عن رئيس الوزراء. . الفرنسي؟
ـ هذا رجل متفهم باخلاص لمشاكل العالم عامة، ولمشاكل العرب والشرق الاوسط خاصة. . . وله عندي تقدير كبير. . . وشكر خاص.
ـ وهل وجهتم دعوة الى الرئيس الفرنسي لزيارة السعودية؟
ـ لقد قام بتوجيه هذه الدعوة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز، وننتظر الجواب وتحديد الموعد. كما قمت انا بدعوة رئيس الوزراء المسيو «شيراك». . . فقبلها على ان يحدد الموعد في وقت قريب. . . مقبل».
قلت للامير فهد:
ـ هل في برنامجكم القيام بزيارات رسمية اخرى الى بلاد اوروبية. . في المستقبل؟
أجاب:
ـ في برنامجي زيارة عدد من الدول الاوروبية الصديقة، وكذلك هناك زيارة مقبلة الى الولايات المتحدة الامريكية. كما سأقوم بزيارات رسمية الى كل من بريطانيا، وبلجيكا، واسبانيا، واليابان. . . والدانيمرك. . . !»
ـ والبلاد العربية؟
ـ هذه بلدي! ازورها كما ازور السعودية. اهلها اهلي، وارضها وطني. انني كعربي ازور اي بلد عربي، بدعوة او بدونها. . . حيثما تقضي الحاجة، ويتطلب الموقف. . »
قلت للامير فهد بن عبد العزيز:
ـ حدثني يا سمو الامير عن آخر اخبار المملكة العربية السعودية. بلد «محمد بن عبد الله». . وفيصل بن عبد العزيز!
أجاب الامير:
ـ لقد كرسنا اهتمامنا ـ تحت قيادة جلالة الملك خالد ـ من اجل النهوض بالمملكة في كافة المجالات. . . وانشاء المصانع. . . وبناء المساكن. . . وتطوير المدن. . . وبناء الطرق. . . وتشييد المدارس والمستشفيات. . . وتعميم المياه والكهرباء. . . والتوسع في ميادين التعليم ـ وخاصة الدراسة المهنية ـ ثم اشعار المواطن السعودي ان بلده يتقدم بخطوات قد تكون غير سريعة، لكنها خطوات مدروسة، ومنتظمة، وثابتة، وباقية. . . ونافعة!»
ـ وماذا عن تطوير نظام الحكم في المملكة؟!.

ـ بتوجيهات من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز، وخطابه الموجه إلى الشعب بعد استشهاد الراحل الملك فيصل، كان واضحا ان جلالته يطلب من الحكومة ان تنظر وتدرس اي تطوير مفيد للشعب والبلد، وان تطبقه في ضوء عقيدتنا الاسلامية كما ذكر الملك خالد في خطابه المذكور وضع نظام اساسي للحكم وانشاء وتطوير مجلس الشورى. . . وهذا كله قيد الدرس، وبتنفيذه تخطو المملكة خطوات اخرى الى الامام في ميدان التطبيق الصالح لنظام الحكم في البلاد! . »

وسكت سمو الامير فهد. . .

وسمعت نفسي وانا احدق في نظراته المتنقلة بين الاجوبة والتعليق، والتفكير، . . اقول له:

ـ لقد تضاعفت مسؤولياتك يا سمو الامير. . وكبر الحمل على اكتافك، فهلا سمعت منك حكمة واحدة عن مشاعرك اليوم، تفسر لي مضمون نفسك؟.

وأجابني ولي عهد السعودية، ووزير داخليتها ونائب رئيس وزرائها:

ـ احساسي هو احساس اي مواطن سعودي عربي يتمنى ان يرى وطنه يتطور. . ويتقدم. . ويبنى، باقصر وقت ممكن واسرع فرصة. . . »

ثم اكمل:

ـ لي امنية واحدة تنادي بي الابتهال الى الله ان يساعدني على القيام باقصى ما استطيع في خدمة بلدي وديني واهلي. . . تحت قيادة جلالة الملك خالد حفظه الله. . . »

ثم انهى بقوله:

ـ ادعو الله الاستقرار لشرقنا الغالي، والانصاف لقضايانا الحقة، والنصر لشعوبنا الحبيبة. اني متفائل بالمستقبل، ولقد بدأ العالم يتفهم ما نقول، وما ننادي به. والغد مملوء بالضباب ولكن عزيمتنا الصادقة ستشق فيه برقا هادئا يضيء الطريق وينير السبيل. ان المنطقة لاهلها. . . وامنها بيد ابنائها. . . وسلامة الخليج مسؤولية اهل الخليج، لا سواهم. . . لا من الشرق ولا من الغرب. . . وانتصارنا في الغد مرهون بوحدة صفنا ووحدة حكمتنا. لا نريد العداء بقدر ما نسعى للمحبة. ولا نطمع في المال بقدر ما ننشد للخير. نحن اقوياء بالحق واعداؤنا ضعفاء بالباطل. وسينصر الله جنده، ويسدد خطاهم، ويرفع شأنهم ويبقى المؤمن الصالح الطيب يقول للدنيا كلها: انا من خير امة اخرجت للناس!

وبعد. . .

كان المفروض ان احصل على هذا الحديث من سمو الامير فهد بن عبد العزيز، في باريس، خلال زيارته الرسمية الاخيرة لفرنسا. ولكنني لم احصل عليه الا في . . لندن!

وكان المفروض ان يدوم لقائي مع «سمو الامير» لمدة لا تزيد عن نصف ساعة؟ ولكنه غمرني بالفضل، عندما تجاوز اللقاء اكثر من ساعتين.. كاملتين!

شكراً «سمو الأمير»...

★★★

جدة ـ المملكة العربية السعودية ١٩٧٩/٨/١٨

من قتل فيصل بن عبد العزيز؟!

الأمير عبد الله الفيصل يتحدث عن:
فيصل الأب، فيصل الملك، فيصل الشهيد..!



جدة - المملكة العربية السعودية ١٩٧٩/٨/١٨

من قتل فيصل بن عبد العزيز؟!

الأمير عبد الله الفيصل يتحدث عن:
فيصل الأب، فيصل الملك، فيصل الشهيد..!

للأمير الأديب الشاعر، عبدالله الفيصل، أكبر أبناء المليك الشهيد الراحل فيصل بن عبد العزيز، هوايات كثيرة يحبها كنظم الشعر وتشجيع لعبة كرة القدم، وأكل الجبنة البيضاء مع «قلب» البطيخ الاحمر في عز شهور الصيف. !

ولكن للأمير عبدالله الفيصل حب واحد كبير يحياه، ولا يتعب من تبعاته واشجانه وآلامه وذكراه. واعني حب الحديث عن والده العظيم واستعادة القصص المحببة عنه، وسرد اقواله وعاداته، واستخراج المواعظ الصادقة البليغة من سنوات عمره.

وفي عز الصيف، التقيت مع الأمير عبدالله الفيصل في دارته بجدة. ومعاً، اكلنا الجبنة البيضاء والبطيخ الاحمر. ومعاً، سمعنا الشعر والنثر وحلو المقال. ومعا تبادلنا الحديث عن حياة الملك السعودي الراحل.

كان دوري في الحديث هو السؤال، وكان دور الامير وابن المليك، هو الجواب والاسترسال.

وكان ذلك ـ كله ـ في الثامن عشر من شهر اغسطس من عام ١٩٧٩.

وقال لي الامير عبدالله الفيصل فجأة:

ـ انت لعلك تستغرب ـ يا ناصر ـ لو قلت لك انني كنت احس بقرب وقوع نكبة استشهاد ابي قبل وقوعها بثلاثة شهور! هل تعرف كيف؟ لقد جاءني حلم في المنام رأيت فيه شيئا كالسجادة الحمراء يجلس للطعام فوقها جلالة الراحل الملك عبد العزيز، والملك فيصل، وانا اخدم عليها بطبق ارز في يدي، والدنيا ليل، وموعد العشاء قد تأخر! واستبد بي شيء كالفزع. واحسست بشيء كالتشاؤم! وكنا في شهر الحجة. وعندما زرت والدي في اليوم التالي وكنت بدون وعي احدق في وجهه، اذ به يسألني لماذا احدق فيه بتلك الصورة، فأجبته وكأنه قد ايقظني من حالة سرحان قصيرة: ابدا.. لا شيء! ولكنه عاد وكرر سؤاله: قل لي.. ماذا بك..؟ فأجبته، والله يا طويل العمر انا مبسوط لأن صحتك تبدو على ما يرام! فعاد وسألني: ما تقوله ليس صحيحا.. اريد ان اعرف ماذا بك؟ أجبته وأنا اختلق رواية لا أساس لها من الصحة: المسألة تدعو للضحك من شدة سخافتها.. اذ انني انظر الى ثيابك في

المساء فأجدها على حالها من العناية والنظافة والرونق وكأنك قد ارتديتها منذ دقائق، بينما نحن لا نصل الى المساء الا وتكون ثيابنا قد تكحلت بالعرق والتراب واختفت منها خطوط المكوى. . » فقاطعني رحمه الله قائلا: «وفر عليك يا عبدالله. . ان في صدرك شيئاً ولا تريد ان تفصح عنه! لا بأس! ولكني اكاد ارى هذا الشيء في نظراتك المتعبة ووجهك الحزين. . »!

ومضت ثلاثة شهور. .

«. . . وفي صباح ذلك اليوم المشؤوم؛ كنت اركب السيارة في طريقي لزيارة مكتبة صديقي الليبي في جدة الشيخ «حسونه البسطي» - وهو من مجاهدي ليبيا القدامى - كما اعتدت ان افعل في صباح كل يوم، ومعي «محمد حسنين الصهاني» والسائق، ولم اكد ادخل على صاحب المكتبة حتى ابتدرني يصيح في قلق: انت فين يا سمو الامير؟ الدنيا كلها بتسأل عنك. . والتلفونات تطلبك! سألته: مين سأل عني؟ قال: منصور الشعيبي قائد حامية جدة!» قلت اسأله: انت متأكد ان السائل هو منصور الشعيبي؟ قال: بل هو الذي حدثني بنفسه، قلت لمن حولي: اذن. . عظم الله اجركم في سيدي الوالد. ! ثم اكملت: «انا اقول لكم ان والدي قد قتل!» ورفعت سماعة التلفون وطلبت «الشعيبي» فقال لي ان الرياض امرتني باعداد طائرة عسكرية خاصة تنقلكم فورا مع اخوانك واشقائك الى الرياض! . وعلى الفور اتصلت باخي محمد والاخ كمال ادهم فقيل لي أنهما توجها الى المطار. وعندما نظرت الى وجه الاخ كمال في قاعة المطار وجدته ساهما بل واجما وصامتا فأدركت انه قد عرف النبأ! وركبنا الطائرة العسكرية الخاصة بنقل الجنود وهبطنا في مطار الرياض. وسألني اخي محمد الفيصل والطائرة تهبط بنا في المدرج ماذا حصل يا اخي؟ فأجبته والالم يعصرني: الذي حصل ان تبقى على مستوى المسؤولية وعلى قدها. عليك بالصبر. كن رجلاً. لقد قتلوا اباك! فسألني مندهشا: ومن. . من هم الذين قتلوا ابي؟ أجبته وكأني اقرأ امامي تقريرا مكتوبا: هناك اكثر من جهة واحدة لها مصلحة في مقتل الوالد. اما ان تكون هي المخابرات الامريكية وما اصاب هنري كيسنجر من فشل في مهمته مما دفع الامريكان ان يركبوا رؤوسهم ويتصرفون كرعاة البقر. . او ان تكون احدى المنظمات الفلسطينية «المتطرفة» قد فقدت صوابها واستبد بها الجنون فأقدمت على هذه الجريمة. . واما ان يكون القاتل مدفوعا بالحقد الشيوعي لما عرف عن الوالد من كراهية وعداء للشيوعية! وعندما نزلنا من الطائرة وجدنا اخي سعود الفيصل بانتظارنا. فعانقته وقلت له على الفور: انا عرفت النبأ. . ولكن من هو القاتل؟ اجابني سعود: انه فلان. . اي «فيصل». . القاتل. !»

وسألت الامير مقاطعا: هل كنت تعرف شخصية القاتل من قبل؟

واجابني عبدالله الفيصل: لا والله! ليس بينه وبيني معرفة! هو صغير وليس من جيلنا. !»

سألته: وهل رأيته بعد اقتراف الجريمة؟

اجاب: لا والله! لا شفته ولا كلمته ولا زرته في السجن! لقد «دسوه» عنا! اخفوه خوفا عليه منا واستكمالا للتحقيق!

وسألته ان يكمل حديثه فقلت له:

ـ وماذا فعلتم بعد خروجكم من مطار الرياض في ذلك اليوم؟

اجاب الامير عبدالله:

ـ ذهبنا الى منزل الوالد، وهناك رأينا جلالة الملك وعمي «عبدالله» والامراء والاميرات.. كلهم كانوا هناك.. والمناحة قائمة.. ولم ابك على ابي ولم أذرف الدمع مطلقا طيلة العشرة ايام الاولى! ولكني اصبت بمس كالجنون يصور لي ان والدي لم يمت وانه بخير وانه جالس في مكتبه يواظب على اداء مهامه.. ودام هذا الهاجس معي لمدة شهور طويلة كدت أصاب خلالها بالجنون التام.. ثم منّ الله علي بالشفاء! والذين رأوني في الجنازة في ذلك اليوم شعروا وكأني سألحق بأبي بعد ساعات! لقد أغمي عليّ مغشيا في المقبرة، ونقلوني وسط حالة عصبية قاسية الى المنزل.!

سألت الامير وانا أعود بالمأساة الى بدايتها:

ـ وهل جاء الامريكيون لتعزيتك في هذا المصاب الجلل؟

أجاب الامير عبدالله:

ـ نعم. لقد قدموا لنا العزاء.. لي ولاخواني.. وكذلك جميع الوفود التي جاءت للتعزية.. وكان الملك «خالد» يجلس في الديوان ويتقبل العزاء..

قلت لعبدالله الفيصل:

ـ في آخر أيامه ـ رحمه الله ـ كان الملك فيصل يشعر بالمرارة من الأمريكان! اليس كذلك؟!

اجاب: والله لم يقل لنا شيئا عن ذلك. ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يكن يحب الأمريكان ولم يحسن بهم الظن، ولم يؤمل منهم اي خير!.

قلت: سمعتك تعدد الجهات التي كان لها مصلحة في اغتيال الوالد وعلى رأسها الشيوعي، والامريكي، والصهيوني؟ فهل هناك جهات اخرى تشترك في مثل هذه المصلحة الاجرامية في التخلص من فيصل؟

اجاب عبدالله على الفور: نعم! هناك دولة عربية.. «فلانة»!

وذكرها بالاسم..

قلت: مهلا سمو الامير! ولكن هل لديك ما يؤيد مثل هذه الاتهامات.. الخطيرة؟

اجاب: انا اضع النقاط فوق الحروف، بلا خوف ولا تردد! والمسألة تتعلق بأبي.. وبملك عربي كبير.. وبمصلحة العرب كلهم! لماذا لا اقول كل شيء؟!



عبد الله الفيصل: من قتل الملك فيصل؟!

ثم اضاف:

ـ ان قناعتي تؤكد لي ان مريكا ـ مثلا ـ قد قررت تصفية الملك فيصل عندما لمست تصميمه حول موضوع القدس.. وأنْ ليس هناك اية فايدة أبداً لزعزعته عن الموضوع! والسياسة يا اخي لا ترحم! ثم هناك كراهيته للشيوعية وصراعه ضدها مما ألحق بها خسائر كبيرة ليس اقلها خروج السوفييت من مصر..

سألت: من؟ خروج من.. ومن اين؟!

أجاب: خروج بل، طرد السوفييت من مصر نتيجة تشجيعه «للسادات» حول هذه الموضوع! هذا شيء معروف..

ثم اضاف:

ـ وكذلك فقد ثبت لدينا ان القاتل قد زار ارض دولة عربية معينة مرتين اثنتين.. وانه حصل على جواز سفر تلك الدولة في لبنان، والتقى بمسؤول كبير لتلك الدولة في العاصمة الفرنسية، وانه قد تلقى تدريبه اللازم ـ في استعمال السلاح وتوابعه ـ داخل معسكر للفدائيين الفلسطينيين يتبع منظمة فلسطينية متطرفة يرأسها «فلان» ـ وذكر الرجل بالاسم ـ ولدينا وثائق تثبت ذلك حملها لنا «دوري شمعون» نجل كميل شمعون بعد العثور عليها في معسكر «تل الزعتر» للاجئين الفلسطينيين في لبنان.. وقد بدأ غسيل المخ للقاتل في امريكا وبواسطة طلاب عرب ينتسبون الى تلك الدولة العربية من الذين كانوا يتلقون العلم في جامعات امريكا ويعرفون القاتل ويزاملونه وقد وصل خبر ذلك الى بعض الطلبة الباكستانيين الذين نقلوا الخبر الى سفير الباكستان في امريكا، وقام هذا على الفور بنقل الخبر الى رئيسه الراحل «غي بوتو» والذي ابرق سرا الى الملك فيصل يحذره من مؤامرة اغتيال سيقوم بها واحد من افراد العائلة! ولكن الملك ـ رحمه الله ـ أصر على ان يعرف اسم «الامير» الذي تدور حوله الشبهات، ولما لم يصله إسم معين رد على هذه الرسائل بأنها مجرد اشاعات يراد بها الايقاع بين الملك وافراد عائلته.!

قلت للأمير: وماذا تقول في اقوال مثبتة وردت في التحقيق مع القاتل تقول، إن الهدف من الجريمة كان بقصد الخلاص من «التعصب الديني» الذي يضر بتقدم الامة.

وقاطعني عبدالله الفيصل قائلا:

هذا ما عنيته عندما قلت لك ان القاتل قد تعرض الى عملية «غسل مخ» فقالوا له ان الدين الاسلامي هو سبب تأخر الامة العربية، وانه افيون الشعوب.. ولا خلاص للأمة الا بالخلاص من تمسكها الشديد بالدين الاسلامي، مع التخلص من الركيزة الاولى التي تحمي هذا التيار والممثلة بالملك فيصل! فاقتنع القاتل بهذا الرأي الاجرامي الشرير وأقدم على جريمته!

سألت الأمير عبدالله:

ـ ولكنهم قالوا كذلك ان للقاتل ثأرات شخصية ضد الملك تتعلق بموت اخيه.. أي مقتل اخ القاتل على يد البوليس السعودي؟

قال عبدالله:

ـ اية ثارات.. واية اكاذيب؟؟ أخو القاتل اشترك في عملية واضحة ضد الشرطة وقتل اثنين منهم.. فحاصروه.. واثناء تبادل اطلاق النار سقط قتيلا! كان مصابا بلوثة عقلية ويوزع سيارات على رجال القبائل، ويؤلبهم ضد النظام!! وكان الملك فيصل في جدة.. بينما وقعت الحادثة في الرياض.!

قلت: وماذا عن قرابة القاتل من.. آل الرشيد؟

قال: خالة القاتل كانت احدى زوجات الملك عبد العزيز.. وقد أسماه الملك عبد العزيز باسم فيصل حبا منه لوالدي..!

قلت: اذن نعود للجهة الامريكية التي كانت لها مصلحة في التخلص من المليك الشهيد؟ ترى هل لديك يا أخي الامير مزيدا من البراهين التي تؤيد بها مثل هذه التهمة ضد امريكا.؟

واجابني عبدالله الفيصل:

ـ كان والدي ـ رحمه الله ـ يحذر امريكا من خطر الشيوعية على المنطقة بأسرها. كان يقول لكبار المسؤولين الأمريكيين ان الشيوعية لا تهدد المنطقة فحسب وانما تهدد مصالح امريكا ايضا. كان يقول لهم ان الشيوعية ستهدم المجتمع الأمريكي من اساسه وعلى رأس اصحابه!

قلت للأمير: ولكن الملك ـ رحمه الله ـ كان يحذركم ويحذر اخوته وبلاده من الخطر الامريكي.. ايضا.. اليس كذلك يا اخي الامير؟؟

وأجاب الامير عبدالله: كان الملك فيصل يقول لنا لا تعتمدوا على الأمريكان! انا لا اطلب منكم محاربة امريكا لأن هذا ليس في مقدورنا، ولكني انصحكم بأن تبقوا دائما في حذر منهم، وان لا ترموا بأنفسكم في احضان امريكا..!

سألت الامير: وهل تسنى لك ان تسمع من الملك الراحل كلاما معينا عن هنري كيسنجر أو حوله.. مثلا؟

اجاب: كان والدي قليل الكلام. واذا قال لك احدهم انني سمعت كذا او سمعت كيت عن لسان فيصل فلا تصدقه. «اللي يبغى يقول لك قال لي فيصل كذا، قل له انت كاذب»! لا صغير ولا كبير! لا رسمي ولا من عامة الناس.!.

ثم صمت عبدالله الفيصل قليلا قبل ان يعود ويقول لي:

ـ انا اعتبر ان دم ابي عند هذه الجهات المذكورة الأربع.

سألته: وهل تسنى لك ان تطلع على تفاصيل التحقيق مع القاتل؟

اجاب: لا والله.. انا لم اطلع على شيء!
ثم قال:
ـ انا بقيت في جدة! ويقال إن بعض اخواني قد اطلعتهم الدولة على تفاصيل التحقيق؛ أو أعطوهم مختصرا عن الإفادات والاعترافات. كان بين اعضاء اللجنة المشرفة على التحقيق اخي «تركي بن فيصل».. فقد طلبنا من الحكومة ان يشترك من بيننا احد ابناء فيصل للاشراف على التحقيق واخترنا الأمير تركي نيابة عنا..!
قلت: هل تذكر من هم اعضاء اللجنة الحكومية في التحقيق؟
اجاب: اذكر ان رئيس اللجنة كان الأمير نايف بن عبد العزيز.!
ثم اضاف:
ـ في تلك الفترة كانت نفسيتي السيئة، وأعصابي المتعبة في حالة تمنعني من الاكتراث الى اي شيء او السؤال عن اي شيء.؟!
قلت له: وهل حرصت على ان تشهد عملية تنفيذ حكم الموت في القاتل الذي اودى بحياة ابيك!
وتقلصت عضلات وجه عبدالله الفيصل وخيم الوجوم على الجلسة وقال لي:
ـ لا.! لا والله!. أنا اكره أن أرى عملية الموت ضد أحد! ولا حتى ضد اي قاتل شرير. أنا كنت في جدة وعملية تنفيذ الإعدام جرت في الرياض..
وسكت الأمير..
وأحسست بأن موضوع اغتيال المليك الشهيد قد وصل الى آخره، وان من الواجب و «اللياقة» الانتقال بالحديث الى جوانب اخرى من حياة فيصل بن عبد العزيز..
فسألته:
ـ هل تحتفظ بأي رسائل معينة كان الملك الراحل قد ارسلها اليك؟
قال: لم تكن العادة ان نتبادل الرسائل الخاصة! اما الرسائل «العامة» والمتعلقة بالعمل الرسمي ـ إبان عملي الحكومي كنائب لنائب الملك في الحجاز، فهي محفوظة في سجلات الحكومة الرسمية..
ووصل بنا الحديث إلى أحلى المواضيع وأخطر القضايا وأعز البلاد على قلب فيصل.. وصلنا الى موضوع «القدس»!
وسألت عبدالله الفيصل ان يحدثني عن هذا الحب الكبير الذي ملأ قلب والده وأضناه..
فأجابني بعد قليل وكأنه ينظم عن «بلدي» قصيدة حب:
ـ هل تعرف كيف يتحول الحب الى عشق ويصبح العشق شيئا سماويا يستبد بالروح والوجدان والضمير والخاطر؟؟ هل تعرف كيف تصبح القضية الواحدة مسألة حياة أو موت

بالنسبة للانسان؟؟ هل تعرف كيف يقدر الشيء أن يتغلغل في دم الرجل ويستولي على كل لحظة من أيام عمره؟ هل تعرف كيف تتطور السياسة الى عمل صوفي يتسم بالجهاد من اجل الدين، ويطبع بالتضحية من اجل الخالق؟ هكذا كانت «القدس» عند فيصل بن عبد العزيز! اختلطت حروف اسمها به، وسكنت مقدساتها في قلبه، وعاش «المسجد الاقصى» بكل ما فيه ومن فيه ومن حوله في خاطره وفكره وتفكيره! يصحو على اسم القدس في الصباح، وينام على اسمها في الفجر! هي الأنشودة وهي القصة وهي الوحي وهي الملحمة وهي المأساة وهي الخلاص!»

والشعراء لا يبكون ولا يضعفون. ولكني رأيت خيط دموع كالنور يلمع في عيني الأمير الشاعر عبدالله الفيصل! ما أشدّ شبهه بأبيه. ما أقرب تقاطيع وجه الإبن وتعب عينيه الى تقاطيع وجه الاب وحدة عينيه! بينهما فارق في العمر لا يزيد عن ١٥ سنة. ولكن بينهما شبهاً يكاد يجعلهما توأمين ولدا في ساعة واحدة!

لقد سمعت الأمير الاديب يقول لي وكأنه يتحدث مع نفسه:

ـ كان والدي يقول «اللي يحصل، يحصل» ولن اتنازل عن تمسكي بالقدس! وكان يعتبرها قضيته الكبرى: كعربي.. وسعودي.. ومسلم.. وانسان.. وملك.. وشرقي..! كانت الناحية الدينية والعربية تحرك فيه الشوق والحنين! وكلما يتقدم العمر بالمرء، يتضاعف حنينه ويزداد شوقه. اليس كذلك؟!

وبعد لحظة تفكير، قال لي الأمير:

ـ سمعت من الأمير «فيصل بن سعد بن عبد الرحمن ـ وهو بالنسبة لأبي ابناء عم وابناء خالة ايضا ـ قوله لي وهو رفيق عمر ابي ايضا، انه ذات يوم سمع من الملك فيصل يقول له وهما في طريقهما بالسيارة «نويت يا فيصل ان اترككم»! قال فيصل إبن سعد لقد ظننت ان الملك يعني الموت.. وانه يشعر بقرب اجله.. فقلت له الاعمار طال عمرك بيد الله. فأجاب الملك: انا لا اعني الموت! انا اعني الرحيل عنكم وعن حكمكم وملككم! انا قد يئست من صلاحكم وأضرع الى الله ان اواجه ربي دون ان اكون مسؤولاً عنكم..»

سألت عبد الله الفيصل مع الدهشة:

ـ وما هو السبب في ان يقول والدك مثل هذا الكلام لإبن عمه أو رفيق عمره؟

أجاب: كان يشكو ـ رحمه الله ـ من الرشوة وانتشارها! ويشكو من جشع الناس الذي لاينتهي! ويشكو من الروتين المملّ! لقد سمعته ذات مرّة يقول لي: لقد انتصرت على أشياء كثيرة باستثناء «مرضين» لم اقدر عليهما ولم اعثر على شفاء لهما! أولهما الرشوة. وثانيهما مجاملة الناس لبعضهم البعض على حساب الصالح العام..!

سألت عبد الله الفيصل والدهشة مازالت تملأ وجهي:

ـ ترى ألم يكن في مقدوره ـ وهو الملك ـ ان يمنع انتشار الرشوة في البلاد. !

وأجاب: إن السارق يغلب السلطان! والإدانة تحتاج الى اثبات! والإثبات صعب في كثير من حالات الرشوة! انا اتذكر قصة خاصة أريد ان اورويها لك في هذا المجال. ذات ليلة انقطع تيار البث التلفزيوني بينما كان رحمه الله، يلقي خطابه في يوم «٦» ذي الحجة في مدينة مكة! فهمت؟؟ وبعد ساعة اجتمعنا في الديوان وكانت الأزمة بيننا وبين مصر على اشدها حيث كان جمال عبد الناصر يشن هجماته الإعلامية ضدنا ويملأ حياتنا عداءاً وشتائم واتهامات وتحريضاً ضدنا! وكان المدّ «الناصري» قد وصل إلى اقصاه. ودار البحث في موضوع انقطاع التيار بينما الملك يلقي خطابه؟! وأجمع الحاضرون يومذاك على ان سرّ الحادث يعود الى وجود عدد كبير من «الناصريين» العملاء للقاهرة داخل جهاز وزارة الاعلام السعودية! وان الحادث لم يكن نتيجة قضاء وقدر وانما هو متعمد ومقصود! وفي تلك الجلسة كان الملك يستمع. ونظر الحاضرون صوبي بانتظار ان أقول شيئاً ولكني لم أنطق ببنت شفه. ! وكان يجلس معنا الأخ كمال أدهم ولكنه ـ مثلي ـ التزم الصمت تأدباً ولم يقل شيئاً رغم ان الكثيرين كانوا ينتظرون منه رأياً قاطعاً في هذا الموضوع الهام. . ! ومضى الليل. وفي الصباح، مررت عليه ـ كعادتي في كل صباح حيث أجلس معه حتى ينتهي من تناول افطاره وانزل معه الى مكتبه ثم أتركه واعود. وقلت له بلا مقدمة: «يا طويل العمر. . الكلام اللي قالوه البارحة عن حادثة انقطاع التيار والتغلغل «الناصري» في اجهزة الاعلام السعودية هو كلام ـ حسب معرفتي ـ صحيح مائة في المائة! ان غالبية العاملين في وزارة الاعلام هم من «الناصريين». . . وانا أعرف اسماء ثلاثة من كبار موظفي وزارة الاعلام هم من غلاة الناصريين. . وهم فلان. . وفلان. . وفلان. . وأحدهم قريباً لي. ! وعندما سكت، التفت الملك نحوي وقال: انت تعرف ثلاثة اسماء فقط. . . ولكني افيدك بأن عدد الموظفين الناصريين في وزارة الاعلام لايقل عن «٣٥» نفرا! عد. . . عد على أصابعك. . عدّ. . فلان وفلان وفلان وفلان. . حتى أتى على ذكر اسماء ٣٥ موظفاً في وزارة الاعلام السعودية وكلهم من الناصريين! وعندي علم بذلك! وعندي اثباتات وبراهين تؤيد ذلك! لكن يا عبد الله ـ والكلام للملك فيصل ـ أبغي اسألك سؤال: ألم اكن أنا وانت منذ خمس سنوات من الناصريين؟؟ قل. . الم نكن انت وانا من المتحمسين لعبد الناصر، ولكننا انصرفنا عنه عندما تبينا حقيقته! وانا الآن اذا اخذت هؤلاء الموظفين بجريمتهم، وأدخلتهم السجن عقاباً لهم، فان الخاسر في النهاية هو أنا. . والبلد! كل واحد من هؤلاء بمنزلة ولد من اولادي، فلماذا لا أئتمنهم لمدة سنوات اخرى قليلة قادمة يتمكنون خلالها من اكتشاف حقيقة «الناصرية» كما اكتشفناها انا وانت، وينصرفون عنها بارادتهم، كما انصرفنا عنها أنا وانت. ؟!

قال لي عبد الله الفيصل:

ـ كان تاريخ وقوع هذا الحادث بعد سنتين من تولي الوالد مهام الملك.. في اوائل الستينات. يومذاك سمعت نفسي اقول له:

ـ عسى ما يحكمنا يا طويل العمر الا مثلك!»

سألته والحديث يخرج الى دنيا الواقع:

ـ وكيف كان ـ رحمه الله ـ يفهم ماديات هذه الدنيا؟

أجاب:

ـ كان يكره المال ولايفكر فيه! وكان يقول عبارة لاينقطع عن ترديدها وهي: ابن آدم لايشبع من التراب الاّ عندما يمتلء فمه تراباً! كان والدي عالماً لوحده! وبمفرده! وبوحدته..

ترى هل انتهى الحديث؟!

لا! ان الحديث لم يبدأ بعد، وخاصة عن رجل كفيصل بن عبد العزيز.!

قال لي عبد الله الفيصل:

ـ لقد شهدت أبي في سنوات عمره الأخيرة وقد استولى عليه جو من الصمت اليائس المتألم. ولا اخفي عنك؛ كنت اشعر بالقلق ان يصيبه عارض ذهني أو عصبي تحت تأثير هذه الحالة الوجدانية اليائسة التي كان يمرّ بها..

قلت للأمير وانا اعود به الى موضوع هنري كيسنجر:

ـ لا أعرف حاكماً وضع هنري كيسنجر في حجمه ومكانه سوى فيصل بن عبد العزيز! هلاّ حدثتني عن جانب من المقابلات التي جمعت بين الرجلين خلال زيارات كيسنجر للمملكة؟.

وأجاب عبد الله:

ـ قال الملك لهنري كيسنجر، أنا أعرف أنك يهودي.. وان ليس لي ان انتظر منك اي خير لأمتي او لقضيتي او لديني. كان هذا في المقابلة الأولى. ثم قال له فيها بعد «انني لا اريد ان يقال إن الملك فيصل هو حجر عثرة في طريق السلام.. ولذا فقد قررت ان أقابلك كما تشاء وان اتحدث اليك بدون حساسية رغم اعتقادي الجازم بأنك لن تسمح لنفسك ان تقف معنا نحن العرب ضد بني امتك ودينك.!!»

سألت الامير مقاطعاً:

ـ الا ترى انه من الظلم أو سوء التقدير ان نمزج بين اليهودي والصهيوني، او بين الدين والسياسة، ولا نفرق بين هنري كيسنجر اليهودي الدين، وهنري كيسنجر الذي قد لايكون صهيونياً؟

واجاب الأمير على الفور:

ـ بل ان هنري كيسنجر صهيوني مائة في المائة.. ولعله أبرع صهيوني في العصر الحديث! هكذا كان يراه الوالد رحمه الله..

ثم سألني الأمير:

ـ هل اقول لك هذا السر؟ كان هنري كيسنجر عندما يقابل الوالد، يتصبب عرقاً ويحمر وجهه وتغيب الراحة عن جلسته! كان يشعر بشيء كالخوف من الملك فيصل فيتصرف امامه كالطفل الصغير!

ثم قال لي:

ـ عندما أعلن جمال عبد الناصر في حرب حزيران إشتعال المعركة، خرج الوالد من منزله متجهاً الى دار الاذاعة لكي يعلن بدء الجهاد المقدس ويطلب من الدول والشعوب الاسلامية حشد جميع امكانياتها للوقوف بجانب مصر ضد العدو الاسرائيلي، واذ به في الطريق يسمع من راديو سيارته نبأ وقف القتال. فأمر السائق بالعودة الى المنزل وقال لنا عند وصوله للدار: «قد يكون اعلان الحرب خطأ بسيطاً.. ولكن اعلان «وقف الحرب» قد يصبح خطأ مميتاً.!»

وقال:

ـ منذ صغره كانت قضية فلسطين هي شغله الشاغل. كان يحفظ كل تاريخ من تواريخها، واسم كل زعيم من زعمائها وتفاصيل كل مؤتمر من مؤتمراتها. لقد سمعت ذات مرة يروي قصة عن مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٩٣٨. قال لي رحمه الله: لولا خلاف علي ماهر باشا. مع محمد محمود باشا في سياسة مصر الداخلية لكان مؤتمر المائدة المستديرة وصدور الكتاب الأبيض فيما بعد هو الحل المطلوب لقضية فلسطين!. ولولا انصياع «جمال الحسيني» لعلي ماهر يومذاك ورفضه للمقترحات البريطانية التي وعدت باعطاء العرب استقلالهم مقابل دخول مائة الف يهودي الى فلسطين على ان يجري تمثيل اليهود في الحكومة الجديدة بنسبة وجودهم القليل يومذاك في فلسطين، اقول لولا السذاجة العربية في الزعامة الفلسطينية، والحزازات السياسية الحزبية بين رئيس وزراء مصر ـ محمد محمود ـ ورئيس الديوان الملكي ـ علي ماهر ـ لجاء الحل المطلوب لهذه القضية! ولكن ـ والكلام مازال للملك فيصل ـ رفضوا الحل رغم انهم سألوني واشرت عليهم بالقبول! قلت لهم اقبلوا بالرضى وعندما تحكمون بالأغلبية افعلوا ما يحلو لكم!

وسألت الأمير ان يفسّر لي كلام والده عن دور الخلاف الحزبي بين محمد باشا محمود، وعلي ماهر باشا، في دفع العرب الى رفض المقترحات البريطانية لحل قضية فلسطين عام ١٩٣٨ فأجابني:

ـ كان المقرر ان يرأس وفد مصر الى مؤتمر لندن محمد محمود باشا رئيس الوزراء! ولكن رئيس الديوان «علي ماهر»، كان يكره رئيس الوزراء فذهب للملك فاروق وقال له ان «الأمراء» وحدهم هم الذين يرأسون وفود معظم الدول العربية المشتركة في المؤتمر.! اذ ان وفد اليمن يرأسه امير.. ويرأس وفد العراق الأمير عبد الاله.. ويرأس وفد السعودية الأمير

فيصل. . فعلى مصر ان يكون الأمير «عبد المنعم» هو رئيس وفدها للمؤتمر! وهكذا كان! واثار هذا التعيين حفيظة رئيس الوزراء محمد باشا محمود الذي أوعز الى «جمال الحسيني» بأن يرفض المقترحات البريطانية لكي يفشل المؤتمر، مؤكداً له انه بوصفه رئيساً لوزراء مصر سيرغم الانكليز على ان يقدموا للفلسطينيين وللعرب مقترحات جديدة تتفق مع امانيهم القومية دون اية مشاركة مع اليهود. ! ورفض العرب مقترحات الانكليز. وطار مؤتمر لندن الى الأبد. . !

سألته: وكيف كان رحمه الله يرى «بعض» الناس «وبعض» المسؤولين؟

أجاب الأمير: كنت أتحسس رغبته في الكلام فاذا وجدتها متوفرة سمحت لنفسي ان أسأله، والاّ فانه كان دوماً يكتفي بالرّد ضمن عبارة واحدة هي: «يجوز . . . ممكن. . مش بعيد!»

وعاد الأمير يقول لي:

ـ اسمع يا صديقي الأخ. اذا سمعت احدهم يقول لك انه «قال وفعل وعمل وسمع» عند فيصل. . قل له انت كذاب! وكل من يقول لك زاعماً انه يعرف كيف وماذا يريد فيصل وبماذا يفكر فيصل قل له انت كذاب! اقرب الناس اليه كانت الوالدة والأمير سلطان ثم انا والأخ كمال، ولكننا لم نكن نعرف منه وعنه الا النذر اليسير!.

ثم أضاف:

ـ فارق العمر بينه وبيني لايزيد عن «١٦» سنة! وعملت معه! ونشأت بيننا زمالة وصداقة مع مرور الأيام! وأصبحت انا اتمتع بمكانة خاصة عنده رغم انه لم يكن يميز واحداً على الآخر، ولم اسمعه مرة يقول لأحدنا أنه يحبه او يقول للآخر انه يكرهه! والذين يحسبون انهم أصبحوا أصحاب نفوذ وسلطان لدى «فيصل»، انهم يكذبون او يحلمون! كنت اصلي معه ذات يوم «جمعة». . هنا. . في «جده» وكان لنا صديق اسمه «سلطان الجبر» من آل رشيد. . !! وجاءني هذا الصديق وسألني بعد الصلاة: «هل ستسافر اليوم الى الطائف مع الوالد؟» سألته: ولماذا يسافر الوالد الى الطائف؟ اجاب: انه عائد الى الرياض! وفعلاً حزّ الأمر في نفسي ان لا اكون على علم بأخبار تنقلات «أبي» واسفاره! وذهبت اليه وقلت له لماذا يا سيدي تريد ان تحرمني من شرف توديعك وتظهرني امام الناس بمظهر الإبن العاق الذي لايظهر في وداع ابيه؟؟ لماذا لا تخبرني يا طويل العمر عن قرارك بالسفر بعد الصلاة الى الطائف؟ هل هذه أمور سياسية حتى تقول، انها اسرار لايجوز تداولها؟ هل يجوز ان تغادر «جده» دون ان أودعك؟ وماذا سيقول عني الناس؟.

قال لي عبد الله الفيصل مستطرداً:

ـ ورأيته ـ رحمه الله ـ يضحك ويسألني: هل تظن أنني قصدت ان أخفي خبر سفري

عنك؟ لا والله يا عبد الله! لكن يا ولدي هذا طبعي . . ولا اعرف ان أقول «سأفعل». أو «سأفعل» او «سأفعل»! هكذا خلقني الله! ولا عليك يا عبد الله . . !

ـ بل ان هنري كيسنجر صهيوني مائة في المائة . . ولعله أبرع صهيوني في العصر الحديث! هكذا كان يراه الوالد رحمه الله . .

ثم سألني الأمير:

ـ هل اقول لك هذا السر؟ كان هنري كيسنجر عندما يقابل الوالد، يتصبب عرقاً ويحمر وجهه وتغيب الراحة عن جلسته! كان يشعر بشيء كالخوف من الملك فيصل فيتصرف امامه كالطفل الصغير!

ثم قال لي:

ـ عندما أعلن جمال عبد الناصر في حرب حزيران إشتعال المعركة، خرج الوالد من منزله متجهاً الى دار الاذاعة لكي يعلن بدء الجهاد المقدس ويطلب من الدول والشعوب الاسلامية حشد جميع امكانياتها للوقوف بجانب مصر ضد العدو الاسرائيلي، واذ به في الطريق يسمع من راديو سيارته نبأ وقف القتال. فأمر السائق بالعودة الى المنزل وقال لنا عند وصوله للدار: «قد يكون اعلان الحرب خطأ بسيطاً . . ولكن اعلان «وقف الحرب» قد يصبح خطأ مميتاً . !»

وقال:

ـ منذ صغره كانت قضية فلسطين هي شغله الشاغل. كان يحفظ كل تاريخ من تواريخها، واسم كل زعيم من زعمائها وتفاصيل كل مؤتمر من مؤتمراتها. لقد سمعت ذات مرة يروي قصة عن مؤتمر المائدة المستديرة في لندن عام ١٩٣٨ . قال لي رحمه الله: لولا خلاف علي ماهر باشا مع محمد محمود باشا في سياسة مصر الداخلية لكان مؤتمر المائدة المستديرة وصدور الكتاب الأبيض فيما بعد هو الحل المطلوب لقضية فلسطين!. ولولا انصياع «جمال الحسيني» لعلي ماهر يومذاك ورفضه للمقترحات البريطانية التي وعدت باعطاء العرب استقلالهم مقابل دخول مائة الف يهودي الى فلسطين على ان يجري تمثيل اليهود في الحكومة الجديدة بنسبة وجودهم القليل يومذاك في فلسطين، اقول لولا السذاجة العربية في الزعامة الفلسطينية، والحزازات السياسية الحزبية بين رئيس وزراء مصر ـ محمد محمود ـ ورئيس الديوان الملكي ـ علي ماهر ـ لجاء الحل المطلوب لهذه القضية! ولكن ـ والكلام مازال للملك فيصل ـ رفضوا الحل رغم انهم سألوني واشرت عليهم بالقبول! قلت لهم اقبلوا بالرضى وعندما تحكمون بالأغلبية افعلوا ما يحلو لكم!

وسألت الأمير ان يفسّر لي كلام والده عن دور الخلاف الحزبي بين محمد باشا محمود، وعلي ماهر باشا، في دفع العرب الى رفض المقترحات البريطانية لحل قضية فلسطين عام ١٩٣٨ فأجابني:

ـ كان المقرر ان يرأس وفد مصر الى مؤتمر لندن محمد محمود باشا رئيس الوزراء! ولكن رئيس الديوان «علي ماهر»، كان يكره رئيس الوزراء فذهب للملك فاروق وقال له ان «الأمراء» وحدهم هم الذين يرأسون وفود معظم الدول العربية المشتركة في المؤتمر. ! اذ ان وفد اليمن يرأسه امير. . ويرأس وفد العراق الأمير عبد الاله . . ويرأس وفد السعودية الأمير فيصل . . فعلى مصر ان يكون الأمير «عبد المنعم» هو رئيس وفدها للمؤتمر! وهكذا كان! واثار هذا التعيين حفيظة رئيس الوزراء محمد باشا محمود الذي أوعز الى «جمال الحسيني» بأن يرفض المقترحات البريطانية لكي يفشل المؤتمر، مؤكداً له انه بوصفه رئيساً لوزراء مصر سيرغم الانكليز على ان يقدموا للفلسطينيين وللعرب مقترحات جديدة تتفق مع امانيهم القومية دون اية مشاركة مع اليهود. ! ورفض العرب مقترحات الانكليز. وطار مؤتمر لندن الى الأبد. . !

سألته: وكيف كان رحمه الله يرى «بعض» الناس «وبعض» المسؤولين؟

أجاب الأمير: كنت أتحسس رغبته في الكلام فاذا وجدتها متوفرة سمحت لنفسي ان أسأله، والاّ فانه كان دوماً يكتفي بالرّد ضمن عبارة واحدة هي: «يجوز . . . ممكن. . مش بعيد!»

وعاد الأمير يقول لي:

ـ اسمع يا صديقي الأخ. اذا سمعت احدهم يقول لك انه «قال وفعل وعمل وسمع» عند فيصل. . قل له انت كذاب! وكل من يقول لك زاعماً انه يعرف كيف وماذا يريد فيصل وبماذا يفكر فيصل قل له انت كذاب! اقرب الناس اليه كانت الوالدة والأمير سلطان ثم انا والأخ كمال، ولكننا لم نكن نعرف منه وعنه الا النذر اليسير!.

ثم أضاف:

ـ فارق العمر بينه وبيني لايزيد عن «١٦» سنة! وعملت معه! ونشأت بيننا زمالة وصداقة مع مرور الأيام! وأصبحت انا اتمتع بمكانة خاصة عنده رغم انه لم يكن يميز واحداً على الآخر، ولم اسمعه مرة يقول لأحدنا أنه يحبه او يقول للآخر انه يكرهه! والذين يحسبون انهم أصبحوا أصحاب نفوذ وسلطان لدى «فيصل»، انهم يكذبون او يحلمون! كنت اصلي معه ذات يوم «جمعة». . هنا. . في «جده» وكان لنا صديق اسمه «سلطان الجبر» من آل رشيد. . !! وجاءني هذا الصديق وسألني بعد الصلاة: «هل ستسافر اليوم الى الطائف مع الوالد؟» سألته: ولماذا يسافر الوالد الى الطائف؟ اجاب: انه عائد الى الرياض! وفعلاً حزّ الأمر في نفسي ان لا اكون على علم بأخبار تنقلات «أبي» واسفاره! وذهبت اليه وقلت له لماذا يا سيدي تريد ان تحرمني من شرف توديعك وتظهرني امام الناس بمظهر الإبن العاق الذي لايظهر في وداع ابيه؟؟ لماذا لا تخبرني يا طويل العمر عن قرارك بالسفر بعد الصلاة الى

الطائف؟ هل هذه أمور سياسية حتى تقول، انها اسرار لايجوز تداولها؟ هل يجوز ان تغادر «جده» دون ان أودعك؟ وماذا سيقول عني الناس؟.

قال لي عبد الله الفيصل مستطرداً:

ـ ورأيته ـ رحمه الله ـ يضحك ويسألني: هل تظن أنني قصدت ان أخفي خبر سفري عنك؟ لا والله يا عبد الله! لكن يا ولدي هذا طبعي.. ولا اعرف ان أقول «سأفعل». أو «سأفعل» او «سأفعل»! هكذا خلقني الله! ولا عليك يا عبد الله..!

قلت للأمير:

ـ ولكن انور السادات يزعم على لسان الملك الراحل كلاماً خطيراً يقول انه سمعه منه عن الرئيس السوري حافظ الاسد.

وأجاب الأمير:

ـ هذا هراء لا يصدقه احد! هذه حكاية لم نسمعها ولم يسمعها أقرب الناس اليه! والملك فيصل لايشتم أحداً.. لايشتم الكبير ولا الصغير! واذا زعل على احدهم عمد ان يدعو الله عليه قائلاً: ـ جعل الله «القوم» يأخذوك!

«والقوم» هم الأعداء.!

«.. فقد كان رحمه الله يترفع عن بذيء الكلام! كان يتمسك بأرفع صفات الانسان الرفيع الأدب! ورغم خلافه الشديد مع «جمال عبد الناصر»، لم نسمعه مرة واحدة يذكر اسم الرئيس المصري دون ان يضيف اليه كل ما يستحقه من القاب السعادة والتمجيد والاحترام..!»

قلت للأمير عبد الله الفيصل:

ـ عندما اطلق انور السادات تلك العبارة «الشتامة» على لسان الملك الراحل، وضد حافظ الأسد، لم يصدقه احد! لا لكونه كان رئيساً مشهوراً بقلة تمسكه بالصدق ـ فحسب، وانما لما يعرفه الناس عن تمسك الملك الراحل بقواعد الأدب واللياقة وحسن العبارة، ايضاً! كان السادات مشهوراً بالكذب وكان فيصل مشهوراً بالتحفظ واللسان الداقيء.

سألت الأمير:

ـ وماذا كانت آراء الملك الوالد ـ رحمه الله ـ في رؤساء امريكا الذين عرفهم عن كثب طيلة الثلاثين سنة الماضية؟

اجاب الأمير:

ـ لم يكن يرتاح لجون كنيدي. وكان يولي ايزنهاور كل التقدير والاحترام. اما ريتشارد نيكسون فقد شعر الوالد بميل شديد له في اواخر ايامه..! هناك رأي صريح وواضح انه لولا «فضيحة» ووترجيت لاستطاع الرئيس نيكسون ان يحطم العناد الصهيوني، ويفرض الحل

المطلوب للقضية الفلسطينية. ولكن، من يدري؟.. من كان يقف وراءها؟.. فضيحة ووترجيت من دبرها؟ من أسقط نيكسون من فوق عرشه في البيت الأبيض؟ اسئلة متروكة للتاريخ رغم ان كل الأصابع تشير نحو الصهيونية العالمية..!

ثم اضاف:

ـ وبالإجمال، كان رحمه الله لايحب الأمريكان ويقول بالفم المليان: «الجماعة ليس فيهم خير ولا يعتمد عليهم ولا يجوز الارتماء في احضانهم».

سألته:

ـ وهل كان «الامريكان» يبادلون الملك فيصل هذا الشعور بالكراهية؟

اجاب:

ـ كانت امريكا تحترم الملك فيصل ولكن لم تكن تحبه!

ثم اضاف:

ـ هم.. هم الذين ضيعوه! هذا يقين! أنا حصلت على ادلة تدين أمريكا والصهيونية والشيوعية.. وذلك «البلد العربي» الذي حدثتك عنه في بدء هذا الحديث.! القاتل زار ذلك البلد العربي مرتين! هذه حقيقة! وعملية غسيل المخ للولد القاتل بدأت في امريكا. والمخابرات الأمريكية اكملت المؤامرة. ومن ضمن اعترافات «الولد القاتل» قوله انه كان «ينوي ان ينسف الكعبة»! لماذا الكعبة؟ «انا قتلت فيصل لأنه مسؤول عن تثبيت «الدين».. الذي هو افيون الشعوب!» وعندي اثباتات انه تدرب على اطلاق النار في مخيم للفلسطينيين. السفير السعودي «السويل» علم بالمؤامرة من السفير الباكستاني الذي علم بالأمر من التلاميذ الباكستانيين ولكن السفير «السويل» لم يصدق ولم يهتم، مما جعل سفير الباكستان يبرق الى رئيسه «بوتو» ويعلمه بالمؤامرة.»

سألت الأمير

ـ وماذا عن أوراق الملك ومذكراته. أين هي؟

واجاب الأمير:

ـ ليست هناك مذكرات! بل كان والدي ضد مبدأ كتابة المذكرات! كان يقول عن كتابة المذكرات: «لو قلت الصحيح فانك تفضح الناس وهذا ما لا أريده. اما الافتراء فلا أعرفه!» كان يقال له لماذا لاتكتب وصيتك؟ فيجيب، وكان جوابه موجها الى الأمير «عبد الله بن محمد»: «وماذا تريدني ان اكتب في وصيتي؟ أجابه عبد الله: قل لاولادك ماذا تريده منهم بعد عمر طويل؟ أجابه فيصل: لاحاجة لهم بوصيتي ولا حاجة لي بأن أوصيهم! ان كان فيهم خير سيفعلون الخير، وان لم يكن فيهم الخير فان وصيتي لهم لن تؤثر شيئاً ولن تحقق خيراً..»!

سألته:

ـ وماذا كان يقرأ من الكتب؟

أجاب: كان يقرأ كل شيء. ولم يكن يملك من وقت الفراغ ما يكفيه لكي يشبع نهمه في القراءة الا بعد ان يفرغ من كل شيء وينصرف الى فراشه عند منتصف الليل ثم يمضي في القراءة حتى صلاة الفجر. ! لم نكن نقدر ان نراه في زياراتنا العائلية الا لوقت قصير في الليل حيث يأتي الأولاد والبنات من الامراء والأميرات، ويأتي الأخ «كمال» وكذلك عزام باشا، ورشاد، ومدحت، وكنعان الخطيب، فنلتقي به بعد مجيئه من المكتب عند الحادية عشرة والنصف مساء ويبقى معنا في كامل ملابسه وهندامه لايخلع عن رأسه كوفية، ولايخلع من قدمه حذاء، ولاينزع عن جسمه عباءة، وانما يحتفظ بهيبته كاملة وكأنه وراء مكتبه. ونبقى في حضرته لمدة ساعة او بعض ساعة ونتبادل حديث الأدب؛ وإذ بنا نسمعه يردد صفحات من كتاب جديد قد قرأه، او ديوان شعر قد حفظ بعض ابياته. ونسأل انفسنا في حيرة: متى تسنى له الوقت لكي يقرأ كل ذلك. إنه يذهب الى مكتبه في العاشرة صباحاً، ويبقى هناك حتى الثانية والنصف فيتناول غداءه في مكتبه. ثم يعود الى منزله وينام حتى الخامسة حيث يعود بعدها الى مكتبه ويبقى فيه حتى أذان المغرب فيخرج الى الخلا ويصلي المغرب ويعود الى مكتبه ويتناول عشاءه مع الناس ثم يترك مكتبه ويأتي الى منزله لمقابلة بعض افراد العائلة ثم يصلي العشاء ويعود الى المكتب ويبقى فيه حتى منتصف الليل. متى يقرأ؟ متى عنده الوقت الكافي لكي يقرأ؟ لقد سألت ذات يوم خادمه السوداني عن ذلك فأجابني بأن «الوالد» عندما يتركنا في الواحدة صباحاً يدخل الى غرفة نومه ومعه «مظروفين اثنين» كان قد حملهما معه من المكتب. وينصرف الى قراءة كل ما بداخل هذين المظروفين ثم يضعهما في مظروفين جديدين ويقفلهما، ويتناول ما حوله من كتب ويمضي في القراءة حتى الفجر حيث يتوضأ ويقرأ القرآن ويصلي الفجر ويدخل سريره للنوم حتى التاسعة صباحاً. كلها خمس ساعات لاغير. . وملابسه يرتبها بنفسه. ولا احد منا يعرف «شكل» غرفة نومه او لون سريره! ويأخذ حمامه. ويتناول فطوره المؤلف من عسل وجبنه وتفاحة وموزة. . وينزل الى مكتبه.

وعندما سألت الأمير عن محتويات المظروفين اللذين يحملهما معه الملك الى غرفة نومه، اجاب:

ـ لا ادري. ولكني سألت سكرتيره في المكتب عن مضمون المغلفين فقال ان في احدهما مجموعة اقوال للصحف العالمية والعربية مع قصاصات من صحف اخرى. وفي الظرف الثاني مجموعة التقارير السرية التي يبعث بها سفراء السعودية في عواصم العالم.

وسألت الأمير عبد الله عن أبرز صفات والده الراحل، فقال وكأنه يستعرض ملامح شخصيته في خاطره ويستعيدها في قلبه:

ـ كان رحمه الله نسيج وحده في التواضع، والحلم، والترفع عن الصغائر! كان يحفظ

الشعر ويردد ابيات المعلقات السبع كاملة. وكان نزيهاً رضياً تقياً يحارب الفساد والظلم! وكان على علم بتفاصيل الموقف الدولي والعربي من جميع اطرافه حيث يقرأ كثيراً، ويسمع كثيراً، ويسأل كثيراً وكان فخوراً بدينه الاسلامي متمسكاً بشعائره راضياً بتراثه حافظاً لتاريخه! وكانت تشده الى زعماء العالم ذكريات ومواقف ومعرفة شخصية تساعده على مواجهة القضايا العربية والعالمية بفهم ومقدرة! ولكن من أبرز صفاته ـ رحمه الله ـ قوة ذاكرته، وقوة جلده على العمل! اما عن قوة ذاكرته فسأسرد على مسمعك قصة من قصصه الشخصية لها اكثر من معنى. هناك قرية سعودية بالقرب من «حائل» اسمها «بقعة». واثناء حصار حائل الأول، كان الأمير محمد بن عبد الرحمن مع الملك ومع الملك سعود يحاصرون المدينة كل منهم على رأس قوته. وكان عدد قوة الملك فيصل لايزيد عن ثلاثمائة نفر. ونزل الوالد الى قرية «بقعة» لزيارة اميرها. واكرمهم امير البلدة. وجاء من يقول لأمير حائل، إن فيصل موجود في «بقعة» ليس معه سوى ثلاثمائة جندي وبالامكان الفتك به والقضاء عليه. ولكن «ابن طلال» حاكم حائل رفض ذلك، اذ شك في الموضوع ورفض ان يخرج لمواجهة فيصل! ونجا فيصل! وجاء في الليل «صبي» يحذرهم من احتمال «ابن طلال» ان يقوم بمهاجمتهم، فقرر الوالد ان يجمع قواته ويغادر المكان الى جهة اخرى لكي ينجو من غدر ابن طلال. وهكذا كان. ومضت السنوات الطوال! واصبح فيصل ملكاً! وقامت في «الظهران» احداث شغب على يد بعض الشيوعيين، وألقت السلطة القبض على عدد من الشباب ومن بينهم ابن ذلك «الصبي» الذي جاء في الليل لكي يحذر فيصل من نوايا ابن طلال ضده. وجاء والد الصبي وقال لفيصل متشفعاً انه يطلب العفو عن ولده، خاصة وان له في عنق فيصل «جميل» أسداه في الماضي البعيد. ودار بين الاثنين الحوار التالي:

قال والد الصبي لفيصل: الم تعرفني يا فيصل؟

وأجاب الملك: بلى! لقد عرفتك. الست انت «والد ولد أخ امير «بقعة».. الذي زرناه بمنزله منذ «٥٣» سنة وعمك الذي اكرمنا في تلك الزيارة.؟

قال والد الصبي: اي والله.!

قال فيصل: النعم بعمك.. والخيبة بك انت حيث ذهبت لكي تؤلب علينا ابن رشيد لكي يذبحنا!

وخرج الرجل مهرولاً وهو يصيح قائلاً عن فيصل:

ـ ملعون الوالدين ما نسي!!

وقال عبد الله فيصل:

ـ هذا مثال عن قوة ذاكرة الملك.!

قلت أسأله: وأي مدن المملكة كانت الأقرب الى قلبه؟

قال: الطائف. ! ورغم انه ما زار «الطائف» مرة الاّ وأصيب فيها بوعكة صحية؛ الاّ انه أحبها بكل جوانحه، وأحب فيها برودة جوها الذي كان يغنيه عن جهاز التكييف. !

قلت: وما هو عيب جهاز التكييف!

أجاب: كان يكرهه ولا يستعمله. . الاّ في أقصى حالات الضرورة!

سألت عبد الله الفيصل وعيني على هذا الزمن الرديء الذي وصلنا اليه:

ـ ترى، لو أن الله مد في عمر والدك وأبقاه حتى اليوم على قيد الحياة، هل كنا ـ نحن العرب ـ قد وصلنا وبمثل هذه السرعة الى مثل هذا الزمن الرديء؟

وأجاب عبد الله الفيصل بصراحته المعهودة:

ـ يقول الناس . . بل يقول معظم الناس انه لو كان والدي على قيد الحياة لما حصل كل الذي حصل. ولكني لا اوافق على ذلك. انا اقول ان الجنون العربي يبقى اكثر واقوى من حكمة فيصل ومن ذكائه.

ثم اضاف:

ـ لو بقي ابي على قيد الحياة، لكان قد مات اكثر من مرة، ولكان ذاق عذاب الموت في كل يوم لوفرة ما يقوم به العرب من اخطاء وجرائم. !

قلت:

ـ ولكنني اسألك ـ يا أخي الأمير ـ سؤالاً محدداً. ترى ماذا سيقول فيصل لو كان حياً عندما يفتح جهاز الراديو ويسمع ان محمد انور السادات قد وصل الى القدس وكان في استقباله هناك مناحيم بيغن وجولدا مائير وموشيه ديان؟

وعبس عبد الله وقال:

ـ هذه كارثة عند فيصل وعند غير فيصل! بكل مقياس وعند كل انسان! اليوم وغداً وبعد غد! عند العاقل وعند المجنون. . ماذا اقول لك؟

وسكت الأمير. . اكبر أبناء فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود! لم اسأله عن الشاعر المحبب الى قلب والده. فقد كنت اعلم انه «المتنبي»! ولم اسأله عن الصوت الذي كان يشجيه. فقد كنت اعلم انه صوت ام كلثوم. ولم اسأله عن الشخصية التي تأثر بها في الماضي والحاضر. في الماضي كنت اعلم ان مثله الأعلى كان عمر بن الخطاب، وفي الحاضر كان مثله الأعلى هو والده عبد العزيز. ! لم أسأله عن أستاذه الأول ومعلمه، فقد كنت اعرف ان «فيصل بن عبد العزيز» هو المعلم الأول والأكبر والأوحد لفيصل بن عبد العزيز. . ! لم أسأله عن قصة وتفاصيل الخلاف المؤسف الذي لم يدم قليلاً بين فيصل واخيه سعود فقد كنت اعرف تفاصيل الجلسة التاريخية التي عقدت في «الطائف» بين الرجلين من أجل رأب الصدع وازالة الخلاف وما دار بينهما من عتاب ونقاش الى ان قال فيصل لأخيه سعود انني اختلفت

معك من اجل مصلحة هذا الوطن واذا رضيت ان تأتي الى المناصب الحكومية الوزارية المسؤولة برجال يثق بهم الناس ويرضى عنهم الشعب ويحققون ما فيه مصالح البلاد فاني ـ أي فيصل ـ سأرضى بكل شيء، وسأكتفي بان اكون جندياً في خدمتك وأجلس بجانب «ابن شلهوب» رئيس «الخويان» عند باب قصرك وأفديك بكل ما أملك! فأجابه سعود ان هناك من أخلص له ووقف معه ولايمكن له ان يستغني عن جماعته! «عندئذ صرخ فيصل» . . ونحن يا أخو نورا . . ألم نخلص لك . . وطيلة ٤٥ سنة ونحن معاً . . ونعمل لك وللبلد . . وكنا جماعتك؟»

ثم تركه وانصرف . . وفشلت وساطة الوسطاء ! واستمرت القطيعة الى ان جاء فيصل إبن عبد العزيز، ملكاً على البلاد . !

اجل . . لم أسأل صديقي الأمير الشاعر المجرب، عبد الله الفيصل، عن شيء من هذه المواضيع لأني كنت اعرفها كلها . .

اما الشيء الذي بقيت أجهله ولا أعرفه وأسأل عنه ولا أجد رغم الأقاويل والأدلة والبراهين والاعترافات والتحقيقات ـ من يدلني على جواب شاف معقول ومنطقي له هو:

ـ لماذا قتلوا فيصل بن عبد العزيز . . ؟!

أجل ايها التاريخ : لماذا؟



عمان - الاردن - ٢٣/١/١٩٨٠ ١٣/١/١٩٨١

مع الحسين...
الهاشمي - الأردني - الفلسطيني - العربي!

..وكذلك مع الحسين المعتدل والدبلوماسي والثائر والصابر

عمان - الاردن - ٢٣/١/١٩٨٠ - ١٣/١/١٩٨١

مع الحسين...
الهاشمي - الأردني - الفلسطيني - العربي!
.. وكذلك مع الحسين المعتدل والدبلوماسي والثائر والصابر

لماذا وقف الملك حسين مع العراق ضد ايران؟

وماذا كان رأي ملك الأردن في الرئيس كارتر، وفي جهود السلام، وفي غزو السوفيت لافغانستان، وفي مستقبل ايران، وفي مصير القدس. ؟! ماذا؟ ماذا؟

كان تاريخ هذا الحديث مع الملك الأردني يعود الى ٢٣ يناير - كانون ثاني - من عام ١٩٨٠. !

وكان اللقاء في لندن. . وفي قصر الملك. . بضاحية «كنزنجتون بلاس جاردن» المجاورة لقصر الأميرة مارجريت ولسائر دور السفارات الكبرى في العاصمة البريطانية.

★★★

قال لي الملك حسين ملك الاردن في اليوم الأول من وصوله الى العاصمة البريطانية وهو يروي لي في منزله اسرار الموقف العربي من بدايته:

● قبل ان نلتقي في مؤتمر قمة بغداد كان هناك شعور عند الكثير من القادة العرب بأن الموقف العربي تجاه الصراع الاسرائيلي قد دخل مرحلة جديدة وفاصلة. كما كان شعور البعض ممزوجاً بالقلق خوفا من ان لا يسفر الاجتماع عن الاتفاق المطلوب تجاه الاخطار المحيطة بنا بعد كارثة كامب دايفيد. ولقد صارحني بعض الاخوة قبيل الاجتماع بمخاوفهم من ان يؤدي الخلاف بالمؤتمر الى تصدع العالم العربي وانقساماته بسبب تضارب الاراء واختلاف المواقف. ولكن، ولله الحمد، فقد كان اللقاء في بغداد نقطة انطلاق جديدة في عمر العمل السياسي العربي. وشعرت شخصيا بالسعادة الحقيقية للنجاح الذي حققناه هناك. . .

قلت للملك: ثم جاء يا صاحب الجلالة مؤتمر تونس؟

● قال الملك: ونحمد الله كذلك أنه كان رغم الظروف التي احاطت به، مؤتمرا ناجحا وايجابيا.

قلت: ولكن هناك من بين القادة العرب من يتردد قليلا في اضفاء صفة النجاح التام على مؤتمر تونس المذكور.

● قال الملك وهو يحاول ان يحتفظ عني ببعض اوراقه:

ـ من شروط نجاح عملنا السياسي ان نبقى متفائلين. أنا اعتقد ان مؤتمر تونس قد حقق الكثير من النجاح رغم الظروف التي أشرت إليها أمامك. فقد وقع خلال انعقاد المؤتمر حادث مكة، كما كان على المؤتمر المذكور ان يعالج الكثير والمستعجل من جوانب المشكلة اللبنانية الأمر الذي استنفد الكثير من الوقت والأكثر من الأعصاب.

ثم سكت الملك ليقول بعدها:

● والمؤتمر القادم سيعقد باذن الله قريبا في الأردن.

قلت للملك: وهل هناك ما يدعو الى عقد المؤتمر الثالث للقمة؟

● قال الملك: بل هناك من القضايا العربية والدولية ما يستدعي بقاء مثل هذه المؤتمرات في حالة انعقاد مستمر الا توافقني؟

قلت: ولو انعقد هذا المؤتمر غدا فما هي القضية التي تختارها لتكون على رأس جدول أعماله؟

● اجاب الملك: لا أعرف قضية داخلية او خارجية تتقدم في أهميتها على قضية الاحتلال الاسرائيلي ومصير بيت المقدس. أنا عربي مسلم، أعيش قضاياي وأحلم بها وأرافق ساعاتها وايامها، وليس من حقي ان أفضل أية قضية عربية او عالمية على قضية بلدي وديني. ومع ذلك، فانا حريص أيضا على ان لاينتقل هذا الصراع المخيف الذي نشهده اليوم في مختلف اطراف العالم الى منطقتنا العربية. لا نريد ان تتحول بلادنا الى ميادين حرب معنويا ولا ماديا! ولا نريد ان تتحول شعوبينا الى وقود لتلك الحرب، لا بالمعنى الحرفي ولا بالمعنى المجازي. لا بالنسبة لأمتنا انني اشعر بالكثير من الأمل ان نتمكن في الاجتماع القادم للقمة العربية في الاردن، من ارساء القواعد الاساسية الثابتة بالنسبة لأمور ثلاثة:

ـ اولا ـ تنظيم وتنسيق الاجتماعات واللقاءات بين القادة العرب تجاه ما يطرأ من أحداث في المستقبل.

ثانيا ـ اعداد المعلومات الكاملة عن كل قضايا المنطقة وتطورها بحيث تكون مثل هذه المعلومات متوفرة بنفس الكمية عند الجميع.

ثالثا ـ الاتفاق على اسلوب متابعة القرارات من أجل تنفيذها بصورة اكثر فاعلية واكثر استعجالا بمجرد انتهاء جلسات المؤتمر.

قلت للملك حسين: هل تسمح لي بالعودة الى موضوع مؤتمر تونس؟

ولم ينتظر الملك حسين سؤالي اذ سمعته يقول لي:

● لا اخفي عنك انني كنت اطمع في ان تكون نتائج مؤتمر تونس اكثر واخطر مما صدر عنه وان يحقق اكثر مما حقق. كنت امل من المؤتمر ان يمكننا من بحث ومناقشة كل ما جرى من احداث بعد مؤامرة بغداد وقبل انعقاد مؤتمر تونس المذكور، وان نجد فيه الفرصة المناسبة «عالميا

ومحليا، لكي نقول كلمتنا للعالم.

سألت الملك: عن ماذا؟.

● اجاب الملك: كان احساسي وقت انعقاد مؤتمر تونس ان العالم كان مستعدا تماما ومهيئا نفسيا لكي يسمع منا كلمتنا المتفق عليها حول موقفنا من قضية الشرق الاوسط وان يتجاوب معنا حولها. انا اؤكد لك ان لدينا الكثير من الأنصار الكبار في هذا العالم. هناك كتلة عدم الانحياز من جهة وقد كان وصولنا لتونس عندما عدنا مباشرة بالطائرات من مؤتمر عدم الانحياز في كوبا مما يعني ان الصورة أمامنا كانت واضحة تماما عما دار في ذلك المؤتمر وعن عدد أصدقائنا وموقف كل واحد منهم تجاهنا، ثم هناك الكتلة الشرقية، والصين، واليابان، ومعظم دول اوروبا الغربية وفي مقدمتها بريطانيا. كلها «حسب معلوماتنا» كانت على اتصال بنا وتنتظر قرارنا وموقفنا وتتحرق لبدء الحوار معنا ومقتنعة لفتح صفحة جديدة وعمل شيء جديد معنا تم البدء بنقاش جدي لا ينحصر في كلامه ولا في مفهومه ضمن قرار ٢٤٢ الذي اغفل الحقوق الفلسطينية ولا في قرارات كامب ديفيد التي تحولت في نهايتها الى ما يشبه الصلح المنفرد، وانما يتجاوز ذلك كله الى مناقشة صميم القضية ذاتها وسد المآخذ التي تجاهلتها القرارات السابقة.

كانوا كلهم يسألوننا دائماً وباستمرار عن ماذا نريد وبالتحديد؟!

قلت للملك: ماذا سألوا وبماذا أجبتم؟.

● قال لي الملك: كانوا يطرحون علينا سؤالا واحدا وما زالوا حتى الآن يطرحونه وهو بالاختصار: ما هو الموقف العربي بالضبط؟. وكنت انا شخصيا أطمع في ان اجد في مؤتمر تونس مجالا يمكنني من الخروج بجواب عن هذا السؤال. كنت اريد ان نصل في مناقشات المؤتمر الى قرار اجماعي شامل لا يخص دولة بمفردها ولا يعبر عن وجهة نظر زعيم عربي معين وانما يخص الجميع ويعبر عن رأي الجميع. هل تفهمني؟ كنت أطمع في بلورة موقف عربي واحد يحمل كل وزن العرب وكل ثقلهم وقيمهم وامكانياتهم المادية والسياسية ويكون المنطلق الى البدء في المزيد من الاتصالات وربما ننقل القضية بموجبه من جديد مرة اخرى الى العالم والى الأمم المتحدة او الى مجلس الأمن أيضا. طبعا كانت هناك اتجاهات متباينة في المؤتمر ولكنني شعرت باننا لو استطعنا ان نأخذ من جديد بزمام المبادرة بأيدينا وان نضع ما اتفقنا عليه في السابق او في الحاضر امام العالم كقرار جماعي او مطلب عام لأثبتنا اولا ان لست القضية وحدها هي قضيتنا. ولأثبتنا كذلك أننا لا نقبل الوصاية علينا او الاجتهاد السياسي من طرف على حساب حقوقنا..»

قلت للملك: وهل كانت الولايات المتحدة ستقبل النظر في مثل هذا القرار لو تقدمنا به اليها؟

● أجاب الملك حسين: بكل تأكيد انها كانت مستعدة لذلك. وهي مازالت مستعدة لذلك إنها بانتظار ان نعيد الحوار معها لأنها ـ أي الولايات المتحدة الامريكية ـ تشعر تماما بأن اسلوبها الذي اتبعته في محاولة الوصول الى حل مشكلة الشرق الاوسط لم يصل بها ولا بالقضية إلى شيء وانما سبب في تعقيد الأمور، لذا فأنها ـ أي اميركا ـ تعتقد بانها لو تسلمت منا شيئا جديدا ينطوي على اي موقف محدد او حل واضح المعالم للقضايا المعلقة لكان في ذلك لا خدمة لنا وحسب، ولا لها، وانما للقضية وللسلام بأسره في المنطقة. حيث يعطى الجميع الفرصة لاعادة النظر في المواقف السياسية المختلفة وتقييمها، ثم الدخول الى ابواب الحل بأساليب جديدة ومفهوم جديد ايضا. . .»

قلت للملك حسين: أنا لا أسأل جلالتك لماذا لم تتوصلوا حتى الان من أجل تحقيق كل الذي حدثتني عنه. . . وانما أسأل جلالتك لماذا لا تحاولون بذل الجهد من جديد للوصول الى تحقيقه؟

● اجابني الملك: لأن البعض منا ما زال مشغولا بقضاياه الداخلية الخاصة. ولان البعض الأخر يعتقد بأن الوقت غير مناسب لاتخاذ الموقف المحدد ثم اعلانه على العالم. وفي الحالتين فان الخاسر يا أخي هي القضية العربية الكبرى.

قلت: أنا أشعر في كلام جلالتك مسحة الألم!؟.

● أجابني الملك: نحن ماضون على الطريق ولعلنا في المستقبل نستطيع ان نعطي كل موضوع من المواضيع القائمة المزيد من الوقت الذي تستحقه بما في ذلك قضية لبنان وبما في ذلك جوهر القضية الكبرى.

قلت للملك: ثم ماذا؟.

● قال الملك: ثم اتفقنا بعد المؤتمر ان يقوم وزراء الخارجية العرب بجولات على عواصم العالم وان يشرحوا وجهات نظرنا الى المسؤولين فيها وان يقدموا لنا تقارير بنتائج جولاتهم لمناقشتها في اجتماع القمة القادم بعمان. . .

قلت: وما هو تصورك الشخصي للحل المطلوب والمعقول مع كل هذه التفاعلات والأزمات؟.

صمت الملك حسين وهو يبحث عن سيجارة بين علب السجائر المنتشرة على الموائد، ولما وجدها راح يداعبها بين انامله لكي لا يشعلها، وقال لي:

● أي حل لايتضمن الانسحاب وعودة القدس والتسليم بالحقوق الفلسطينية هو حل غير مقبول. قلنا ذلك بالأمس. ونقوله اليوم. وسنقوله غداً!.

قلت: وإلا؟

● قال الملك: نستمر في العمل في هذا الاتجاه ونحو هذا الهدف ولا نيأس ولا نتعب ولا

نستسلم.

قلت: ولكن عدونا قد نجح في ان يعزل مصر عنا بمساعدة امريكا.

● قال الملك: هم لم يعزلوها عنا وحسب، بل انهم احالوها من شقيق كبير لنا الى حليف للعدو علينا!

قلت: هل اطمع ان اعود بك الى مؤتمر تونس لحظة واحدة اسألك فيها مرة اخرى عن اهم قرار صدر عنه؟

● أجاب الملك: لعل انطلاق قضية لبنان في أرجاء المؤتمر، واستطاعة الوفد اللبناني في أن يفرض المأساة على رأس المناقشات والفوز بالعون والاهتمام العربيين كان في نظري أهم ما جرى في المؤتمر المذكور.

قلت: وهل كانت القرارات بمستوى المأساة اللبنانية؟.

● اجاب الملك: لا! لقد كنت اطمع بالأحسن. وبالأكثر. وبالاقوى. مع المزيد من التركيز والمزيد من التفهم للخطر الذي تنطوي عليه مثل هذه القضية اللبنانية. مع المزيد ـ اولا وآخراً ـ في ادراك مدى استفادة العدو من اخطائنا على الساحة اللبنانية. ان العبث غير المسؤول في المنطقة إنما يعطي اسرائيل دائماً زمام التحرك والمبادرة والاعتداء علينا!

قلت: وعلى النطاق الأوسع، ماذا تقول يا صاحب الجلالة؟

● اجاب ملك الاردن: الذي سبق لي ولا حظته في مؤتمر عدم الانحياز في كوبا وفي مختلف زياراتي للعواصم الاجنبية، ان العالم الذي يعاني من ازماته المالية والاقتصادية والاجتماعية، ويشكو من اسعار البترول والتضخم والبطالة، انما يضع اللوم في كل ذلك علينا وحدنا نحن العرب. فالعربي هو وحده المسؤول «عن فقر العالم. وعن بطالة العالم وعن تضخم الحياة المالية في العالم. ولا احد يتحدث عن شركات البترول او عن السوق الصناعية او عن ارتفاع اسعار المواد المصنعة. لا احد يستثمر الدول العربية في منظمة الاوبيك. ولا احد يتهم الدول او الحكومات او شركات البترول التي تجني الارباح الهائلة من التلاعب بالاسعار. وانما الجميع يلومون العرب والجميع يهددون العرب ثم الجميع يعلنون عداءهم للعرب. هناك دول اخرى غير الدول العربية تنتج البترول في افريقيا وفي امريكا اللاتينية ولكن لا يأتي على ذكرها او لومها احد، هذا شيء يدعو للالم حقا وللاسف حقا لان مثل هذا الشعور عند العالم يعني ان يتجاهل هذا العالم مشاكلنا، ويصم اذنيه عن شكاوينا، ولايتفهم خطورة الازمات والصعاب التي نيحاها. اكثر دول العالم لايعرفون ما نعانيه نحن في الاردن من ازمات وقضايا حول اللاجئين وغير اللاجئين. ولعل هذا ما دفعني للتحرك المستمر السريع مع اخواني قادة العرب ومع اصدقائي وممن اعرف من قادة دول الغرب من اجل الوصول مع القريب ومع الغريب ايضا للحقيقة المطلقة.

قلت للملك حسين: أرجو ان نصل الى الصورة الاوسع. ماذا تقول عنها يا جلالة الملك؟

● واجابني الملك حسين:

ـ في الصورة الاوسع لهذا العالم هناك مثلا التقارب الامريكي الصيني. وهناك التحركات الجارية في المنطقة. وعلى سبيل المثال وصول الحزب الشيوعي منذ اكثر من عامين الى الحكم في افغانستان. وقد يكون هناك بعض «الدول الكبرى» في العالم ـ ولا لزوم للشرح وذكر الاسماء ـ وقد شعرت بأن تحريك العالم الاسلامي او دفعه للانتفاض والثورة قد يجعل هذا التحرك ينتقل الى افغانستان وربما يتجاوزها الى بعض المناطق الواقعة خلف الستار الحديدي... اي الى الاقلية الاسلامية في الاتحاد السوفييتي.

ويبدو ان الاتحاد السوفييتي قد ادرك اللعبة جيدا فتحرك سريعا، هو اولا الى افغانستان، فكانت النتيجة مع الاسف ما نراه اليوم: دم في ايران واحتلال في افغانستان! ثمَ ان هناك الوضع الحالي في ايران وبلغة الدبلوماسيين هو وضع تنقصه عناصر الاستقرار في الحاضر كما تنقصه عناصر الاستمرار في المستقبل. ثم هناك باكستان وما تواجهه من اخطار. ثم مجيء انديرا غاندي واثره على مستقبل سياسة الهند تجاه الصراع بين العملاقين. كل ذلك ـ يا اخي ـ له اثره حاضرا ومستقبلا على منطقتنا وعلى حياتنا وعلى قضايانا..!

قلت للملك حسين وانا اسأله المضي في حديثه الذكي:

ـ اكمل يا جلالة الملك...

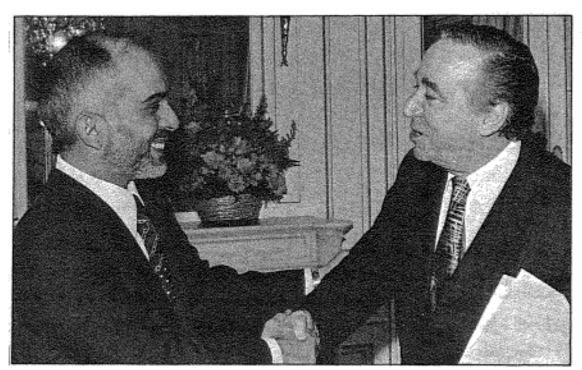
● وقال الملك وكأنه لم يسمع كلامي:

يضاف الى ذلك ان تكهنات الماضي عن حاجة الاتحاد السوفييتي للبترول في مطلع الثمانينات قد تحولت اليوم الى حقيقة واقعة، إذ اصبح معروفا ان بين عام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٥ سيضطر الاتحاد السوفييتي الى ان يمد يده للاستعانة بالبترول الخارجي لسد ما ينقصه مَن وقود وطاقة فهل تقدر لن تتصور ما الذي ستكون عليه الحالة الدولية بعد عامين او ثلاثة من اضطراب وقلاقل وازمات وصراع حاد عندما يبدأ السوفييت في التطلع الحديث الجدي الى بترول ما وراء الحدود؟

واذا كان العالم الحاضر قد دخل فعلا مرحلة الحرب الباردة بكل الاضطرابات والازمات الشديدة ومنذ هذا اليوم وقبل حاجة السوفييت الى بترولنا..، فكيف ستكون الحالة اذن، بعد عامين، عندما يبدأ الصراع الحقيقي على البترول، وعندما تدق ساعة بدء السوفييت في الرد العملي على التقارب الامريكي الصيني اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ايضا؟

سألت الملك: وماذا علينا ان نفعل؟

● اجاب الملك حسين علينا ان نفتح عيوننا جيدا بحيث يكون عندنا ما يكفي من بعد النظر لكي تبقى علاقاتنا مع الجميع حسنة على اسس سليمة صريحة وواضحة وان نحافظ معها على



«و حشتنا ياسيدي.. وحشتنا» هكذا استقبلني الملك حسين في قصره بالعاصمة الاردنية

شخصيتنا المستقلة كما نتمناها، وان نتفحص مشاكلنا بعمق في كل بلد اسلامي وكل بلد عربي. ثم ان نتعاون فيما بيننا لتحقيق مصلحتنا قبل كل شيء وفوق كل شيء. وان نقول للعالم كلمتنا الواحدة الوحيدة الصريحة التي طالما قلناها له من قبل ولكن ظروف العالم يومذاك لم تكن لتسمح بأن يسمعنا...

قلت للملك: وما هي تلك الكلمة الواحدة الوحيدة التي تريد جلالتك ان تقولها للعالم؟

● اجاب الملك: لعلني لست بحاجة لان اعلنها من جديد انها التي تقول لكل من يريد ان يسمع ولكل من يريد ان يفهم وبالفم المليان ان سر كل ما ترونه من اضطراب في العالم العربي وكل ما ترونه امامكم من غليان في العالم الاسلامي انما سببه اولا وآخرا القضية الفلسطينية..!

ثم استطرد الملك بعد ان استرد النفس:

● اجل اقول القضية الفلسطينية. واقول الحق العربي في فلسطين. وبدون ذلك لا استقرار ولا حل. فلسطين والقدس. وبدون ذلك لا سلام ولا امان. المسجد الاقصى. وحقوق التاريخ والحاضر والغد. وبدون ذلك لا هدوء ولا تعاون ولا تحالف ولا امن ولا مساهمة مع احد للوصول الى اي استقرار في هذه المنطقة الشاسعة الحساسة!

قلت: وهل سبق لك وقلت هذا الكلام لمن يهمه الامر؟

● اجاب الملك: قلته بالامس وساقوله غدا وسابقى اردده حتى يقضي الله امرا كان مفعولا.

قلت للملك حسين: وفي ما عدا ذلك يا جلالة الملك؟

● اجابني الملك: لا شيء. في ما عدا ذلك نحن مع اخواننا احرار العرب وقادتهم سائرون ضمن المجموعة العربية. نحاول ان نقف جميعا بيد واحدة وبقلب واحد مع السعودية ودول الخليج والعراق وسوريا ومع الاخوة الاشقاء في منظمة التحرير الفلسطينية.

قلت للملك حسين:

ـ انت ملك مسلم، وهاشمي عربي. فما رأيك في احداث افغانستان الاسلامية وغزوها من دولة كبرى؟

● اجاب الملك بعد تفكير قصير:

ـ انني حيال ما جرى ويجري في افغانستان ألتزم طريقا متساويا متوازيا واضحا! فمن جهة.. اشعر بقلبي يقطر دما لما يتعرض له اخواننا المسلمون هناك من غزو ومعاناة واذى. ولكن من جهة اخرى ان قلبي يقطر اكثر دما واكثر لوعة على ما يتعرض له اخواننا المسلمون والعرب في الارض المحتلة الغالية من غزو ومعاناة واذى وشرور على يد اسرائيل. إن رؤيتي لجهة واحدة لاتحجب عني رؤية الجهة الاخرى. واهمامي بالناحية الواحدة لايمنعني مطلقا من الاهتمام بالناحية الاخرى. كذلك، لايمكنني ان اسير في هذا العالم مع تلك الجهات المعروفة التي تريد بغباء وشراسة ان تحرك العواطف الاسلامية ضد ما يجري في افغانستان دون اية مراعاة ولا مشاركة ولا احساس ولا تفهم حقيقي ولا استنكار صادق لما جرى وما زال يجري في الضفة الغربية وفي بيت المقدس من عدوان صريح شرس على اهلي واخوتي المسلمين والعرب هناك. هؤلاء احب ان اذكرهم بالقدس وبفلسطين، لا على سبيل التذكير فحسب، ولكن لكي اقول لهم ان القدس وفلسطين شيء مهم جدا بالنسبة للمسلمين وللعرب. تماماً، إن لك يكن اكثر، من اهتمام العرب والمسلمين بقضية افغانستان...

قلت للملك حسين: وما هو موقفك من المؤتمر الاسلامي القادم في اسلام آباد؟

● اجاب جلالة ملك الاردن:

ـ هذا هو موقفنا وسنشترك حتما في مؤتمر اسلام آباد. وسنعلن هذا الموقف هناك.. وسنقول للجميع اذا اردتم منا معالجة قضايا الغزو السوفييتي لافغانستان، فتفضلوا معنا لكي نتعاون ونعالج قضايا الغزو الصهيوني لبيت المقدس. هناك دم وهنا دم. هناك سلاح وهنا سلاح. هناك عدوان واغتصاب وقهر وهنا عدوان واعتصاب وقهر.

هذا هو موقفنا قبل ان نذهب للمؤتمر. وهذا هو موقفنا في المؤتمر. وهذا هو موقفنا بعد ان نعود من المؤتمر.

قلت للحسين:

ـ وهل لموقفك المذكور علاقة برحتلك الاخيرة الى السعودية ودول الخليج؟

● اجاب ملك الاردن:

ـ اردت في الواقع ان اتصل باشقائي هناك وان اقف على آرائهم واوضاعهم حيال التطورات الأخيرة التي اصبحت معها الاخبار تحيط بنا من كل جانب. . . اردت ان ادرس معهم امكانيات التنسيق والتعاون لمواجهة الموقف بما يتطلبه من معرفة واتساع افق واستعداد نفس. انني آمل بصدق ان تصل قرارات الاخوة هناك الى المستوى الخطير الذي تسير معه الاحداث من حولنا. انني مشفق على انفسنا من خطورة هذه الاوضاع التي تواجهنا لاول مرة بمثل هذه الشراسة. . .

قلت للملك:

ـ وهل اتفقتم على الخطوط الرئيسية التي يجب ان يسير عليها مؤتمر اسلام آباد القادم؟

● اجاب الملك: ارجو ذلك. فالاخوة كلهم قلقون للاوضاع الدولية مؤمنون بأهمية دورهم تجاه هذه الاوضاع مصممون على معالجتها بروح العروبة والاسلام.

قلت: وهل وصولكم اليوم الى لندن بمثابة تتمة لجولتكم في الخليج؟

● اجاب الملك: لا! انما جئت لكي ارافق ابنتي «هيا» في علاج عابر لها هنا وان اكون معها كأب وهي تخضع لعملية جراحية بسيطة باذن الله. .

وقلت: وهل ستمر اقامتكم بلا مقابلات رسمية؟

● اجاب الملك: بل ستأتي المقابلات الرسمية في بعض ايامها. سأقابل المسؤولين وسأنقل اليهم ما اراه من حلول لمشاكلنا وسأستمع الى ما عندهم من اراء ومواقف. وهناك رئيسة الوزراء ووزير الخارجية ولي مع كل منهما موعد وحديث خلال اليومين القادمين. . .

قلت: فقط؟

● قال الملك: سمعت ايضا ان مندوب الرئيس كارتر لدى ما تسمى بمفاوضات الحكم الذاتي، واعني ذلك صول لينوفيتش، سيأتي الى لندن لمقابلتي ولا اجد مانعا من الالتقاء به لكي اسمع منه ما عنده من جديد. .

قلت: هل افهم منكم ان هناك اي جديد او تغيير قد طرأ عى موقف الاردن من الاحداث عامة ومن كامب ديفيد خاصة؟

● اجاب الحسين بلا تحفظ ولا تردد:

ـ مطلقا! لا تغيير ولا تبديل! موقفنا الحالي هو موقفنا الاصلي في قمة بغداد بلا زيادة ولا نقصان. وهو ايضا موقفنا الواضح الذي عدنا واعلناه والتزمنا به في قمة تونس!!

قلت للملك وانا اعود به الى حديث امريكا:

ـ الى اين وصل الضغط الامريكي الرسمي على جلالتكم وعلى الاردن بهدف ارغامكم على الالتحاق السريع بركب كامب ديفيد؟

● اجاب الملك حسين: .

ـ اسمع مني بصراحة. لقد شعر الجماعة هناك ان محاولاتهم معي لم تسفر عن اية نتيجة فتوقفوا عن المحاولات. ولكنهم من حين لاخر يجرون بعض التبديلات في مناصبهم الخارجية بحيث يخرج وزير او ينضم سفير، فأسمع باسماء جديدة للرجال الجدد قد جاؤوا يطلبون مقابلتي في عمان بحجة التعرف على ارائي وتقديم انفسهم لي، فلا أملك الا ان اقول لهم: (تفضلوا اهلا وسهلا) فيأتون واكرر على مسامعهم نفس الموقف ونفس الكلام. سأقول للمستر صول لينوفيتش نفس ما سبق وقلته من قبل لكارتر وفانس وبريجينسكي ولسلفه المستر روبرت شتراوس ايضا!

قلت لجلالة ملك الاردن:

ـ أريد ان أفتح أمامك حساب الارباح والخسائر وأن أسألك عن الأبواب التي تدعو الى التفاؤل والأبواب التي تدعو الى التشاؤم في الموقف العربي الحاضر؟.

● أجاب الملك: إنني أرى التفاؤل في ازدياد واقتراب الخطر المحيط بنا. أي انني أرى الخير في اقتراب هذا الشر منا قد يبدو ذلك غريباً، أليس كذلك؟ ولكني أرى أن اقتراب هذا الشر منا، قد يدفعنا الى أن نستيقظ ونصحو ونعرف أين نحن فنتجه الى العمل اللازم. ثم انني أشعر بأن الوعي القومي في هذا الجزء من العالم مازال في ازدياد مضطرد يدعو الى الفرح سواء على مستوى القادة ام على مستوى الشعوب وسواء على المستوى الخاص أم على المستوى العام...

قلت للملك: وماذا ايضا؟.

● اجابني: من ناحية التشاؤم تسألني ام من ناحية التفاؤل؟.

قلت: بل من التشاؤم ياصاحب الجلالة؟.

● قال الملك: تؤلمني جدا نظرة البعض الى الأمور عندنا عندما تكون احيانا نظرة ضيقة محصورة في معالجة المسائل اليومية دون الاهتمام بالقاء نظرة واسعة على دنيا المستقبل بأسره ومحاولة معالجة مشاكله على أساس طويل المدى طويل التخطيط طويل النفس. البعض بأختصار لا يعمل للمستقبل البعيد. نذهب احيانا الى مؤتمر عالمي خارج المنطقة العربية ونقضي في حضور جلساته اسبوعا كاملا، بينما نرفض ان تزيد أيام اجتماعاتنا في مؤتمر القمة العربية مثلا عن ثلاثة أيام فقط لماذا، لا أدري؟ لماذا نستعد للخدمة والتضحية والبذل من أجل قضايا عالمية خارجية ثم نبخل عندما يأتي الدور على القضايا العربية المصيرية المهمة وحدها؟.

قلت للملك وانا أدخل معه في موضوع الاردن الداخلي:

ـ لماذا أجريتم التغيير الوزاري الأخير في الاردن؟.

● اجاب الملك: كان لابد من التغيير تجاوبا مع وجود مشاكل وقضايا داخلية مستعجلة بقصد

التجديد والحاجة الى المزيد من الحماس والمزيد من الشباب والمزيد من العمل الدؤوب المتصل. . . ولا أريد هنا ان أنقص من خدمات الوزارة الماضية التي لاشك وانها قد عملت باخلاص وأمانة وتجرد وقد حاولت قدر استطاعتها ان تخدم ولكنها ـ أي الوزارة الماضية ـ في الفترة الاخيرة قل انتاجها واستبد التعب بها فكان لابد من التجديد حفاظا على استمرار روح الانتاج المتصل. . .

قلت للملك:

ـ وكانت المفاجأة في مجيء سيدة أردنية تتقلد منصب الوزارة لأول مرة فهل كان ذلك من اختياركم الشخصي؟.

● أجاب الملك الحسين:

ـ لقد حان الوقت لمجيء سيدة للوزارة وقد كانت الفكرة مشتركة بيني وبين رئيس الوزراء الحالي. والسيدة المذكورة في نظري سيدة فاضلة وعاملة ومثقفة وقادرة ان تحقق أملنا وآمال البلد فيها. .

قلت للملك حسين ونحن نعود للسياسة الخارجية:

ـ انني اشعر وكأن لدى جلالتكم كلمة تودون الادلاء بها عن الحالة الصحية الخطيرة لصديقكم الرئيس اليوغسلافي تيتو. . ؟

● واجاب الحسين:

ـ هذه محنة ومشكلة خطيرة. ولست وحدي الذي أشعر بذلك فأنها مشكلة تيتو ومشكلة بلده يوغسلافيا أيضا!

قلت للملك: هل تعني بالنسبة للخطر السوفيتي على يوغسلافيا من بعد تيتو؟

● اجاب ملك الاردن:

ـ لا اعتقد بوجود خطر سوفيتي سريع اي على المدى القريب بالنسبة ليوغسلافيا اذا ما توفى الرئيس. ولكن يجب ان نأخذ بالاعتبار ان تيتو شخصيا هو سر بقاء تضامن القوميات المتباينة في اسرة يوغسلافيا. وتيتو شخصيا هو سر الازدهار النسبي للاقتصاد اليوغسلافي. وتيتو شخصيا هو وحده اقوى من أقوى جيش عسكري يحمي حدود يوغسلافيا. وكل ذلك قد يصبح في عالم المجهول. من يدري. . . ؟

ورفع ملك الاردن يده في الهواء متسائلا في هدوء. . .

● ثم اكمل: لا داعي للتشاؤم على المدى القريب ولكن المشكلة في يوغسلافيا تبقى قائمة على المدى البعيد. . !

قلت للملك: هل عند جلالتك باقة زهور تبعث بها الى سرير تيتو في صورة كلمات قليلة تفسر رأيك فيه وتعبر عن محبتك له؟

● وضحك الملك حسين وقال: الرئيس تيتو من احب اصدقائي. وطالما اجتمعنا في المؤتمرات الدولية وبهرني باحاديثه ونصائحه وحكمه. وكم اعجبنا بقوة ذاكرته عندما كان يروي لنا على مسامعنا تفاصيل قصص الثورة الشيوعية التي عاصرها في موسكو مع تفاصيل احداث بلاده العسكرية والسياسية خلال وبعد الحرب العالمية الثانية. إنه رجل كبير.. مثقف.. وصاحب مبدأ.. وشجاع... وصديق صدوق للعرب ولقضاياهم!

ثم أكمل الملك: انني بحق أتمنى له الشفاء وأشعر بمدى الخسارة التي ستصيب العالم بفقده لو توفي. سعة اطلاعه، وذكاؤه؛ وحيويته، وحبه للحياة، كلها جعلته انسانا محبا طيبا قريبا الى القلب والى العقل ايضا!.

قلت للملك حسين: هل أقدر ان أسألك ايضا عن الرهائن في سجن ايران؟.

● اجاب ملك الاردن:

- كلي أمل ان يسبغ الله نعمته ورضاه على ايران شعبا وحكومة. وان ينعم عليها بالاستقرار وبالقوة لكي تصمد في وجه الأخطار المحيطة بها. ولكي تبقى دائما الى جانبنا امام اعدائنا واعدائها. كنا في الماضي أصدقاء ايران وسنبقى كذلك لاننا نؤمن وما زلنا بالاخوة الاسلامية وقدرة هذه الاخوة على ضمان التعاون في الماضي القريب بغية دق اسفين بين العرب وايران في الخمسينات وفي الستينات ولا لزوم للشرح ولا للتفكير...

ثم اكمل الملك: ولهذا كانت علاقتنا دائما جيدة مع ايران..

قلت أسأله: ولماذا لم تحاول التوسط بينهم وبين امريكا حول الرهائن؟.

● اجاب الملك: لا. لم أتوسط ولم أشأ ان اتوسط ولا اريد الدخول في مثل هذه الوساطة! ولكني قلق لما وقع هناك. وقلق اكثر لما قد يقع في المستقبل. إن عملية احتجاز الرهائن شيء مرفوض على مستوى القوانين الدولية من جهة وعلى مستوى اخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا الاسلامية من جهة أخرى. هؤلاء الرهائن لهم حرمة. وكنا على يقين من ان مثل هذا العمل سيلحق الاساءة البالغة بايران. وقد لحقت الاساءة فعلا مع الأسف. ويهمنا عندما تكون الراية الاسلامية شعارا لثورة ما، ان لا تتخذ مواقف من شأنها ان تعكس سلبيا على الدين الاسلامي.

ثم سكت الملك لكي يصب له ولي قدح الشاي الخامس وقال لي:

● ولكن هذا كله شيء والوجه الاخر لقطعة النقود كما يقول المثل الانجليزي - شيء آخر ياصديقي...

قلت: وما هو الوجه الاخر يا جلالة الملك؟

اجاب ملك الاردن: في ايران خمسون او اربعون شخصا احتجزوا كرهائن. وهذا عمل كما قلت لانقره ونحذر من نتائجه العكسية. ولكن يجب ان لاننسى ان لنا في القدس وفي

الضفة الغربية وفي قطاع غزة المحتل اكثر من مليون وربع المليون فلسطيني كل واحد منهم بمثابة الرهينة المحتجزة رغم انفها لدى سلطات الاحتلال الصهيوني هناك . . !

● واستطرد الملك قائلا: يصلني الكثير مما يؤلم ويغضب عما يجري في الضفة من انتهاك لكل قانون في العالم. وقد وصلني يوم امس بالذات قبل ان اترك عمان تفاصيل جديدة عن مدينة جديدة تقام بين القدس وأريحا كحلقة اخرى لتطويق القدس بالقلاع والأسوار الى الأبد . . !

قلت للملك: وماذا عن مباحثاتكم مع اخوانكم الفلسطينيين؟ .

● قال الملك: كانت دائما مباحثات صريحة وناجحة ومثمرة. وكان همنا دائما ان يخرج الفلسطينيون من دوامة الصراعات العربية المحلية ويبقوا مع انفسهم مجرد فلسطينيين. اخلاصهم لبلدهم. وحبهم لبلدهم. وولائهم لبلدهم. وقد اشعروني بذلك ففرحت. ان تعاوني معهم حول القضية والدفاع عنها وتنسيق المواقف والخطط مستمر بكل جهد ومحبة . . .

قلت لملك الاردن: وماذا عن ازمة شركة كهرباء القدس الاخيرة التي اثارت كل هذه الضجة ورأيكم فيها يا جلالة الملك؟

● اجاب الملك باختصار: انها مجرد لقطة سريعة ثانوية من شريط سينمائي طويل عريض مليء بالعذاب والقهر والعدوان احتلت فيه المقدسات وانتهكت فيه الحرمات . . .

قلت للملك: بماذا تريد ان تنهي هذا الحديث الصحفي؟

● اجابني الملك ونظراته تراقب عاصفة المطر التي هبت في الخارج في جنون الطبيعة وثوراتها:

ـ هل ترى معي ما يجري في خارج هذه الغرفة؟ هكذا حالنا في الشرق الاوسط حاليا! لقد اوصلتنا احداث ايران وافغانستان الى لحظة «الحقيقة» التي يتوجب علينا فيها ان نصارح العالم بحقيقة قضايانا مطالبين بأن يفهمنا العالم لكي نفهمه وان يساعدنا العالم لكي نساعده . . »

قلت للملك: لقد قرأت هنري كيسنجر امس في جريدة وول ستريت جورنال ينادي بضرورة اقامة حزام امن حقيقي حول بلادنا في الشرق الاوسط لتأمين مصالح امريكا سواء رضينا بذلك ام رفضنا . .

● فقاطعني الملك حسين قبل ان اسأله:

ـ حزام الامن الحقيقي الذي تتمناه امريكا وهنري كيسنجر لن يكون الا بتأمين حقوق اهل المنطقة وتحقيق السلام العادل والشامل لهم. اننا نقول لهم ان هذه الهجمة السوفييتية القائمة لن تهدد العرب وحدهم بقدر ما تهدد الاقتصاد الغربي والمال الرأسمالي الذي نحن مجرد طرف ثانوي فيه واقل الناس انتفاعا منه. فاذا اردتم رد الهجمة السوفييتية فأبدأوا اولا برد الهجمة الصهيونية التي سبقتها شراسة وتحديا. وقبل ان نطالب بانسحاب القوات الاجنبية من افغانستان ـ وهذا حق معقول منطقي ـ علينا ان نرى القوات الاجنبية قد

خرجت من جنوب لبنان وانسحبت من القدس ومن غزة ومن الضفة الغربية. العدالة لاتقبل وجهين. والحق لايعيش بميزانين. . .

وسكت الملك حسين بينما العاصفة في الخارج قد غمرت الشارع بالمياه وراحت الريح العاصفة تهز الاشجار الصغيرة بعنف وقوة. . فسألني الملك:

● هل ترى امامك ماذا يجري؟

وعندما هززت رأسي علامة الايجاب، قال الملك في الم وقلق:

● هكذا نحن. . وهكذا حالنا في الشرق الاوسط في هذه الايام؟

● وانتهى الحديث. . .

★★★

وبعد عام كامل اي في يناير من عام ١٩٨١ عدت وقابلت الحسين للمرة الثانية

تحدث لي الملك الحسين فكان الحديث دقيقا وشاملا وكانت كلمته تجسيداً لمواقف الاردن من مجمل القضايا التي تمر بها الامة العربية والخلافات التي تعصف بوحدتها وتهدد مصيرها في الشهر الأول من عام ١٩٨١!

جاء الحديث مهما ليس فقط لان الحسين واحد من قادة هذه الامة الذين عايشوا محنتها وشهدوا بالاسى تسلل الخنجر الصهيوني الى قلبها. . وليس فقط لان الاردن يتصدر، بموقعه وقدره عدوان اسرائيل ومخططاتها التوسعية. . بل ايضا لان آخر رياح العلاقات العربية ـ العربية عصفت لتوها ببوابته الشمالية وهزت مكامن الثقة التي يتعامل بها مع الاخرين. .

تحدث الملك حسين عن جولة كيسنجر فقال:

لقد رفضت استقباله لاننا ما زلنا نعاني من اثار ويلات كيسنجر ومن اخطائه التي اعترف هو بانه ارتكبها بحقنا، ولأنه يريد اقناع الادارة الاميركية الجديدة بأن أبواب الشرق الاوسط ما زالت مفتوحة امامه وان مصير المنطقة رهن يديه وانه قادر على التأثير في مجريات الامور كما يشتهي ويقرر.

وتحدث الحسين عن الحرب العراقية الايرانية فأكد من جديد:

ان الاردن يقف الى جانب العراق بكل امكانياته تأييدا من الاردن للحق العربي بدافع الاخوة العربية وبدافع الاخلاص للتاريخ العربي المعاصر وهذا واجب الاردن تجاه العراق والامة العربية.

● وعن الخلاف مع سوريا قال لي الحسين:

ـ لقد كنت اشعر بالالم وأنا اسحب جيوشي من الخط الطويل في العقبة حيث تتحدث اسرائيل عن ضربة للعقبة التي ترى فيها شريان حياة العراق في الحرب ضد ايران وان انقلها الى الشمال لمواجهة جيش عربي شقيق.

وقال الحسين: ان الحشود الاخيرة قد فتحت عيوننا على احتمال اخطار مؤسفة اخرى قد تهددنا ليس من اسرائيل وحدها بل من غير اسرائيل ايضا ومع الاسف الشديد.

واكد الحسين في حديثه الشامل ان منظمة التحرير هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني وكرر مساندته غير المحدودة للشعب الفلسطيني، وقال: «انا ملتزم بموقفي منذ مؤتمر قمة الرباط ولن اغير هذا الموقف او أبدله». وقال: «انا مع القضية الفلسطينية بدمي وامكانياتي وجيشي وشعبي وبلدي ادعمها على الدوام، وانصرها حتى اخر قطرة في دمي وفي كل الظروف وتحت كل الاحوال».

قال الملك حسين بن طلال ملك الاردن في معرض حديثه معي عن حرب الخليج:

«انا لا أسميها الحرب العراقية ـ الايرانية.. أنا أسميها الحرب العربية ـ الايرانية لانها تتعلق بكل الامة العربية وبالمصير العربي بأسره..»

قلت لجلالته: ولكن البعض قد لا يتفق مع جلالتك على هذا الكلام أليس كذلك؟

قال الملك: دعني أضع أمامك معالم الصورة الواقعة لهذا الموضوع الخطير ثم لك بعد ذلك ان تسألني كما تشاء..

وراح الملك حسين يتكلم فقال:

«كنت دائما الاحظ ان هناك من يخطط في الاونة الاخيرة من أجل تحطيم كل ما يجمع بين امة العرب من روابط وينسف كل القناعات وكل الاسس التي قامت عليها امتنا العربية.. كانت اتفاقية كامب ديفيد مجرد حلقة واحدة عابرة من هذه السلسلة الاجرامية التآمرية ضد الترابط العربي، ومجرد خطوة من حملة الممارسات العدائية ضدنا حيث تحول الشقيق الى حليف للعدو.. ثم جاءت الحرب العربية ضد ايران ورأينا تباينا مؤسفا في الموقف العربي العام تجاه هذه الحرب حيث عز علينا ان يكون هناك بين العرب من لم يقدر أبعاد هذه الحرب ولم يدرك خطورتها وخاصة ان يأتي ذلك عقب ما جرى على الساحة اللبنانية من تمزيق لوحدة لبنان واثارة النعرات الطائفية والمذهبية هناك وما سبق ذلك كله من احداث مؤسفة على الساحة الاردنية في أول السبعينات. كل ذلك كانت بوادر شر تهدد الشخصية العربية في حاضرها وفي مستقبلها الى جانب وجود أقنعة مزيفة كانت تحاول ان تخفي شرور هذه النذر مع محاولة دق اسفين في عالمنا العربي يهدف الى اثارة المذاهب الاسلامية ضد بعضها وتأليب السني على الشيعي واستعداء الشيعي على السني مع تصميم مشبوه لدى بعض الجهات يهدف الى تجاهل الحق التاريخي العربي لبلد عربي شقيق في مياه وأراض عربية وجزر عربية محتلة، والاستسلام أمام تيارات ايرانية تريد ان تنتشر وتهيمن وتسيطر.. وعندما وقعت المعركة كان لا بد من تأييدنا للعراق لان ذلك يعني منا تأييد الحق العربي بدافع الاخوة العربية وبدافع الوفاء الانساني وبدافع الاخلاص للتاريخ العربي المعاصر الذي يؤكد بان العراق لم يتردد يوما

في اداء واجبه تجاه القضايا العربية سواء في سوريا أم في الاردن ام في فلسطين وعلى كافة المستويات وبلا أية منة او تجمل . . ان للعراق الشقيق مقبرة لشهدائه في مدينة جنين بفلسطين وللعراق شهداء في الجولان وللعراق شهداء في الاردن فكيف يكون للاردن من موقف تجاه هذه الحرب الا بتأييد العراق؟». .

ثم قال لي الملك حسين:

● وماذا يقول عنا المواطن العراقي او الجندي العراقي، الذي لم يتردد اي منهما بالامس في تأييد كل حق عربي والمشاركة في كل معركة عربية عندما يقف بعض اخوانهم العرب اليوم موقف العداء، أو موقف الحياد واللامبالاة تجاه حربهم ضد ايران؟ وكيف نميز نحن بين حق عربي مغتصب ضائع لنا هنا في الغرب وحق عربي مغتصب لنا هناك في الشرق؟ ما هو الفرق بين الوضعين وبين الاغتصاب التام في الحالتين؟ اليس الحق العربي واحدا؟ اليس الاغتصاب في جميع الحالات هو الاغتصاب في جميع الحالات؟ موقفنا بالتالي هو الموقف الطبيعي تجاه اخواننا واشقائنا في العراق الى ان يتحقق لهم ولنا النصر التام، كل النصر التام، وليس النصر بمعناه العسكري المحدود بل النصر في استعادة ثقتنا بأنفسنا وبقدرتنا على الصمود وعلى الاحتمال على القتال وعلى تحقيق مثل هذا النصر. انني اؤكد لك بانني لم اسعد يوما بنوم هادىء عميق ولم اتمتع يوما براحة نفسية صادقة كما سعدت وتمتعت خلال اليومين اللذين قضيتهما في بغداد خلال الايام الاولى للحرب. كنت قبل ذهابي الى هناك قلقا مضطربا ولكني عندما رأيت الشعب العراقي يقف وراء جيشه والجيش العراقي يقف مع شعبه والجميع يرون الامور بوضوح تام وصدق ونظام وطاعة ووعي غمرتني مشاعر السعادة كلها وايقنت اننا على موعد قريب مع النصر. اني لست ضد ايران. انني فقط مع استعادة حقوق العرب كل حقوق العرب الضائعة لدى ايران ولدى غير ايران. يجب ان تتوقف هذه الحرب وتجري المباحثات ويتم التفاهم على حل كافة المشاكل لا بين العراق وايران فحسب بل بين ايران واجزاء اخرى من الوطن العربي وتقوم بعدها العلاقات على اساس الاحترام المتبادل مع عدم تدخل احد في الشؤون الداخلية للطرف الاخر ويكون ذلك لمصلحة ايران ومصلحة العرب على السواء. . ».

ثم قال لي الملك حسين:

● ولو كانت امتنا العربية متضامنة متفاهمة موحدة في موقفها تجاه هذه الحرب لاستطاعت بذلك ان توقف هذا النزيف المؤسف قبل استفحاله و لأرغمت حكام ايران على الشعور بصلابة الموقف العربي الواحد القوي المتحد. ولكني رغم ذلك اشعر بالتفاؤل بقدرة اخواننا هناك على فرض الوضع القادر على ان يجعل الامور بالنسبة لهم اكثر وضوحا واكثر تفهما

بالنسبة للعقلية الايرانية والاخطار المترتبة على استمرار هذه الحرب المؤسفة . .

★★★

قلت للملك حسين :

● ولكن هل كانت هذه الحرب يا جلالة الملك موفقة في اختيار توقيتها الحالي؟ السنا يا جلالة الملك في حرب دائمة ضد عدو صهيوني لكي نشغل انفسنا بعدو جديد قد يلهينا عن العدو التقليدي؟ الا تكفينا اسرائيل حتى نضم اليها ايران؟

واجابني الملك حسين :

● كان العراق يا أخي وما زال مستعدا لكي يقدم المزيد من التضحيات من أجل كل معركة عربية ومعركة العراق ضد ايران لم تله جيش العراق عن معركته المصيرية ضد اسرائيل والصهيونية . والذين يتهمون اليوم العراق بتحويل المعركة من ميدانها الغربي في فلسطين الى ميدانها الشرقي في شط العرب هم انفسهم ـ واقولها والالم يحز في نفسي ـ الذين ارغموا العراق منذ اسبوعين فقط ان يسحب جيشه وقواته من مواجهة العدو الاسرائيلي في منطقة العقبة بالجنوب الى الجبهة الشمالية ـ الشرقية في درعا وأم قيس لكي يواجه قواتهم المحتشدة على حدودنا . . »

ثم استطرد الملك حسين يقول في حزن يغلب عليه الغضب :

● وكادت الامور ان تتطور الى اشتباك فعلي مؤسف بين جيشين عربيين اسلاميين شقيقين لدولتين عربيتين شقيقتين!

قلت للملك حسين وهل كان مثل هذا الاحتمال المحزن واردا يا جلالة الملك؟

● وأجابني الملك : نعم بعد ان حشدوا هذه التشكيلات الضخمة الكبرى يضاف الى ما سبق وسمعناه منهم من احاديث ومناقشات خلال الاجتماعات التمهيدية التي سبقت مؤتمر القمة وما قالوه لنا بأساليب واضحة خلال اجتماعات وزراء الخارجية بان الحالة القائمة بيننا وبينهم على حدودهم انما هي حالة حرب وقد تشتعل في اية لحظة ثم ما تبع ذلك كله من حشود فعلية محسوسة عرف بها العالم ورآها الناس . انه موقف غامض ومؤسف معا ثم هي مظاهر محزنة لا اريد ان اخوض فيها ولا اريد ان اتحدث عن تفاصيلها . لقد كنا دوما ضد التكتلات وضد الاحلاف العسكرية وضد تقسيم هذا الشرق العربي الى مناطق نفوذ . وكنا دائما ضد الارتباط في محالفات عسكرية مع دول كبرى لكي نبقى دائما ننعم بالحرية في وطننا العربي الذي كلفنا حبه والتمسك به الكثير . وقد حاولت اسرائيل في الماضي ان تدول الصراع بيننا وبينها وان تفتح ابواب هذا الشرق امام التدخل الاجنبي وعندما يقول لنا البعض الان انهم يسعون لاجراء توازن استراتيجي في المنطقة وتهيئة المناخ المطلوب لذلك فاننا نقول لهم بصراحة ان ما يسعون إليه ، قد يؤدي الى تفجير الوضع الدولي وتهديد السلام العالمي دون قدرتهم على

تحقيق ما يسعون اليه او اتمامه ونكون اذن في النهاية قد فقدنا حتى الحق في ان نملك حتى الامل في بناء قوتنا الذاتية لاستعادة حقنا ونكون ايضا قد فقدنا حريتنا وفقدنا شخصيتنا وفقدنا حقوق الاجيال القادمة علينا..».

★★★

قلت للملك حسين:

● اذن فان الملك حسين يعتقد بان المعركة بين العراق وايران لم تشغل العراق العربي عن اسرائيل العدو؟.

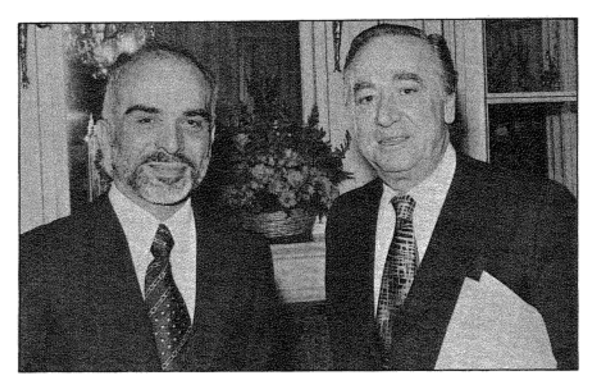
أجاب الملك:

● هذه الحرب المؤسفة قد فرضت على العراق فرضا، والعراق يعلم هذه الحقيقة، ويعلم ان ايران كانت تهيء للضربة الاولى ولديه ـ أي العراق ـ معلومات بان ايران قد قامت في الايام القليلة التي سبقت الحرب باجراءات مختلفة منها نقل طائرات النقل الايرانية الى مطارات خارج ايران ومنها ايضا وجود اكداس الذخيرة والسلاح والعتاد بكميات هائلة كانت معبأة ومخزنة على خط الحدود الايرانية مباشرة لاستعمالها لدى الجيش الايراني عندما يعبر الحدود العراقية ويزحف الى الداخل. تضاف الى ذلك المحاولات الداخلية الايرانية ضد العراق ثم حقد آية الله الخميني على العراق بسبب ابعاده منه الى الخارج مع عدم التزام ايران بتنفيذ معظم بنود اتفاقية عام ١٩٧٥ كالانسحاب من بعض الاراضي العراقية وبعض المناطق الاستراتيجية التي تهدد العاصمة بغداد. كما ان ايران رفضت ان تلتزم بعد التدخل في شؤون العراق الداخلية بعد ان التزم العراق بعدم التدخل في شؤون ايران الداخلية. وبعد ان سافر الخميني الى الخارج عاد الى ايران وكله حقد على العراق فراح يتآمر ويخطط ناسيا السنوات الطويلة التي استضافه العراق خلالها وبدأت المشاكل والمؤامرات وتفجير الاوضاع وعادت ايران عما اسمتها الاتفاقية المدفونة وعادت واحتلت جميع الاراضي التي كانت القوات الايرانية قد سبق وانسحبت منها ثم بدأت في قصف المخافر العراقية وقصف القرى ثم قصف المدن بصورة ارادت بها ايران ان تفرض الحرب على العراق وان تسبقه في توجيه الضربة الاولى»..

واستمر الملك حسين يقول:

● وانه لما يؤلمنا ويحز في نفوسنا ان تستمر هذه المعركة بين العراق وايران رغم انه يهمني ايضا ان اشير هنا الى التجاوب الحقيقي الذي اظهره العراق من اجل الوصول الى حل عادل لهذه الحرب سواء على الصعيد الاسلامي او الدولي او عن طريق دول عدم الانحياز. فطالما اعلن العراق عن استعداده لحل المشاكل بما فيها الجزر الثلاث..

قلت للملك حسين: لكن كيف ترى النهاية المطلوبة لهذه الحرب؟.



الملك حسين و الى يساره ناصر الدين النشاشيبي

● أجابني الملك: «يبدو لي ان العملية تحتاج الى بعض الوقت الكافي الذي يقدر فيه الايرانيون ان يفهموا الحقيقة ويعلموا ان الاسلوب الذي اتبعوه حتى الان مع العراق او مع دول المنطقة لن يؤدي الى أية نتيجة. وأملي ان يتحقق ذلك في غضون الاسابيع القليلة القادمة».

قلت للملك حسين: وماذا يا جلالة الملك عن الموقف العربي؟

● قال الملك وهو يبدأ خيط الحديث معي منْ موضوع مؤتمر القمة العربي الاخير في عمان: كان المؤتمر الاخير بداية جيدة واستمراراً لتأكيد الالتزام تجاه كل ماسبق واتفقنا عليه في مؤتمري بغداد وتونس. أعني كانت قمة عمان بداية جيدة ادرك فيها الاخوة من القادة العرب المزيد من حقائق الموقف العربي وهم على مقربة من خط النار وعلى طول المواجهة ضد العدو الصهيوني. كما بحث المؤتمر موضوع الانسان العربي وحاجياته واستغلال خيرات هذه المنطقة لمصلحة شعبنا وتمكين الجميع من العطاء الافضل».

قلت للملك حسين: وما هو اهم قرار نتج عن هذا المؤتمر الاخير في عمان؟

● وقال الملك: «اعتقد ان التأكيد على صمود اهلنا في الارض العربية المحتلة ومسارعة رؤساء الدول الذين اشتركوا في المؤتمر لتسديد جميع المبالغ المقررة اللازمة لهذا الغرض النبيل اعتقد ان ذلك كان من اهم منجزات المؤتمر. وكذلك فقد اجتمعنا في جو اخوي مشبع بالروح الايجابية السلمية للعمل على مستوى رفيع يمكن من حشد جميع الامكانيات العربية في خدمة القضية الكبرى».

قلت للملك: هل هناك استعداد لدى جلالتكم لحضور مؤتمر قمة عربي جديد مصغر؟

● قال الملك: «أسمعهم يتحدثون كثرا عن هذا الموضوع ولكني لا اعتقد ان مؤتمر قمة عربيا جديدا على الصعيد الجماعي يمكن عقده إلا في الوقت المقرر سلفا لمثل هذه الامور. وقرارات المؤتمر الاخير اشترك في صيغتها جميع وزراء الخارجية العرب. فاذا كان للبعض اي اعتراض على بعض القرارات التي صدرت عن المؤتمر الاخير فان لي الحق في التحفظ عليه. ولكن دعني اقول بوضوح ان اي لقاء ارتجالي جديد للتعويض على عدم الحضور في مؤتمر عمان الاخير فانه في المفهوم الصحيح امر غير ضروري ولا مفيد ويمكن ان يمس كرامة كل القادة الذين حضروا اجتماع القمة الاخير».

قلت للملك: ولماذا لم تقبل تأجيل موعد قمة عمان الاخير كما طلبوا منك؟.

● أجاب الملك: «قلت للذين سألوني في ذلك انني لا املك اي حق في التأجيل او في عدم التأجيل فقد قرر موعد المؤتمر ومكانه مؤتمر قمة سابق وضمن اطار الجامعة العربية من اجل تهيئة المناخ لعقد المؤتمر الاخير في العاصمة الاردنية وعلى مقربة من خط النار وفي موعد محدد ومعلن ومتفق عليه من الجميع».

سألت الملك: وهل حملت لكم لجنة التضامن العربي او امين الجامعة العربية اية مقترحات جديدة حول ازمة الغيوم العربية على الساحة العربية؟

● اجابني الملك: «لا يا سيدي. ولا شيء!

ثم اضاف:

● «اريد ان اقول لك بان القرار العربي بتشكيل لجنة خاصة لتصفية الخلافات العربية كان قرارا سابقا لموعد انعقاد مؤتمر قمة عمان الاخير وقد سبق ذلك الاحداث الاخيرة التي واكبت مؤتمر القمة».

قلت للملك: هل انت متفائل بعودة مثل هذ التضامن العربي؟.

أجابني الملك حسين:

● «لا بد لنا ان نتفائل. اما في ما وقع بيننا وبين الشقيقة سوريا فقد ألحَقَ فينا جرحا عميقا وهز الثقة التي هي الاساس الاول في التعامل. وسأحاول شخصيا رغم كل ذلك ان اعيد هذه الثقة الى حالها الطبيعي وان تبقى العلاقات بيننا اخوية الطابع والصورة لما فيه مصلحة البلدين والشعبين الشقيقين ولكني ـ ومع الحزن والاسف ـ لا استطيع ان اقول ان علاقتنا بسوريا ستعود كما كانت عليه في الماضي..».

سألت الملك حسين: ولماذا رفضتم يا جلالة الملك استقبال الدكتور هنري كيسينجر وزير خارجية اميركا الاسبق عندما اعلن هذا الاسبوع عن استعداده للمجيء لمقابلتكم؟.

أجابني الملك حسين:

● «وان قراءاتي لنتائج الانتخابات الاميركية الاخيرة قالت لي ان الشعب الاميركي يريد قيادة وطنية قوية وجديدة تراعي مصالح اميركا في الدرجة الاولى. وكذلك عندما اطلعنا على نتائج انتخابات مجلس الشيوخ الاميركي ورأينا سقوط بعض أعمدة الصهيونية في اميركا من امثال جافيتس وستون وفرانك تشرش مما اعطاني انطباعا بان الشعب الاميركي يريد ان يدفع الى هذه المراكز الحساسة المسؤولة اناسا يكون ولاؤهم الاول والاكبر للوطن الاميركي قبل غيره. فاذا كانت تحليلاتنا لهذه النتائج صحيحة وهي كذلك واذا كانت الصورة امامنا سليمة واظنها كذلك فان نصيحتنا للادارة الاميركية الجديدة هي ان لا تكون هذه الادارة اسيرة المواقف الاميركية السابقة واسيرة الالتزامات الاميركية القديمة بل ان تعطي نفسها فرصة مناسبة تقدر معها ان تعيد اتصالاتها بالدول وبالحكام وبالشعوب ثم بعدها تختار لنفسها الطريق الذي تريده. وانا اعتقد ان مهمة الدكتور هنري كيسنجر المفاجأة الاخيرة لم تكن في وقتها الطيب ولا في مكانها المطلوب ولا هي منطقية ولا هي سليمة الهدف والغرض. وقد لمست ان الهدف كان ان يعود هنري كيسنجر الى الشاشة والاضواء من جديد بأسلوبه المعروف وتكتيكاته المعروفة ويقنع الادارة الاميركية الجديدة بأن ابواب المنطقة في الشرق الاوسط مفتوحة امامه وان مصير المنطقة رهن يديه وانه قادر على التأثير في مجريات الامور كما يشتهي ويقرر. أريد ان اقول لك ان هنري كيسنجر لعب ادوارا كثيرة في هذه المنطقة وقد سبق وان اعلن بنفسه اعترافه بانه اقترف اخطاء كبيرة وجسيمة خلال وبعد ممارسته لهذه الادوار في هذا الجزء من العالم وانا شخصيا لا أشعر بأي ارتياح الى ان يكون هنري كيسنجر جزءا من اي جهد سياسي جديد في هذه المنطقة او حولها او في ما يتعلق بقضيتها الكبرى. اننا ما زلنا نعاني من آثار ويلات هنري كيسنجر ومن أخطائه وحتى يومنا هذا وربما فيه الكفاية. ولذلك فعندما طلب منا هنري كيسنجر ان يحضر لمقابلتنا اعتذرنا له بوضوح».

قلت للملك: هل هو شخصيا الذي طلب السماح له بالمجيء ام كان الطلب من الادارة الاميركة الجديدة؟

● أجاب الملك: «هو وحده. اما الادارة الاميركية الجديدة فما زالت تكرر بانها لا علاقة لها مع هنري كيسنجر وقد رفضت ان تعير رحلته الاخيرة اي اهتمام».

قلت للملك حسين: وماذا لو اصرت الادارة الاميركية الجديدة على تنفيذ ما يسمى بالخيار الاردني كحل للقضية الكبرى؟

أجابني الملك حسين:

● «انا يا أخي ملتزم بموقفي منذ مؤتمر قمة الرباط ولن اغير هذا الموقف ولن ابدله. الفلسطينيون وحدهم على الساحة العربية وعلى الساحة الفلسطينية والحق حقهم ولا بد من ان يمارسوا هذا الحق بالكامل وان يحققوا السلام القائم على انسحاب اسرائيل من جميع

الاراضي المحتلة بما فيها القدس العزيزة وان تعود الحقوق الى اصحابها الفلسطينيين حسب مقررات الامم المتحدة ثم يترك للشعب الفلسطيني تقرير مصيره بنفسه».

قلت للملك حسين: هل يعني هذا منك تخليا اردنيا عن القضية الفلسطينية الكبرى؟.

أجابني الملك حسين:

● «مطلقا! انا مع القضية الفلسطينية بدمي وامكانياتي وجيشي وشعبي وبلدي ادعمها على الدوام وانصرها حتى اخر قطرة من دمي وفي كل الظروف وتحت كل الاحوال. ولكن الصورة في اسرائيل تحتاج الى شيء من الدراسة فان اسرائيل التي حصلت من اميركا في عهد كارتر على اكثر مما حصلت عليه من جميع الرؤساء منذ تأسيسها حتى اليوم ومع ذلك فان اسرائيل ما زالت تعاني من ضائقة اقتصادية خانقة ادت الى الهجرة العكسية منها وادت الى ازدياد القلق الاسرائيلي من جراء الوجود العربي الموجود تحت سيطرتها ومعنى هذا باللغة الواضحة ان اسرائيل اما ان تلجأ الى استعمال القوة لتحقيق ما تريده من توسع جغرافي على حساب العرب وتشريد المواطنين الفلسطينيين العرب من الداخل وقد اثبتت ذلك كما اثبتت وقائع الاحداث هذا الخيار ـ خيار استعمال القوة ـ لم يفد اسرائيل بشيء. العملية اذن عملية وقت. يجب ان نصمد نحن وان نكون في وضع نقدر معه ان ندافع به عن انفسنا وان نحفظ ونحافظ به على استقلالية منظمة التحرير بحيث تبقى هذه المنظمة دائما الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني القادر على ان تمثل جميع طموحات هذا الشعب وآماله وحقوقه وان تصمد في وجه القلق الاسرائيلي الذي قد يؤدي الى مغامرات اسرائيلية عسكرية جديدة».

قلت للملك حسين مقاطعا: هل معنى هذا ان نضع في حسابنا احتمال لجوء اسرائيل الى القيام بمغامرة عسكرية مفاجئة تنقذ مناحيم بيغن من ورطته الاقتصادية والسياسية الاخيرة والتي تكاد تقضي على وزارته؟

● أجاب الملك حسين: «هذا احتمال قائم بالفعل وهذا ما يدعونا الى الحذر والاستعداد وهذا ايضا ما جعلني اشعر بالالم وانا اسحب جيوشي من الخط الطويل في العقبة حيث تتحدث اسرائيل عن ضرب العقبة التي ترى فيها شريان حياة العراق في هذه الحرب ضد ايران وانا انقلها الى الشمال لمواجهة جيش عربي شقيق..».

ثم اضاف الملك حسين: «ولكننا يا اخي مررنا بمثل هذه الظروف في الماضي واستطعنا ان نتغلب عليها ومما يعزينا دائما ان نرى في هذا البلد وحدة اهله ووعي شعبه وتماسك سكانه وتفهم الجميع لحاضر المعارك ومستقبلها. فالفلسطيني في الاردن يقول اذا كان الهدف من هذا الذي يجري حولنا هو تحطيم قوة الاردن العسكرية لكي يرغم الفلسطيني على قبول الوطن البديل فان ذلك يعتبر منا حلا مرفوضا لاننا ان كنا وسط اهلنا وفي وطننا الا اننا نريد استعادة بلدنا ووطننا وان نعود الى القدس ومسجدها. وهكذا هرعت الاف الشباب الى مكاتب

التطوع في الاردن للدفاع عن هذه الارض الحبيبة عندما دق ناقوس الخطر . . ».

قلت للملك حسين: ولكن الازمة مرت والحمد لله بخير والحشود قد انتهت اليس كذلك؟ .

● أجابني الملك: «ولكن الاثار كما قلت لك ما زالت تحز في النفوس لقد اعتدنا على المفاجآت في الماضي وكنا نسرع لكي نهيء قواتنا ونسرع في مساندة جيوش اخواننا في مصر وفي سوريا من اجل تمكينهم لتحرير اوطانهم هكذا فعلنا طيلة السنوات الثلاثين الماضية ولكن الحشود الاخيرة قد فتحت عيوننا على احتمال اخطار مؤسفة اخرى قد تهددنا ليس من اسرائيل بل من غير اسرائيل ايضا ومع الاسف الشديد».

سألت الملك حسين: اليس غريبا ان يصر الاردن مرة بعد مرة على رفض كل ما يقال عن «خيار اردني» لحل القضية الفلسطينية والاعلان بوضوح ان لا دور للاردن في هذا الحل مع وجود منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للقضية بينما يتبرع الرئيس المصري انور السادات لكي يحدد للاردن حجمه ويرسم للاردن دوره وموعد اشتراكه في المفاوضات الدائرة بين مصر واسرائيل واميركا وكأن الرئيس المصري هو الوصي لا على فلسطين فحسب وانما على الاردن؟

أجابني ملك الاردن:

● «ليس عندي تفسير للعداء الصريح الذي يحمله السادات للمملكة الاردنية وان كنت ارى في تصريحاته وآرائه السياسية الاخيرة وكأنها عملية وصاية على القضية الفلسطينية وعلى مستقبل المنطقة وانه الشخص الرئيسي القادر على رسم مصير البلد والامة. انني اطمئن الرئيس السادات واقول له ان للقضية اصحابا شرعيين هم وحدهم قادرون على تقرير مصيرها وان الدافع الوحيد الذي حركنا في الماضي وما زال يحركنا الى اليوم والغد تجاه قضية فلسطين هو اخلاصنا لهذه القضية وارتباطنا بها وحق اهلها في وطنهم وفي عاصمتهم المقدسة وان هذا جزء من حياتنا ومن نضالنا وما عدا ذلك فهو، إما دس من عدو او تآمر من خصم او باطل من حاسد موتور. . ».

سألت الملك:

ـ وهل ستحملون معكم الى مؤتمر القمة الاسلامي هذا الشهر اي مشروع خاص حول القدس؟

أجاب الملك:

● «حول موضوع القدس نعم وبالتأكيد! وسنحمل معنا كل ما نستطيع ان نضعه أمام اخواننا في العالم الاسلامي من وثائق ومشاريع ودراسات واقتراحات واخبار وحقائق ونشترك في ذلك مع اخواننا في منظمة التحرير الفلسطينية من اجل تأمين سلامة بيت المقدس والحفاظ

على عروبتها والدفاع عنها واشعار العالم بان العرب لن يفرطوا بذرة تراب واحدة من ارض القدس الغالية وان ساعة العودة لها وعودتها الى العرب والمسلمين قادمة لا ريب فيها. . ».

سألت الملك الاردني:

وهل ستكون الحرب العراقية ـ الايرانية على جدول اعمال مؤتمر القمة الاسلامي المذكور؟

أجاب الملك حسين:

● «لا بد ان يبحث المؤتمر هذا الموضوع الخطير وان يمشي في مباحثاته نحو ايجاد حل لوقف القتال ثم البحث في قضية الحدود وفي الحقوق المشروعة وخاصة ما يتعلق بالجزر العربية الثلاث في الخليج العربي ثم رسم العلاقات القادمة بين جميع الاطراف على اساس طبيعي يحترم السيادة للجميع ويمنع التدخل في الشؤون الداخلية وان نضع حدا لعلاقات الهيمنة والتسلط وتصدير الثورات الى خارج الحدود. . ».

سألت الملك حسين:

هل في مشاريعكم الرسمية القيام بزيارة لامريكا قريبا؟

● أجاب: «ليس هناك شيء محدد باستثناء ما سمعناه كلنا على لسان الرئيس الاميركي المنتخب رونالد ريغان عن رغبته للالتقاء بي. وانا جاهز للسفر في الوقت المناسب. ولكن لم يحدد شيء بعد حتى الآن. فاذا جاءت الدعوة رسميا عمدنا الى دراستها او تلبيتها».

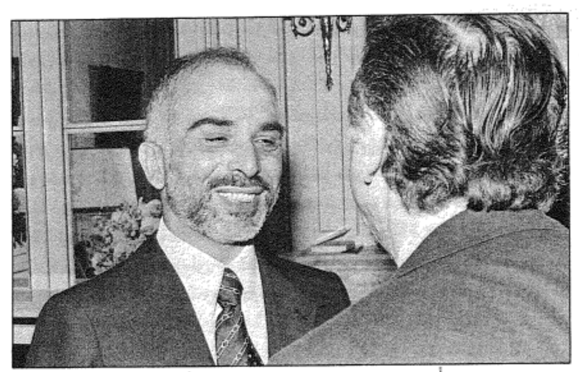
قلت للملك حسين:

هل حددتم موقفكم من المبادرة الاوروبية تجاه الشرق الاوسط؟

● أجابني ملك الاردن: «انا لا اسميها بالمبادرة بقدر ما ارى أمامي تحركا اوروبيا سياسيا عاما، ابتدأ بزيارة للمنطقة ودراسة القضية الكبرى وجمع المعلومات عنها. ان الاتجاه الاوروبي حول هذه القضية يركز اساسا على الاسس الواسعة التي يجب ان يعتمد عليها السلام المطلوب وذلك خلافا للاتجاه الاميركي المعروف الذي حصر عناصر السلام بين مصر واسرائيل في اتفاقية كامب ديفيد المعروفة. واتجاه اوروبا اتجاه ايجابي صحيح يستحق التشجيع. والمعادلة على الصعيد الدولي كانت دائما تضع اميركا واوروبا الى جانب اسرائيل حتى جاءت اوروبا الغربية مؤخرا وقررت شيئا جديدا ومهما نأمل ان يستمر ويتبلور بوضوح اكثر من اجل خدمة الحق والعدالة في دنيا العمل السياسي عامة ودنيا هذا الشرق بوجه خاص».

قلت للملك حسين:

ـ نعود الى موضوع ما يسمى «بالخيار الاردني» ولكن من زاوية اخرى هي زاوية اسرائيل التي طالما سمعنا مؤخرا على لسان شمعون بيريز زعيم حزب العمل الاسرائيلي كلاما حول هذا الموضوع واجتهادات خاصة حوله فما هو تفسير جلالتكم لذلك؟



«ليس بيني وبينك اسراراً» قال لي الملك حسين تلك العبارة وهو يودعني!

أجاب الملك حسين:

● «تفسيري الواضح الصحيح ان شمعون بيريز يريد الدس بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ويريد استعداء هذا الطرف على الطرف الاخر ويريد اشغال الجميع عن جوهر القضية المحصور في ضرورة الانسحاب الاسرائيلي المطلق من الارض المحتلة. وان ما يهم شمعون بيريز هو الاساءة الى المملكة الاردنية والتشكيك في اهداف الاردن وان يخدم بكلامه مصلحة اسرائيل وكل هذا واضح ومكشوف».

سألت الملك الاردني وانا اخرج بالحديث معه الى العالم الواسع:

ـ وكيف ينظر الاردن الى هذا الجو الدولي المحموم الذي انتهت معه سياسة الوفاق العالمي وبرزت معه شرور الحرب الباردة؟

أجاب الملك حسين:

● «هذا وضع خطير للغاية وله انعكاساته المباشرة على أوطاننا وعلى هذا الجزء من العالم وان فيها التهديد الملحوظ للوجود العربي والشخصية العربية والانسان العربي في الحاضر والمستقبل معا. ويجب علينا تجاه كل ذلك الحذر الشديد. ولعله من المؤشرات الواضحة ذات المعاني البعيدة التي لا تخفى على احد والتي يجب ان ندركها تماما انه كلما كانت الازمة البولونية الاخيرة مثلا تمر في تطوراتها العصبية كانت بعض دول المنطقة تعمد الى اعلان حشد الجيوش على حدودها وكأنه كان هناك شيء من التوافق والترابط بين الوضعين وفي الحالتين احدهما في قلب اوروبا والاخر في قلب الشرق الاوسط».

سألت الملك حسين: هل يكون خير العرب في وجود الوفاق الدولي او في انعدامه مع خلاف الدولتين العظميين؟

أجاب الملك حسين على الفور:

● «يجب ان لا نضيع نحن العرب في متاهات هذه الانقسامات الدولية بل ان نحافظ وباصرار على استقلاليتنا وشخصيتنا وان يكون التركيز على المحافظة على سلامتنا وانفسنا وعلى صلاتنا بالتاريخ العربي السليم وان نتعامل مع الجميع على قدم المساواة وان لا نسمح لاي جهة ان تعود الى غزو هذه المنطقة واستغلالها او تشويه شخصيتها مما يؤدي الى انقسام المنطقة وتفتتها وضياعها».

سألت الملك حسين: ما رأي جلالتك في ان بعض دول المنطقة ـ مصر مثلا ـ قد سمحت لاميركا بالتسهيلات العسكرية وبعضها الاخر سمح بالقواعد البرية والبحرية؟

أجاب الملك حسين:

● «انا ـ وبصراحة تامة ـ ضد العمل السوفياتي بالذات لانشاء علاقات خاصة مع بعض دول المنطقة قد لا تكون بعيدة في أهدافها وفي محاولاتها على أهداف ومحاولات اميركا المعروفة التقليدية السابقة والحاضرة في العودة الى المنطقة. ان لهذه المنطقة أصحابها وأهلها ونحن اولى بالدفاع عنها بما يتفق ومصالحنا ودون ان نضطر لدفع الثمن للأجنبي والغريب والطامع . . ».

سألت الملك حسين: هل فسرتم موقفكم هذا للجنرال الاميركي براون خلال لقائكم معه في اليومين الماضيين الأخيرين؟

● أجاب الملك حسين: «كانت زيارة المستر براون الاخيرة للمنطقة بمناسبة اجازة الميلاد ورأس السنة الميلادية وقد أعربت له خلال حديثي معه هنا في عمان عن وجهة نظري تجاه الاحداث المتعلقة بنا ومعارضتي لفكرة القواعد والاحلاف او التسهيلات بكافة أنواعها. والجنرال براون رجل عسكري اكثر منه رجل سياسي ولم أشعر أنه في موقف يمكنه من الاعتماد على ممارسة مسؤوليات العمل السياسي او العسكري في المستقبل بسبب مجيء الادارة الأميركية الجديدة».

سألت الملك حسين: وهل انتم مرتاحون الى هذا العهد الجديد الاميركي او الادارة الاميركية الجديدة برئاسة المستر رونالد ريغان؟

● أجابني الملك حسين: «انه من الصعب التكهن بشيء حول عهد أميركي لم يبدأ عمره ولم تبدأ اعماله بعد. ولكننا نقول ان الاتجاه الاميركي الاخير في اختيار الرئيس الجديد وفي انتخاب اعضاء الكونغرس لا يخلو هذا الاتجاه من نقاط ايجابية تبشر بالخير. فاذا صح تقديرنا وكانت الامور في حقيقتها كما تبدو لنا في الظاهر حق لنا ان نتفاءل خيرا وان نتوقع من العهد الاميركي الجديد ما يدعو الى الارتياح . . ».

سألت الملك حسين: وكيف ترون جلالتكم نهاية مأساة الرهائن الاميركيين في طهران؟
● أجاب: «لا اعرف مسلما حقيقيا واحدا يقدر ان يدافع عن هذه المأساة. هذه العملية مجافية للاسلام ولا تحظى بروح التمتع الانساني والانسانية في صميمها وهي مضرة لنا وتضعنا في موضع صعب أمام العالم. أما عن الحل المطلوب لها فانه من المأساة أيضاً، أن لايكون لها من حل في مفهوم الاطراف المعنية سوى «الدفع بالمال والسلاح» كثمن للافراج عن الرهائن. ان مثل هذا الحل هو مأساة في حد ذاته كمأساة الرهائن. وخاصة اذا علمنا ان المال المطلوب والسلاح المطلوب سيذهبان الى دولة تريد ان تصدر الثورة الى جيرانها وان تستمر في الحرب القائمة وان تثير القلاقل في المنطقة وان تقتل وتتحدى وتعتدي». .

سألت الملك حسين: وماذا عن اختيار الجنرال الكسندر هيغ وزيرا للخارجية الاميركية؟
● أجاب ملك الاردن: «لي معرفة شخصية بالجنرال هيغ منذ ان كان موظفا كبيرا مسؤولا وهو رجل نزيه ذكي وقدير وأرجو ان يكون متفهما لنا ولحقوقنا أكثر من الذين سبقوه».

قلت للملك الاردني: وهل أنتم متفقون مع النظرية الاميركية الجديدة القائلة بأن اعادة وتنظيم القوة الاميركية العالمية من شأنها ان يحدا من المد السوفياتي وان يعيدا الهيبة الاميركية الى الوجود؟
● أجاب الملك: «كل هذا من شأن اميركا ان تفكر به وان تعلنه وان تبحث وتجد الحلول له كما تشاء ولكن ما يهمنا نحن ان نمنع الجميع من تحويل هذه المنطقة ـ منطقة الشرق العربي ـ الى منطقة نفوذ لأحد بالذات من القوتين العظميين خاصة وانها منطقة غنية بثرواتها وهي موضع الطمع والنظرة الجائعة الجشعة من الجميع. علينا مرة أخرى ان نحافظ على استقلالنا وعلى حيادنا وعلى شخصيتنا دون الاستسلام للسقوط في دائرة نفوذ احد مما ينتج عنه تفجير السلام العالمي وهدر التاريخ العربي وضياع الشخصية العربية وان نتحول لا سمح الله الى مجرد اتباع ضعاف في طابور الانحياز والتبعية والولاء للاجنبي والغير. .».

قلت للملك حسين بن طلال بينما اللقاء بيننا قد امتد الى ساعته الثالثة: لقد تركت اوروبا في الاسبوع الماضي وأهلها يتحدثون عن أمنياتهم في العام الجديد فما هي أمنيات ملك الاردن لعام ١٩٨١ بالنسبة له وللبلد وللامة العربية؟
● وأجابني الملك حسين: «أتمنى ان يجد العالم العربي قوة كافية يواجه بها التحديات المتربصة به. وان نبني تضامننا ووحدتنا في ظروفنا القاسية الحالية لكي لا نضيع وتضيع معنا حقوقنا وان نتمتع بالوعي الكافي لكي نعمل بعقل وادراك وشعور تام بالمسؤولية. والا نقترف أخطاء سياسية في الحقل الدولي قد تهدد امن هذه المنطقة وتعلن انقسامها وخلافات أهلها. أما بالنسبة لي شخصيا فلا املك من أمنية شخصية أغلى من ان أكون انا قادرا على المساهمة في خدمة الاجيال العربية القادمة. انني لم اعش يوما ليومي وانما عشت دوما ودائما للغد

وللمستقبل وللامة».

قلت للملك: وماذا يريد هذا البلد ـ الاردن ـ من اخوانه العرب؟ اعني ما هي أمنياته عندهم وعنهم؟

● وأجاب الملك حسين: «يريد الاردن من اخوانه العرب ادراك حقيقة اهميتهم ووجودهم الاستراتيجي وموقعهم الممتاز سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا وان يعرف العرب انهم محط الانظار، فيستغلون امكانياتهم من اجل صون مستقبلهم واستعادة حقوقهم وكرامتهم بلا تبعية ولا رخص. وهذا كله سهل ولا يحتاج الا الى بعض الارادة الصادقة وبعض التنظيم الحقيقي وبعض الايمان بالذات. يجب على كل العرب تعميق ايمانهم بكل العرب ولا مكان لليأس ولا مكان للاستخفاف ولا مكان للهروب ولا مكان للكسل ولا مكان للامبالاة ولا مكان للضياع. ان قضايانا أهم واكبر من بعض خلافاتنا.. وان مصيرنا أهم وأخطر من بعض قضايانا. تعالوا يا أمة العرب نصنع التاريخ ولا نكتفي بقراءته ونحدد معالم الغد ولا نكتفي بأن نستقبله لكي نعيش ساعاته.

وسكت الملك الاردني.. ورأيته يسرح قليلا عبر نظراته المتطلعة وراء الشرفة الغربية المجاورة وكأنه يريد ان يسمع مني سؤالا معينا عن موضوع معين..

سألته وشمس عمان تسقط وراء جبالها القريبة منا لكي تلمع من بعيد وراء هضبات السلط ووادي الاردن ومرتفعات القدس الشماء..

ـ وكيف اخبار الاهل في ما وراء النهر القريب هناك.. عند اريحا.. والقدس.. وخليل الرحمن؟

● وأجاب الملك حسين وهو يضغط على فكيه باعصاب متفجرة ولكنها صامتة مكبوتة: «أنا فخور بأهلي هناك. معتز بهم سعيد بصمودهم فخور بوطنيتهم متطلع بشوق الى لقائهم. لقد حملت الصديق المناضل بسام الشكعة منذ يومين لهم أطيب أمنياتي وأخلص مشاعري وسألته كما سألت زميله رئيس بلدية رام الله العائد الى وطنه ان يجددا العهد ـ عهدي ـ لهم بان أضع لهم وفي سبيلهم كل طاقاتي وكل امكانياتي وان الله قادر ان يحقق لنا جميعا أمنياتنا في الحرية والكرامة واللقاء الحر الكريم والقريب...».

وسكت الملك حسين بن طلال....

وانتهى الحديث..



عَمّان - الاردن : ١٩٨١/١/١

مع مُضَر بدران .. عمّان !



عـمّان ـ الاردن : ١٩٨١/١/١

مع مضر بدران.. عمّان!

بعد عودتي من بغداد ولقائي مع الرئيس صدام حسين، سألني الملك حسين ان اقابل رئيس وزرائه «مضر بدران» لكي يحدثني عن العلاقات الأردنية السورية . .

وهكذا كان . .



كان كل دوري بالنسبة للمادة التي يتكون منها هذا الحديث هو سؤال واحد وحيد وجهته الى السيد مضر بدران رئيس وزراء المملكة الاردنية الهاشمية عند لقائي به في مكتبه بعمان في اول ايام شهر «يناير» من عام ١٩٨١ وقلت له فيه:

ـ كيف يفكر الاردن في هذه الأيام؟

وعندما سألني الرئيس الاردني ماذا اعني بسؤالي وعن اية مواضيع اريده ان يتحدث قلت له:

ـ عن كل شيء. عن الداخل والخارج. عن العرب وايران. عن الاردن وفلسطين. عن المعارك التي اصبح فيها الاردن طرفا بمحض ارادته والمعارك التي ارغمه بعض الاشقاء على الدخول في نارها دفاعا عن نفسه او رغم ارادته. عن مؤتمر القمة منذ شهرين وعن مؤتمر القمة بعد اسبوعين. عن خلافه مع دمشق وعن تأييده لبغداد وعن موقفه من القدس وعن اتجاهه نحو واشنطن وعن رأيه في القاهرة. عن الاسرار كلها والمواقف كلها دونما تحفظ ولا دبلوماسية ولا غرورا!.»

وابتسم رئيس وزراء الاردن من وراء نظاراته التي تنم عن وضوح في النظر وفي النفس ايضا. . ثم امر مدير مكتبه بالغاء جميع مواعيده في ذلك الصباح. . ثم راح يتكلم لمدة ساعتين كاملتين استهلك خلالهما علبة كاملة من السجائر وشاركته انا باستهلاك عدد كبير لا يستهان به من فناجين القهوة واقداح الشاي. .

وكان الحصاد في النهاية الحديث التالي:

قال لي السيد مضر بدران رئيس وزراء الاردن مستهلا حديثه معي:

ـ سأبدأ بالشقيقة العزيزة سوريا وسأحكي لك قصتنا معها. انا شخصيا تركت الحكومة السابقة التي كنت ارأسها في عشرين ديسمبر عام ١٩٧٩ وتركت ورائي علاقة قلقة بين هذا البلد وسوريا.

● وما هو السبب؟.

ـ السبب ياسيدي مرده الى بدء مشاكل داخلية في سوريا نفسها. قال اخواننا هناك ان المسؤولية عنها وفيها تقع على عاتق اخواننا في العراق، ثم جاء حادث محاولة اغتيال الصديق الوزير عبد الحليم خدام وشعرت بالضيق لأن الاخوة هناك لم يعيروا اي اهمام للتحذيرات التي كنا قد ارسلناها لهم سرا حول هذا الموضوع قبل وقوعه حيث اكدت لهم ايضا بالسرية التامة ان معلوماتنا تؤكد وجود مؤامرة داخلية في دمشق للاعتداء على وزير خارجية سوريا ولكنهم رفضوا اتخاذ اية احتياطات فذهبت بنفسي الى دمشق وقابلت الرئيس حافظ الاسد واعربت له عن دهشتي والمي بسبب هذا الاهمال المتعمد تجاه مثل هذه الاخبار المهمة التي تتعلق بسلامة رجالات سوريا وحكامها. ثم جاء حادث اغتيال الدكتور محمد الفاضل رئيس جامعة دمشق فحزنت عليه اشد الحزن اذ كان الاستاذ المرحوم احد اساتذتي في الجامعة واعربت للمسؤولين في دمشق عن ألمي وألم المملكة وتعازينا لهم في الحادث فعادوا واكدوا لنا ان المسؤولية تنصب على عاتق العراق. ثم مضت الايام وبدأنا نتأكد من وضوح الصورة وبأن اتهام اخواننا السوريين لاخواننا العراقيين في مسؤولية مثل هذه الاحداث هو اتهام غير صحيح بالمرة وانما هناك فئة دينية متطرفة قد تكون منشقة عن جماعة «الاخوان» يرأسها شخص اسمه مروان جديد كان قد دخل السجن في دمشق ومات فيه فاتهم اعوانه سلطات الشام بمسؤولية قتله وبدأوا ينتقمون. وقلنا للمسؤولين السوريين بصراحة ان تلك الاعمال في حقيقتها ليست مسؤولية عراقية وليس من العدل ولا من المنطق اتهام الاخوان في العراق بها بل يجب مواجهة الحقيقة والبحث عن المتهمين والمسؤولين عنها داخل سوريا نفسها. وطلبوا منا ان ننسق معهم في الكشف عن هذه الامور. ووافقنا ورحنا نعمل معا لخدمتهم وخدمة الامن العام عندهم. وكان المرحوم عبد الحميد شرف رئيسا للديوان الملكي يومذاك وكنت انا رئيسا للوزارة نتعاون معا ونمثل الجانب الاردني في تعاوننا مع الجانب السوري الذي كان يمثله يومذاك عبد الحليم خدام والسيد الكيالي وابو حسن من اجل تنفيذ خطوات الوحدة مع سوريا ولكن تدريجيا وعلى خطوات ثابتة معقولة عملية ولكنها بطيئة لا تترك مجالا للتراجع عنها فيها بعد نتيجة تسرع او سوء دراسة او قلة وعي او تبدل من احد. وهكذا وحّدنا بعض برامجنا الدراسية في مدارسنا وفي المنهاج الابتدائي بالذات ووحدنا بعض الخطوات في الميدان

الاقتصادي وفي الشركات وفي الاعمال المالية وكنا ـ كما قلت لك ـ حذرين في خطواتنا بينما كان الجانب السوري يلح بضرورة الاسراع مما نشأ عنه بعض الخلاف بين وجهات النظر حول هذا الموضوع. وذات يوم فوجئنا باتهام سوريا علنا لجماعة الاخوان المسلمين بتدبير الحركات العدائية ضد سوريا. وتبع ذلك عقد مؤتمر قمة بغداد. وقلت للسوريين خلال المؤتمر انه من الخطأ اتهام جماعة الاخوان المسلمين ككل وفي كافة انحاء العالم العربي. وان في هذا الاتهام بعض الخطورة والتسرع. وقد يكون هناك بعض المتطرفين في جماعة الاخوان المسلمين كما جرى في مصر مثلا بالنسبة لجماعة «التكفير والهجرة» وقد تكون جماعة مروان جديد مثلا جزء من جماعة الاخوان المسلمين المتطرفين. ولكن من الخطأ ان نتهم الجميع وان نوسع قاعدة الاعداء. قلت للسوريين كل ذلك وقلت لهم ان هذا خطأ كبير فأجابوا ان على الاردن ان يأخذ بدوره حذره من هؤلاء الاخوان، وراحوا يطالبوننا بالضغط على جماعة الاخوان المسلمين عندنا في الاردن بحجة ان بعض هؤلاء الاخوان يخطبون في بعض مساجد عمان ضد الاوضاع في سوريا ولكننا عندما حققنا في الموضوع لم نجد ما يؤيد ذلك، وكان ذلك قبل استقالة وزارتي الاخيرة بعام واحد فقط اي في نهاية عام ١٩٧٨، ثم راحت سوريا تقول بأن هناك بعض السوريين الذين يدخلون الاردن خلسة ويتآمرون عليها. فأجبنا بان دخول السوريين الى الاردن لا يحتاج الى اذن ولا الى سمات وبالتالي فانه من الصعب علينا البحث عن اي شخص سوري يدخل الاردن بسبب انعدام نظام الاقامات وكذلك الحال بالنسبة للاردنيين الذين يدخلون سوريا. وهذه الخطوات كنا قد اتفقنا عليها كجزء من اعمال التوحيد بين القطرين. ثم القينا القبض على واحد من السوريين في عمان فاذا به يحمل وثيقة سورية مزورة صادرة عن دمشق بالذات واذ به يعترف بأسماء الموظفين السوريين الذين يعملون على تزوير هذه الوثائق في دمشق. وعادت دمشق تلح بضرورة البحث عن كل السوريين في المملكة الاردنية الهاشمية فأجبناهم تعالوا أنتم وابحثوا عنهم بأنفسكم ووضعنا كل امكانياتنا الامنية تحت تصرفهم للتعاون معهم وجاءوا الى عمان ولم يعثروا على سوري واحد ثم وقعت مذبحة كلية حلب واعربنا لهم عن مواساتنا وعن ألمنا وعن حزننا وعن استنكارنا للحادث وكنا متضايقين فعلا لما جرى في حلب اكثر منهم والقينا القبض على شخصين سوريين مشبوهين في عمان وارسلناهما لهما في دمشق وبدلا من التحقيق مع هذين السوريين ومحاكمتهما عمدت دمشق الى اعدامهما واعدمت معهما المندوب الذي رافقهما الى دمشق للتعريف عليهم وذهبت بنفسي الى دمشق وقابلت الرئيس الاسد وكان معي مدير المخابرات الاردنية العام وشرح مدير المخابرات الاردني لسيادة الرئيس السوري كل الظروف وكل الحقائق بلا رتوش ولا تحفظ قائلا له: هذه معلومات لم اعتد ياسيادة الرئيس ان اضعها امام احد في الاردن ولم يسمعها مني مسؤول في الاردن الا الملك حسين بالذات

والموقف يحتاج الى نفس طويل والى صبر وحكمة منكم والى بحث متواصل اما الارتجال والاتهامات والقاء القبض على الناس بلا تحقيق فهذا لن يفيد أحداً. قلتم لنا ان هناك عمالاً سوريين ينامون بالمستشفى الاسلامي بعمان ونقول لكم ان المستشفى المذكور مثلا لاينام فيه احد لسبب بسيط ان مبنى هذا المستشفى لم ينته بعد وانه مجرد اعمدة بلا غرف وبلا نوافذ وانه لم يفتح ابوابه بعد، وانه ليس فيه مريض واحد حتى الآن..»

قلت للرئيس مضر بدران عندما حاول ان يسكت لكي يستريح ويجمع شتات افكاره:

ـ وماذا جرى بعد ذلك يا سيادة الرئيس؟.

واجاب رئيس وزراء الاردن:

ـ وطلبت من الرئيس الاسد ان يبعث الينا برئيس مخابراته شخصيا الى الاردن للاشراف على اي تحقيق أو اجراء يجري في عمان بخصوص هؤلاء السوريين وان يأتي الينا بأية اسماء تشك دمشق بأن اصحابها يعملون في الاردن ضد دمشق. وجاء رئيس المخابرات السوري ولم يحمل معه يومذاك اسما واحدا، وتبين لاخواننا السوريين انه وان كان من المحتمل ان يكون في عمان بعض المواطنين السوريين الا ان هؤلاء جميعهم كانوا قد هربوا وغادروا البلاد بعد ان علموا بحادث اعدام السلطات السورية للرجال الثلاثة الذين سبق وان ارسلناهم الى دمشق منذ شهور.. وكبر اتهام سوريا للاردن.. وظلت دمشق تتهم الاردن بأنها تدرب الاخوان المسلمين وسط عمان وداخل معسكرات تدريب داخل الاردن..»

واكمل السيد مضر بدران كلامه لي قائلا:

ـ وعندما سمع جلالة الملك بهذه الاقوال انزعج تماما وقال «ان يكون في الاردن معسكرات تدريب ولا يعلم بها الاردن فهذه مأساة بل هذه مصيبة». وقمنا على الفور وحققنا ولم يكن هناك معسكر او شبه معسكر واحد. ورأينا على شاشة تلفزيون دمشق شخصا سوريا كان يعمل هنا في عمان بائع زهور اسمه زياد سلكا وكان لاجئا عندنا في الاردن منذ عام ١٩٦٤ وكان يعمل في شراء الاراضي وبيعها وفي التجارة وبيع المستندات واستطاع ان يزور وان يقوم بأعمال احتيال كثيرة ضد الاردنيين ثم هرب من هنا الى بيروت واذ بسلطات دمشق تزعم ان المذكور كان يعمل مساعدا لرئيس التشريفات الملكية في الاردن وظهر على التلفزيون السوري لكي يلفق مجموعة من الاكاذيب والقصص الخيالية عن معسكرات مزعومة على طريق عجلون يجري فيها حسب مزاعمه تدريب الاخوان المسلمين على يد العسكريين والخبراء الاردنيين. وكان هذا كله كذباً في كذب واذ ان طريق عجلون ليست في سيبيريا مثلا واهل عمان ليسوا في بلد كبير لايعرفه كبيرهم وصغيرهم بل ان اهل عمان يعرفون كل شجرة في طريق عجلون المذكور والامر لايحتاج الى تكذيب. وفي ٢٨/١٠/١٩٨٠ عندما جاءت اللجنة السباعية الى عمان التقيت بالاخ عبد الحليم خدام وقضيت معه اكثر من ساعة

وشرحت له كل شيء وسألته عن سر هذا التخبط العدائي الرسمي من اخواننا في سوريا ضد هذا البلد الصابر. قلت له يا عبد الحليم، يا اخي، ماذا جرى لكم؟ فأجابني الاخ عبد الحليم ان الحق والمسؤولية تقع على المرحوم عبد الحميد شرف وان العلاقات بين الاردن وسوريا كانت جدا وثيقة على ايام وزارتك يا اخ مضر. فلم يعجبني جوابه. وقلت له: لا، لا يا اخ عبد الحليم. اسمح لي ان اقول لك بان سوء العلاقات الذي بدأ بيننا بدأ منذ ان كنت انا مضر بدران رئيسا للوزارة الاردنية ولا يليق ان نتهم انسانا مسؤولا اصبح الان بين يدي ربه. اجابني السيد عبد الحليم: ارسلنا الى عبد الحميد شرف قائمة باسماء سوريين عندكم ولم يلق القبض عليهم. فأجبته: بل القي القبض على ثلاثة ووضعناهم في السجن وانا اذكر يا عبد الحليم انني قلت لسيادة الرئيس الاسد انه عندنا بعض السوريين اللاجئين منذ عام ١٩٦٤ وانني اقترحت ان يصدر مرسوم سوري بالافراج عنهم كعبد الوهاب البكري وبعض العمال الدروز لايتجاوز عددهم العشرة ونحن مستعدون ان نعيدهم اليكم اذا افرجتم عنهم فوافق الرئيس الاسد واذ بنا بدلا ان نتسلم اوراق الافراج عنهم فاجأتمونا يا اخ عبد الحليم بأرسال احد رجالاتكم لاغتيال احد هؤلاء اللاجئين في قلب شوارع عمان. هذا لا يليق يا اخي عبد الحليم. ان المرحوم عبد الحميد شرف قد فعل اقصى ما يستطيع لخدمتكم والحرص على علاقة الاخوة معكم. نحن لا نمارس العنف والملك الحسين لا يحب الدم ولا يحب التطرف، ان اسلوبكم في الحكم من حقكم وحدكم ولكن لاتحاولوا يا اخ عبد الحليم فرض هذا الاسلوب علينا..!»

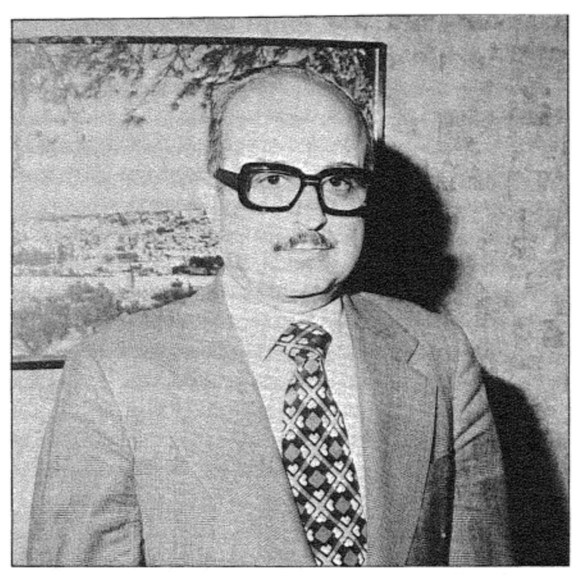
واستطرد رئيس وزراء الاردن قائلا لي:

ـ وفجأة اذ بطائرة سورية عسكرية من طراز «ميغ ٢١» تهبط فجأة في مطار عمان. وقلنا لا حول ولا قوة الا بالله. نحن نريد ان نحسن العلاقات مع سوريا والاحداث من سوريا تفاجئنا بما لانرضى. فأمرنا على الفور بالحجز على الطيارين السوريين مع اعادة الطائرة السورية فورا الى دمشق. وفي المساء اتصل بي الاخ عبد الحليم خدام يطلب مني تسليم الطيارين. قلت له: هذا غير ممكن يا اخ عبد الحليم وقد حجزنا عليهما.. ولا يمكن ان نفرج عنهما في الوقت الحاضر ولن نعيدهما ايضا اليكم لاننا نخشى ان تعدموهما كما حصل لغيرهم من قبل. كان ذلك في الشهر العاشر من العام الماضي اي منذ اربعة شهور. وقلت لعبد الحليم لماذا لاتحضر الى عندنا يا اخي في عمان. انني اسمع حاليا عن تجولاتك في العواصم العربية لكي تدعو للوحدة الجديدة السورية ـ الليبية فلماذا لا تمر بالاردن خاصة وان بيننا وبينكم معاهدة قيادة مشتركة قد تحتاج الى عملية احياء وبعث. اننا احق من غيرنا يا اخ عبد الحليم في اعطاء رأينا تجاه هذه الوحدة. نحن جيرانكم يا اخ عبد الحليم واحق من غيرنا في التعاون معكم على الخير. فوعد عبد الحليم بالمجيء الى عمان ولكنه لم يحضر. ثم كان اجتماع

٢٨/١٠/١٩٨٠ من العام الماضي في عمان ولم تكن هناك لدى احد اية نية في اقتراح تأجيل المؤتمر خاصة وانهم قد بدأوا فورا في بحث جدول الاعمال. ثم اشتعلت الحرب العراقية ـ الايرانية وبدأت الامور تتصاعد وخلال وجود الاخ عبد الحليم في عمان قلت له «الحرب وقعت يا اخ عبد الحليم وانا لا ارى انسجاما مع انفسكم تجاه موقفكم من هذه الحرب. اني اسألك يا اخ عبد الحليم: هل تقف مع اخوانكم العرب الذين وقفوا معك وانجدوك في حرب ١٩٧٣ ومنعوا اليهود من احتلال سعسع ام تقف مع ايران؟ هل تنكر مفاهيمك ومبادئك العربية يا اخ عبد الحليم؟ فأجابني الاخ عبد الحليم خدام: «ايران ٤٠ مليون نسمة وايران ستنتصر. وقد ترك الشاه لايران سلاح بلا حدود. والعراق لن يقدر ان ينتصر في هذه الحرب». اجبته: معلوماتي يا اخ عبد الحليم هي عكس ذلك ونحن لنا ضباط في العراق درسوا لنا الموقف هناك ونقلوا لنا تفاصيل القدرة العسكرية العراقية على تحقيق النصر في هذه الحرب. فدهش عبد الحليم خدام من كلامي وصرخ «هل عندكم ضباط في العراق؟» قلت له عندنا ثلاثة او خمسة ضباط خبراء اردنيين ذهبوا بقصد الدرس وعادوا ورفعوا لنا تقاريرهم عن الموقف. قلت لعبد الحليم خدام ايضا: يا اخي هل لو انتصرت ايران. أليس في ذلك ضربة لكل العرب؟ انا يا اخي عبد الحليم رأيت الخرائط العراقية والايرانية، ورأيت يا أخي عبد الحليم كل القواعد الايرانية وقد وضعت على حدود العراق. رأيت خطين متوازيين من القواعد العسكرية والمطارات الايرانية في مواجهة العرب وحدهم لا في مواجهة السوفيات ولا باكستان ولا تركيا. رأيت المستودعات الايرانية العسكرية على الحدود العراقية تستعد لزحف الجيش الايراني الى داخل حدود العراق. سمعت بني صدر بنفسي يقول «عندما يتحرك الجيش الايراني لدخول الحدود العراقية فانني لا استطيع ان امنعه من دخول العاصمة بغداد». قلت للاخ عبد الحليم: ان المسافة التي كانت قائمة بين مراكز القوات الايرانية وبين العاصمة العراقية لم تكن تزيد عن ١٢٠ كيلومترا. قلت لاخي عبد الحليم خدام يا اخي عبد الحليم هذا لا يجوز. فاجابني الاخ عبد الحليم: «وهل هذا وقت الحرب بين العراق وايران؟ هل نترك اسرائيل لكي نحارب ايران؟». اجبته: وهل قررتم انتم محاربة اسرائيل وشغلتكم العراق عن ذلك او امتنع احد عن مساعدتكم، او اعتذرنا لكم في الاردن بانشغال العراق بهذه الحرب، او قلنا انتظروا حتى ننتهي من حرب العراق ضد ايران؟ انا لا ارى هناك اشارات لاحتمال حرب سورية ضد اسرائيل. وها قد مر على الحرب العراقية ضد ايران خمسة شهور ولم نسمع برصاصة واحدة على حدودكم في الجولان مع اسرائيل..»

واستطرد رئيس وزراء الاردن قائلا بكل وضوح وصراحة:

ـ الحقيقة يا اخي ان سر الخلاف القائم بيننا وبين اخواننا في دمشق هو في هذه الحرب العراقية الايرانية. ان سوريا وبكل صراحة تقف ضد حكام العراق. وقد تأثر هذا العداء



مضر بدران يكشف الاسرار ويقول كل شيء

وتحول الى قضايا خطيرة وكلها مهمة. ثم انعقد مؤتمر القمة الاخير رغم المحاولات لافشاله لا مجرد تأجيله..».

سألت رئيس وزراء الاردن: لعلك تعني تأجيله؟

اجابني ـ مطلقا بل لافشاله ونسفه. ودليلي على ذلك انه في الوقت الذي كانوا يطالبون فيه بالتأجيل كانوا يصعدون الخلافات بيننا وبينهم. فاغلقوا الحدود السورية الاردنية وبدأوا حرب الاعلام بصورة شرسة وفي صباح ٢٣ ديسمبر اي قبل المؤتمر بيومين حشدوا ٣٠٠ آلية مدرعة على حدودنا الشمالية. كانوا يطالبوننا بالتأجيل والحشد العسكري يجري على حدودنا. والقصد واضح: هو منع رؤساء الدول العربية من المجيء الى عمان في ظروف يجري فيها محاصرة الاردن بالجيوش. لم يريدوا عقد مؤتمر ينال فيه العراق اي دعم في حربه ضد ايران. ثم ظنت سوريا ان الاردن سيجني المكاسب الهائلة من وراء مثل هذا المؤتمر. وقيل لنا على

لسان مسؤولين قابلوا الرئيس انه قال «انا لا احضر مؤتمرا في عمان برئاسة الملك حسين. واذا تغير المكان وتغير رئيس المؤتمر فأنا مستعد للحضور». ان الخلاف هو بسبب العراق. ثاني يوم للحرب العراقية كان هناك ثلاثة اتصالات تليفونية اجراها الملك حسين مع الرئيس الاسد. ثم علمنا ان هناك خطة سورية لقطع خط امداد العراق بالمؤن والبترول ولوازم البناء والادوية عند نقطة الازرق داخل حدود الاردن. . .».

وقال لي رئيس وزراء الاردن مستطردا:

ـ واستمرت عملية حشد الجيوش على حدودنا. واوشك الموقف ان ينفجر. وكاد بالفعل ان ينفجر عندما تصدت وتقدمت دبابة سورية حوالي مائتي متر نحو الحدود في منطقة شمال المفرق ورصدها احد جنودنا الاردنيين وكاد ان يطلق عليها النار وكانت لدى السوريين، وللاسف الشديد، معلومات خاطئة مغرضة وسطحية تقول لهم انه في حالة الحشد العسكري على حدودنا وقيام اي احتكاك بين الجيشين فان الموقف الاردني في الداخل سينفجر وسيقضي على الكيان. والواقع ان العكس تماما هو الذي حصل. وان الاردن لم يشهد التحاما جديا بين الشعب والجيش عندما حشدت سوريا جيشها على حدودنا الاردنية. طلبنا مئات من المتطوعين فجاءنا عشرات الالوف. انهمرت علينا التبرعات بما لايتصوره عقل. وعندما ادرك اخواننا في دمشق خطأ معلوماتهم عرفت بانهم شكلوا لجنة للتحقيق في هذه المعلومات الخاطئة. .».

★★★

وسكت رئيس وزراء الاردن للمرة الرابعة محاولا ان يستعيد ويجمع شتات افكاره.

قلت له، للرئيس مضر بدران.

ـ وماذا عن الوساطة السعودية في منع انفجار الموقف بينكم وبين سوريا؟.

واجابني الرئيس الاردني بعد تفكير:

ـ جاءنا الى هنا سمو الامير عبد الله بن عبد العزيز ثم راح الى سوريا وقام بالمساعي قالوا له في دمشق انهم مستعدون للانسحاب. .

وسكت السيد مضر بدران. .

وانتقل فجأة يكمل حديثه في موضوع اخر وكأنه يتهرب من الاسترسال:

قال لي:

ـ كنا نحن على استعداد تام. ولا اعرف جنديا اردنيا او ضابطا اردنيا احتياطيا الا ووضع نفسه تحت تصرف المعركة. شكلنا لواءين اردنيين كاملين من الضباط المتقاعدين تجاوزوا السن القانونية للخدمة وجاءوا من جديد للخدمة والدفاع عن الوطن، يضاف الى ١٧ الف متطوع اردني جديد، يضاف الى ذلك من الاحتياط الرسمي، يضاف الى ذلك الالاف من

الشباب والاولاد والاطفال كانوا كلهم يمشون ويرفعون الاعلام ويهتفون بحياة هذا البلد الصابر الصغير الوطني. . كان حماسا اردنيا منقطع النظير. ومضت ايام وقررنا ان نوقف حملاتنا الاعلامية بالرد على حملاتهم في دمشق. لكن دمشق لم توقف حملاتها ضدنا وحتى هذه الساعة ومع الاسف الشديد وقد سمعت ـ والكلام ما زال لرئيس وزراء الاردن ـ سمعت امس الاخ عبد الحليم خدام يعلن ان يسقط النظام الاردني من اساسه. وانا ـ والكلام ايضا للسيد مضر بدران ـ انا ارد عليه ان كلامه لن يحرك فينا شعرة واحدة وقد اعتدنا هنا في الاردن على هذا الكلام في الماضي. انني اقول لاخواننا في دمشق ان هذا نظام اردني اصيل حر عميق ويّرعاه الشعب ويباركه القدر» . .

وسكت الرئيس مضر بدران رئيس وزراء الاردن قبل ان يعود ويقول لي بالحرف الواحد:

ـ لاسبب لكل هذا النفور من الاردن.اخواننا في سوريا لاسبب هناك. أقسم لك لا سبب. قبل ايام وخلال وجوده في عمان قال لي الاخ عبد الحليم خدام وكأنه يداعبني بين الغمز واللمز «لعنة الله على اتفاقية سايكس بيكو فلولاها لما كان هناك شيء اسمه الكيان الاردني» . اجبته على الفور: حقا يا اخ عبد الحليم، لعنة الله على سايكس بيكو فلولاها لما كانت التجزئة، ولكان العرب بلدا واحدا. و لبقي العهد الملكي الفيصلي العربي هو العهد الرسمي في البلد العزيز السوري. . »

ثم سألت رئيس وزراء الاردن: الى أين يتجه الاردن في سياسته الحالية بالنسبة لقضية الشرق الاوسط؟

فأجابني:

ـ نحن لانتغير ولا نتبدل. رفضنا كامب دايفيد رغم كل الضغوط. وقطعوا عنا المساعدات ولم نتغير وهددونا ولم نتغير. وذهبنا الى قمة بغداد ومعنا اصرار على رفض كامب دايفيد. وأي ضغط جديد لن يغير من موقفنا والمسؤولية بمعناها البعيد واضحة المعالم بالنسبة لنا ولايمكن لنا ان نتمسك بامانة الحكم وامانة القضية بكل شرف ومهما كانت التضحيات الا اذا تمسكنا بهذا الموقف الامين الشريف. وعندما يتحدثون عن الخيار الاردني نرد عليهم بأن ليس هناك حل يحمل مثل هذا الاسم. هذه عبارة او مصطلح خلقه العدو وحزب العمل الاسرائيلي بالذات وتلقفته اجهزة الاعلام الغربية لغاية في نفس يعقوب. هناك حل واحد هو الحل الفلسطيني. . ودعم الاردن لمنظمة التحرير الفلسطينية في هذه القضية وللقضية في منظمة التحرير الفلسطينية لا يحتاج الى شرح ولا الى تفسير ومبادؤنا في ذلك هي الانسحاب الكامل من الارض المحتلة وعودة القدس ومنح الشعب الفلسطيني كافة حقوقه بما فيها حقوقه المنصوص عليها بالمقررات التي سبقت قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ . والقول بأن قيام دولة فلسطينية من شأنه ان يهدد أمن المنطقة هو ايضا قول صهيوني مرفوض منا ولم تنشأ

اسرائيل ولم تقم الا بموجب قرار دولي معروف ينص على اقامة دولة فلسطينية توازي تلك الدولة الاسرائيلية وتقف بجوارها وعلى حدودها ونحن نطالب بتطبيق هذا القرار الدولي دون الالتفات الى التفاهات والمتاهات واللهو بأشياء ثانوية كاتفاقية كامب دايفيد التي وصفها الملك حسين بأنها حصان ميت والتي وصلت فعلا الى باب مغلق وانتهت الى لا شيء . . ».

قلت لرئيس وزراء الاردن :

وهل تتوقعون قيام اتصالات دبلوماسية جديدة بينكم وبين الادارة الاميركية الجديدة قريبا؟

اجاب رئيس وزراء الاردن : رفضنا استقبال هنري كيسنجر لأنه صهيوني عريق . ومن حسن حظ الادارة الجديدة ان كيسنجر جاء الى المنطقة قبل ان يتسلم الرئيس الجديد مهام مسؤولياته ولو انه جاء بعد شهر من اليوم مثلا لقلنا ان السياسة الاميركية الجديدة مثلا هي استمرار للمأساة التي خطط لها في الماضي هنري كيسنجر» . .

قلت لرئيس وزراء الاردن : وماذا عن انور السادات؟

اجاب : «لا اتصالات لنا معه وهو مرفوض منا جملة وتفصيلا . . . ».

قلت : ودعوة الرئيس رونالد ريغان لجلالة الملك ماذا تم بها او حولها؟

اجابني : نحن لانتجمد ولا نقف ولا نتقوقع . نحن نتحرك دائما ولايمكن ان يتخلى الاردن عن تأييد اي حل او مبادرة او اتخاذ اية خطوة يرى فيها الفائدة للقضية الفلسطينية المقدسة . نحن مرة اخرى لانتقوقع ولا ننعزل ولا نتوقف ولا نتجمد . . ».

سألت رئيس وزراء الاردن : هل اندملت الجراح التي خلقتها عملية عدم اشتراك بعض الرؤساء العرب في مؤتمر قمة عمان الاخير؟

اجابني : «لا أخفي عليك باننا كنا ننتظر مجيء جميع القادة العرب الينا هنا في عمان . وكان الاتجاه عندهم في اول الامر ودون استفتاء بضرورة الحضور ، وقد اخبرتنا المنظمة قبل ثلاثة ايام من اجتماع وزراء الخارجية انها ستحضر وستشترك وكذلك الامر بالنسبة للجزائر وبالنسبة للباقين ونحن نفهم ظروف بعض الاشقاء التي حالت دون حضورهم ونقدر العوامل العاطفية والاسباب التي رافقت امتناعهم . ولذا نقول ان المقررات على مستوى وزراء الخارجية كانت بالاجماع وهي نفس القرارات التي وافق عليها الرؤساء في القمة بعد ذلك» .

ثم عاد الرئيس الاردني الى موضوع سوريا وقال بالحرف الواحد :

ـ «نحن لا علاقة لنا بما حدث في داخل سوريا . ولا شأن للاردن بالخلافات بين الشعب السوري والنظام القائم . ونعلم كذلك ان سوريا تعلم ذلك جيدا وعلى حقيقته التامة . وليس من العدل ولا من معالم الاخوة والصداقة في شيء ان يحاول اي نظام سياسي في هذه المنطقة ان

يعالج مشاكله السياسية في بلده عن طريق الحاق الاتهامات بدول خارجية محاولا اعطاء صورة غير حقيقية عما يحدث في الداخل ومحاولا ايضا ان يلقي مسؤولية الاحداث لا على فشله هو بل على نشاط الاخرين. . . ».

ثم قال لي رئيس وزراء الاردن:

ـ لقد صبرنا طويلا على اتهامات سوريا لنا. ولم نرد على هجومها الاعلامي والسياسي ضدنا. وسكتنا على التشهير بنا وعلى التهديدات ضد كياننا وتسلحنا بسعة الصدر والتسامح وكل ذلك لاننا نعرف اننا مع سوريا في خندق واحد ضد العدو الصهيوني ولذا ندعو لهم بالهداية وتقوى الله وندعو لانفسنا بالمزيد من الصبر عليهم وعلى هجومهم ضد هذا البلد الصابر الصغير. . ».

قلت لرئيس وزراء الاردن: ان كل عربي يهمه امر فلسطين ومصيرها لا يملك الا ان يأسف لمثل هذه الخلافات العربية وان يرجو زوالها سريعا من اجل فلسطين القضية ومن اجل اهلها الاسرى او المشردين ان لم يكن من اجل اي سبب اخر. .

فأجابني الرئيس مضر بدران:

ـ نحن لاندافع عن دور العراق بالنسبة لاتهامات سوريا ضد العراق، لأن العراق قادر ان يدافع عن نفسه ولكننا لانقدر ان نصدق بأن العراق يعمل ضد سوريا بينما جيش العراق وشعبه وقواته وامكانياته منهمكة في حربها ضد ايران. ان المنطق لايقبل الاتهام السوري ضد اخواننا في العراق وحتى لو كان بين البلدين خلافات سابقة في الماضي فاننا نعتقد بأن هذه الخلافات قد تجمدت على الاقل في الوقت الحاضر ان لم تكن قد تلاشت بسبب انهماك اخواننا العراقيين بما هو اخطر واهم عندهم. . . ».

قلت للسيد بدران:

ـ وكيف ستكون نهاية هذه الحرب بين العراق وايران في نظرك؟

اجاب: «ستنتهي هذه الحرب عندما تقوم سلطة ايرانية حقيقية فعالة قادرة ان تفاوض وان تتحمل المسؤولية وما دام الصراع السياسي الدائر في ايران قائما وما دام هناك تنافس على النفوذ وما دامت ايران تعيش في اعاصير الانقسامات الدينية والسياسية والعسكرية فان شعب ايران هو الذي يدفع الثمن. يجب ان يظهر في ايران من هو قادر ان يتحمل المسؤولية وان يتخذ القرار وهناك تنتهي الحرب لاننا نعرف تماما ان موقف العراق بالنسبة لشروط الصلح لاتنطوي على شيء من التطرف او التشديد واننا نعلم انه قد حان الوقت لتنتهي اسطورة الوصاية الايرانية على الخليج العربي وان تنتهي معها المطامع الايرانية التقليدية والصيحات الايرانية التوسعية بالنسبة لتصدير الثورة الى دنيا البحرين والخليج العربي بأسره. ان احدا لايهدد امن الخليج بقدر ما تهدده ايران، اكتب هذا عن لساني كمسؤول اردني فاذا زالت هذه

التهديدات؛ عادت المنطقة الى سلامها وامنها واستقرارها. . .».

قلت لرئيس وزراء الاردن:

ـ وماذا تتمنون على المؤتمر الاسلامي القريب بعد ايام قليلة؟ او بعد شهور قليلة؟

قال السيد مضر بدران:

ـ «أتمنى ان يعطي هذا المؤتمر قرارات واضحة عملية مفهومة بالنسبة لموضوع واحد مفهوم هو موضوع القدس الحبيبة. وأي قرار جديد حول القدس الحبيبة يكسب القدس الحبيبة املا جديدا في الخلاص والتحرر أليس كذلك؟».

قلت له: وماذا عن اقتصاديات الاردن؟.

اجاب وهو يتنهد:

ـ اننا نعيش في منطقة بترولية دون ان يكون عندنا بترول ان كل دولار واحد في زيادة اسعار البترول يحمل الاردن مبلغ خمسة عشر مليون دولار بالمقابل وقد زادت اسعار البترول خلال شهرين اثنين فقط ما يزيد عن اربعة دولارات للبرميل فمعنى ذلك اننا اصبنا بخسائر اضافية بلغت ستين مليون دولار وهذا ما لانقدر عليه. وما لا طاقة لنا به. اننا نريد ان نبني انفسنا ذاتيا وعسكريا واجتماعيا وكانت زيارة الشريف زيد بن شاكر رئيس الجيش الاردني الى اميركا مؤخرا وهي زيارة روتينية سنوية من اجل تنفيذ عقود التسليح المعقودة بيننا وبين الولايات المتحدة وهي زيارة مقررة كما قلت لك وعلاقتنا بمنظمة التحرير جيدة واهدافنا معها واضحة وقد حضروا هناك اعضاء اللجنة المشتركة مؤخرا وتباحثنا معهم بكل تفاهم واخلاص حول كل النقاط دون حدوث اي خلاف في وجهات النظر وقد لايخفى على احد ان اي خلاف عربي يؤثر مباشرة على قضية الفلسطينيين وعلى نفسية اخواننا الصامدين في الارض المحتلة وعلى الوفاق وعلى التضامن وعلى المحبة ان الاردن بلد يعيش على الوفاق وعلى التضامن وعلى المحبة لانطمع في احد ولا نختلف خلافا مع احد نحب بلدنا ونحترم بلاد الاخرين ونفهم الامور على حقيقتها ولا نكذب ولا ندخل ولانتحرف ولا نخون. .»

وسكت رئيس وزراء الاردن. .

قلت اسأله: وماذا ايضا؟

قال: «لم يبق عندي شيء يسمى «ايضا»! لقد افرغت امامك كل ما في جعبتي من اخبار واسرار»!.

★★★

وسكت رئيس وزراء الاردن ثم التفت صوب الباب فرأى وزير الخارجية الاردني السيد مروان القاسم يدخل علينا فقال له ضاحكا:

ـ «تعال يا مروان واكمل حديث السياسة عني فقد تعبت».

ولكن. . .

بعد مضي ٤ سنوات فقط، وبالتحديد في يوم الاثنين ١١ نوفمبر من عام ١٩٨٥ وجه الملك حسين الى رئيس وزرائه السيد زيد الرفاعي الرسالة الملكية التالية:

«. . انني اشعر اننا في الاردن على عتبة عهد جديد من حياة امتنا، عهد مشحون بالتحديات الجسام، مثلما هو مفعم بالامال الكبار، مما يجعل هذه المرحلة، مفترق طرق، فاما توجه نحو خير الامة وعزها وارساء قواعد امنها واستقرارها وضمان مستقبل اجيالها وصون كرامتها واعلان بشأنها، واما استمرار في تعثرها وتشتت طاقاتها وتمزق اوصالها وطمس سماتها وهوان امرها لاقدر الله. . »

. . وعليه فأنني ارى من واجبي ان اكاشفكم واسرتنا الاردنية الواحدة الكبيرة حول بعض ما اشعر بضرورة التنبيه اليه والاحاطة به، اذ ان القدرة على التقدم بنجاح نحو الاهداف الوطنية والقومية العليا وصون المسيرة من عبث العابثين وتضليل المضللين لايمكن تعزيزها بعد عون الله وتصميم الشعب الابوضوح الرؤيا وبالوعي العميق، ولاشك ان الجميع يذكرون كيف اننا في النصف الثاني من السبعينات وجدنا انفسنا والشقيقة سوريا بظروف دقيقة وصعبة وضعتنا قبل غيرنا في مواجهة اخطار فرض ارادة الطامعين علينا بالضغط والتهديد وبمحاولات التفوق العسكري ضد مصالحنا وفي سد الطريق امام كفاحنا وسعينا لدرء العدوان واستعادة حقوقنا المشروعة، وكان من الطبيعي والحالة هذه ان نتوجه الى تعزيز علاقاتنا الاخوية مع الشقيقة سوريا التي تشاركنا نفس الاقدار والاخطار، فعملنا معا وبروح من الثقة المتبادلة والتصميم المشترك على بناء قاعدة صلبة من التعاون والتنسيق وتشابك انسجة المؤسسات في البلدين على طريق التكامل الذي يتمناه ويسعى اليه كل عربي مخلص، ومن اجل ذلك بذلنا كل جهد ممكن بعزم وحيوية ومثابرة على امل ان يشكل هذا النموذج من التعاون الاردني السوري المثل والقدوة لما يمكن تحقيقه من تعاون اخوي خير قائم على الثقة المتبادلة والتعاون المتوازن بين سائر الدول العربية بغض النظر عن اختلاف انظمتها السياسية. وانطلقنا في كل ذلك من ايماننا العميق بان البقاء لله وحده وللشعوب والأمة.

وعلى اي حال فاذا كان للمسؤولية من معنى فان أسمى معانيها في اي زمان العمل بتفان وجد واخلاص من اجل الزمان الآتي التي تشغله اجيال جديدة، وفجأة وفي غمرة الحركة المباركة تداهمنا احداث منكرة مستنكرة ودموية فاجعة تقع على الساحة السورية وتسقط بسببها ضحايا عديدة من اخوتنا وابناء جلدتنا فنتألم لوقوعها ونحار في فهم اهدافها ودوافعها وبخاصة انها تقع في فترة تستدعي التلاحم والتعاضد بين ابناء كل مجتمع عربي وتلح على التصافي والتفاهم بين مختلف الدول العربية ثم نسمع من اخوتنا في اعلى مراتب المسؤولية في سوريا الشقيقة ان بعض هذا الذي يحدث له جذور في ديرتنا الاردنية وان بعض خيوطه تمر

خلالها فنفاجأ وندهش ونتأثر ويتكرر التلميح ويتحول مع الوقت الى عتاب فاتهام ويزداد تأثرنا واستغرابنا من منطلق تأكدنا من صفاء طوية اهلنا ونقاء سريرتهم، واعتقادنا بان مثل هذا الكلام لايمكن ان ينطبق على اي انسان على هذه الارض هجرته لله والوطن والأمة وعلى اساس يقيننا بمعرفتهم جميعا وثقتنا بان احدا منهم لا يمكن ان يرضى لنفسه ان يكون طرفا في اثارة الشر او اداة للهدم في اي بلد شقيق وبخاصة في سوريا التي كنا نواجه معها ظروفا صعبة وضعتنا في طليعة الاخطار المحدقة بأمتنا وحملتنا الى المسار الطبيعي، مسار التعاون المخلص الوثيق الذي كنا نعمل جادين لترسيخ قواعده على طريق حشد طاقات الأمة وقدراتها حينما بدأت هذه الاحداث المؤلمة الهدامة في الوقوع ونتيجة لتزايد المتاعب والاتهام من جانب اخوتنا في سوريا وفي غياب معرفتنا الدقيقة للذي كان يحدث بدأت الصورة المشرقة التي رسمناها في ضمائرنا عما ينبغي ان تكون عليه علاقاتنا مع سوريا الشقيقة تهتز وتتأثر ويتم لقاء بيني وبين سيادة الرئيس حافظ الاسد في بلغراد في ٨ ايار ١٩٨٠ بمناسبة تشييع جنازة الرئيس اليوغوسلافي الراحل تيتو ويتكرر العتاب من جانبه واكرر ما كنت اعتقد انه الحق في ان شيئا مما يقول لا اساس له من الصحة، وتتردى الاوضاع وتحدث القطيعة وتضيع الثقة وتتوتر العلاقات الى حد حشد الجيوش على حدودنا المشتركة وفجأة تتكشف الحقيقة ونتبين ما كنا نجهله من امر، ويظهر ان البعض ممن كانت لهم صلة بما كان يحدث في سوريا من اعمال دموية يتواجدون في ديرتنا ويأوون الى بيوت القلة ممن في قلوبهم زيغ المتسربلين بأردية ديننا الحنيف والمرتبطين بتنظيم دولي اتخذ من عدد من العواصم والمدن الغربية والعربية والاسلامية اماكن آمنة للتخطيط فيها والانطلاق بنشاطاتهم الدموية منها، مسيئين لاخلاق الاسلام وخارجين عن تعاليمه لارتكاب جرائم القتل والفتنة بين الناس «واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب».

«.. وتبين لنا ايضا ان هذه القلة كانت تخفي اعمالها التي استهدفت هدم ما يبنى وتمزيق ما ينسج بخبث ودهاء كبيرين تحت غطاء تقوى الله وتقوى الله منهم براء فتقوى الله تعني بناء الوطن لا تقويضه وحشد الطاقات لاتبديدها وجمع الشمل لاتفريقه وتعميق الثقة لا نسفها، وتقوى الله تعني العمل من اجل مرضاته في الدين والدنيا وفي القول والعمل «يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين».

«.. اذكر كل هذا لأعلن:

اولا: الحقيقة على الملأ جميعا حول اول خدعة انطلت علي وعلى الغالبية العظمى من ابناء الوطن المؤمنين وليعلم الناس كافة ان ما وقع ومازال يحز في نفسي حتى الان لانني ما اعتدت ابداً على انكار الحقيقة او التستر على الضلال.

ثانيا: لانبه الجميع الى شرور هذه الحفنة الفاسدة المفسدة وقطع الطريق على ما تخطط له

في الظلام بهدف تفريق الصف واثارة الفتن وتمزيق اوصال الأمة من خلال تسييس الدين الحنيف واخضاع معاني الخير السامية التي يقوم عليها الاسلام لاعتبارات السياسة، واثقا من ان اسرتنا الواحدة الواعية ستكون قادرة كما كانت على تمييز الخبيث من الطيب وتجنب الوقوع في شراك الضلال او الانسياق وراء المشعوذين والمخادعين والمفسدين في الارض كائنا ما كان شأنهم ولونهم ولبوسهم.

ثالثا: لأحذر هذه الحفنة الضالة المضللة التي اساءت الى ثقتنا بها، بإن لامكان بيننا بعد اليوم لماكر او غادر او متآمر او مؤتمر باهواء الاعداء والطامعين او مفسد يسعى للنيل من كلمتنا وعهدنا الذي نقطع للقريب او البعيد، ولن نسمح لاحد كائنا من كان ان يصنع المحن او يزرع الفتن او يبث الشكوك بين الاردن واحد من اشقائه.»

ان الاردن كان وسيبقى لكل امته ولن يخرج عن اجماع اهله ومن اساء لعربي فقد اساء الينا جميعا ولايحيق المكر السيء الا بأهله..»

لقد صمدنا بحمد الله وبتماسك شعبنا العربي المؤمن في وجه اعتى التحديات ووقفنا دائما وفي كل مجال مرتاحي الضمير ونحن ندافع عن الامانة التي نحملها في اعناقنا نحو الاجيال العربية الاتية ونؤدي واجباتنا الوطنية والقومية بكل تفان واخلاص ونحترم التزاماتنا ونحترم كلمتنا بكل امانة وشرف...»

اما وقد بدأت مع سوريا الشقيقة تباشير عهد جديد من العمل لخيرنا وخير امتنا جمعاء.

عهد عبر عنه شعبنا الاردني بالفرحة والسعادة كما جاء على لسان ممثلي الأمة بمجلسي الاعيان والنواب في ردهما على خطاب العرش، فانني واثق من ان هذه البدايات الطيبة تحظى ايضا بمباركة وسعادة كل اخوتنا في الوطن العربي الكبير...»

وفقكم الله وصان شعبنا وامتنا ومسيرتنا من كل اذى واحبط مساعي المفسدين والاشرار «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين». والسلام عليكم...»

الحسين

رد الرفاعي

● وفي مايلي نص الرسالة الجوابية التي بعث بها السيد زيد الرفاعي رئيس وزراء الاردن الى الملك حسين:

جلالة الملك الحسين المعظم

لقد حباك الله بالرأي المتروي الحصيف وبالشجاعة المتزنة التي تعرف للاقدام وقته وموضعه فتمضي دونما تردد ولا وجل، وقد عرف لك العالم اجمع هاتين الصفتين، واعترف لك بهما، فاكبر بك مواقف الاعتدال والوسطية، كما اعجب بما ضربته من امثلة متعددة للشجاعة في ما واجهته من الخطوب وحين كنت تبذل حياتك في خدمة بلدك وامتك وتقدم

روحك فداء لها، ودفاعا عن قضاياهما في الداخل والخارج، وكنت تقف شامخ الرأس موفور الكرامة تعلن على العالم اجمع ما تعتقد انه حق وعدل وصواب، ولو خالفك الناس اجمعين لا تخشى الا الله وحده ولا تستمع الا لصوت الواجب والضمير.»

- وقد جاءت رسالتك الاخيرة الينا اصدق مثال على ما تفردت به من القدرة على مواجهة النفس ومواجهة الغير وايقاظ الغافلين بصوت الصدق الذي يخاطب العالم اجمع ويصارحهم ويكاشفهم...»

لقد تدبرت وزملائي اعضاء مجلس الوزراء كل كلمة دبجتها يراعتك الكريمة في رسالتك الاخيرة، وادركنا فوق ما كنا ندركه دائما مدى الهموم العربية التي تسكن نفس جلالتك وتشغل بالك وثقل الاعباء العربية التي تحملها على كتفيك وتعيش معك وكل ذلك يفرض على كل مخلص لهذه الامة ان يلبي نداء جلالتك وان يستجيب لدعوتك الى الوئام العربي والصفاء بين الاشقاء كافة وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف لنستقبل العهد الجديد الذي وصفته جلالتك في مطلع رسالتك، لما يحقق لهذه الأمة آمالها في التحرر والعزة والازدهار.

ولئن طال البعد بين الشقيقتين الاردن وسوريا وامضهما الفراق، فقد ان لهما ان تعودا الى اللقاء بعد ان انجلت الحقائق وانكشفت الاستار، فتدفق النور وزال الالتباس والابهام والغموض، ودوت في الاسماع كلمات الحق والخير التي اطلقتها رسالة جلالتك...»

وليس لنا عند اشقائنا في سوريا الا ما لهم عندنا من الحب والصفاء والشوق الى اللقاء وتوحيد الجهود ليكون كل منا قوة للآخر ونكون معا قوة لامتنا العربية.

ونؤكد وفاءنا لجلالتك واننا على دربك سائرون، وحول قيادتك ملتفون.»

المخلص الوفي: زيد الرفاعي

وكفى الله المؤمنين القتال..



قصر الرئاسة - بغداد - ١٨/١/١٩٨١ - ٢٧/٣/١٩٨٣

مع صدام حسين

عين على بغداد .. وعين على القدس!

مع صدام حسين
عين على بغداد.. وعين على القدس!

اغارت طائرات العدو على المفاعل الذري بجوار بغداد! كيف؟ ولماذا؟ وما هي النتائج؟ وما هي الاسرار؟

وهل يقبل العراق بالتوقيع على اتفاقية منع تسرب الأسلحة النووية بعد ضرب المفاعل الذري في بغداد؟

ولماذا لم يبادر العراق الى الرد على العدوان بالعدوان؟

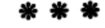
وفي احداث الحرب ضد ايران، لماذا لم يبادر العراق الى احتلال عبادان؟

والف سؤال؟ والف فكرة! والف موضوع!

وعند الساعات الأولى من فجر يوم الأحد ١٨ يناير من عام ١٩٨١، حطت بي الطائرة العراقية «الخاصة» فوق مطار بغداد الغارق في ظلام الحرب.

وبعد ٢٤ ساعة من وصولي، كنت ادخل القصر الجمهوري للالتقاء برئيس العراق، وقائد ثورته، وراعي نضاله، وحامل راية حربه نحو النصر، الأخ الثائر العربي صدام حسين.

وكان هذا الحديث..



● قلت للرئيس العراقي صدام حسين: لعل الملك حسين بن طلال كان اول من أيدكم في هذه الحرب أليس كذلك؟

● فأجاب الرئيس العراقي على الفور وبحماس ظاهر:

«طبعا. وقد كنت انا مترددا في ابلاغه تفاصيل تطور أزمتنا مع الايرانيين خوفا من ان يشعر الملك حسين بأننا نريد مساعدته لنا في هذا الصراع وقد قلت له ذلك شخصيا بعد ان تسلمت منه أول اتصال تليفوني شجعني بدوره على ان اقول له: «والله يا أبو عبد الله كنت اود ان اعلمك بتفاصيل الموقف كله لولا خشيتي ان يظن احد بأننا انما نفعل ذلك من طرفنا جريا وراء مساعدة قد نحتاج اليها وأنا اشكرك على مخابرتك الاخوية هذه واعتز بتأييدك يا أخي وأفخر به كل الفخر..» ولم أشأ ان أعلن عن هذا الاتصال التليفوني مع الملك حسين

الى ان بادر المَلك بنفسه واعلن ذلك. انني اعتز بموقف ملك الاردن فقد كان أول عمل قام به بعد عودته من السفر في الخارج ولم يمض على اشتعال الصراع ضد الايرانيين سوى وقت قصير حتى بادر واتصل بي مؤيدا ومناصرا ومهنئا سلفا بالنصر. . .».

سألت رئيس جمهورية العراق:

وماذا سيكون موقفكم لو عادت سوريا الى حشد قواتها على حدود الاردن وانفجر الموقف من جديد؟.

● اجابني الرئيس صدام بهدوء:

على كل حال نحن نضمر للملك حسين كل الخير وكل النصر وكل السعادة والملك حسين نعتبره أخا لنا و(غيره) خارجا عنا وستتصرف على ضوء هذا الموقف».

قلت للسيد صدام حسين: من الذي قصف مركز التجارب والابحاث النووية في العراق منذ شهرين؟.. وللمرة الأولى... عام ١٩٨١؟

● أجاب: «لقد ظهرت امامنا عدة ظواهر لم يحن الوقت للكشف عنها ولكني اقول لك ان الذي قصف هذه المراكز النووية هي ايران مضافا اليها (قوة اخرى غير ايرانية) ولكنها تملك نفس النوع من طائرات الفانتوم الايرانية واعني بالذات اسرائيل. ان بعض الطائرات التي قصفت تلك المراكز واسقطناها وقبضنا على طياريها من الايرانيين كشفت عن اشتراك ايران في العملية بينما البعض الاخر من الطائرات التي اشتركت في القصف المذكور لم نعثر على طياريها لان مسمار الامان الموضوع في الطائرة لانقاذ الطيار في حالة سقوط طائرته كان منزوعا من مكانه مما ادى الى هلاك هؤلاء الطيارين تعمداً لاخفاء هوياتهم..».

واضاف الرئيس العراقي:

ـ «النوع الأخير من الطائرات كانت اسرائيلية وكان طياروها اسرائيليين».

قلت للرئيس العراقي: هل في حسابات العراق انتاج الاسلحة النووية؟

● اجابني الرئيس العراقي:

«ان الحسابات الاساسية يا اخي للعراق محصورة باستخدام الذرة لخدمة العراق والامة العربية ولا مجال لاي حديث عن استخدام الذرة للغايات العسكرية لان الناس الذي يتحدثون عن الذرة يحرصون على عدم الخوض في هذا الموضوع الدقيق خاصة وانهم يعرفون مدى امتلاك العراق للتكنولوجيا الحديثة واساليبها وتطوراتها مما لايتيح لنا الخوض في تفاصيل هذا الموضوع الدقيق. ولكني اقول لك اننا ما زلنا في استعمال الذرّة للاغراض السلمية متمسكين بهذا المبدأ يضاف الى ذلك اننا نحن الذين طرحنا في الامم المتحدة ذلك المشروع الذي يهدف الى اصدار قرار دولي يجعل منطقة الشرق الاوسط خالية من الاسلحة النووية».

قلت للرئيس صدام ولكن اسرائيل تقول انها على استعداد للتوقيع على اية اتفاقية من

شأنها ان تمنع تسرب الاسلحة الذرية فماذا تقولون انتم في ذلك؟

● أجابني الرئيس صدام حسين:

«هذا لايكفي. وهذا لن يرضينا. ان على اسرائيل ان تقول بأنها مستعدة لان تدمر جميع اسلحتها الذرية. اما عن الاكتفاء بمنع تسرب الاسلحة النووية بعد ان انتجت وامتلكت اسرائيل القنابل الذرية ولا تريد الان ان تتسرب هذه الخبرة النووية الينا في العراق او الى غيرنا من العرب فان هذا التحايل مفهوم لدينا تماما. ان على اسرائيل ان توافق على ان تفتح جميع ابوابها امام هيئة تفتيش دولية للبحث عن كل ما تملكه اسرائيل من اسلحة نووية وامكانيات نووية عندها وان تدمرها وبعد ذلك فاننا كعرب مستعدون ان نعطي تعهدا خطيا للعالم بأسره بأن لاننتج اي سلاح ذري مطلقا».

قلت للرئيس العراقي وكأنني اسعى لان اسمعه يردد كلامه المسؤول من جديد:

ـ الا يكفي يا سيادة الرئيس ان تعلن اسرائيل عن استعدادها في عدم السماح بتسرب الاسلحة الذرية منها او اليها؟

● اجابني صدام حسين:

«نحن هنا نطالب بتطبيق جميع قوانين وقرارات الامم المتحدة المتعلقة بهذا الموضوع وعلى اسرائيل ان تطبق هذه القوانين وهذه القرارات. نحن لا ننتج قنابل ذرية. ولكننا لن نسمح لاسرائيل ان تمنعنا من الوصول الى الحلقات التكنولوجية القادرة بدورها على انتاج الذرة باسلوب علمي يتناسب مع تطورنا وتطور حياتنا وامكانياتنا وعقليتنا ومعنوياتنا...».

قلت أسأل الرئيس العراقي: نرجو ان تكون الغارة الانتحارية الاخيرة على مراكز الأبحاث النووية في العراق قد فشلت في اصابة هذه المراكز؟

■ أجابني الرئيس بثقة: «قلنا يا اخ ناصر ونقول ايضا وسنقول دائما ان الرجال الذين امتلكوا هذه الامكانيات بالامس هم أنفسهم قادرون على امتلاكها اليوم وغدا وبعد غد فيما لو دمرت تلك المراكز او اصيبت. اؤكد لك انه لم يعد بالامكان فرض اي حصار حول الامة العربية بالنسبة لهذا الموضوع. نحن نملك العقل السياسي ونملك الامكانيات الاقتصادية ونملك العلاقات الدولية المطلوبة للوصول الى الحلقة المفقودة في ميدان العمل النووي مهما طالت الطريق....».

قلت للرئيس العراقي:

الا ترون ان اصراركم على المضي في سلوك هذا الطريق الخطير مع ما تقومون به من بناء للانسان للعراقي وللوطن العراقي قد تعرضكم يا سيادة الرئيس كما سبق وعرضت غيركم من زعماء عظماء معروفين في تاريخ الشرق العربي المعاصر الى مؤامرات دولية اعتاد خصوم العرب توجيهها الى كل من يحاول تهديد المصالح الامبريالية في المنطقة او بناء الانسان العربي

القوي؟

● أجابني الرئيس صدام حسين: والله منذ أن تسلمنا السلطة حتى اليوم والمؤامرات تحاك ضدنا باستمرار. وكلما وضعنا انفسنا لخدمة هذه الامة وخدمة هذا الوطن ازدادات المؤامرات الخارجية شراسة وضراوة. ونحن نضع هذا دائما في حسابنا ونعرف خطورته. وقد قلت في ٦ ديسمبر الماضي وفي اجتماع مجلس الوزراء العراقي ان هناك دولا كبرى تريد ان تخطف منا روح النصر. وقلت للعراقيين تمسكوا بالثقة، تمسكوا بالعزيمة، تمسكوا بروح النصر واننا لمنتصرون.

قلت للرئيس العراقي هل العراق يا سيدي الرئيس على استعداد للمساهمة والاشتراك من اجل الوصول الى حل عادل للقضية الفلسطينية؟

● أجاب: لقد سبق وأجبتك عن جزء من هذا السؤال من قبل. اذا كنت تعني بالحل العادل يعني هو الحل المنطوي ضمن مفهوم البدائل الفنية فالمقارنة نسبيا باتفاقية كامب ديفيد مثلا شيء غير مقبول ومرفوض. اما الحل الذي يعيد للعرب وللعراق الحقوق الكاملة في فلسطين وبدون دم فاننا على اتم الاستعداد لقبوله غدا صباحا ونحن مستعدون حتى للتوقيع على مثل هذا الحل نيابة عن العرب اذا أرادوا منا ذلك.

سألته مقاطعا وما هو هذا الحل في نظركم ياسيادة الرئيس؟

● أجابني : ان تعود للعرب فلسطين ويعود العرب الى فلسطين. قلت هل تعني كل فلسطين؟

● أجاب الرئيس العراقي: نعم اقول لك هذا كعربي يتكلم الى عربي. وكل حل جزئي لايغلق الباب امام استرجاع فلسطين فنحن معه.

اما أي حل يسدل تراب الموت والنسيان على فلسطين الوطن والقضية ويعلن ضياعها الى الابد فنحن ضده.

قلت ولكن امريكا تتهمكم بالتطرف..

● أجابني الرئيس العراقي مقاطعا: ونحن ايضا نتهم اميركا بالتطرف. ونحن ايضا نتهم اميركا باغتصاب حقوقنا وسرقة ارضنا. هي تتهمنا بالتطرف لاننا نريد استعادة حقوق العرب الضائعة. هل هذا يا اخي كلام معقول؟ هل اصبح من ينادي باستعادة حقوقه الضائعة متطرفا في القاموس الدولي؟ نحن نتهم اميركا علنا بصداقة اسرائيل وبالتحالف مع اسرائيل ضد المصالح والحقوق العربية.

قلت للرئيس العراقي هل من اجل صداقة امريكا لاسرائيل بقيت علاقتكم الدبلوماسية مقطوعة مع الولايات المتحدة الامريكية؟

● أجابني الرئيس صدام حسين: والله لهذا السبب قطعت. نعم لهذا السبب قطعت.

قلت له ومتى تعود هذه العلاقات بينكم؟

● اجابني: تعود عندما نعرف ان في عودتها مصلحة للعرب اولا وللعراق ثانيا.

قلت أسأله: أليس من شروط اللعبة الدبلوماسية ان تهادنوا امريكا ما دمتم في حرب ضد ايران؟

● أجابني الرئيس صدام: نحن فهمنا اللعبة الدبلوماسية الدولية ولكننا لن تستخدمها. قد يكون مفيدا على الصعيد الدبلوماسي لنا لو اننا اعدنا علاقاتنا الدبلوماسية مع اميركا ولكن عندما ننظر الى الامور بمنظار استراتيجي واسع فاننا نريد ان تفهم اميركا أننا لسنا من النوع الذي يلعب أو يحب اللعب. نحن لانريد أن نستهين بعظمة اميركا و نقلل من اهمتها الدولية التي تضعها كواحدة من اهم دولتين عظيمتين في هذا العالم ونحن نتمنى لو ان اميركا نظرت الى حقوق العرب في غير منظار الانحياز المخزي لاسرائيل لوجدت ان علاقاتنا معها تصبح ايجابية مثمرة وفعالة. ولكن الى ان تصبح علاقة اميركا بالعرب علاقة ايجابية ونظرتها الى حقوقنا نظرة عادلة فاننا لانعيد علاقاتنا الدبلوماسية معها.

قلت للرئيس صدام: وللان لم يحصل ذلك أليس كذلك؟

● لا لم يحصل ذلك.

قلت للرئيس العراقي: الا يكفي ان تكون امريكا عدوة لعدوكم الفارسي؟

● قال الرئيس صدام: لا.. هذا لايكفي.

قلت وكأني اود ان استعيد كلامه من جديد:

وما الذي يكفي؟

● أجابني الرئيس: ليس من شروطنا ان تصبح اميركا صديقة للعرب بل من شروطنا ان تتوقف اميركا، وهذا يكفينا في الوقت الحاضر، عن صداقتها لاسرائيل على حسابنا وعلى حساب الحقوق العربية.

قلت للسيد الرئيس العراقي:

هل قامت امريكا بأي مجهود دبلوماسي يهدف الى اعادة علاقتكم معها فواجهتموها بشروطكم ومفاهيمكم للعلاقات الدبلوماسية معها؟

● أجابني الرئيس صدام حسين: ما اكثر ما قامت به اميركا من محاولات حول هذا الموضوع وما اكثر ما أجبناها بمثل هذا الجواب الواضح.

قلت: ومتى كانت اخر محاولة منها؟

● قال: منذ شهرين اثنين سألتنا اميركا ان كنا نوافق على ان يلتقي ممثل دبلوماسي لنا في الامم المتحدة مثلا بممثل دبلوماسي لها بالمنظمة الدولية المذكورة او ان كنا نوافق مثلا ان يزور المنطقة ممثل دبلوماسي منها فيزورنا ونستقبله رغم انقطاع العلاقات الدبلوماسية بيننا فأجبنا اميركا ان

لا مانع لدينا في ذلك وعلى اي مستوى سياسي تريد بشرط واحد ان يسبق مثل هذا اللقاء اجراء عملية حساب وتقدير حول ضرورة مثل هذا اللقاء ومنافعه وابعاده. فاذا ذهب منا دبلوماسي عراقي الى نيويورك وطلبتم الالتقاء به فلا مانع لدينا بشرط دراسة الموضوع واعداد الاستنتاجات حول نتائجه. وبالفعل طلب المستر موسكي وزير خارجية كارتر الالتقاء بوزير خارجية العراق السيد سعودن حمادي منذ شهرين في نيويورك وتم اللقاء رغم وجود قطع العلاقات الدبلوماسية بيننا.

قلت وماذا كان موضوع الحديث في اللقاء المذكور؟

● أجاب صدام حسين: طرح المستر موسكي وزير خارجية الرئيس كارتر موضوع اعادة العلاقات بين العراق وامريكا وحاول ان يوضح لوزير الخارجية العراقي وجهة نظر امريكا حول ما يسمى بمشكلة الشرق الاوسط. وقد شرح السيد سعودن حمادي وجهة نظرنا حول ذلك وقال للوزير الاميركي انه عندما نعتقد ونرى ونشعر بأنه من مصلحتنا ومصلحة العرب ان نعيد علاقات العراق الدبلوماسية معكم فاننا سنفعل ذلك علنا وعلى رؤوس الاشهاد. اما قبل ذلك. واما غير ذلك. فلا. لالا.

سألت رئيس العراق ان كان متفائلا بمجيء الادارة الامريكية الجديدة فأجابني:

● الاساس يا اخ ناصر ان امريكا كدولة كبرى لاتجري التعديلات على سياستها بصورة جذرية وانما تجري هذه التعديلات بصورة جزئية وعلى شكل مجرد لمسات بسيطة مؤقتة وعابرة. هذه اللمسات نحن لا نقول بعدم تشجيعها ولا نقول بعدم مراقبتها او اهمالها وانما نقول ان علينا عدم اعتبار هذه اللمسات كتحول جذري في سياسة امريكا الخارجية. يجب ان نشجع اي تعديل ايجابي يقع ولكن في وضمن القياسات النسبية فقط ثم ننظر الى اية تفاعلات قد تنتج عن مثل هذا التعديل قبل ان نلعب دورنا الفعال تجاه امريكا. ان لدى امريكا في المنطقة مصالح ولها في الوطن العربي مصالح ولو استعمل العرب جديا هذا الاسلوب الضاغط سياسيا واقتصاديا على امريكا وهنا لا أعني بالضغط مجرد الجمود وانما اعني بالضغط (المتحرك) لجرت تعديلات جذرية في السياسة الاميركية اكثر بكثير مما جرى او مما لم يجر حتى الان.

قلت للرئيس صدام مقاطعا:وما هو هذا الضغط يا سيدي الرئيس؟

● اجابني الرئيس صدام حسين: اعني يا اخي ان يقول العرب لامريكا وبالفم المليان وبصراحة تامة انه من غير المعقول ومن غير المنطقي ان تستمر مصالح امريكا في المنطقة على حالها ودون ان تتأثر او تتضرر بينما انتم يا امريكان تقفون الى جانب اسرائيل وضد المصالح العربية.

قلت للرئيس العراقي:

وهل العراق يا ريس على استعداد لان يتكلم بمثل هذه اللغة مع امريكا؟

● اجاب: دون شك وبلا تردد وبكل وضوح.

قلت له أسأله: وهل العراق على استعداد لكي يستعمل مثل هذا الضغط على امريكا؟

● أجابني رئيس العراق: نعم نعم وقد سبق لنا وقلنا هذا الكلام لاميركا عدة مرات. والعلاقات العراقية مع اميركا مقطوعة حاليا بسبب ذلك وحول هذا الموضوع بالذات.

قلت مقاطعا: هل العراق ياسيدي وبالتحديد ايضا على استعداد لاستعمال سلاح البترول ضد امريكا بغية ارغامها على مساندة الحق العربي؟

● أجابني صدام حسين: في الماضي دعا العراق جميع العرب الى استعمال سلاح البترول في حرب اكتوبر. وفي الماضي وفي خلال حرب اكتوبر عمد العراق الى تأميم مصالح اميركا في العراق بما فيها البترول. ونحن نعتبر ان كرامتنا تفرض علينا مواجهة العدو بكل ما نملك من اسلحة وان نواجه صديق العدو بالاسلحة القادرة على ان تشل صداقة هذا الطرف الى اعدائنا. لو قال حكام العرب لاميركا ويجد اننا غير مستعدين ان نتحمل النتائج المترتبة على ضغوط الرأي العام العربي ضدنا وبسبب الظلم الواقع على الحق العربي من طرفكم وان تستمر مصالحكم على حالها بينما انتم في صف اسرائيل.. اقول ـ والكلام لسيادة صدام حسين رئيس العراق ـ لو قال العرب لاميركا ذلك لانقلبت السياسة الاميركية من حال الى حال. اقول لك ان بين الشعب الاميركي اقلية يهودية ولكن ليس كل الشعب الاميركي من اليهود. أقول لك ان الاغلبية الساحقة للشعب الاميركي لهذه الاغلبية مصالح في المنطقة العربية تحرص عليها هذه الاغلبية. وكذلك ان للشعب الاميركي كرامة واستقلالية ووطنية اميركية خاصة وخالصة وخاصة به وقد بدأ هذا الشعب يتململ ويتذمر من الضغوط الاسرائيلية عليه. وقد حان الوقت لكي يتحرك العرب ذلك لمصلحتهم ومصلحة قضاياهم.

قلت للرئيس العراقي اسأل وكأني اناشده المزيد من الحديث في هذا الموضوع الدقيق: وماذا ايضا؟ فأجاب الرئيس قائلا: ـ

● انا متأكد ان استعمال السلاح المناسب في الوقت المناسب هو الطريق الصحيح والوحيد للانتصار في معارك الدبلوماسية والسياسة كما هو الصحيح والوحيد للانتصار في معارك الحروب.

ـ قلت وانا أعود بالحديث الى موضوع الاردن:

الان يا سيادة الرئيس وقد اصبحت العلاقات بينكم وبين الاردن في هذا المستوى الاخوي الرفيع هل نستطيع ان نطمع في ان نرى امكانيات العراق وقواته ورجاله تقف على خط حدود المواجهة المباشرة مع العدو؟

● قال الرئيس بلهجة العتاب: قل لي ومتى تأخرت هذه الامكانيات العراقية عن الاردن او

عن اي بلد عربي . . ؟ متى حبسنا ـ لاسمح الله ـ امكانيات العراق عن أن تكون في خدمة العرب كل العرب . . ؟

ـ قلت: انا اعني يا سيادة الرئيس حالات السلم وحالات الحرب على السواء .

● أجاب ضاحكا: وماذا تريد من هذه الامكانات ان تفعل في حالات السلم على حدود العدو المباشرة . . ؟ نحن نقول للعالم العربي اننا دائما نقف في خدمة اشقاؤنا العرب وخاصة أشقاؤنا العرب الذين وقفوا معنا في هذه المحنة وفي غيرها امام اعدائنا .

● ثم وقف الرئيس قليلا وقال:

ـ فاتني ان اقول لك شيئا بالنسبة لجوابي عن سؤالك لي في اول الحديث حول موضوع الوحدة مع سوريا . نحن لم نحاول اقامة اي وحدة مع اي قطر عربي اخر غير سوريا . لم نجعل من موضوع الوحدة العربية ألعوبة نسمح لانفسنا ان نلهو بها او نستخف بقيمتها او ان نستغلها لمآرب داخلية خاصة . الوحدة عندنا مقدسة ولذا لم نحاول ان نقيمها اليوم لكي نتخلى عنها غدا ولن نحاول ان نجعل منها ورقة ندور بها على دول الغرب . نحن لم نقترح الوحدة الا مع سوريا بينما اسأل نفسك انت كم مرة قامت دمشق باللعب على الوحدة مع مصر ومع ليبيا ومع الاردن ومع غيرها من الدول وعندما تجد الجواب ستجد الجواب ايضا على من هو الطرف الذي كان جادا في خطوات الوحدة مع سوريا ومن هو الطرف الذي لم يكن جاداً .

ـ قلت للرئيس العراقي : ومن جملة اتهام اعدائكم لكم انكم تترسمون خطى الراحل الزعيم جمال عبد الناصر من اجل خلق زعامة عربية جديدة تنطلق من بغداد وتتولى زعامة العرب فماذا تقولون في لك؟

● اجاب صدام حسين: ان الراحل جمال عبد الناصر جزء من تاريخنا كما هو جزء من تاريخ الامة العربية وهو جزء عظيم نفتخر به رغم العثرات التي تعرضت لها مسيرته . ونحن درسنا هذا الجزء الهام بعمق وتفهم كما درسنا تجربته بعناية واستخلصنا منها الدروس ولكن . .

وصمت الرئيس العراقي قليلا قبل ان يقول لي:

● ولكن أن نتشبه بجمال عبد الناصر او بغير جمال عبد الناصر فهذا لا نفعله لان ذلك ليس من سياستنا ولا من عاداتنا او تقاليدنا . ولا يعني ذلك استصغارا منا للاخرين او قلة احترام لهم وانما نقول ان لكل مرحلة ظروفها ورجالها ومسؤولياتها واخطارها وقد جاء جمال عبد الناصر ضمن مرحلة تاريخية معينة ونظامنا هذا جاء ضمن مرحلة اخرى مختلفة . نحن لم نقل مطلقا اننا نريد ان نتزعم العرب ولكننا قلنا وما زلنا نقول اننا في خدمة العرب وكل ما نريده هو تحقيق عز هذه الامة وعلوها وعظمتها ولاجل هذا نبقى مستعدين دائما لان نقدم لامتنا ولاشقائنا كل شيء نقدر عليه ونقدمه لهم بكل تواضع واحترام ونقول لهم ما يجوز ان نقوله

لهم من اراء ونصائح ونقوله لهم بكل تواضع وبكل صدق. وقلنا لاخواننا العرب في لقاءاتنا المختلفة معهم اننا نعطيكم كل الحق لكي تنتقدوننا بارائكم وبتوجيهاتكم حول كل ما يتعلق بنا وبأمورنا الداخلية والخارجية بشرط ان تكون الروح المساندة لمثل هذا العمل هي روح المحبة والتعاون والايجابية والاخوة، وبالتالي فاننا نستأذنكم في ان نقدر على ان نصارحكم بآرائنا الواضحة حول كل ما يتعلق بأي جزء من سياستكم المتعلقة بالوطن العربي. ضمن هذا الاطار السليم نتصرف مع اخواننا العرب وهو اطار مناسب لهذه المرحلة وليس ضمن اي اطار سياسي او فلسفي اخر كاطار الزعامات مثلا لان اطار الزعامات يستفز اخواننا وأشقاءنا العرب، ويستفز الكيانات الوطنية ويستفز الحكام العرب الاخرين. الاطار الصحيح هو اطار التفاعل الطبيعي الاخوي وليس الفرض بالقوة. هذه هي سياستنا التي نتصرف بموجبها. قلنا لاخواننا العرب ذلك عدة مرات وقلنا لهم ذلك مؤخرا في مؤتمر قمة عمان الاخير بأننا قد نتمنى لكم ان تكونوا مثلنا وقد تتمنون انتم بدوركم لنا ان نكون مثلكم وكل منا مقتنع بنظامه فخور بكيانه. ولكن يجب علينا ـ وبغض النظر عن تمنياتنا وعواطفنا ـ ان لاننسى ايضا بأننا مجرد كيانات وان ندرك ايضا وان ندرك ذلك تماما باننا مجرد انظمة لا تواجه امامها احتمالات الضم او العزلة وحدهما لا وانما تواجه امامها احتمالا معقولا ثالثا اكثر خيرا واكثر ايجابية من هذين الاحتمالين واعني به الاتفاق التام على تبني الخطوة الاساسية المصيرية المتعلقة بمستقبلنا ضمن ظروف ايجابية متوفرة دون اي اعتبار اذا كانت مثل هذه الخطوة اقل من تمنيات فريق من العرب او انها كانت اكبر من تمنيات فريق عربي اخر.

وسألني صدام حسين: هل تفهمني؟

قلت: تماما.

● فاستطرد يقول لي: «هذه هي سياستنا الصحيحة القادرة على ان تقدم خدمة واقعية بكل معنى الواقعية لهذه الامة وتكون في نفس الوقت سياسة دورية لانها سياسة هادفة تقدمية تتطلع دائما الى اعلى...».

ـ قلت للرئيس العراقي:

ـ ولكن اليست مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي لاتؤمن كثيرا بالكيانات؟

● قال الرئيس صدام حسين:

«انا قلت لك ان لكل عربي الحق في ان يتمنى ما يتمناه ولكن على كل عربي ايضا ان يدرك باننا مجرد كيانات وان يتصرف بصورة لاتلغي واقع الكيانات ولكنها تحفظ له واقع التمني..».

وابتسم صدام حسين وقد عاد يسألني:

ـ هل تفهمني؟



الرئيس صدام حسين يتحدث معي

ـ قلت ضاحكا هذا ياسيادة الرئيس حبل مشدود من الصعب المشي فوقه بأمن وسلامة.

● قال الرئيس: «ولكنه ليس مستحيلا. هكذا تقول لنا تجربتنا. قد يكون صعبا ولكنه لن يكون مستحيلا..».

ـ قلت للسيد صدام حسين: لعلك سمعت صيحات الادارة الامريكية الجديدة التي تنادي بضرورة اعادة بناء القوة الامريكية في العالم ـ ومن بينها الشرق الاوسط ـ لاجل استعادة هيبة وكرامة امريكا في العالم فماذا تقول؟

● اجابني الرئيس العراقي: «ان للدول الكبرى الكثير من الاماني والتمنيات. ولكن واجبنا كعرب ان لانسمح لاميركا او لغير اميركا ان تجعل تمنياتها على حساب العرب وان تكون استعادتها لكرامتها، أو لهيبتها العالمية على حساب فقدان الحق العربي او الكرامة العربية. ان لكل دولة كبرى استراتيجتها الدولية التي قد يحلو لها ان تسميها بالمسؤولية الدولية. ولكن علينا ان نعمل من أجل تضامننا واستقلاليتنا وتعاوننا مع المحيط الدولي ـ ضمن الاطار الذي يخدم مصالحنا ـ ان نفعل ما يخدم مصالحنا وحدها ويحقق امننا وسلامنا وسعادتنا وحدها دون الالتفات الى اي شيء اخر.

-●-

ـ سألت الرئيس العراقي:

ـ وهل منح القواعد العسكرية لامريكا او منح امريكي التسهيلات الحربية كما يسميها الرئيس المصري انور السادات، هل هذا يتفق مع المصلحة العربية العليا؟

● اجابني صدام حسين بصوت عال:

ـ لا .. انا اقول لك لا. ان هذا لايخدم المصلحة العربية. ان اعطاء القواعد العسكرية او التسهيلات للجيوش الاجنبية يضع العرب على مائدة التقسيم والمصالح الدولية المتضاربة.

ـ قلت اسأله: وعندما تقول دولة عربية معينة انها عندما تفعل ذلك اي تعطي التسهيلات والقواعد العسكرية للاجنبي ـ لكي تحمي نفسها من التسلل الشيوعي الخارجي ـ فماذا نقول لها وبماذا نرد عليها؟

● اجابني صدام حسين: نقول لهذه الدولة بلهجة السؤال: هل تعرفين يا دولة عربية كيانا عربيا واحدا استطاع الاجنبي ان يحميه بقوة السلاح رغم انف ارادة شعبه..؟ هل تعرفين يا دولة عهدا عربيا اعتمد وحده على القوة الاجنبية وضمن البقاء..؟ فاذا اجابت هذه الدولة العربية بالايجاب عندئذ نقر لها بصحة قولها وتصرفها. اما اذا كان الجواب سلبيا وان الحاكم ، اي حاكم، لايحمي نفسه الا بقوة شعبه وباشقائه وبعلاقاته الصحيحة مع العالم الخارجي.. عندئذ نقول بعدم الحق وعدم المنطق في الاعتماد على قوة الاجنبي لخدمة الذات في الداخل العربي. وقد عمدنا الى اعلان هذه الاراء في شهر فبراير من عام ١٩٨٠ قبل ان تبدأ صراعاتنا مع ايران. وقلنا في ذلك الاعلان ان العربي يجب ان لايشهر سلاحه ضد اي عربي اخر وان العربي يجب ان لايمنح اية تسهيلات عسكرية ولا أية قواعد للاجنبي وان العربي يحل مشاكله بنفسه وبالاسلوب السلمي دون استخدام السلاح الا دفاعا عن السيادة وان العربي يقف دائما الى جانب اخيه العربي عندما يكون الطرف الاول واقفا في خندق الدفاع عن مصالح العرب القومية ضد الاجنبي. هذه مبادىء بسيطة سبق وان اعلناها للعرب ويؤسفنا ـ يا اخي ـ ان بعض العرب لم يسمعها ولم يطبقها.

ـ سألت الرئيس صدام: هل استطيع ان اسألكم عن رأيكم فيما تسمى بالمبادرة الاوروبية حول قضية اسمها الشرق الاوسط؟

● اجابني الرئيس العراقي: نحن دائما نشجع اي اجنبي يحاول ان ينتقل من موضع الى موضع في عملية فهم القضايا العربية على حقيقتها. ولكننا في غمرة هذا التشجيع النسبي لا نحاول ان نتخذ منه مشروعا يحدد لنا حقوقنا. وقد قلنا هذا للاوروبيين بصراحة ان بينهم وبين الحل العادل المطلوب للقضية الفلسطينية مسافة طويلة ولكننا مع ذلك نشجعهم للانتقال من حالة الى حالة دون ان نتبنى مواقفهم او خطواتهم كمشاريع نحل بها قضايانا. قلت هذا للفرنسيين وقلت مثله للمستر ثورن ممثل لكسمبورغ وقلت مثله لكل من سألني من الجماعة الاوروبية.

ـ قلت للرئيس صدام حسين: وكيف تصفون علاقتكم الحالية مع بريطانيا؟

● اجابني: انا اقول انها علاقة طبيعية.

- قلت: وهل هي طبيعية وحسنة؟

● قال: لا اسميها حسنة وانما أسميها طبيعية.

- قلت: وماذا عن علاقتكم مع الولايات المتحدة الامريكية؟

● اجابني: انها علاقة ليست جيدة.

- قلت: ومع السوفيات. ما هي علاقتكم مع السوفيات؟

● اجاب الرئيس العراقي ضاحكا: انها علاقة حسنة.

ثم استطرد: دعني اقول هذا.. انها علاقة حسنة.

- قلت: ماذا تتوقع ان ينتج عنه المؤتمر الاسلامي بعد اسبوع؟

● قال: انا اختار كلمة «اتمنى» بدلا من كلمة «اتوقع».

- قلت: وماذا تتمنى ياسيادة الرئيس؟

● قال صدام حسين: اتمنى ان يؤدي هذا المؤتمر الى تعميق الصلات الاسلامية مع ايجاد خط واضح امام دول المسلمين يؤدي الى المزيد من تفاهمهم ويقوي استقلاليتهم ويضاعف تفاعلاتها مع دول العالم.

- قلت للرئيس: هل يمكن ان يكون في احتمالات التضامن داخل المؤتمر الاسلامي القادم بعد اسبوع بعض التعويض وبعض العزاء عما اصاب العرب من خلافات داخل مؤتمر القمة الاخير في الاردن؟

● اجابني الرئيس العراقي بصراحة تامة:

- لا.. لايمكن ان يعوض عن الخسارة في المحيط العربي اي شيء.

- قلت: هل ستتقدمون للمؤتمر الاسلامي المذكور بأية اقتراحات محدودة حول اي موضوع معين؟

● قال: دعني احتفظ بجوابي على السؤال الى ما بعد انعقاد المؤتمر.

- قلت: سيدي الرئيس. كيف فهمتم انتم القرار الاسرائيلي الاخير بضم مدينة القدس اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين واعلانها عاصمة ابدية لاسرائيل؟.

● أجابني رئيس جمهورية العراق:

- هذا القرار لم يكن مفاجاة لنا بكل ما انطوى عليه من استراتيجية صهيونية واضحة المعالم والاهداف. وكذلك كان هذا القرارر بالنسبة الينا ليس بالشيء الجديد ولا بالحالة الجديدة لانه فعلا يدخل ضمن استراتيجيتنا العربية المضادة لاستراتيجية العدو حول تحرير الوطن المحتل. اما جوابنا على هذا القرار الاسرائيلي كمعالجة حالة معينة فاننا، كما تعلم - لم نكتف بالاحتجاج ولا بالحزن او التفجع وانما تحركنا عندما سافرت بنفسي الى الطائف في السعودية

واتخذنا مع المسؤولين في المملكة العربية السعودية قرارا واضحا باستراتيجية واضحة تقول ان أية دولة تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل سنقاطعها على كافة المستويات. وان كل دولة تحتفظ بسفارتها في القدس بعد انقضاء شهر واحد من صدور هذا القرار سنعلن مقاطعتنا لها دبلوماسيا واقتصاديا. ولم يكد ينقضي شهر واحد حتى رحلت السفارات الاجنبية الموجودة في القدس الى خارجها واصبح قرار اسرائيل بلا مضمون وبلا قيمة.

● واستطرد الرئيس العراقي يقول:

ـ وهكذا اعطينا رأينا تجاه قرار اسرائيل حول القدس قوة عملية جعلت لموقفنا المعلن مع المملكة العربية السعودية الاثر المباشر الفعال بنفس قيمة القرار الاسرائيلي.

ـ قلت للرئيس العراقي:

انا ضعيف امام مدينة القدس. انها بلدي. وكيف ترون يا سيادة الرئيس طريق خلاص القدس؟

● اجابني الرئيس العراقي القائد العام للجيش العراقي:

ـ يكون خلاص القدس بتخليص القدس.

ـ قلت: كيف؟

● قال: اذا خلصت القدس بالطريق السياسي الدبلوماسي الذي لايغلق الابواب الاخرى امام خلاص بقية فلسطين فلا بأس ولا مانع. والا فاذا كان لابد من السلاح فلا بأس ولا مانع. في الحالتين نحن راضون وواثقون. وفي الحالتين نحن مستعدون. نحن مع الدبلوماسية بشرط ان لاتضيع علينا بقية حقوقنا. ونحن مع السلام اذا لم يكن من حمل السلاح بد.

ـ قلت: أين تقف تركيا الجارة المسلمة بالنسبة لحربكم ضد ايران؟

● اجاب الرئيس: موقفها منا ليس عدائيا وليس مضادا وقد قمنا بشرح الموقف لها فتفهم قادتها الامور على حقيقتها.

ـ قلت: وماذا عن موسكو؟

● قال: الاتحاد السوفياتي احد الدولتين الاعظم التي تربطنا بها علاقة وصداقة ضمن مفهوم الصداقة الدولية. ونحن نحرص على هذه العلاقة وعلى هذه الصداقة معا. لانني قلت لاميركا بانها لو كانت منصفة، ولو كانت عادلة في موقفها تجاه العرب لكان لها منا في العراق وفي الوطن العربي الموقف الودي الذي يختلف تماما عن موقفنا الحالي منها بينما يقف الاتحاد السوفياتي ـ بغض النظر عن التفاصيل والحسابات ـ موقفا وديا ومناصرا للقضايا العربية. لذا نحن نحرص على علاقتنا مع الاتحاد السوفياتي فهي دولة كبرى تؤيدنا وتبيعنا السلاح الذي نطلبه مما اوجب علينا ان نشرح لها بدورنا تفاصيل الامور المتعلقة بصراعنا ضد ايران وقد

وجدنا منها تفهما حقيقا.

ـ قلت للرئيس العراقي: هل كان تفهم السوفيات لتلك الامور كاملا وعلى الوجه الذي نطلبه ونتمناه؟

● اجابني الرئيس العراقي: هناك امور نتفق عليها مع السوفيات وهناك امور اخرى يجري حولها بعض الاختلاف. أليس هذا طبيعيا.. أليس كذلك..؟

ـ قلت: وقد سمعنا ان ابن الشاه الراحل قد اعلن نفسه امبراطورا في مكان والده. فما هو رأيكم؟

● اجاب الرئيس صدام:

ـ على اية حال نحن دائما نقول ان اشكال الحكومات واسماء الحكام هي امور تحددها الشعوب المختصة نفسها وليس غيرها. الشاه ليس عربيا وابن الشاه الحاضر ليس عربيا كذلك فالحكم ومن يحكم في ايران وابن الحاكم الايراني امور يقررها شعب ايران وحده لانحن.

-●-

قلت: يذكرنا الحديث عن الشاه بالحديث عن الرئيس المصري انور السادات.. ترى ما هي شروط العراق من اجل عودة الرئيس المصري للصف العربي لكي تعود مصر الغالية الى الحظيرة العربية؟

● اجابني الرئيس العراقي:

ـ هذه افتراضات مليئة بكلمة لو.. ولكني اعتقد ان الرئيس السادات قد اختار موقفه نهائيا نتيجة افتقاره الى القوة والى الثقة بنفسه وبأمته..

قلت: وماذا هو الحل؟

● قال: يتوقف المستقبل على من يخلف السادات..

قلت: وهل يمكن لأحد ان يفعل شيئا مع وجود البنود السرية والروابط المؤلمة التي تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد وما بها من قيود؟

● اجاب رئيس العراق:

ـ ان الحاكم المؤمن قادر دوما على خلق الظروف القادرة بدورها دوما على خدمة الامة وخدمة الوطن.

قلت للرئيس العراقي: كيف كانت اثار الحرب على البترول العراقي انتاجا واسعارا؟

● اجابني الرئيس: الاسعار لم تتأثر بالحرب.. اما التسويق فقد تأثر.. وكذلك تأثر الانتاج بسبب قلة التصدير وصعوبته التي تضاءلت بسبب ظروف هذه الحرب... ولكني لا استطيع ان اكشف لك ـ بسبب ظروف الحرب الدائرة وسريتها ـ عن نسبة انخفاض الانتاج او

انخفاض تصديره.

سألته: هل ستطالبون بأي نوع من الحكم الذاتي للمواطنين العرب في منطقة عربستان كشرط من شروط ايقاف الحرب؟

● اجاب: ان الشيء الطبيعي ـ ولدينا في العراق اقلية كالاكراد وافقنا فعلا على منحها نظام الحكم الذاتي ـ ان تكون عواطفنا باستمرار مع اية حالة مماثلة في اي بلد اخر.. وهناك في ايران خمس قوميات مختلفة فاذا توفرت الظروف لهذه الاقليات الايرانية ان تتمتع بنوع من انواع الحكم الذاتي فاننا نرضى بذلك ونؤيده ونباركه لانه ينسجم مع تفكيرنا وسياستنا، اما ان نتقدم نحن في العراق بمثل هذه المقترحات فهذا امر يخص الشعوب الايرانية نفسها..

قلت للرئيس صدام حسين: ولماذا لاتفعلون ذلك نيابة عن العرب في عربستان بوصفكم عربا مثلهم؟

● اجابني: نحن حتى هذا اليوم لم نتصرف على ضوء هذا الواقع الجديد الذي خلقته هذه الحرب وانما ننظر الى الموضوع كمبدأ عام، فالامر طبيعي اذن ان نشعر بالتأييد لاخواننا العرب هناك وخاصة تجاه دولة معادية ما زلنا في حالة حرب معها.. ان أي شعب يسعى لنيل حقوقه وتقرير مصيره فنحن معه ونؤيده..

سألت الرئيس صدام:

ـ وهل تشعرون بالاطمئنان الكافي الى قدرتكم على امتلاك السلاح الكافي اذا طالت هذه الحرب اكثر مما طالت حتى اليوم؟

● اجاب مع شبه ابتسامة:

ـ ألا تعتقد يا اخي انها قد طالت فعلا بما فيه الكفاية؟ لقد دخلت هذه الحرب حتى الان شهرها الخامس وهي اطول حرب نظامية منذ الحرب العالمية الثانية، ورغم ذلك فالسلاح الذي بين ايدينا هو سلاح جيد وكمياته جيدة ومواصفاته جيدة ولذلك لا داع للقلق من ناحية السلاح.. ولكني اقول لك ان ظروف الحرب من شأنها ان تخلق ظروفا ومناسبات وسياسات مختلفة ومتضاربة لن تمنعنا كلها من ان تمتلك القدرة على التعامل مع هذه الظروف ومع هذه السياسات.. اطمئنك مرة اخرى واقول لك ان سلاحنا جيد جدا..

سألت الرئيس العراقي:

ـ ولماذا لم يتم احتلالكم لعبدان رغم مقدرتكم العسكرية على احتلالها؟

●اجابني صدام حسين:

ـ والله يا اخي نحن اعلنا مبدءا معروفا عاما وهو اننا لم نحارب ايران لكي نسيطر على او نمتلك ارضا ايرانية نضيفها الى ارض الوطن العراقي؛ وانما ذهبنا الى الجبهة نحارب في عمق الارض الايرانية لكي نبعد الشر عن المدن العراقية ونبعد القنابل والقصف والارهاب عن

الشعب العراقي الذي تعرض لقنابل ايران من وراء الحدود الايرانية، ولكي نسترجع حقوقنا المغتصبة من ايران.. ولذلك حيثما وجدنا ان اي عمل عسكري كاحتلال المدن مثلا يقربنا من نيل حقوقنا عمدنا فورا الى احتلالها كما فعلنا حتى الان.. والعكس بالعكس، فاذا رأينا ان اي عمل عسكري اخر هو الذي يحقق لنا الغرض المطلوب دون اي احتلال عسكري عندئذ لن نقدم على احتلال شيء.. انا لا اغلق باب الزحف والاحتلال العسكري ولكني اقول ان الساحة العامة تتسع لاعمال اخرى غير عسكرية.

قلت للرئيس: الا تخشى ان تتطور هذه الحرب في حالة استمرارها طويلا الى حرب استنزاف تكلفكم الكثير من المال والامكانيات والجهد والبشر؟

● اجاب الرئيس العراقي على الفور:

ـ اريد ان أسألك: وهل يوجد امامنا خيار غير هذه الحرب حتى النصر؟.. لا.. لايوجد امامنا اي خيار اخر.. لو لم نقاتل ايران داخل اراضيها لزحفت علينا ايران وحاربتنا داخل اراضينا.. هذه الحالة ستستمر ما دامت حالة الحرب مستمرة.. ثم اني اقول لك ان خسارة ايران في حالة بدء حرب الاستنزاف ستكلف ايران اكثر مما ستكلف العراق بكثير.. ان خسائر ايران بشرا وامكانيات ستكون اكثر بكثير من خسائرنا.. فبالمقارنة ايران ستكون هي الاكثر خسارة لانها ستكون في حالة استمرار الحرب معرضة كمشروع قابل للتقسيم والتفتيت والانهيار.. وكذلك فان اطالة هذه الحرب ستصل بالوضع الداخلي في ايران الى حالة التأزم والانفجار والصراع الداخلي.. وحالة الحرب ستقتل من رجال ايران وستدمر من اقتصاد ايران اكثر منا ومن اقتصادنا ومن رجالنا لان الحرب قد بدأت في حرب اراضي وخنادق بعد ان ضعف سلاح الطيران الايراني وتلاشى اثره ومفعوله.. ولكن يجب ان نلاحظ انه بعد مرور خمسة شهور على هذه الحرب قد دخل سلاحنا في عمليات عسكرية كانت تهدف الى اسناد القطاعات والهجوم على ساحات العمليات، وكان يفعل ذلك بمعدل ثلاثين غارة جوية في اليوم الواحد، هذا ما جرى في الخفاجية وفي الشهر الخامس عشر من عمر الحرب.. اعود وأطمئنك: طيراننا سليم وقطاعاتنا البرية سليمة.. قد نخسر عشرة شهداء لكن ايران تخسر مقابل ذلك مائتي قتيل. وقد نجد طائرة ايرانية تقصف منزلا عراقيا بينما طائراتنا الان تقصف مراكز ايران العسكرية في قلب المدن الايرانية.. حرب الاستنزاف نعم.. تشكل خطرا على الايرانيين اكثر مما تشكل خطرا علينا..

قلت للرئيس العراقي:

ـ ولكن هناك خطرا كبير ان تطرأ حالة ما وتفتح الباب امام تدخل الدول الكبرى في هذه الحرب.. الا تفكرون بمثل هذا الاحتمال.

● اجابني رئيس العراق:

ـ التدخل من الدول الكبرى احتمال قائم بصورة او باخرى . . وانا لا أملك ولا انت تملك ولا احد يملك اي ضمان بعدم احتمال مثل هذا التدخل من اية دولة كبرى. اما ان تتطور هذه الحرب الى صورة اكثر ضراوة واوسع شكلا فهذا ايضا احتمال قائم جدا بصورة او بأخرى . .

قلت للرئيس صدام :

ـ وهل في ذلك اية مصلحة لكم ـ اعني العراق؟

● اجابني وهو يحدق في شموع الثريا الضخمة المعلقة في سقف مكتبه في القصر الجمهوري :

ـ نحن لانريد ذلك ولكن ذلك لن يهزمنا . . كل الحسابات الدولية لن تهزمنا . . كل المفاجآت اعددنا حسابها ولن تهزمنا . . نحن على موعد أكيد مع النصر . . بل لقد حققنا هذا النصر بالفعل . .

سألت الرئيس صدام :

ـ وماذا عن عقود السلاح المعقودة مع فرنسا لحسابكم . . هل تأثرت بهذه الحرب؟

● اجاب صدام حسين :

ـ اعلنت فرنسا رسميا انها ملتزمة وستنفذ تماما جميع عقودها والتزاماتها مع العراق . . ونحن في هذا الموضوع ليست لنا أية شكوى . .

سألته . سمعتك تتحدث عن بعض الجنود العراقيين القلائل الذين قلت ان عددهم لايتجاوز عدد اصابع اليد وقد قيل انهم جبنوا في المعركة وتخلفوا عن الاقدام . . ترى ماذا كان مصيرهم؟

● اجابني الرئيس صدام حسين :

ـ نحن لانخفي الحقائق عن الشعب . . هذه عادتنا . . كل ما يتعلق باحتمالات الحرب وكل ما يتعلق بوقائعها واحداثها نعلنه للشعب بلا عقد وبلا خوف . . الموضوع باختصار انني قلت للعراقيين انتبهوا للشجعان في صفوفكم واحذروا غير الشجعان منكم . . اردت ان اقول لهذا الشعب ان يراقب جنوده بفخر . . وان يقرأ الشجاعة في عيون اهله . . وان على الاطفال والنساء ابداء مظاهر الفخر والاعجاب بكل جندي ذاهب الى الجبهة او عائد مع النصر منها . . اردت ان احذر الشعب من اية حالةً ضعف قد يجدونها عند اي فرد من صفوف الجيش . . مجرد احتمال ليس الا . . مجرد تحذير اكثر منه حالة واقعية رغم اني اعرف ان حالات الخوف كحالات الشجاعة والبطولة موجودة بين الجيوش في كل بقاع العالم . .

سألت صدام حسين :

ـ هل ترون ارتباطا مباشرا بين مسيرة هذه الحرب وبين قضية الرهائن في ايران؟

● اجابني : انا بدوري أسألك كمواطن عربي : هل تعتقد انت بذلك؟ انت تعرف العراق جيدا . . العراق لايمكن ان يكون في خدمة الاجنبي او روقة في حساباته لا من قريب ولا من

بعيد.. أنا ضد اي ثمن للافراج عن الرهائن قد تضطر امبركا دفعه لايران ويكون على حساب العراق.. نحن لانساعد أميركا لايجاد حل لقضية الرهائن ولكننا لن نقبل ان تتم عملية حل هذه المشكلة على حسابنا.. اننا نتمنى ان لايحصل ذلك.. لكن اميركا نراها تغمز لنا وتقول بالتلميح ما معناه انها مستعدة لان يدفع العراق «مهر» العلاقة الجديدة بين اميركا وبين ايران..

وسكت الرئيس صدام قبل ان يقول بصراحة تامة:

ـ نحن نعتقد ان لاميركا ضلعا في هذه الحرب.. حربنا ضد ايران وقد قامت اميركا بالذات بتشجيع نشوب هذه الحرب.. وهناك في بعض الاوساط الاميركية عناصر شجعت ايران للوصول معنا الى هذه الحالة المتفجرة لكي تعيد اميركا حساباتها وترتب امورها وهل تذكر تصريح الرئيس السابق او الحالي او الاخير كارتر قوله عنا اننا في حرب ايران نقوم بدور الغزاة واستعمل كلمة «انفيديرز»..

سألت الرئيس العراقي وانا اخرج به من موضوع الحرب الى موضوع السياسة:

ـ وما هي فلسفتكم الخاصة في الحكم يا سيادة الرئيس؟

● اجابني امين سر القيادة القطرية لحزب البعث العراقي ونائب الامين العام للحزب.

ـ فلسفتي في الحكم هي فلسفة حزب البعث العربي الاشتراكي..

قلت: أليست لديكم نظرة خاصة بكم الى الحكم؟

● قال: اجل هي نظرية العمل المنبثقة من نظرية الحزب والمتفاعلة باستمرار مع المتغيرات العامة..

سألته: نحن في الشهر الاول من العام الجديد فهل توقعاتكم بالنسبة لاحداث هذا العام اقرب الى التفاؤل ام الى التشاؤم حول الوضع الدولي؟

● اجاب الرئيس العراقي:

ـ الواقع ان الوضع الدولي غير مستقر ولا يدعو الى الارتياح والامور كما نراها تسير الى حرب باردة جدا بين الكتل الكبرى مما يؤثر على العالم الثالث وعلى الدول النامية وعلى العرب بشكل خاص..

سألته: وهل من مصلحة العرب اشتعال مثل هذه الحرب الباردة واستغلالها منهم لحل قضاياهم ام ان ينادي العرب بالسلام والوئام ويكون اتفاق الدول الكبرى على حسابهم؟

● اجابني صدام حسين:

ـ انا اذا كنت لا اتمنى ان يتحقق تفاهم الكبار على حساب العرب الا انني كذلك لا اتمنى ان تستمر الحرب الباردة ويستمر القلق في العالم على حساب سعادة الانسان العالمي واستقراره..

سألته: وما هي كلمتكم الموجهة لاخوانكم العرب في الوطن العربي بوصفكم القائد المسؤول لجيش من اكبر واهم الجيوش العربية الذي يخوض هذه المعركة المصيرية ضد ايران؟

● اجابني صدام حسين:

ـ اتمنى لاخوتي العرب لكل العرب العز والمجد والرأس المرفوع والنصر في كل معاركهم السياسية والاقتصادية والعسكرية واتمنى لاخوتي العرب لكل العرب في كل بلد عربي السعادة والنصر على اعدائهم واتمنى لهم التضامن والتفاهم والاخلاص في خدمة الوطن الكبير..

قلت له: وما هي كلمتكم الى اميركا في عهد رئيسها الجديد هذا الاسبوع:

● قال صدام:

ـ اتمنى على اميركا ان تفهمنا واتمنى عليها ان تتفهم حقوقنا في قضايانا واتمنى ان تنظر الى العرب نظرة جديدة ذكية مثقفة تستوعب فيها بدورها النظرة الجديدة والنفسية الجديدة للامة العربية وان تدرك ان عرب اليوم بامالهم والامهم ويقلقهم وبثوراتهم وبوعيهم لم يعودوا راضين بانصاف الحلول وانصاف الحقوق..

ـ قلت للرئيس العراقي:

ـ وما هي كلمتكم لاخوانك في المملكة الاردنية الهاشمية؟.

● اجابني صدام حسين:

ـ كلمتي للاردن الحبيب هي كلمتي لكل عربي مواطن شريف كريم الذي يقف وقفة العز مع اشقائه بلا خوف ولا تردد في مثل هذه الظروف المصيرية الحاسمة.. انني اعتز بالاردن شعبا وملكا وحكومة وان وقفتهم معي لا أنساها ولن انساها..

وانهى الرئيس العراقي قائلا: احمل سلامي للملك حسين انني اتمنى له العز واتمنى له المجد وأسأل الله كما نقول نحن في العراق «ان لا يسدها في وجهه» لقد قام الملك بدور في هذه الحرب لن ينساه له التاريخ.

وعندما سكت صدام حسين سمعت نفسي أقول له:

ـ انا كمقدسي جاور اهله المسجد الاقصى يا اخي الرئيس احفظ درسي جيدا واعرف ان نبوخذ نصر منذ اربعة الاف سنة قد جاء الى القدس من بغداد..

● اجابني صدام حسين فخورا:

ـ ليس نبوخذ نصر وحده الذي جاء الى فلسطين من هنا.. رجل اخر جاء الى فلسطين من العراق وكان بطل حريتها وكان اسمه يا اخي صلاح الدين الايوبي..

قلت للرئيس العراقي وانا اعود به الى حديث الذكريات:

ـ كان المفروض ان تكون وحدة العراق مع سورية في العامين الماضيين هي الامل الكبير الذي حققه العرب باصرار وعزيمة، وان تكون هذه الوحدة هي الرد على استسلام انور

السادات وان تكون البديل عن كامب ديفيد ولكنها ضاعت يا سيادة الرئيس فمن الذي اضاعها؟

● اجابني الرئيس العراقي :

ـ نحن سعينا الى الوحدة مع سوريا بصورة جدية ونحن قلنا علنا وبتصريح رسمي للصحفيين السوريين في دمشق أثناء فترة «الميثاق» اننا لانرى بانه لم يكن هناك في السابق اسباب جدية للخلاف بيننا وبين المسؤولين السوريين ولكن الظروف الحالية كما قلنا لهم في ذلك الوقت وبعد كامب ديفيد كانت تحتم علينا اقامة الوحدة مع سوريا قلنا ذلك بصراحة ووضوح ولكنك اذا اردت ان تعرف السبب في فشل هذا المشروع عليك ان تسأل من الذي «يلعب» في مسألة الوحدة؟ . . وهل اعلن العراق مرة من قبل عن وحدة ما مع اي قطر اخر ثم لعب بعد ذلك بتلك الوحدة المقدسة؟ اما الطرف الاخر فأمره معروف لجميع العرب وبذلك تستطيع ان تعرف من هو المسؤول عن ضياع ذلك الحلم الجميل؟ . .

قلت للرئيس العراقي صدام حسين :

ـ وما هي اهم نتائج تجربتكم في حمل المسؤولية القيادية في العراق اعني ماذا تعلمتم من هذه التجربة المسؤولة في الحكم؟

● اجابني :

ـ تعلمت الكثير ليس بمفردات التاريخ وانما تعلمت الكثير بعمق هذا التاريخ الحي المتحرك الى العصر الذي نحن نعيش فيه هذه الحالة في الواقع ما كانت موجودة عندي بهذا العمق قبل الثورة التي قادتنا الى الحكم . . ولذلك ترى كلامنا اغلبه كلام رفاقنا في الحزب ولا اقول كلاما الا ويكون التاريخ العربي موجودا فيه بكل معانيه العظيمة سواء ما يستنبط به من دروس او ما يستنبط به من عقيدة . .

قلت له : اذن كان سير التاريخ وكأنه سير الحزب حزب البعث وكانت خطوات التاريخ وكأنها خطوات حزبكم؟

● اجابني الرئيس صدام :

ـ نعم اجل ولكن ليس بعملية استنساخ اعني ليس كصورة مطابقة تنسخ التاريخ في حلقات الماضي ثم تأتي بالنسخة الى العصر الحالي وانما اعني التاريخ المتحرك الذي تحرك بالفعل الى هذا الحاضر ولا أعني الحاضر الذي عاد الى الماضي . .

ثم استطرد قالا :

ـ انا اعتبر هاتين النقطتين الاساسيتين اهم ما تعلمته على المستوى العقائدي اما على المستوى الدولي العملي السياسي فقد تعلمت ان الصداقة والعداوة على الاغلب حالة تمليها المصالح اذ ليس هناك صداقات بمعنى ان تأتي الى الحكم مثلا ان صديقك يموت معك وتموت

معه في الحياة وفي المعارك وعند الحاجة وعندما تراه يحتاج اليك تتقاسم معه لقمة العيش وعندما يكون في موقف يكون الصديق واقفا الى جانبه. . هذه الامور بعد ان جئنا للحكم ومارسناه لم نجدها هكذا وحتى لانظلم العلاقات الدولية فان فيها شيئا كثيرا من هذا كله ولكن هذا كله هو حالة عند تلك الدول لا استطيع ان اسميها بانها الطابع الاساسي لاخلاقها. . اريد ان اقول ان هذه الحالة مرتبطة بالنظرة الاستراتيجية للمصلحة بمعنى ان تلاقي الاستراتيجيات مع تلاقي المصالح او تلاقي فيما بينهما في الغالب فالاستراتيجيات هي الاخرى ايضا موضوعة على اساس المصالح المتصورة لدى الدول وهذا لا يعني بالطبع ان الدول ليس لها عقائد بل اعني ان اتحدث عن الجانب الذي يتصل بموقف الدول الاخرى، الخارجية من تلك الدول المعنية.

قلت للرئيس صدام:

ـ ياسيادة الرئيس هل انت تفضل النظرية الاولى اي ان نبقى متمسكين بأخلاقنا وعاداتنا وفلسفتنا تجاه السياسة ام انك تفضل النظرة الاستراتيجية لدى الشعوب والتي تختار المصلحة فوق الاخلاق. .

● اجابني الرئيس صدام:

ـ نحن عرفنا ما حدثتك عنه واختبرناه ولكننا لم نستخدمه ولم نتصرف على اساسه في علاقاتنا مع الدول، ولذلك ترانا الان علاقاتنا في الخارج مع الدول الفقيرة في افريقيا وفي امبركا اللاتينية وثيقة ومتنوعة وكبيرة لاننا لانريد ان نصدر لتلك الدول الفقيرة من صناعاتنا مثلا فيعود علينا بالخير ولا نريد من تلك الدول الضعيفة مثلا ان تقف الى جانبنا في وقت الشدة لاننا نفهم تلك الدول ونلتمس لها الاعذار ولا نحرجها في اي موقف لاننا ننطلق من مبادئ حزبنا وهذا امر طبيعي ان هناك بالاضافة الى مبادىء الحزب هناك مصالح امتنا وهناك اخلاق امتنا وان اخلاق ومصالح امتنا ممزوجة بهذه المبادىء يعني ان قضية النظرة الى الكيان الصهيوني ليست مصالح لنا ولكنها حق ضائع ومغتصب لهذه الامة وليس عيبا عندنا عندما تكون علاقتنا عميقة وواسعة وان يدخل ضمن هذا الاعتبار في العلاقة الواسعة والعميقة ان تفهم هذه الدول الكبرى المعنية اننا على حق في صراعنا مع عدونا واننا نطلب لنا حقنا منه وليس المقصود به هو ان نغتصب ارضا لاحد وانما المقصود ان نعيد الارض المغتصبة لنا. .

قلت للرئيس: بهذه التجربة لعلكم قد أصبتم بخيبة أمل من دولة معينة كنتم ترجون منها الصداقة فاذا بها تبادلكم العداء من حاكم معين في المحيط الدولي وليس من العرب وحدهم اليس كذلك؟

● اجابني الرئيس صدام حسين قائلا: ـ

ـ منذ ان تولينا المسؤولية في يوليو عام ١٩٦٨ لا اعرف بلدا عربيا طلب مساعدتنا

فرفضناه، أو، لجأ الينا فتخلينا عنه او سمحنا لانفسنا ان نتدخل في أمور بلده رغم ارادته او ان نضع شروطنا على احد او اننا ناصرنا اجنبيا على عربي او وقفنا موقفا لا يتسم بالشرف والوطنية كل هذا فاذا بدا لدولة عربية معينة ان تناصر اعداءنا علينا او تتهمنا بما ليس فينا فاننا نتركها ونترك موقفها معنا لحكم التاريخ وحكم الشعوب وحكم المصير العربي بأسره.. ان قافلتنا تسير ونسير معها من نصر الى نصر..

قلت للرئيس صدام حسين:

ـ ولكن يتهمكم خصوم البعث ايضا بأن حزب البعث المذكور قد فشل في تحقيق مبادئه المعروفة بعد ان تولى السلطة بدليل خلافاته وانشقاقاته مع اخوانه في خارج العراق؟

● اجابني صدام حسين مسؤول حزب البعث في العراق وكأنه يستطرد كلامه السابق قائلا:

ـ منذ ثورتنا في تموز ١٩٦٨ حتى اليوم لم يخطر على بالنا فكرة قومية واحدة الا وقد وضعناها في خدمة اخواننا العرب بلا تعال ولا امتنان ولا غرور ولا اعرف، وما سمحنا لانفسنا فيه لاقدر الله ان نتآمر مع الاجنبي على أي عربي مهما كانت علاقاتنا الخاصة مع ذلك الاجنبي من القوة والتحالف.. ولم نكذب يوما على عربي واحد بأي خبر سياسي او عسكري او اقتصادي، ولم نحشر انفسنا في صميم مشاكل اي قطر عربي دون اذنه ودون موافقته.. ان النهج الجدي لحزب البعث في العراق قد بدأ في عام ١٩٧٤ ومنذ ذلك اليوم لم يعقد العرب مؤتمرا واحدا الا وكان موقف العراق في ذلك المؤتمر متمشيا مع الاخوة والعلاقات الصادقة والرعاية الكاملة.. كنا اذا اصابنا سوء على يد إحدى الدول العربية بادرنا على الفور ودون اية ضجة الى ابلاغ الموقف بتفاصيله الى تلك الدول الشقيقة. كنا في كل المشاريع التي تهدف الى تقوية الاواصر العربية اما ان نطرح الافكار التي تحقق الاهداف القومية المطلوبة واما ان نتبنى من عندنا وقبل غيرنا ونؤيد قبل سوانا ما يقترحه الغير في هذا الموضوع.. نحن راضون عن انفسنا.. راضون عن اخلاقنا ومسيرتنا.. وهذا هو رصيدنا في الحكم يثبت مدى نجاحنا في بناء الانسان العربي في العراق على اسس ومفاهيم قومية عصرية ثابتة قفز بها العراق الى الامام عدة سنوات في كل مجالات العلم والقوة والبناء والاجتماع والاقتصاد.. نحن نفخر بمدى ما استطعنا ان نقدمه من خدمات لابناء شعبنا العربي في هذا البلد ومدى الالتحام الصادق الذي تحقق بين الحزب والشعب.. ومع هذا فاننا نقول، إننا لن نرضى عن انفسنا لاننا نطلب الكمال.. ونقول ان مشوارنا طويل واننا ما زلنا في اول الطريق.. ونقول كذلك ان التواضع المقصود منا في اعلان النجاح او عدم التباهي به لايعني ابدا قلة هذا النجاح او ضآلته او انعدامه..

ـ ولكن الرئيس المصري انور السادات يتهمكم بالحكم تتولون حكما دمويا لم يحقق السلامة للعراق ولم يقدم بديلا عن اتفاقية كامب ديفيد فماذا تقولون؟

● اجاب صدام حسين بصوت ارتفعت نبراته:

ـ البديل المعقول الذي ينتظر منا انور السادات عن اتفاقية كامب ديفيد هذا البديل انا اعترف باننا عاجزون عن ان نجده او ان نقدمه وخاصة اذا كان مثل هذا البديل يأتي نتيجة مفاضلة او مقارنة نسبية مع الاتفاقية المذكورة المسماة كامب ديفيد.. اما اذا كان البديل بالمقارنة الاستراتيجية فان البديل امامنا واضح ومعروف وقد سبق وقلناه لاشقائنا العرب في مؤتمر قمة بغداد ووافق عليه العرب... وما زلنا ملتزمين بهذا الخط.. اما اذا كان البديل هو بديلا فنيا فقط اي نتقدم بمشروع ما يعتبر افضل نسبيا من المشاريع المطروحة حاليا حول ما يسمى بالحكم الذاتي او مستقبل الضفة او قطاع غزة فان ردنا الوحيد هو اننا فعلا عاجزون عن ذلك، لأننا لا نؤمن بمثل هذه البدائل النسبية ولاننا نريد الحق بآفاقه التاريخية الواسعة.. وعندما نتحدث عن الحق بآفاقه التاريخية الواسعة لايعني ذلك اننا نغلق عقولنا او نسد عيوننا عما يحيط بنا سواء ما كان يتعلق بامكانيات الامة العربية او بغيرها وهنا اقول لك ليس مهما ان تفهم انت ما تريد وانما المهم ان تفهم معه ايضا ما تستطيع وكذلك اقول لك انه ليس مهما ان نفهم نحن ما نريد وان نفهم ما نستطيع وما نقدر عليه بامكانياتنا الذاتية ما دامت الحكمة المطلوبة او الهدف المطلوب لايتحقق الا بوجود طرف دولي او ظرف دولي خاص الى جانب مجهوداتنا وامكانياتنا لذلك فنحن لا نريد ان نغمض انظارنا او نغلق عقولنا عما يجري حولنا في المحيط الدولي من تيارات وحقائق وتطورات بمعنى اننا لانقف ضد اية خطوة تكون على الطريق وانما نقف نعم وبصلابة تامة ضد اية خطوة تكون «بديلا عن الطريق».. يعني ان اية قطعة من ارض فلسطين قد نحصل عليها دون ان تدفن ثمنا لها بقية فلسطين امامنا واما الاجيال القادمة فنحن نرحب بها ونعض عليها بالنواجز.. وعندما يطالبنا انور السادات او غير السادات ان نقدم بديلا نسبياً فنيا عن اتفاقية كامب ديفيد تكون مادته محصورة في ايجاد فقرة مكان فقرة او استبدال تاريخ فاننا نرد عليه بالفم المليان: لا! ليست عندنا مثل هذه البضاعة لاننا لانعتقد ان هذا هو الطريق السليم للامة العربية بالنسبة لاستخلاص حقوقها..

ثم سكت قليلا قبل ان يقول:

ـ اما القول إن حكمنا في العراق هو حكم دموي فاني قبل ان اجيب على ذلك اقول ان الحكم على اي نوع من انواع الحكم وتفضيله على غيره من انواع الاحكام التي سبقته انما يخضع لاعتبارات مهمة اولها ان يشعر الشعب بانه سعيد نتيجة وجود ازدهار اقتصادي وعدالة في البناء الاجتماعي بين الناس وشعور بالكرامة والعزة.. وعلى كل من يبحث عن الحقائق المجردة ان يفتش عن هذه العناصر في دنيا العراق فاذا هو وجدها فمعنى ذلك ان هذا النظام العراقي يستطيع ان يفخر بنوعيته والا فلا.. اما كوننا دمويين بمعنى اننا نبادر الى قطع



قال لي الرئيس العراقي: «انت صديقي وانا مع اصدقائي احب الحوار والمناقشة».

رأس كل من يخون هذا البلد او هذه المبادىء العامة التي هي من حق الشعب ان يتمتع بها بنفسه او ان يشذ عن الاخلاص لهذه الارض ولسمائها ولهوائها ولاهلها ولمائها ولتربتها او ان يتعاون مع الاجنبي ضد مصلحة بلده واهله. . نعم. . كل من نكتشف انه اقدم على ذلك نقطع رأسه وبلا رحمة وعلى رؤوس الاشهاد وهذا ما كان يفعله اجدادنا في صدر الرسالة. . لقد قطع خالد بن الوليد ثلاثين الف رأس في مجتمع الجزيرة العربية الصغير خلال حروب الردة. . لماذا. . هل كان خالد بن الوليد رجلا دمويا بعظمته وفروسيته واخلاصه لدينه وتقواه؟ لا. . هل كان حكمه دمويا لا. . كان خالد حريصا على الرسالة وعلى الدين. . وقد نجد امامنا من يتبرع ويتهمنا باننا قطعنا رؤوس عشرات من امثال فلان وفلان وفلان الى اخر القائمة. . حسنا. . هذا كله صحيح. . ولكن ياترى اليس من حقنا ان نرد على ذلك بصورة سؤال صريح واضح وحيد نقول فيه كم هناك من ابناء العراق اليوم مستعدون للموت في اي جبهة عسكرية على حدود العراق قادرة ان تحمي العراق وان ترفع رأس الامة العربية وان تدفع الثمن من دم العراق في سبيل الامة بأسرها؟ والجواب بكل فخر ملايين الملايين من العراقيين. .

ـ كم من هؤلاء المتغنين نفاقا بمظاهر التسامح والمحبة في حكم بلادهم قادر ان يقف اليوم بنفسه او بشعبه او بجيشه ضد اعداء العروبة ومطامعهم كما يفعل العراق وجيش العراق في هذه الايام. . انا قادر ان اسيطر مثلا على المواطن العراقي في بغداد وان اقنعه مثلا بعدم الاشتراك في مظاهرة قد تهتف ضد صدام حسين ولكني عاجز ان اجلس انا في مكتبي في

بغداد وان ادفع بهذا المواطن الى جبهة القتال لكي يقارع احدث اسلحة اميركا ودباباتها وصواريخها في الجبهة الايرانية ويدحرها على جبهة طولها الف كيلو متر تمتد من ملتقى الحدود العراقية ـ الايرانية ـ التركية الى شط العرب ولا يسمح للايرانيين باسترجاع شبر واحد من الارض التي احتلها وكسبها في هذه الحرب. . . هؤلاء الرجال لولا ايمانهم بهذا النظام لما قدروا على القتال بمثل هذه الشراسة وهذا الاندفاع وهذه الجرأة التي نرفع من أجلها رؤوسنا. . الحديث عن قتل مائة رقبة من اجل صون امن البلد وكرامته ووطنيته ليس بالحديث المقبول. . ان مقابل الخلاص من مائة خائن او متآمر او منحرف قد انطلق في الشرارة التي انخلقت روحا يتمثل فيها والد الاثنين من الشهداء جاءني الى هنا في مكانك هذا لكي يقول لي ودموع الفرح والسعادة في عينيه لقد استشهد ولداي فداء للعراق، والحمد الله انهما سقطا ومنعا العدو الايراني من ان يطأ بقدمه ارض العراق وعندي ستة اولاد اخرين التحقوا جميعهم بالجيش لكي يستشهدوا فداء للعرب. .

قال لي صدام حسين:

ـ هنا في هذا المكتب استقبلت طيلة الشهرين الماضيين الاف الشيوخ والاطفال وكلهم بلسان واحد جاءوا يهتفون للعراق وللعرب ويقولون لي وكأنهم يعزونني عن استشهاد ابائهم واولادهم:

«انت والدنا. . العراق والدنا. . الجيش والدنا. . النظام والدنا الامة العربية هي اهلنا». . ترى من علم هؤلاء الناس مثل هذ الروح الجبارة؟ من نفخ فيهم مثل هذه التضحيات؟ . . وجوابي هي الثورة هي المعلم الاكبر لهم وليقل من يشاء عنا اننا دمويون ما دامت الرقاب التي تقطع تنقذ البلد من رجس الانحراف والتآمر والخيانة. . لقد خلقنا للشعب المناخ المطلوب للتعبير عن قوميته وعن منهجه دون اي تدخل من الحلقات الفنية التي تحاول منعهم . . نحن نقطع الرقاب التي تستخدم السلاح ضد الثورة او تتعامل مع الاجنبي وهناك المتاجرون بالمخدارات لافساد صحة الشعب وقتل معنوياته وهناك المرتشون من الصفقات الدولية لسرقة اموال الشعب وكلهم سنقطع رقابهم ولا نخجل من ذلك بل ننفذه من اجل الشعب ومن اجل الوطن ولحسابهم وللمصير العربي بأسره.

ـ كيف تفسرون ياسيادة الرئيس عملية خروج مصر من الصف العربي وتحويلها بأمر حكامها من حليف شقيق الى حليف للعدو؟

● قال لي صدام حسين:

ـ يجب ان لانخلط بين مصر من جهة وبين انور السادات من جهة اخرى حتى ولو تطابقت مصر مع انور السادات. . اي يجب علينا ان نفرق بين العثرة وبين الخيانة او بين التوقف وبين التخلي. . فقد يكون التيار السياسي المؤثر او التيار الثقافي المؤثر قد تعرض الى موجة توقف

عابر ولكن ذلك يجب ان لانعتبره تخليا. . لان هنالك الشعب باغلبيته اقوى من الحاكم الفرد او من مجموعة الحكام ودليلنا على ذلك هو الفرق بين مصر ايام عبد الناصر ومصر ايام السادات والفرق بين العهدين لايتجاوز ثلاث سنوات هل تغير الشعب المصري خلال ثلاث سنوات فقط؟ قد نعترف بأن الشعوب في العالم الثالث ـ ولنكن واقعيين وصريحين ـ تتأثر الى حد كبير بشخصية الحاكم وبآرائه وبمواقفه واتجاهاته ولكن تأثير ابرع الحكام لايمكن ان يكون تأثيرا تاريخيا اي ان يؤثر على الاتجاه النهائي للشعب. . وعلى هذا الاساس نحن لانخلط بين السادات وبين مصر. . وبالتالي فان مايجري في مصر الان يدفعنا الى السؤال: ترى لو كان يجلس مكان انور السادات في هذه الايام حاكم وطني ثوري قومي عربي صحيح هل كان شعب مصر يقف موقف المتخلي عن حاكمه او يقف موقف المتضامن مع ذلك القائد؟ والجواب قطعا ان الشعب المصري كان سيقف عند ذاك موقف المتضامن ثوريا و قوميا مع رئيسه الوطني الثوري. . فالبذور التاريخية للوشائش القريبة القومية العربية قائمة في ضمير الشعب المصري وعقليته باصالة وصحة والمطلوب فقط من هو قادر على الكشف عنها واتاحة فرص التفاعل امامها لكي تظهر للدنيا على حقيقتها كما ينبغي. .

وسكت صدام حسين قبل ان يقول:

ـ اما لماذا تخلى السادات عن الركب العربي فان جوابنا هو:

ـ يتخلى المرء عادة عندما يفقد ايمانه. . ولاشك ان السادات لا يؤمن بأي مقاييس او قيم من التي حدثتك عنها ولذلك نراه قد تخلى اليوم عنها. . وعندما نقول ان السادات لايؤمن بهذه القيم فاننا لانعني مطلقا انه كان فيما مضى يؤمن بها ثم جاء بعد ذلك وتخلى عنها. . لا. . نحن نقول ان السادات من اول الامر لم يكن مؤمنا بشيء من هذه المبادىء وانه من اول الطريق كان كافرا بكل القيم القومية المتعارف عليها في دنيا الوطن العربي. . قد تسألني ولماذا لم يقدم السادات على التخلي في عام ١٩٧١ بينما تخلى عنها بعد اعوام.

اجيبك لو كان الدور العربي المضاد لسياسة السادات قادر على ان يلعب دورا فعالا قادرا على الصمود امام مناورات السادات وحلفائه واصدقائه وكشفها امام جمهور مصر ترى هل كان السادات عند ذلك قادرا على التخلي كما تخلى. . وعلى الانسحاب كما انسحب، وعلى مهادنة العدو كما هادن؟. . النماذج في الوطن العربي ليست نماذج صارخة في الوطنية حتى تجعل او نجعل نحن مقارنتهم بالسادات او مقارنة السادات بهم كبيرة ضخمة امام شعب مصر. . ان الخطوط السوداء والبيضاء بالنسبة للنماذج العربية بالمقارنة مع نموذج السادات تكاد تكون متقاربة ومتشابهة. . انا لا اقول ان كل من يؤمن بالحلول الاستسلامية هو رجل استسلامي ولكن يا اخي اليس المطلوب قبل ان تفاوض عدوك ان تكون في موضع استراتيجي لايقل على الاقل عن استراتيجية عدوك قوة ونفوذا وقدرة على التحكم بالامور ان

لم نقل متفوقا عليه؟ .

اليس المفروض ان نفهم نفسية العدو الذي يعتبر الارض العربية تاريخيا وجغرافيا وسياسيا ارضه وانه ليس مستعدا بالتالي لاعادتها الينا؟ كيف اذن تسمح لنفسك ـ يا فلان ـ بمفاوضة مثل هذا النوع من العدو المغتصب الاعمى؟ كانت الجريمة هي في تخفيف حدة التوتر مع العدو في داخل البلد مصر واضاعة استعداد الشعب للتضحية وازالة حماسه وقتل روحه المعنوية ثم تفاوض، ولكنك في مفاوضاتك تلك لن تقبض من عدوك شيئا وهكذا تحول الشعب في مصر الى شعب ضعفت عنده النفسية المحاربة ولا نقول ماتت لانها كحالة تاريخية يمكن بعثها في اي وقت. . لم يكن بامكان السادات في بادىء الامر ان يقول لشعب مصر انه سيتخلى عن العرب. . لقد بقي يلعب باعصاب هذا الشعب وينقله من مرحلة الى مرحلة حتى اذا جاءت ساعة اتخاذ القرار عنده لم يجد المعارضة الشعبية القادرة على معارضته ثم راح يطرح المنطق الاقليمي المفضوح والقائل بأنه استطاع ان يسترد لمصر صحراء سيناء وان على العرب ان يحاولوا سلك طريقه لاسترداد حقوقهم اما على الجانب الاخر فقد تناول السادات في معركته الاعلامية نقاطا عديدة ينطبق عليها القول «لا تقربوا الصلاة» كان السادات يقول للمصريين انكم شعب جائع بينما العرب يملكون الملايين وان العرب يريدون من مصر ان تحارب وحدها اسرائيل بينما يقف العرب يتفرجون وهكذا حرك السادات المشاعر والنزعات الاقليمية داخل مصر بصورة ذكية ضد الامة العربية والصق بالعرب اتهامات كثيرة وهي ليست ـ واقولها بصراحة ـ ليست كلهاخالية من بعض الصحة. . ان في الواقع العربي يوجد بعض من وما تحدث عنه السادات ولكن المهم ان نحدد المسؤولية في مثل هذا الموقف وان نقول هل هي مسؤولية كل العرب؟. . هل هي مسؤولية العرب كمنهج تاريخي؟ هل هي مسؤولية القومية العربية؟ ام نقول انه اذا كان في قول السادات بعض الحقيقة فان المسؤولية ملقاة فقط على افراد قلائل من العرب. . هذا هو المهم. .

هذا هو المهم. لم يكن لرجل مثل السادات الا ان يلد ولادة سيئة مثل اتفاقية كامب ديفيد ولكن ما هو الحل. . ؟ الحل ـ والكلام لصدام حسين ـ ان نخلق شعبا عربيا قادرا على ان يحارب كما يحارب اليوم شعب العراق أعداءه الايرانيين. لقد قاتلنا ايران التي تملك نفس السلاح الاسرائيلي بل وبكميات اضخم من الكميات التي تملكها اسرائيل. ان اسرائيل بعد اسبوع واحد من حربها مع العرب احتاجت الى جسر جوي لانقاذها اما نحن فقد دخلنا شهرنا الخامس في هذا الاسبوع وما زلنا نحارب وكأننا في اليوم الاول ولم نسأل احدا عن جسر جوي او بحري ينقذنا او يساعدنا لا! . ومهما اعطينا للمحارب الاسرائيلي من تفوق على المحارب الايراني الا اننا نقول ايضا باننا لانريد ولا نحتاج بالنسبة لاسرائيل بان تحتل ارضا داخل الارض المحتلة في اسرائيل يبلغ طولها مئات الكيلو مترات كما فعلنا في ايران. يكفينا

ثلاثين كيلو متر ندخلها لكي نقصم ظهر اسرائيل ونكسر عامودها الفقري. نحن نقاتل ايران لوحدنا هذا السلاح الايراني الذي حشدته ايران لكي تقابل به كل جيوش الامة العربية مجتمعة ولكي تصمد به امام الزحف السوفياتي المحتمل. كانت حسابات الشاهنشاه الايراني ان يحقق توسعاته ويحقق مطامعه الامبراطورية على حساب العرب وان ذلك في حساباته لم يكن ليتحقق الا بدحر العراق واحتلال ارضه ثم المرور فوقه الى الوطن العربي. . لقد دخلنا المعركة وحدنا. ودحرنا جيش الشاه. اما معركتنا ضد اسرائيل فالمفروض ان لاندخلها وحدنا كما ان المفروض ان لايدخلها الاردن لوحده او تدخلها سوريا لوحدها. المفروض ان ندخلها كلنا ولانحتاج فيها الى اكثر من بضعة كيلو مترات تنهار بعدها اسرائيل كقصر بني على الرمل سياسيا ومعنويا وعسكريا. فلو اننا وفرنا للمواطن العربي او للانسان العربي مستلزمات هذه المعركة كمجتمع وقيادة وجيش وايمان كاف لوضعنا يا اخي البديل الشافي المطلوب لما تسمى بمعاهدة كامب ديفيد. اقول لك لولا ايمان العراق بقضيته التي يحارب اليوم من اجلها لكان جيش الفرس يحاربنا اليوم على ابواب بغداد. والسر وراء ايمان الجيش بمعركته هو ايمان هذا الجيش بمنهجه مع ايمان الشعب بجيشه وبمنهجه وبمعركته المشرقة ايضا».

وتوقف صدام حسين لكي يفتش عن عود كبريت يشعل به سيجاره الذي بقي منطفئاً في مكانه على المكتب منذ بدء الحديث فسألته: كيف ترون نهاية لهذه الحرب؟.

واجاب صدام حسين:

«النهاية تأتي عندما تصل ايران الى قناعة تامة بالمظلة الفكرية والسياسية التي طرحناها لها والتي تقول ان على الطرفين اعتماد مبدأ ان القوة لاترتب لأحد حقوقا غير مشروعة ولا لاحد حقوقا ليست له واعني بالطرفين ليس العراق وحده بل العراق ضمن الامة العربية من جهة وايران من جهة اخرى فكل طرف يعيد كل ما احتله بالقوة الى الطرف الاخر وهكذا تعود حقوق العراق في ارضه ومياهه المحددة في الاتفاقيات الدولية وتعود الجزر العربية الثلاث الى اهلها العرب وتعود كذلك ارض ايران الى ايران. هذه هي المبادىء الاساسية بكل بساطة من اناس عرب دخلوا الى قلب الارض الايرانية مئات الكيلو مترات وتوغلوا في الوعر والسهل والجبل ومع ذلك نقول اننا مستعدون ان نتراجع وان نعيد هذه الارض لاهلها لان هذا العمق ليس هدفه الاحتفاظ بالارض وانما هدفه وما زال ضرورات امنية للدفاع عن حقوق العراق وصون الامة العربية وقد ابلغنا هذا الى كل وسيط دولي او محلي او عربي او اسلامي على كل مستوى وفي كل وقت».

قلت اسأل صدام حسين:

ـ هل استطيع ان اسألكم عن الخسائر: خسائركم في هذه الحرب؟ ان لم يكن سرا عسكريا فاني اريد الجواب؟.

● اجابني :

ـ «شوف يا استاذ ناصر كنت يوما اقرأ نشرة لاذاعة دمشق تقول ان خسائر العراق في الحرب الدائرة اليوم بلغت الاف الشهداء، وشعرت بالضيق قلت لنفسي ماذا لو وقفت غدا وقلت للرئيس حافظ الاسد وهل تستكثر على العراق يا اخ حافظ ان دفع الالاف من رجاله لكي يستشهدوا ويموتوا دفاعا عن العراق وعن الامة العربية؟ أليس في هذا ما يثير التقدير والاجلال والاحترام للعراق ولجيش العراق؟ .

اليس مما يدعو الى فخرنا ـ والكلام للرئيس صدام موجها للرئيس الاسد ـ ان يستشهد الالاف من العراق ضد الفرس بينما لم تفقد انت يا اخ حافظ في حرب ١٩٦٧ اكثر من ١٢٨ شهيد سوري ضاعت بعدها الجولان. نحن لانعطي بالآلاف من الشهداء نحن نعطي بالملايين يا اخ حافظ فهذا فخر لنا. ان الخسارة المهمة ليست خسارة دماء الشهداء بل خسارة الارض وخسارة السيادة والكرامة الوطنية. العراق يريد الامان لشعبه العراق يريد الامان للامة العربية كلها لقد حاولت ثورة ايران ان تفرض هيمنتها على امة العرب وقد حاولت ايران ترويع اطفال العراق فتصدينا لها لقد قصفوا مندلي وقصفوا خانقين وروعوا اهاليها من الاطفال والنساء ثم قصفوا البصرة وقصفوا الفاو وحاولوا الاندفاع بآلياتهم الى قلب بغداد واحتلال العراق فوقفنا لهم ومهما تكن الخسارة فقد دفعنا عن العرب كل المهانة وكل الذل وكل العدوان ولولا العراق وجيش العراق لاستولى الايرانيون على الخليج بأسره ولذهبوا الى الجزيرة ولاحتلوا العراق نفسه لولا العراق وخسائر العراق لاصيب العرب بالمهانة والذل ولكني اقول لك يا اخ حافظ ان خسائرنا ماديا وبشريا لا تساوي اكثر من جزء بسيط من خسائر حلفائك الايرانيين».

قلت للرئيس العراقي وانا اختم معه هذا الحديث: قل لي يا سيادة الرئيس بعض العرب ايدوك في هذه الحرب وبعضهم اكتفوا منك ببرقية او اتصال تليفوني قل لي يا ريس هل انت سعيد بالموقف العربي العام تجاه هذه الحرب ضد ايران؟ .

● اجاب الرئيس وهو يهز رأسه اسفا وعلى فمه ابتسامة رثاء:

ـ «لا والله لست سعيدا. كيف لي ان اكون سعيدا ولو كان أي عربي يخوض هذه الحرب لكان دم الجيش العراقي ينزف جنبا الى جنب مع دماء جيش ذلك العربي. فالمطلوب من العرب ان تنزف دماؤهم مع دمائنا دفاعا عن كرامتهم وكرامتنا. .»

وواصل الرئيس العراقي كلامه قائلا: بعض العرب اعربوا بشرف وكرامة عن مثل هذا البذل الكريم كالملك حسين بن طلال في الاردن فاشعروا الجيش العراقي بصادق أخوتهم وسمو مشاعرهم. لم يكن ينتظر الجندي العراقي سوى بضع كلمات من التشجيع والمعاطفة. ولكني اعلم ان الاردن على حدود اسرائيل وهي اي اسرائيل لاتريد للعراق تحقيق اي

انتصار. وعلى حدود الاردن ايضا تقف سوريا ـ وحكام سوريا ـ لايريدون للعراق ان ينتصر..»

ـ قلت لماذا لايريدون لكم في دمشق الانتصار يا ريس لماذا قل؟.

● اجاب صدام حسين: اذا قالوا ان قوة العراق قد تهددهم فجوابي ان العراق لم يكن يوماً ما ضعيفا منذ ان تولينا السلطة حتى اليوم. ومع ذلك لم نستعمل جيشنا ضدهم ولا ضد اية دولة عربية. واذا كان في انتصارنا معنى خاص يقول لشعبنا في سوريا انه بامكان الانسان العربي ان يكون من طراز آخر فجوابنا نعم وباستطاعة اي جيش عربي ان يكون كجيشنا اذا تخلى عن الطائفية في صفوفه وتخلى الجيش عن الحسابات الطائفية التي تحسب على اسس ضيقة محلية».

ثم استطرد: ـ

ـ «عندنا هنا في العراق مجموعةاديان ومجموعة طوائف وعندنا مجموعة قوميات ومع ذلك ورغم ذلك كله فالكل يقاتل بشرف وبصف واحد وبروح واحدة وبصدق واحد ولعل شعبنا في سوريا يسأل نفسه ويسأل حكامه لماذا لانفعل في سوريا ما يفعله جيش العراق ضد ايران. لماذا لانحاول ان نتعلم من العراق درسا نحرر به ارض الجولان؟ ولكن بدلا من ذلك تصرف حكام سوريا وللاسف الشديد عكس ما هو المنطق وما هو المطلوب منهم لتحرير ارضهم الغالية من اسرائيل اقول لهم سامحكم الله..»

قلت: ولكن ياسيدي كيف تفسر بقية المواقف منكم. تلك المواقف التي حدثتك عنها بعضهم اكتفى ببرقية وبعضهم اكتفى بحديث تليفوني؟.

قال: «لكل طرف ظروفه الخاصة به وانا قادر على فهمه ولكن غير قادر على تبريره. بعضهم يهمس في حياء انه معنا ويسأل في حياء ان شاء الله تكونوا بخير. انا فخور بموقف الملك حسين وكذلك موقف اليمن الشمالية وموقف موريتانيا. ولكني اعود واقول لك: «لو كان غيرنا من اشقائنا يحارب في مكاننا لكان دم العراق وجيش العراق وامكانيات العراق كلها في خدمة هذا الشقيق». وسكت الرئيس العراقي صدام حسين وكأنه يمنع نفسه عمدا عن الاستمرار في مثل هذا الحديث المؤلم.

وقلت له مودعا وقد مضى على لقائنا حوالي الساعات الثلاث: لك عندي من القدس ام الانبياء امانة خاصة كان المفروض ان اقدمها اليك في بدء هذا الحديث ولكني اخرتها الى الان.. ونهضت..

وطبعت على جبين رئيس العراق قبلة مقدسية مباركة صادقة تقول باعلى صوتها للرئيس العراقي: القادسية يا صدام على انواع: بعضها ضد الفرس وبعضها ضد اسرائيل ولكنها ضد الاعداء وكلها جهاد في سبيل الله.

ثم همست وانا امشي الى الباب الخارجي: ومن يجاهد في سبيل الله بشره ربه بالنصر المبين.

★★★

في يوم الاربعاء الواقع في ٢٧ ابريل من عام ١٩٨٣ عدت الى بغداد وقابلت الرئيس صدام حسين.

وكان في رأسي الف سؤال عن الحرب التي لم تنته، وعن نفقاتها التي استفحلت، وعن مبادرة ريغان حول قضية بلدي، وعن الغزو الاسرائيلي للبنان وموقف العراق من هذا الغزو، وعن العرب وموقف العرب من حرب ايران، وعن دروس هذه الحرب، وعن الموقف الدولي تجاه العراق..

وعن الف موضوع وموضوع!

وأبادر واقر واعترف باني اشعر بالضعف الشديد تجاه الوطن العراقي سواء كانت هناك حرب ام لم تكن، وسواء كان في العراق ما يشبع فهم الصحفي من اسرار واخبار ام لم يكن وسواء كان الجو مشبعاً «بالطوز» أم ملبداً بالعواصف أم قارساً في عزّ الشتاء..

العراق عندي، كان ومازال وسيبقى، هو «بروسيا» العرب!

وهل هناك جرماني واحد لم يعشق بروسيا؟

وهل هناك عربي واحد لا يحب.. بغداد؟

وفي اليوم الاول من وصولي الى بغداد، التقيتُ بالوزير العربي المثقف العامل «طارق عزيز»، وكان حديثه معي، مسجلاً وليس للنشر وانما... للتاريخ!

وفي مساء نفس اليوم، كان لقائي مع رئيس العراق.. ولم يشترك «طارق عزيز» في الجلسة كما جرى في اللقاء الأول منذ عامين، اذ انه ركب الطائرة وسافر الى موسكو في زيارة لم ينشر خبرها حتى كتابة هذه السطور.

وفي نفس المكتب، ونفس القصر، وعلى نفس المقعد، جرى هذا الحديث..

في مكتب «صدام»، وفي القصر الجمهوري، وعند مقعد الضيوف..

غدا، الخميس ٢٨ ابريل ١٩٨٣، يودع الرئيس العراقي صدام حسين عامه السادس والاربعين ويستقبل عامه السابع والاربعين. وقلت له وانا احاول ان امسك الخيط الذي ابدأ منه حديثي معه:

ـ غدا يا سيادة الرئيس عيد مولدك! وقد اعتاد الواحد منا ان يتعمد الوقوف مع نفسه في يوم مولده، ليناقشها، ويحاسبها ويستعيد ذكرياته معها ويستلهم منها الجديد المطلوب في سنوات عمره القادمة! ترى، هل بوسعي ان أسألك لكي تحدثني عن «وقفة مع نفسك» في

يوم عيد مولدك، غدا؟

وابتسم القائد الذي سرقت منه الحرب بعض ابتسامته. وأجابني على الفور:

ـ انا لا افكر في ان احصر وقفتي مع نفسي في يوم مولدي فقط لانني تعودت ان اقف مع نفسي يوميا ومع كل صباح لكي اسأل نفسي عن كل شيء، واحاسب نفسي عن كل شيء، واقول لنفسي بكل صراحة المرء مع نفسه «لماذا وصلت الى هذا المنصب؟» وما هو «هدفك من الوصول الى هذا المنصب؟» وما هي «الواجبات الملقاة على عاتقك؟» «وماذا ربحت وماذا خسرت؟» وبماذا «اصبت واين لم تصب؟» ثم اني حريص وبلا حدود ان لا يجهل ولد من اولادي تفاصيل ايام عمرهم معي وعمري معهم بكل ما مر من تاريخي على المستوى العائلي كي لا يتصور واحد من اولادي انهم ولدوا كأبناء رئيس جمهورية او انهم ـ لا سمح الله ـ يختلفون عن بقية ابناء الناس! انا اذكرهم دائما، ان عليهم الحفاظ على واجباتهم تجاه انفسهم وبلدهم كأي مواطن صالح! اؤكد لك انني لا اطيق ان انتظر حلول عيد مولدي لكي اناقش نفسي الحساب. هل هذا معقول؟؟ هل لا يكون مثل هذا الحساب الا مرة في كل سنة او مرة في كل شهر مثلا؟ لا يا استاذ، فأنا على الدوام لا افكر في مثل هذه المواضيع لاني اعتقد ان من واجبي ـ وعلى الدوام ـ ان ابقى في نقاش مستمر مع نفسي، وان اسألها الحساب، وان اراجع الاخطاء فأتجنبها، وافخر بالانتصارات والحسنات فاكررها. هل تفهمني؟ انا في حساب النفس بلا انقطاع سواء في عيد مولدي أو في اي يوم من ايام هذا العمر..!

● وكان الرئيس صدام حسين يتكلم وانا شارد الذهن افكر في حديثي السابق معه قبل عامين ونصف حيث كان اللقاء معه في نفس هذا المكان، ونفس هذا المكتب، ونفس هذه العاصمة، ونفس هذه الظروف.!

ولقد زاد عمره عامين عن لقائي الاخير معه. ولكن اصراره وعناده وايمانه بنفسه، قد زادت كلها الف عام!

وتلك هي معجزات الحروب حيث تصهر ابطالها بالالم، وتمتحن اهلها بالتجارب، وتغذي قادتها بالتعب الطويل والقرار الحاسم والمعركة الفاصلة والبلاء الجيد والانتصار المطلوب.!

منذ عامين كان حديث صدام حسين معي عما اسماه «بمطامع ايران» وليلة اول امس كان حديثه معي عما اسماه «بجرائم» حكام ايران! منذ عامين حدثني عن المعارك وفي هذه المرة حدثني عن الانتصارات! منذ عامين حدثني عن شكوكه تجاه الثورة الايرانية وفي هذه المرة كشف لي عن الاسرار ووضع امامي الوثائق والقصص والارقام عن «اعمال» تلك الثورة! منذ عامين حدثني عن مولد «المواطن» العراقي الجديد، وفي هذه المرة كان الحديث نشوانا في التغني بمولد «الجندي» العراقي الحديث! منذ عامين كان الافق مليئا بالانتظار القلق، واول

امس اصبح الموقف مليئا بالثقة المريحة! منذ عامين حدثني عن ظروف اشتعال الحرب، واول امس حدثني عن شروط وقف اطلاق النار! ولكن صدام حسين ـ باستثناء العامين اللذين اضيفا الى عمره ـ قد بقي على حاله. حديثه واضح، ونظراته صريحة. ونبرته قوية. وايمان عميق، وثقته هادئة، وآراؤه مثل مياه «دجلة» تتدفق ودون انقطاع.! الشيء الوحيد الذي لفت نظري في صدام حسين انه منذ عامين كان يترك يديه تداعب نوعا من السيجار «الهافاني» المعروف، فأصبح اليوم يترك يديه تداعبان نوعا من الغليون الكلاسيكي المعروف.

وبعد هذا، فقد استمر الحديث على الشكل التالي:

لقد سمعته يقول لي: «انا مع الذين احبهم واحترمهم لا اطيق حديث السؤال والجواب، اريد ان اقول لك اولا ما يلي:

ـ مهما حاول اي مسؤول ان يتحرر من طابع الدولة التي يرأسها او يبتعد عن اطار مسؤولياته في اعمالها فانه يبقى على الدوام مشدودا الى المهام اليومية التي تصرفه ـ احيانا عن التفكير في الكثير من الايجابيات والسلبيات التي تحيط بسياسته او سياسة بلده. لذا، فاني اريد ان اسألك ـ بوصفك عربيا قوميا متحررا من العمل الرسمي داخل اطار الدولة ـ عما تراه من ايجابيات او سلبيات في «عراق» هذه الايام، وبالاخص في المرحلة الحاضرة؟؟

واني اعترف بأن مفاجأة السؤال قد اذهلتني! لقد حاولت ان اجيب عن طريق الاصرار على حديث «العموميات» وعدم الخوض في «التفاصيل» وقلت للرئيس العراقي ان للعراق الفضل الاكبر في انه اختار ان يكون خط الدفاع الاول امام التيار التوسعي الذي يهدد عروبة الخليج، وانه قد دفع من اجل ذلك الكثير من دماء ابنائه. ومن اموال شعبه ومن هنائه وسلامة تطور مشاريعه، وان هذه الحرب قد صهرت العراق واحالته ـ كما رأيته ـ الى شعب واحد بلا احزاب ولا فئات ولا طوائف! ولكني ـ وهنا يجيء حديث «السلبيات» رأيت ان هذه الحرب قد استنفدت من العراق امواله وصرفته عن مهمته الاساسية في بناء ارضه واهله، كما شغلته هذه الحرب عن الاهتمام المطلوب ـ والمفروض، بالقضايا الفلسطينية.!

ثم اكملت على مسمع من الرئيس صدام حسين قائلا:

ـ اغفر لي يا سيدي الرئيس لو قلت امامك بأن هذه الحرب قد تكون شجعت العدو على ان يمعن في التحدي وفي العدوان سواء داخل «الضفة» او في لبنان او في الميدان السياسي، كما ان هذه الحرب قد شجعت البعض على الاستهانة بقوة العراق وشجعت بعض «الصغار» على ان يلعبوا دور الكبار بأسلوب الغرور المعروف! غاب العراق عن القيام بواجبه الوطني القومي في القضايا العربية فتصدى غيره لهذا «الواجب»!

وأجابني صدام: قلت لك انني افضل اسلوب الحوار في الحديث مع اخواني العرب الذين احترمهم واعترف بمكانتهم! لان الحوار يفتح أمامي الفرصة لكي اتعلم منهم ويتيح لاخواني

ان يتعلموا مني! . أعرف منهم ويعرفون مني! واهم نقطة هي ان نحاول ونكشف ما يسمى «بالخلل العربي»، وان نحاول ونجد الوسيلة الافضل لعلاج هذا الخلل! مثلا يجب: ان نعرف لماذا اصبحنا في الحالة التي نحن فيها؟ حتى عندما نكون في احسن حالاتنا يجب ان نعرف سر ذلك ونسأل عن الظروف والعوامل التي أوصلتنا الى اية حالة من الحالات! وانا اعتقد ان اسلوب الحوار قادر على ان يعطينا هذه الفرصة! ان من ينظر الى العراق لا بد وان يرى صورة الحرب أمامه سواء في الحقيقة ام في الرؤيا! وعندما نتساءل: «هل كانت هذه الحرب ضرورية!» وبالرغم من كل البطولات التي ابداها الجندي العراقي في الحرب، هل كانت هذه الحرب ضرورية؟! والجواب، جوابي هو: «قطعا الافضل لو انها لم تقع»! ولكن عندما نعرف ان هذه الحرب قد وقعت نتيجة ظروف وأسباب هي اشبه «بالاختيار الاضطراري» او «الاضطرار المختار» كما نسميها ـ اي ان الفرس كانوا يخططون لاحتلال العراق ويطلون بعدها على العرب بطريقة التخريب والتدمير، ويرغمون عرب الخليج بعد ازاحة العراق من الطريق ـ دون اللجوء الى القوة العسكرية على الشعور بالغربة في الطوفان الفارسي وبالتالي على الهجرة من أوطانهم والرحيل من بيوتهم!

واستطرد صدام حسين يقول لي:

ـ لعل بعض العرب مستعد لان «يستعجم» ولو مؤقتا بسبب عدم توفر الوعي الكافي لديه او انعدام الحصانة الكافية عنده. الا انه سيكتشف ولو بعد مدة ليست قصيرة بأنه كان على خطأ وان الكارثة قد وقعت وان ما جرى قد جرى! ان الحقيقة الكبرى لا تكمن في مجرد العدوان الذي شنته ايران علينا صباح يوم ٤ ـ ٩ ـ ١٩٨٠ في «الخانقين» والمنشآت النفطية وعلى «مندلي» وعلى «البصرة» مع اغلاق شط العرب في وجهنا وتدخل سلاح الطيران الايراني في العدوان! هذا كله كان قبل ٢٢ ـ ٩ ـ ١٩٨٠! ولو كانت هذه الاعمال العدوانية كلها «مجرد خطأ فني» ـ كما تزعم ايران ـ رغم فظاعة العمل وفظاعة التبرير، لهان الامر، ولكن النوايا كانت قد بدأت تتكشف والتي تتلخص في اجتياح العراق كله وان كل ما وقع من عدوان علينا يوم ذاك كان مجرد التمهيد لتنفيذ مثل هذا الاجتياح! كنا في بداية هذه الحرب نكشف للعالم ولاخواننا العرب بوجه خاص، عن اهداف ايران البعيدة المدى في العراق وفي دول الخليج! كنا نحذر من أطماعها التوسعية ونواياها الاجرامية عندما كانت القوات العراقية قد دخلت الاراضي الايرانية في بداية الحرب ولكن «البعض» كان يشكك في أقوالنا! وسكتنا على هذه الشكوك حتى انسحبنا الى داخل حدودنا. وبعد قليل اي بعد معركة «المحمرة» ـ على وجه التحديد ـ راحوا هم. اي حكام ايران انفسهم يكشفون عن نواياهم الصريحة ويتحدثون عن خططهم البعيدة ويؤكدون على كل حرف سبق لنا وقلناه عنهم في بداية هذه الحرب! لقد سمعهم العالم يؤكدون للعرب ولغير العرب انهم لا يريدون للعراقيين العودة الى

حدودهم الدولية كحل للحرب وانما يريدون اسقاط النظام العراقي واقامة حكم اسلامي على الطريقة الايرانية، اي الحاق العراق بايران! وعندما حاول العرب تجاهل صدور هذه الاقوال من حكام ايران، راحوا يؤكدون انهم بعد الان سيدخلون العراق وعلى الشعب العراقي في البصرة ان يستقبل بالاحضان الجيش الاسلامي المحرر! شنوا عدوانهم في تموز «يوليو» عام ١٩٨٢، في البصرة وفشلوا. ثم جاؤوا من جهة مندلي وفشلوا و «ميسان» وفشلوا! ثم كرروا الحرب على جبهة ميسان! وميسان! وميسان! مرة بعد مرة بعد مرة وفشلوا! ولقد ساعدنا القدر، وكان الله معنا، فجعل الايرانيين يكشفون بانفسهم عن حقيقة عن نوايا وامور فاقت في اخطارها كل ما كنا نقول عنهم! ورغم كل الفشل الذي منيوا به، الا انهم تحت تأثير العنجهية الفارسية المعروفة، ظلوا يصرون على الحديث عن نواياهم، ويتحدثون باستمرار وعناد عن خططهم وبعبارات اكثر وضوحا من عباراتنا عنهم! وقبل المعارك الاخيرة في «الشيب» كانوا يخططون ويحسبون ويعدون العدة والسلاح والقوة من اجل ضمان نجاح هجومهم المرتقب علينا! ولعل ذلك ما دعا «الخميني» لكي يقول لنا قبل هجومه الاخير علينا: «عندما ندخل العراق فاننا لا ننوي ان نحتل العراق وانما نريد ان نبعد الجيش العراقي عن مدننا، ونهيء الظرف لاقامة جمهورية اسلامية!» ما الذي دعا «الخميني» لان يقول مثل هذا الكلام؟ والجواب انه رغم كل النكسات التي أصيب بها كان ما زال يعتقد بان الهجوم الاخير قد يحقق نجاحا فأطلق كلامه المجبول بالاحلام حول الدخول والاحتلال! او انها مجرد نزوة عسكرية مؤقتة وانما المسألة مطروحة ضمن استراتيجية متفق عليها من قبل القيادة الايرانية الحاكمة بقصد التوسع في العراق والخليج وعلى حساب الامة العربية بأسرها!»

ـ ثم مضى الرئيس صدم حسين يقول لي:

ـ وعندما تتبين الحقائق بمثل هذه السهولة وتظهر النوايا العدوانية بمثل هذا الوضوح، وعلى لسان العدو نفسه، وبصورة ليست استنتاجية وانما مجرد حقائق ساطعة، ليتبين للعالم وللجميع على ضوئها ان انشغالنا بهذه الحرب وبالتعبير الموضوعي لم يكن انشغالاً عن بقية مسؤولياتنا وواجباتنا تجاه فلسطين او لبنان او غيرهما من القضايا العربية، وانما هو اداء امين لدور هام وتاريخي لو اننا لم نؤده لما كان هناك من هو قادر على تأديته! وهذا الامر ليس دفاعا عن العراق وحسب، وانما هو حالة دفاعية عن قاعدة عربية اسمها العراق ضمن الامة العربية وضمن ارضها ووطنها كله! هذا ما جعلنا بعد مضي ثلاث سنوات من الحرب، ورغم كل التضحيات جعلنا لا نفقد حماسنا في البناء، وفي التطوير الفكري، وفي ازدهار الفن، وبناء الحضارة الحديثة، وان لا نفقد حماسنا ولا تجلدنا في مواجهة نتائج هذه الحرب وتكاليفها! ان ارادتنا التي لم تهن ولم تضعف قد استمدت شعلتها من معرفتنا بأننا لا ندافع عن

العراق وحده وانما ندافع عن الامة كلها! ولهذا تساوت الحماسة عند الجميع! بين الكبير والصغير! بين الرجل والمرأة! فاذا كان الامر هكذا، وهو هكذا، يكون حالنا في العراق تجاه هذه الحرب كالمزارع الذي يزرع النخيل او يزرع الزيتون ويرويه من دماء ابنائه! والذي يزرع النخيل او يزرع «الشعير» في ارض غير مضمونة المطر!! ان الذين يعتمدون على المطر في زراعة الشعير انما يراهنون على المجهول بينما زراعة النخيل تكمن في الانسان العراقي الجديد الذي تحمل ويلات الحرب وتكاليفها، واستطاع ان يحافظ على نفسيته واعصابه وارادته ويمشي نحو البناء الداخلي بكل ما لديه من امكانيات! هذا الانسان العراقي الجديد الذي كنا نحن في ايام شبابنا ومظاهراتنا نتمنى ان نكونه، ونتمنى ان يكونه كل عربي، بحيث يكون قادرا على العطاء، وعلى الصبر، وعلى الارادة الحرة والتصميم على مواجهة الصعاب! هذا الانسان العراقي لم يسحق ولن يسحق.. وهذه الشخصية التي نحافظ عليها ونطورها ما زالت ـ والحمد الله ـ سليمة معافاة. شخصية لا تتراجع وانما تتكون وتتكامل، سواء بالنسبة لتحقيق وحدة العراقيين وتزيل الطائفية والعشائرية، ويصبح الجميع في اتجاه واحد، وهدف واحد، وهذا هو بالضبط ما جرى وما يجري حاليا. وهذا المحصول الطيب المليء بالخير، وعندما تنتهي هذه الحرب، قادر ان يحقق في ميدان البناء، وفي ميدان الدفاع عن قومية هذه الامة اضعاف ما كان غيره قادرا ان يحققه. ان هذه الحرب قد اوجدت الشخص «العراقي الجديد» المشحون بالعزيمة والارادة والتصميم والجلد، وسيوظف هذا العراقي «الجديد»، كل هذه المزايا التي تفجرت في نفسه، لخدمة هذا الوطن وللدفاع عن هذه الامة..!».

وقال الرئيس صدام حسين مستطردا:

● وبعض العرب ـ للاسف ـ قد جهلوا هذه الحقائق رغم ان الاعداء قد عرفوها. انا لا اقصد فريقاً من العرب دون فريق وانما اعني ان بعض الاخيار الطيبين من العرب قد جهلوا هذه المعادلة الانسانية الواضحة وتركوا للعدو وحده مهمة فهمها وادراك ابعادها! هل تفهم الان لماذا طال امد هذه الحرب؟ عندما أشعلوا الحرب كانوا يظنون ان القضاء على العراق سيتم لهم في ايام قليلة.. ولما لم يتحقق لهم ذلك الحلم، راحوا يطيلون امد الحرب بانتظار القضاء علينا. وعندما اطالوا الحرب ورأوا مع الدهشة مولد الانسان العراقي الجديد وتكوينه وانطلاقه قرروا المد في عمر الحرب لكي يسحقوا هذا الانسان العراقي! ولكني اقول لهم ان هذا الانسان قد ولد في جو صحي تام، يمكنه من رؤية ما في الافق من قضايا جذابة تشده دوما الى الامام وتدفعه دوما الى الانطلاق. هذا فيما يتعلق بنا. اما الحالة عند عدونا فانها تختلف جدا. هل تعرف حقيقة حالهم؟ يذكروننا بخضراء الدمن! اذ ان كثيرين قد رحبوا بثورة ايران عند قيامها! وكثيرين قد بنوا عليها الامال! وكثيرين ظنوا فيها خيرا! وقال البعض انها تكون عبئا على الامة! والبعض نسى الظروف الاجتماعية والسياسية الداخلية السيئة التي



الرئيس العراقي صدام حسين يستقبل ناصر الدين النشاشيبي في قصر الرئاسة ببغداد

سبقت قيام ثورة ايران، وتصوروا ان قيام الثورة المذكورة يعتبر معجزة ايرانية، وانا اقول لهم ان المعجزة حقا هي ان الثورة المذكورة قد تأخرت كل هذا الوقت عن موعد قيامها رغم توفر كل الاسباب التي تبرر قيامها! كانوا يتذرعون بان عضوية ايران في الحلف المركزي قد طوقت ايران ومنعت شعبها من الثورة. هناك دول اخرى غير ايران ـ كانت ايضا عضوا في الحلف المركزي ـ او حلف بغداد ـ ولكن قضية هذه العضوية لم تمنع هذه الدول من القيام بثورتها قبل ثورة ايران بعشرين سنة! هل تفهمني؟!.

واستطرد صدام حسين قائلا:

ـ قالوا ان الجديد في الثورة الايرانية يتجلى في عزوفها عن مغريات الحياة الجديدة. ما هي هذه المغريات؟ هي الجنس والخمر! ونسي هؤلاء حالة التطرف في الانهيار الخلقي والاجتماعي، بالصورة المذهلة وعلى المستوى الشعبي بأسره داخل ايران قبل قيام ثورتهم، نسوا ان ايران كانت اشبه بسور كبير وبداخله ترتكب أسوأ انواع الموبقات وبشكل متطرف مخيف يعم الاطفال والنساء والشيوخ، وفي الريف والمدن، وعلى مستوى الحاكم والمحكوم معا! وجاءت الثورة الايرانية، وبدلا من ان يكون العلاج في محاولة خلق توازن في امور الحياة الايرانية، اذ بالثورة تجنح بدورها الى التطرف على الناحية المعاكسة. نحن نعرف ان التطرف مضر بالمجتمع. وان التطرف لن يحقق اية نتيجة. وان المتطرفين سيجنحون في النهاية الى الانغماس في الملذات التي كانوا محرومين منها على ايدي متطرفين اخرين. هناك امثولات نراها في تربية الاولاد ورعاية المراهقين! ان التطرف بالدين سيؤدي حتما الى خلق حالة

الحاديّة في ايران. ونحن نأمل لشعوب ايران ان تأتي من بينها من هو قادر على ان يخلق لها نوعا من التوازن الصحيح بين النظرة الى الحياة، وبين النظرة الى الدين، او يوازي بين النظرتين بدون مبالغة ولا تطرف ولا تشنج ولا تمثيل.

بعض الناس كانوا ينظرون الى ما جرى في ايران وكانت نظراتهم مخطئة بما يشبه الإجرام. لقد تمنينا للايرانيين وثورتهم ان تتطور باتجاه الخير. وكنا في القيادة، وقبل عدوانهم علينا يوم ٤/٩/٨٠ ندرس ما جرى. وكانت هناك ٣ تيارات في قيادتنا بالنسبة للموقف المطلوب تجاه ثورتهم. اولها موقف يدعو الى معاداة الثورة بسبب ما تعلن من عداء لنا. وثانيها تيار يدعو الى التعاون معهم بغض النظر عن اقوالهم العدائية ضدنا. وتيار ثالث يدعو الى التعاون معهم على اساس الاسس الدولية العادية مع التمني ان يكونوا أفضل؛ والتحسب لما يضمرون بدون ان نشعرهم بالعداء او بالصداقة. وكنت انا من اصحاب الرأي الثالث. وهو الرأي الذي استقرت عليه سياسة العراق، حتى قبل ان اتولى مسؤولية الرئاسة. قررنا ان نتعاون معهم، ونأمل ان يتحسن موقفهم، ولكن ـ وفي نفس الوقت ـ نحسب حساب شرورهم كي لا ندعهم يفاجئوننا بها! وكان أشقاؤنا العرب موزعين بين هذه التيارات الثلاثة.

واستطرد صدام حسين قائلا بعد ان أشعل الغليون للمرة العاشرة:

● اعني، ان بعض اخواننا العرب ارادوا اعلان العداء لثورة ايران من اول يوم. ولكننا قلنا لهؤلاء الاخوان: علينا ان نصبر وندرس ونراقب ولا نبادر احدا في ايران بالعداء لئلا يقال بان العرب لن يعطوا الفرصة لهذه الثورة! قلنا لاخواننا العرب اننا سنقول للثورة اننا نتمنى لها الخير ولكننا سنقول لها ايضا: اذا اردتم ان تخدموا الامة العربية فان عليكم احترام الامة العربية. . واذا اردتم ان تجاوروا العرب بالحسنى فان عليكم معاملة العرب بالحسنى! وبعض اخواننا العرب وافقوا معنا على هذه السياسة. ولكن.

قلت مقاطعا: ولكن ماذا؟

● قال: ولكن الثورة المذكورة ـ كما اصبح واضحا فيما بعد ـ كانت تضمر الشر للعرب عامة وللعراق خاصة، وان العراق في موقفه المتحفظ الذي اشرت اليه تجاهها كان يقظا امام التطورات بحيث لم يفاجئه احد بالعداء، واننا كنا على حق ان نحسب حساب اي عدوان ايراني محتمل علينا، ولما جاء العدوان لم يكن مفاجأة لنا، ولا نحن بادرنا ثورة ايران باي عداء قد يبرر لها عداءها لنا، بل عاملناه بكل هدوء وحسن نية ورعاية للجوار. من هنا، اقول لك ان انصراف جهود العراق الى هذه الحرب التي فرضت عليه لم يكن انصرافا عن الجهود العربية المطلوبة عن هدفها الصحيح وانما هو وضع للجهود العربية في مجراها المطلوب ضد عدو يريد اغتصاب العراق واذلال العرب، وبالتالي فان رصده والتربص به ومواجهته ومحاربته هي امور تعتبر بمثابة وضع الجهود في مجراها الطبيعي. . الصحيح.

ثم سألت صدام:

● هل كان المطلوب منا ان نتنازل للعدو عن مطالبه الاولى فنشجعه بهذا التنازل على ان يأخذ العراق كله، وتكون النتيجة ان يضيع العراق ونخسر العراق ولم نكسب العدو الذي كنا نتمناه صديقا لنا فرفض الا ان يكون عدوا لنا! ان الحروب في نظري شر كبير. ونتائجها شرور مثلها! ولكن الحروب عندما تنشأ في ظروف كهذه الظروف التي حدثتك عنها والتي هي، كما قلت لك اشبه بالاضطرار الاختياري او الاختيار الاضطراري عند ذلك يصبح لهذه الحروب نتائج ايجابية مهمة لدفع مسيرة العراق وفي مقدمتها خلق الانسان العراقي الجديد في النظرة الى الحياة وفي العمل وفي الحياة...

وسكت الرئيس صدام حسين قليلا وكأنه يرقب حلقات دخان غليونه في هواء الغرفة وقال لي:

● هناك بعض الفئران الذين استغلوا فرصة انشغال العراق بالحرب للتنطح بالقضايا المصيرية الكبرى والتظاهر بما ليس في تلك الفئران من شيء. انا اقول لك ان الاوهام لا تجعل من الفأر شيئا غير الفأر. ان ملك الغابة يبقى الملك سواء كان طليقا ام في قفص! يبقى ملك الغابة هو مليكها ويبقى الفأر الطليق هو مجرد فأر!

ـ ما هي عناصر قوة الحاكم العربي المعاصر؟

● هناك عنصران. احدهما تاريخي والاخر ظرفي يومي عابر، وكلاهما له حساب. ان القوة الثانية، اي الظرفية اليومية واللقاءات والتظاهر امام الناس ولفت الانظار تحت الاضواء ولكنهم بهذا اشبه بالذي يلعب على الحبال، حيث سيأتي عليه وقت قريب ويسقط من فوق الحبل ويكسر رقبته! ام انهم يطمعون في القيام بأدوار تاريخية؟ وجوابي لهم: يا ريت! انا اتمنى، ولكن هذه الامنية لن تتحقق الا اذا انتقلوا ـ هؤلاء انفسهم ـ من السواقي الصغيرة الآسنة الى اعالي البحار، وان يتنصلوا من الدور البسيط الفني التكتيكي المؤقت الرخيص الذي يكون على حساب القيم الى الدور الاصيل المثمر المليء بالقيم الواسعة وان يكون التكتيك لخدمة القيم العليا نفسها.

وسألني صدام بلهجته الصريحة الثورية المندفعة:

● شنو هذا الدور الذي يقدر مثل هؤلاء الناس ان يلعبوه يا استاذ؟ الواحد منهم يشعر بأنه حبيس قصره أو مكتبه ولا يجرؤ ان يمر في شارع ويرى نظرات الشعب تطارده باللعنة والمقت والكراهية وكأنها تنادي بضرورة الخلاص منه؟ لا يا استاذ نشاشيبي.. ان الادوار الكريمة تبقى اكبر من هؤلاء الصغار ويبقى الصغار اصغر من الادوار الكبيرة التي يحلمون بها ويتمنون الانتساب لها. وبالمناسبة، فانني اقول لك شيئا واضحا سجله على لساني:

نحن لا نتمنى ولا نسمح لانفسنا ان نتمنى ان يكثر عدد الحكام المسيئين بين العرب لكي

نبدو نحن كحكام صالحين. هذا تفكير رخيص نربأ بتفكيرنا ان ينحط الى مستواه. ان الاقزام الصغار وحدهم، الذين لا يشعرون بالمسؤولية نحو امتهم هم الذين يفكرون بمثل هذا التفكير. هؤلاء يتمنون الارض السهلة المفتوحة لانهم يكرهون القمم. اما نحن فاننا نتمنى حتى للحاكم العربي السيِّء ان تتاح له الفرصة التي تمكنه من ان يصلح نفسه امام امته لاننا نعتقد بأن امته بحاجة الى الحاكم الصالح ولاننا نعتقد بأن الامة قادرة ان تستوعب آلاف الحكام الفرسان وتستوعب آلاف القادة الصالحين؛ وليرتفعوا الى المكان الاعلى الذي يقدرون به الذود عن بلادهم بالبناء، ثم بالقدرة على حماية مثل هذا البناء اذا ما تعرض للمخاطر.

سألت صدام حسين:

ـ وماذا تعلمتم ايضا، من هذه الحرب، ومن دروسها؟

● أجابني صدام حسين:

ـ تعلمنا منها كثيرا في ميدان السياسة الخارجية الدولية، علمتنا الحرب ان «الكبار» لا ينظرون الى الصغار باحترام الا عندما يكون الصغار ضروه لكي يصبح الكبار. . كبارا او لكي يبقى الكبار منهم. . كبارا! وعلمتنا الحرب كذلك ان الجانب العاطفي في السياسة الدولية ينبغي ان يخضع للتفنن من جانب العقل حسب ما يراه هذا العقل من مستلزمات تراعي مصلحة الامة ومصلحة الوطن بأسره. وعلمتنا هذه الحرب ايضا، رغم اننا لم نكن نجهل هذا الدرس ـ بانه لا يجوز لك ان تساوي بين اعتمادك على صديقك واعتمادك على نفسك او ان تعتمد على صداقة الصديق مثل ما تعتمد انت على صداقة نفسك لك! كما لا يجوز لك ان تبني احكامك في اعتمادك المسبق على صديقك الا بعد ان تختبر صداقة هذا الصديق بنفسك بالتجربة وبالعمل حتى لا تقع المفاجأة ولا تعيش انت بالوهم. . »

سألته: ـ وما هو الدرس الشخصي الذي تعلمته انت بنفسك يا ريس؟

ـ أجابني صدام حسين وهو يرفع يده:

ـ انا لم تفاجئني الاحداث بشيء. . وفي اجتماعات القيادة العراقية، وعند بدء نشوب الحرب وسألني رفقائي في القيادة عن الموقف الذي ينتظره العراق من اشقائه العرب فاجبتهم «العرب كما ترونهم». . لا تتوقعوا منهم الكثير من الشيء الجيد. ولا تستاؤوا كثيرا لاي شيء قد يصيبكم منهم! علينا جميعا ان نساعد على نمو شعور الطيبين منهم، كما علينا ان نشجع الاخيار منهم على الاستمرار في مساعدتهم لنا اذا جاءت تلك المساعدة.

ـ متى كان ذلك يا سيادة الرئيس؟

ـ في بداية الحرب. .

ثم اكمل قائلا:

لقد سألوني: ماذا عن العرب. من منهم معنا ومن ضدنا؟ اجبت اخواني في مجلس

القيادة: لا تحملوا العرب اكثر من طاقتهم. حرام ان نحملهم اكثر مما يستطيعون. علينا نحن هنا ان نحمل العبء عن العرب لا ان نترك للعرب ان يحملوا عبء العراق، اما اذا ظهر الخيرون منهم وساعدوكم فعلينا جميعا الترحيب بهذه المشاعر وتقديرها حق قدرها وتشجيع اصحابها على الاستمرار بهذا العمل بأن نحفظها في المكان اللائق بها. اما عن بقية دول العالم فقد قلت يومها لمجلس قيادة الثورة ان لنا اصدقاء يمكن ان لا يسيئوا الينا كما ان لنا اعداء سيمتشقون سيوفهم لمحاربتنا تماما كما تحاربنا ايران، اما عمن سيكون معنا بين تلك الدول الاجنبية فقد قلت لمجلس قيادة الثورة ان علينا ان لا ندخل في حسابنا، ان احدا سيدخل معنا في هذه الحرب. واذا وجدنا ان هناك من مد يده لنا، فعلينا ان نرحب به ونقدر له موقفه ونعمل كل ما هو قادر ان يشجعه للمضي في موقفه الودي منا..

سألت الرئيس مقاطعا:

ـ ما زلت اطمع أن أسمع من سيادتك المفاجأة الدولية؟

أجابني:

ـ المفاجأة ان الوضع الدولي كان اقل شرا مما حسبناه او افضل مما كنا قد تحسبنا له.. او تحسبنا منه؟

ـ والعربي؟

ـ كما توقعناه. الخيرون تفاعلوا بقدر.. والاشرار الذين نعرفهم تمسكوا بشرهم ولم يكونوا بالنسبة لنا مفاجأة.

ـ والذين ساندوا.. هل بلغوا حد المشاركة؟

وصمت قليلا صدام حسين. ونفخ دخان غليونه مرة بعد مرة. وتنهد ونقل نظراته بين ارجاء المكتب في حيرة وقلق ثم قال لي:

ـ ارجو ان لا تصر على الخوض في هذا الموضوع. ارجو ان تعفيني من الكلام عن العرب.. قد اقول لك كلاما لا اريد ان اقوله عن العرب! ارجوك ان تتجنب الكلام عن العرب. لا اريد ان احدثك بغير الحقيقة ولا اريد أن اجرح احدا من العرب.. ارجوك... اترك هذا الموضوع.

ـ حاضر..

وقلت للرئيس مستطردا:

ـ لقد فهمت منك ان الموقف الدولي كان اقل سوءا مما انتظرت.

أجابني:

ـ تماما.. تماما

ثم اكمل:

ـ سأقول لك شيئا لم يعد سرا على رفقائي في مجلس الثورة. لقد كانت تجربة جمال عبد الناصر هي أهم درس لنا في هذه الحرب. لقد تعلمنا منه ان لا نعتمد على أية دولة اجنبية لا في كلامها لنا او في مواثيقها معنا! تعلمنا ان نتعامل مع الدول بلغة الواقع الحاضر. اذا قالوا لنا نعطيكم، حسنا او نعمل لكم هذا، حسنا، ولكن لا ندخل هذا الكلام في خطتنا ولا نبني عليه ارقامنا او موازنتنا او حسابات سلاحنا او خطط معاركنا، فاذا تحقق، كسبنا، واذا لم يتحقق لا نخسر ولا نصاب بالدهشة ولا نضيع!

ثم اضاف بصوت هادىء لا يخلو من رنة حزن:

ـ ان دروس تجربة عبد الناصر هي اهم واغلى الدروس التي تعلمناها، او بالاحرى، تعلمتها انا شخصيا!

سألته:

ـ هل تعني درس عدوان ١٩٥٦، ام حرب ١٩٦٧؟

أجابني وصوته ما زال هادئا مع رنة حزن:

ـ اعني كل حروبه، وكل تجاربه، وكل انتصاراته وكل ازماته! حتى الدرس الناتج عن مجيء انور السادات، وانقلابه على عبد الناصر، وعلى تراث عبد الناصر، وعلى مبادىء عبد الناصر وعلى ثورة عبد الناصر كان بالنسبة لي اكبر الدروس في مراقبة ومتابعة حركة السلطة ولا أعني باسلوب الاجهزة الأمنية، وانما بأسلوب المحاسبة والدرس والمتابعة والرؤية.

ثم اضاف:

ـ وكذلك تجربة حزبنا في سوريا بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٦. اما بالنسبة لداخل العراق فهناك تجربة ١٨ تشرين! هل تعرف ما هي تجربة ١٨ تشرين؟ في هذه التجربة عرفنا كيف بامكان البرامكة ان يتسللوا الى الحكم والمسؤولية تحت الجناح العربي. وكيف كانوا يتقربون الى اقرب النقاط لضرب الهدف! هل تفهمني، البرامكة ما زالوا موجودين حتى ولو كان اصلهم غير فارسي! هذا الدرس هو الذي جعلنا نبقى متيقظين، واعين، لا نستورد المفاجآت ولا نعيشها لأنها لم تعد واردة ولا موجودة بسبب يقظتنا وتربصنا. اعتمدنا على انفسنا وعلى عمق الشعب العراقي واصالته، عندما يزداد الخطر نسعى لرفع معنويات العراقيين وروحهم وتربيتهم، وللتاريخ اؤكد لك بأني لم افاجأ باي حادث او حالة عسكرية او سياسية طيلة مدة مسيرتنا الحاضرة بل ان الملموس الذي نعيشه والحقيقة التي نحياها قد تطورا وغوا بأعلى مما كنت قد توقعت لكل منها، وان واقعنا الثوري قد تطور بنسبة ما تمنيته، وليس بنسبة ما حسبت له..! هل تفهمني؟

أجبته: تماما يا رئيس

ثم سألته وانا اقترب معه الى الحديث عن المعارك الجوية الاخيرة؟

ـ في المعارك الاخيرة سجل جيش العراق انتصارات مجيدة ومشرفة في تاريخ هذا البلد. وهذه الانتصارات تعتبر بمثابة منعطف جديد وجذري في هذه الحرب، تسألني لماذا؟ اقول لك لان الانتصار الاخير قد تحقق بعد ثلاث سنوات من قيام الحرب وليس بعد يومين او شهرين من قيامها. ولو انك رأيت بعض الافلام الوثائقية عن هذا الانتصار لعرفت معنى ما اقول وكيفية تحقق هذا الانتصار وكيف ادى الانسحاب الكامل للقوى المهاجمة وانتصار كامل للقوى العراقية، وان اهم ما فيه لم يكن في نوعية السلاح او ضراوة المعارك، وإنما كان محصورا في روح القتال التي تجلت عند الجندي العراقي الذي حارب اعداءه بالحراب والسكاكين والايدي والسلاح الابيض حتى اخرجوهم من ارضنا. . لقد جرى هذا ـ كما قلت لك ـ بعد مرور ٣ سنوات من الحرب. . واصيب الايرانيون بهزيمة في جيشهم النظامي وفي «حرسهم» الثوري بعد استعدادات طويلة شملت كل التفاصيل وادقها وحسابات مفصلة حرصت على ان يكون عددهم في الهجوم الاخير بالنسبة لعددنا كنسبة ثلاثة الى واحد! واختاروا الموقع والوقت والمحاور والقطاع والاهداف ومع ذلك اصيبوا بالهزيمة. ولذا كان ذلك بمثابة اقناع لهم بان الحل العسكري لن يصل بهم الى شيء.

قلت: يعني سيرغمهم على العوده الى الحل السياسي والتخلي عن الحل العسكري. .

أجاب: هذا سينمي التيار الذي يؤمن بهذا الرأي داخل السلطة وداخل الشعب وتزيده قناعة بها سبق ورآها من حقائق لا يمكن اخفاؤها. . ؟

فسألت الرئيس «صدام» على الفور قائلا:

ـ هنا. . لا بد من التساؤل عما ستكون وكيف ستكون ومتى ستكون نهاية هذه الحرب، يا سيدي الرئيس. . ؟

وأجابني الرئيس:

ـ نتيجة هذه الحرب ان الايرانيين سيعجزون حتما عن تحقيق اهدافهم ضدنا، وبالتالي سيقتنعون بأنهم ـ بالفعل ـ عاجزون عن تحقيق اطماعهم، وبذلك سينمو لديهم التيار العقلاني والذي يقول بوضوح انهم ما داموا قد عجزوا عن تحقيق ما كانوا يتمنونه فعليهم ان يكونوا واقعيين في التعامل مع العراق. . »!

وماذا عن «الخميني» يا ريّس. . ؟

وأجابني صدام حسين:

ـ انا اعتقد ان الخميني ليس رجل دين وانما هو رجل سياسة! وعلى ضوء هذه الحقيقة فاني اعتقد بأن رجل سياسة كالخميني لن يستبعد الحالة الموضوعية التي تواجهه عندما يصطدم بها او يعجز عن التعامل معها بالطريقة التي يريدها! لو تسألني وما هو دليلنا على صحة هذا القول، اجيبك: ان دليلنا بعد هذا التحميل هو أن نتذكر كيف تعامل الخميني مع اميركا في

موضوع الرهائن، او المحتجزين الامريكان ان الخميني عندما شعر بان قضية الرهائن تصيبه بالخسارة على المستوى الدولي، وانه بحاجة الى اموال وقروض وهبات طائلة عند ذلك، اعطى الفتوى بضرورة التعامل مع «الشيطان الاكبر» وانهاء الموضوع على الفور. . !»

ثم استطرد الرئيس العراقي قائلا:

ـ وعندما يصل «الخميني» الى قناعة بأنه عاجز عن ان يجتاح العراق، وان الحرب قد اصبحت تأكل من لحمه اجتماعيا وشعبيا وسياسيا واقتصاديا، فسوف يصدر الفتوى بانهائها ـ انهاء هذه الحرب ـ بصورة او باخرى، مباشرة او بصورة غير مباشرة. . !»

قلت للرئيس صدام:

ـ معنى هذا انه في مفهومكم، لم تكن حربكم ضد «فارس» حرب استنزاف وانما كانت وما زالت حربا شاملة حقيقية وكاملة بكل مفهوم الحروب وبكل معانيها اليس كذلك؟

أجاب:

ـ كنت اعلم عن نوعية هذه الحرب قبل وقوعها، وكنت اعلم كذلك ان ايران تحاول ان توهمنا بان حربها ستكون حربا «استنزافية» لكي تخدرنا وتقلل من قيمة حربها ضدنا! انها خدعة وتضليل من دولة ايران، بيد اننا كنا نتوقع هذه الحرب بكل حقائقها وكنا نستعد لها بفعل اسلحتنا للانتصار فيها غير ملتفتين الى اية تفسيرات او تحريف او اباطيل من جهة ايران. .

قلت اسأله مكررا: اذن فهي حرب بكل معاني الحروب!

وقال وهو يهز رأسه مؤكدا:

ـ أجل. انها كذلك دون اي شك ولا ينفع امام هذه الحقيقة اية مغالطة من اية جهة كانت. !

وسألت الرئيس صدام عن حقيقة قصة الديون المالية التي ترتبت على العراق نتيجة استمرار هذه الحرب. فأجابني:

ـ اسمع يا استاذ ناصر. . انت تعرف العراق الان كما تعرف العراق قبل الان. تعرفه في جميع الحالات. وتعرف ما هو العراق. تعرفه في هذه الايام الصعبة كما انك تعرفه في الماضي القريب والماضي البعيد. سأقص عليك ما يلي: ذات يوم قريب اردت انا ان اؤدي واجبا ولا اقول مساعدة تجاه بعض اخواننا واشقائنا العرب اعني واجبا ماليا رغم اننا نعيش في ضائقة الحرب. واجاب هؤلاء الاشقاء بأنهم يعجبون كيف نصر على ان نقدم لهم مثل هذه المساعدات بينما يعيش العراق حالة حرب تستنفد امكانياته وامواله. قلنا لهم لهؤلاء الاشقاء: العراق سفينة كبيرة ولكي تمتلىء هذه السفينة تحتاج الى زمن طويل كما ان هذه السفينة لكي تستنفد حمولتها تحتاج الى زمن طويل. فالعراق، ومهما كانت حمولة ديونه يبقى بلدا غنيا

بامكانياته وثرواته ومحصوله وشعبه. انا اكره لغة الارقام ولكني على ثقة بامكانات بلدي وعندما تنتهي هذه الحرب فان العراق قادر على ان يسدد جميع ديونه دون اي ابطاء او اعذار. لقد ترتبت علينا هذه الديون بسبب الحرب، وبانتهاء هذه الحرب ستنتهي هذه الديون. لقد تطور العراق في كل الميادين وخاصة ميدان الانسان «العامل» الجديد المنتج القادر على ان يفي بتعهداته ويسدد ديونه وينمي ثروته..

قلت مقاطعا:

ـ وهل صحيح ان نسبة التضخم قد وصلت عندكم، الى خمسين في المائة؟

أجاب:

ـ هذه خيالات وارقام مجبولة بالمبالغة. ولكن رغم هذا لو انك سألتني: هل انتم في ضائقة ام لا، لاجبتك: كيف يمكن ان نحارب لمدة ثلاث سنوات ولا نكون في ضائقة؟ ولكن لا يعني ذلك اننا في عجز. نحن في جميع الظروف ندبر امورنا وننظم موازنتنا ونوازي احوالنا. الحالة ـ كما يقول الاخوة في مصر: «مستورة»

ـ يعني؟

ـ يعني انها حالة لا تدعو الى القلق مطلقا!

وسألت الرئيس صدام:

ـ هل صحيح ان الحرب القائمة قد ارغمتكم على مفاوضة الاكراد بهدف اشراكهم في الحكم؟

وأجاب الرئيس صدام حسين: ان جوابي على هذا السؤال هو ان الحرب ممكن ان تكون مجالا لعودة من خرج عن «الخط الوطني» لكي يعود الى الخط الصحيح مع احتفاظه ببياض الوجه، وليس، العكس، اي ليست الحرب وسيلة او منفذا لاعادة الاتصال مع الغير. ان قرارنا بمنح الحكم الذاتي للاكراد قد صدر ولم يكن العراق في حرب مع ايران. وعندما بدأنا في تطبيق هذا الحكم الذاتي في عام ١٩٧٤ لم يكن العراق منهمكا في اية قضايا خارجية. وكان العراق في ذلك الوقت في سلام وازدهار وهدوء. والاكراد حاليا جزء من شعبنا العراقي، ولهم ممثلون في السلطة يزيد عددهم عن الممنوح لهم حسب نصوص الحكم الذاتي. ولكن من حقنا ان نقول لمن هم خارج مجرى الحياة الوطنية ـ للذكرى والتذكير ـ بان عليهم العودة الى المجرى الوطني قبل ان تنتهي هذه الحرب اذ اننا نتمنى لهم ونتمنى عليهم ذلك، فلو انهم عادوا بعد نهاية الحرب لما كانت عودتهم مساوية في صفاء قصدها وسمو غايتها مع عودتهم قبل انتهاء الحرب. اننا نريد لهم عودة خالية من العقد النفسية، وهذه العودة تكون لو انها جاءت قبل انتهاء الحرب لا بعد انتهائها..! على اخواننا الاكراد ان يغرفوا من الشرف الوطني ويتحملوا مسؤولياتهم تماما كالاخرين. وعلى هذا عندما تتوفر الفرص والمناسبات

نخلق معهم الحوار اللازم ونشرح لهم الظروف القائمة ونتبادل واياهم وجهات النظر. وليس في هذا دليل ضعف او دليل حرب، وانما في هذا دليل قوة ووطنية وحرص على وحدة الصف العراقي الوطني وصلابة الجبهة الداخلية في البلاد. لكي يبقى كالبنيان المرصوص..

قلت للرئيس صدام: وما زالت قضية فلسطين يا سيدي الرئيس هي الجرح الدامي في قلب هذه الامة، خاصة بعد احداث لبنان: فهل استطيع ان اسمع رأيك في كل الذي جرى منذ الغزو الصهيوني للبنان، وما نتج عن ذلك من احداث ومفاجآت وضربات؟»

واجابني صدام حسين وقد امتزجت المرارة في بعض نبراته:

ـ الا تتصور ان اسرائيل قد تطاولت وتجبرت اكثر مما يتصوره اي بشر سواء كان عربيا ام اجنبيا؟ الا تعتقد ان اسرائيل نفسها تشعر بأنها قد تطاولت على العرب بأكثر مما تقدر عليه هي، وبأكثر مما يرضى به حتى اعداء العرب، وبأكثر مما يسمح لها به اي منطق او عقل او ظرف؟

ثم اكمل يقول:

الجواب قطعا بالايجاب! وانا اعتقد انه ليس صحيحا ان نتصور بعض الدول الاوروبية او اميركا او بعض دول العالم ان الذي يحقق السلام بيننا وبين اسرائيل هو ان نترك اسرائيل تتصرف كما يحلو لها، فتضرب وتحتل وترفض وتضم وتغزو وتفعل ما تشاء! لايا ناس! ان السلام مع اسرائيل لا ولن يتحقق الا اذا ادركت اسرائيل، وبمعادلات حسابية واضحة، ومنطقية، انه ليس مسموحا لها ان تتطاول على الامة العربية بالغزو والعدوان والاذى، وان تهين الكرامة العربية، وتجرح العزة الوطنية، ولا تخشى عقابا او ردة فعل. لا! ان العراق حتى ولو لم يكن منهمكا في حربه ضد ايران، لبقي عاجزا عن ان يفعل شيئا عسكريا ملموسا ومهما ضد اسرائيل ما دامت الدول العربية المحيطة باسرائيل عاجزة عن ان تقول لاسرائيل «لا»، او ان تسمح للعراق ان يساهم في المعركة وان يقول لاسرائيل كلمة «لا»! انت تعلم ان ليس لنا أية حدود مع اسرائيل. ماذا نستطيع ان نفعل؟ سأكشف لك هذا السر: عندما وقع العدوان على بيروت دعوت فريقا من الرفاق الى اجتماع في مجلس قيادة الثورة قبل ذهابي للجلسة وقلت لهم: رغم انشغالنا بالحرب ضد ايران الا اني اقول لكم ان العراق لم يقف يوما موقف المتفرج في أية حرب دخلها العرب ضد الاجنبي.. ولانريد ان نبقى في هذه المأساة مجرد متفرجين! لماذا لانرسل لوائين عسكريين عراقيين الى اخواننا المقاتلين هناك ويكون مصيرهم هو مصير اخوانهم العرب الفلسطينيين وغير الفلسطينيين في معارك بيروت؟ وبعد ذلك رحنا في مجلس القيادة نبحث كيف وعن اي طريق نرسل هذه القوة، ومن هي الدولة العربية التي ستسمح لهذه القوة العراقية بالمرور الى اراضي لبنان؟ وبحثنا، واجرينا الاتصالات وعجزنا عن ان نفعل شيئا، وبقيت القوة العراقية المعدة لنصرة الاخوة في لبنان

مجمدّة على ارض العراق. . !»

قلت للرئيس: من الذي شجع اسرائيل على كل هذا الفجور العسكري والسياسي ضدنا، هل هي الرعاية الاميركية، ام هو الضعف العربي. ام هو هذا الزمان الرديء. ام ماذا؟

واجاب: بل هي كلها معا! ولولا الضعف والتفتت والانحطاط العربي لما تجرأت امريكا على محالفة اسرائيل بهذه الصورة! ان سياسة امريكا قائمة على حسابات واضحة تؤشر لقادتها مقدار خسائرهم ومقدار ارباحهم في كل عمل سياسي يقومون به في ميادين السياسة الدولية!»

سألته فجأة:

ـ لو كنت انت في بيروت ومحاصرا من قوات اسرائيل، فهل كنت توافق على مغادرة مواقعك وتترك البلاد. . ؟؟

وانقبض وجه صدام حسين كمن جاءه خبر مفاجىء واجاب بحزم:

ـ لو كنت انا في بيروت لما وقع هذا الذي وقع! لذلك فان الافتراض غير وارد. أنا في بغداد ولم يستطع «الفرس» محاصرة بغداد ولن يستطيعوا ذلك واقول هذا دون اي تعليل من عظمة البلاء الفلسطيني في التصدي لاسرائيل، ولكني انظر الى الامور نظرة اجمالية. انا لم اكن قادرا على مساعدة بيروت وانا بعيد عنها في بغداد! لو انك سألتني بوضوح: يا صدام حسين لو كنت انت في بيروت منذ البداية ـ واكرر منذ البداية ـ هل كانت الامور هناك ستصل الى الحالة المؤلمة او المستوى الذي وصلت إليه؟. . لاجبتك على الفور: لا! لذلك فان سؤالك لي عن احتمال وجودي في بيروت في جزء قصير من مرحلة الاحداث ومسيرتها ومدى قدرتي على التصرف خلال تواجدي في ذلك الجزء القصير، لايتفق مع الواقع لاني، وبسبب انشغالي في احداث بلدي العراق لم اكن قادرا على التواجد خارج هذا البلد. ان الامور واضحة، وهنالك سؤال اخر: لو كان العراق في الحالة التي كان فيها قبل ثورة تموز «يوليو» ١٩٦٨، فهل كان الفرس يقدرون على الوصول الى الانبار. . ؟ والجواب: نعم. . وبكل سهولة! لذا اقول لك مايلي: «اعطني في لبنان مسيرة كمسيرة تموز لعام ١٩٦٨. واتركني هناك منذ ١٩٦٨ حتى غزو اسرائيل للاراضي اللبنانية. . وستعرف ان اسرائيل. عند ذلك ستعجز من ان تصل الى بيروت او ان تحاصرها!»

سألته: ماذا عن مذابح المخيمات؟ ماذا عن الاضطهاد الانعزالي للاجىء الفلسطيني؟ ماذا عن هذا التيار العدائي للعرب والعروبة الذي بدأ يغزو الوطن اللبناني. هل عندك ياسيدي كلمة حول هذه المأساة؟

اجابني صدام حسين:

ـ علينا ان نقول لمن يهمه الامر في لبنان ان يعود الى الحظيرة العربية وان يبقى فيها، ولكن قبل ان نسعى الى ان نعيد لبنان الى المشرق العربي فأن علينا ان نضمن ان نعيد المشرق العربي، الى نفسه! قبل ان يصبح اللبناني مع العرب على العربي ان يصبح مع نفسه. لايجوز ان نطالب جزءا من جسد مريض ان يتعافى بينما كل الجسد الكبير يشعر بالمرض! لانستطيع ان نطالب لبنان بالنهوض، والامة كلها تمر في حالة انتكاس! لبنان الطائفي والعشائري، ولبنان الاشعاع والفكر، كيف نطالبه ان ينطق باسم العرب او يعبر عنه بينما الامة العربية نفسها عاجزة عن أن تنطق باسم نفسها او تعبر عن حالها. لو كانت المقاييس القومية «النظيفة» هي السائدة في التعامل بين العرب لما برزت تيارات سيئة في لبنان كالحالة التي هو فيها الان. !

قلت : هل هي خطيئة هذه الامة؟

اجاب: لا! ليست خطيئة الامة وانما خطيئة المسؤولين عن هذه الامة. ! اللوم يقع على زعماء هذه الامة وحكامها.

وقلت للرئيس صدام:

ـ هناك محادثات جرت ومازالت تجري من اجل القضية الفلسطينية. وهناك مشاريع دولية وعربية مطروحة للبحث والنقاش حول مصير هذه القضية. وهناك لقاءات في الاردن وفي غير الاردن للاتفاق على الحل المطلوب لقضية فلسطين. هل لدى العراق ما يقوله حول كل هذه الامور؟

واجاب صدام حسين:

ـ سأعطيك بضعة نقاط اساسية واترك لك مهمة فحصها وادراك ابعادها. كنا قبل هذه الحرب ضد ايران من انشط الداعين الى انشاء فعاليات وصيغ في ميدان المال والاقتصاد العربي من اجل مساعدة اشقائنا واداء واجبنا القومي نحوهم ومساعداتهم ـ ماليا ـ في قضاياهم. ولكننا الان، وبسبب هذه الحرب، وما تكبدنا من تضحيات باهظة، لم نعد نتقدم بأية مقترحات في اية مؤتمرات تتعلق بالشؤون المالية والاقتصادية؟ لماذا؟ لان العراق لا يقدم اقتراحا الا اذا كان قادرا على ان يلتزم بهذا الاقتراح وان ينفذه بحذافيره وان يتحمل التضحية اللازمة لذلك. وانت تذكر اننا عندما تقدمنا باقتراحاتنا في مؤتمر قمة بغداد لمساعدة الاشقاء العرب قلنا ان العراق سيقدم لهم هذا. . والسعودية ستقدم لهم هذا. والامارات ستقدم هذا. . وبسبب هذا الموقف جاء تجاوب اخواننا في الدول العربية مع هذا الاقتراح تجاوبا جديا كاملا لأنهم شعروا بجدية الموقف العراقي وصدقه واستعداده لان يتحمل التزاماته كاملة. وان العراق اعطى اسمه وراء اقتراحه، وانه قد اقترح بهدف ان يعطي لابهدف ان يأخذ، والفرق كبير بين الحالتين. من هنا، اصبح دورنا اليوم مع اشقائنا العرب الذين

يلعبون دورا مباشرا في القضية هو دور الحوار اكثر منه دور تقديم «المقترحات» لاننا لانريد ان يقول احد من الاشقاء ان العراق يكتفي بتقديم الاقتراحات ولكنه عاجز ان يفعل شيئا او ان يقدم شيئا يدعم به هذه المقترحات! لذا، فنحن نكتفي حاليا بأن نناقش كل المقترحات المقدمة من غيرنا باسلوب الحوار الاخوي والمناقشة الصريحة تسألني : ما هي نظرتنا حول هذه القضايا المطروحة: اجيبك: ان موقفنا من موضوع العلاقات الاردنية ـ الفلسطينية، اننا نسعد بتقوية هذه العلاقات، ونعمل لتوثيقها، ونفرح لاستمرارها، ونحن نشجعها دائما ثم، نحن نرى انه ليس معقولا انه اذا اختلفنا حول اي موضوع مع الاشقاء الفلسطينيين حول اي موضوع فلسطيني فأننا نسمح بأن يصل هذا الخلاف الى المستوى الكلاسيكي المعروف في الخلافات العربية! اننا نحرص على ان نتناقش رغم خلافنا، ونتصارح رغم تباين وجهات نظرنا. وقد نختلف مع اخواننا الفلسطينيين ولكنا نعرف وندرك ونؤكد ان الرأي الفلسطيني ـ اولا واخرا ـ هو اقرب ميدانيا من الناحية النفسية والرسمية وقد لاتكون المبدئية، من رأينا، ولذا فأن علينا ان لانتعارض مع اي رأي فلسطيني! لذا، فاننا نحرص على ان نسأل عند طرح اي موضوع عربي عن رأي الفلسطينيين حول الموضوع وقبل ان نناقشه. فاذا كان رأينا ضد الرأي الفلسطيني ووجدنا ان الفلسطينيين يعارضون هذا الموضوع، بادرنا فورا الى تأييد الموقف الفلسطيني واعلنا معارضتنا للموضوع معهم، نحن مع الفلسطينيين! في الموافقة وفي المعارضة، يهمنا الرأي الفلسطيني، كل ما يقرره الفلسطينيون، نقرره ولا نعارضه ولا نتعارض معه!

سألته :

ـ وماذا عن فاس . . ومقرراتها . . وماذا عن ريغان ومبادرته؟

اجاب :

ـ انا اقول بالفم المليان واللسان الفصيح ان ما اتفق عليه العرب في مؤتمر فاس يجب ان يكون الاطار الوحيد الذي يجري فيه وبداخله اي تعامل مع القضية الفلسطينية.

سألته :

ـ يعني ترفض مبادرة ريغان؟

اجاب بصراحة واضحة :

ـ اجل نرفضها.

ونقلت الحديث مع الرئيس العراقي الى موضوع اخر.

وقلت له :

ـ ما هي اخبار المفاعل الذري العراقي الذي اغارت عليه اسرائيل؟

اجابني :

ـ انا اسألك ما سر قلق اسرائيل من العرب؟ اسرائيل تقلق لأنها تعرف ما تضمره بنفسها للامة العربية من اطماع توسعية، وكل من يعمل لكي يحطم هذه الاطماع التوسعية فان اسرائيل ستحاول رصده ومقاومته وضربه ومحاربته. هي لاتكترث للكلام العربي الرنان الطنان في الاعلام والاذاعات والخطب، ولكنها تكترث بمفردات وتفاصيل الحياة اليومية كما تجري في داخل اي بلد عربي. ان اسرائيل تدرس مثلا «نشرة» التدريب للجيوش العربية. تقرأ تفاصيلها ومفرداتها وتسأل: هل هذه المفردات قادرة على ان تخلق جيشا جيدا، وهل يجري تطبيق هذه المفردات بدقة وهل هي مفردات صحيحة؟ عند ذلك، واذا كان الجواب على هذه الاسئلة بالايجاب، لا تملك اسرائيل الا ان تشعر بالقلق.

واستطرد قائلا:

ـ وكذلك تسأل اسرائيل نفسها عما اذا كان الانسان العربي يعد اعدادا صحيا جيدا وعلميا ورصيناً في المناهج المعدة لهذا الغرض. فاذا كان الجواب بالايجاب، يجيء القلق الاسرائيلي.

ـ واذا وصل العرب الى مستوى معين في التعامل مع العلم الحديث والتكنولوجيا المعاصرة بما يجعلهم يستوعبون اسرار العلم والتكنولوجيا بصورة تمكنهم من القيام بدورهم المطلوب في هذه الميادين، فعندئذ، ستقلق اسرائيل.

لذا ـ والكلام مازال للرئيس صدام حسين ـ وعندما ضربت اسرائيل المفاعل الذري العراقي، فقد كانت تعرف تماما ان هذا المفاعل لاينتج القنبلة الذرية، ولكنه ـ اي المفاعل ـ قادر على ان يعد الانسان العراقي لكي يتعاون مع العلم والذرة والتكنولوجيا باسلوب خلاق ومتطور وعلمي، لذلك ضربت اسرائيل مفاعلنا الذري. ونسأل: لقد ضربت اسرائيل مفاعلنا فأين رصيدنا؟ هل استطاعت اسرائيل ان تقضي على الانسان العراقي الجديد؟؟ لا! هل في ضربها قادرة ان تمنعنا من التعامل مع فرنسا او غير فرنسا للحصول على مفاعل ذري جديد؟ لا! اسرائيل نجحت فقط في عرقلة ـ مجرد عرقلة ـ التعامل مع المستوى الذري في التقنية الى زمن قصير! مجرد عرقلة. مجرد تأجيل. نحن نقرر طول مدة التأجيل. والقرار باعادة بناء المفاعل الذري قد صدر. . ومع فرنسا ايضا . والتفاوض مع فرنسا مستمر لهذا الغرض وسينجح التفاوض. وسيعود المفاعل الى ارض العراق!»

سألت الرئيس صدام حسين وعيني على القاهرة:

ـ ما السر وراء هذا التقارب المفاجيء بين العراق ومصر؟ وسمعت صوت الرئيس يقول وكأنه كان ينتظر سؤالي:

ـ هه!

ثم قال:

اولا وقبل ان اجيبك عن سؤالك اريد ان سألك ما هي الدوافع التي جعلتنا نستضيف

العرب في مؤتمر قمة بغداد في عام ١٩٧٨؟ هل هي دوافع محلية عراقية؟ هل هي مصلحة عراقية خاصة،؟ هل هي «ظرفية» عابرة؟ هل هي عملية مزايدة او مظاهرة؟ وجوابي: لا! لا! لا! وانما هي دوافع تتعلق بالنظرة العراقية ـ نظرتنا ـ الى مستقبل امتنا العربية وتطورها، والنظرة الى الصراع العربي الاسرائيلي وطبيعته! اقول لك ما يلي: لقد وجدنا في حينه ان العمل الانحرافي الذي ارتكبه انور السادات في الذهاب الى القدس وفي عقد اتفاقية كامب ديفيد هو عمل فظيع، وشنيع ويستحق ان نحصن امتنا من شروره وان نسد النوافذ التي كان انور السادات يتمنى فتحها او توسيع ما كان مفتوحا منها حتى تشمل عمليته اقطارا عربية اخرى! وعلى هذا الاساس دعونا الى قمة بغداد وتصرفنا بكل مسؤولية تجاه مصر، وتجاه العرب، وتجاه انفسنا قبل كل شيء. وكان تفاعلنا واضحا وجليا وصريحا، سواء مع حقائق الموقف يومذاك، ام مع اخواننا العرب، ام مع ارادة الامة العربية التي صممت على رفض الانحراف ونبذ الهزيمة. وهذا كله شيء، وواجبنا القومي في ان نرى مصلحة امتنا برؤية متحركة طليقة غير جامدة بحيث لانحاسب مسؤولا عن مسؤولية مسؤول اخر! انا اقول بأن حسني مبارك هو غير انور السادات، هذه حقيقة مجردة لاتقبل النقاش! ثم ان مصر العربية تمثل ثلث الامة العربية فهذه حقيقة مجردة اخرى لاتقبل النقاش. اذن، كلما اقتربنا الى النظام الحالي في مصر، والى مصر نفسها، نكون قد اسدينا خدمة اكبر الى امتنا والى انفسنا اذ نكون قد سعينا لرفع شأن هذه الامة ونكون قد تمنينا لها مكانا افضل تحت الشمس! ونحن عندما نمد ايدينا الى مصر ونسعى لاعادة مصر الى العرب فأننا لانقصد من وراء ذلك ان نضع مصر الى جانب العراق في حربها ضد ايران وانما نقصد ان نضع هذه الامة كلها الى جانب نفسها وان نضع مصر ـ ضمن الامة ـ بما يمنح الامة قوة ومنعة وعزة وان نتحاور مع زعماء مصر وقادتها بصورة اخوية صادقة متفتحة بما يجعلنا قادرين ان نصل الى صيغة سياسية متوازنة تجعل من عودة مصر الى الامة عامل قوة وليس عامل ضعف. . وكذلك تجعل من تفاعل هذه الامة العربية مع مصر عامل قوة لنا ولمصر وليس استنزافا لنا او لمصر، ولا اضعافا لنا او لمصر، ولا هدرا لقوانا وقوى مصر! هذه هي الروحية التي نسعى لها. هذه هي المفاهيم التي نتمسك بها في اختيار الصديق ومحاربة العدو. .

قلت للرئيس صدام اسأله وكأني اقاطعه:

ـ كل هذا صحيح يا سيادة الرئيس لولا ان ارتباط مصر بكامب ديفيد وتحييد قواها نتيجة قيود هذه الاتفاقية تحول دون تحقيق هذه الاهداف النبيلة التي تتحدث عنها الان. .

وترك الغليون من يده على الطاولة التي بجانبه وقال على الفور:

ـ استاذ ناصر! يا استاذ ناصر! علينا ان لانتصور انه بامكان مصر او بقدرتها او بارداتها ان تتحول باتجاه الافكار التي تتحدث عنها الان باسلوب دراماتيكي او جذري او مفاجيء اقول

لك انه اذا كان العرب يعرفون تماما عوامل الضعف وعوامل القوة في مصر، فأن مصر ايضا تعرف ـ وبالضبط ـ عوامل الضعف وعوامل القوة عند العرب! عليك ان تعرف تماما انه لايمكن لمسؤول مصري في هذه الايام ان يعتمد او يطمئن الى اية وعود تصدر عن الحكام العرب بأنهم سيقفون الى جنب مصر لو انها ـ اي مصر ـ تصرفت بموجب كذا او انها فعلت كذا او انها اعلنت كيت. ! ان مصر مصممة على ان تزن ـ وبدقة متناهية ـ جميع خطواتها في كل من احوالها وعند كل موقف من مواقفها!

ثم قال وكأنه يبحث عن العبارة المختارة:

ـ وعندما تتوفر النظرة الصحية الصادقة الموضوعية لدى حكامها فانها لن تتأخر عن البدء في مسيرتها تجاه العرب. ان علينا نحن العرب ان ندرك الظروف التي تحيط بمصر وان لا ننسى ـ بل ونتذكر دائما ـ الاسباب التي أرغمت مصر على ان تقبل بقيود اتفاقية كامب ديفيد! ان من واجبنا ان نلم بالصورة كلها وان نحاول ـ كما نقول عندنا في بغداد :

ـ لأن نسحب خيوط الحرير من السدرة والثوب، خيطا بعد خيط، وليس مرة واحدة ولا بصورة دراماتيكية مستعجلة او متشنجة، لأن التسرع لن يمكننا من سحب خيوط الحرير التي شبكها انور السادات في شجرة العوسج. هذه هي الحقيقة. وبعد هذا نسأل عن ما هي النوافذ والظروف التي يجب ان نفتحها امام المسؤولين في مصر بخصوص مسؤولياتهم تجاه امتهم العربية وما هي النوافذ والظروف التي نفتحها امام الامة لكي نساعدها على اعادة مصر واحتضانها من جديد، بحيث يعود التفاعل ويعود الطرف الواحد الى ممارسة دوره ومسؤولياته تجاه الطرف الاخر ضمن اطار واحد حي كبير. ان كل اتصالاتنا مع مصر تتجه نحو هذا الهدف الكبير وليس باتجاه اي هدف اخر. وأؤكد لك ان وزير خارجيتهم قد جاء الى عندنا، ونحن نتصل بهم، وعلى مختلف المستويات ونتعاون وسيزيد تعاوننا لما فيه خير امتنا وبلادنا ولا نخاف الا الله. !

سألته بلهفة:

ـ نرجو ان لايقال بأن هذه الخطوات من العراق باتجاه مصر لم يقصد بها الا تحدي ايران وكسب مصر عليها، واغاظة سوريا التي لها في الامر موقف واضح ورأي معروف. . ؟

اجابني رئيس جمهورية العراق:

ـ ليس في اي عمل سياسي نقوم به اي تحد لسوريا او أي تفكير في اغاظتها. نحن يا استاذ لسنا صغارا. فهذه حسابات صغيرة لا معنى لها. وخطواتنا ليست اعمالا تكتيكية عابرة وموقتة، بل هي جزء من استراتيجية تنبع من مبادئنا، ونظرة تعيش على دمائنا ونفخر بها ونفهم من خلالها دور مصر العظيم ومسؤولياتها تجاه العرب ودور العرب العظيم ومسؤولياتهم تجاه مصر.

ثم اضاف:

ـ نحن لا نؤمن بفن التكتيك وانما نؤمن بالمثل التي عشنا وحاربنا من اجلها. ان خطواتنا في اتجاه مصر لاتدخل ضمن الصراع بيننا وبين ايران، لأن حربنا ضد ايران قد تنتهي قريبا بينما ان عملنا بالنسبة لمصر سيستمر باندفاعه وحماسه وسيكون اكثر فعالية عندما نصبح في حالة السلم.

فسألته:

ـ وهل في تصوركم ـ يا سيادة الرئيس ـ انكم ستنزعون من عنق مصر كل القيود التي تشدها بعيدا عن العرب وفي مقدمتها قيود كامب دايفيد؟

اجاب:

● ستتحرر مصر من كل قيودها. اكرر من كل قيودها ـ وكل مصاعبها لاننا مسؤولون تجاهها وعلينا مهمة مساعدتها على ان تحطم قيودها! ولا يجوز لنا ان نربط عودة مصر للعرب بشروط قد لاتقدر مصر نفسها على ان تقوم بها! ان مصر قد ورثت تركة ثقيلة ومؤلمة، وعلينا ان نتصرف معها بكل تبصر ووعي وحصانة وفهم، وان نتشاور ونتعاون ونخطط معا لكي نرفع الانقاض من امام مصر لكي نمكنها من العودة الى ممارسة دورها القومي الذي تحن اليه وتتمنى عودة ايامه.

سألته: وهل شعرتم برغبة مصر ـ حقا ـ في ان تتحرر من كامب ديفيد..؟

اجاب: انا على ثقة من صدق شعوري بأن هناك في مصر اجواء قابلة للتطور لرؤية هذه الحقائق وان تتفاعل معها ومعنا! وعلينا كعرب ان نخلق الظروف التي تساعد مصر على المسيرة نحونا وعلى التفاعل مع قضايانا والتخلي عن العقد والاشواك وان تتطور..!

ثم اضاف:

ـ لايجوز ان تبقى مصر بعد اليوم بعيدة عن العرب بينما هم ـ اي العرب ـ يمرون في اخطر مراحل تاريخهم ويواجهون اقسى التحديات والمؤامرات والمشاريع والحلول السياسية التي تهدد صميم وجودهم..».

قلت للرئيس العراقي:

ـ ولكن بعض الدول العربية ـ يا ريس ـ قد اصابتها الدهشة لان العراق يمد يده الى مصر بينما هذه الدول قد مدت يدها الى ايران وتعاونت مع الخميني وعهده ضد العراق وشعبه وثورته ومدت ايران بالمال والسلاح! هذه الدول قد دفنت رأسها في الرمال وظنت ان احدا لايعرف حقيقة دورها المارق ضد العرب. الا تقول بهذه الدول، وحكامها شيئا؟

واجابني صدام حسين:

ـ قلت لهم كل ما يخطر على بالك من كلام قاس وعنيف! وعالجناهم بالحكمة والروح

الطيبة مرة، وبالتحذير مرات. ونحن على علم بكل ما يدور في بعض موانىء الخليج العربي من اعمال غريبة في مد ايران بالسلع والسلاح على حساب القومية. والعملية ليست مجرد تجارة وانما «بعضهم» يتعاطف قلبا وقالبا مع ايران ويتآمر علينا وعلى العرب. !

ـ لماذا هذا التآمر؟ كيف تفسره يا ريس؟

واجاب صدام حسين:

ـ انه نوع من الانحراف. . او من التخريب! اليس الرائد سعد حداد مواطنا لبنانيا؟ الا نراه يتعامل بجرأة ووقاحة مع اسرائيل؟! هكذا حال بعض الناس. حالهم مع ايران كحال سعد حداد مع اسرائيل. المقاييس واحدة، وحكم الشعب والتاريخ في الحالتين، واحد. .

ودخل الحديث في موضوع السياسة الدولية واشتداد الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وقلت للرئيس العراقي أسأله:

ـ هل في اشتعال الحرب الباردة بين الدولتين العملاقتين وتبادل الانذارات والاتهامات وتوظيف الصواريخ البعيدة والمتوسطة المدى ما يخدم قضايانا العربية التي تخشى ان يتفق الكبار على حساب اصحابها؟

واجاب صدام:

ـ بدون اي اعتبار للحسابات الميدانية الصغيرة، فاني اعتقد ان ليس هناك أية فائدة مرجوة للعالم او للعرب خاصة من وراء الحرب الباردة، وان مصلحة العالم والعرب تأتي من وراء تحقيق الوفاق الدولي في طريقه الصحيح وليس العكس.

سألته مقاطعا:

ـ ولكن . .

اجابني مقاطعا:

ـ اتركني اكمل كلامي. انا اقول بالوفاق الدولي الذي لاينحصر فقط بين العملاقين وانما يجب ان يشمل كافة قضايا العالم بوجه عام مع معالجة سليمة لمختلف حالات السياسة الدولية بكل متناقضاتها. اذ ان مثل هذا الوفاق المبني على العدل لا على اقتسام مناطق النفوذ، قادر على ان ينشر حالة تفاهم وتعاون والابتعاد عن السباق العسكري! ان حالة الوفاق الصحيح لا اتفاق على اقتسام العالم، هي الطريق الى السلام في العالم والى خير البشرية كلها! وهذا الوفاق يبقى محتاجا الى شروط والى مساهمة الشعوب الاخرى في بنائه وحفظه. انني أنادي بقيام وفاق عام ينشد خير العالم لا خير موسكو وواشنطن فقط او خير البعض على حساب المجموع. . وانا اعتقد ان ترديد كلام التهديد باستعمال الاسلحة الذرية ورفع ارقام الموازنات الدولية للانفاق على الاسلحة الحديثة والكلام عن موازين القوى هنا والتفوق العسكري هناك والانذار باستعمال اسلحة التدمير الشامل بينهم هنا وهناك، كل ذلك لايدعو

إلا الى القلق ولا يبعث على الارتياح ولا يخدم قضايانا ولا يحل مشاكلنا المعلقة . .

سألته :

ـ ولماذا لانحاول ان نستغل مثل هذا الخلاف بين العملاقين لمصلحتنا؟

اجاب :

ـ انا لا أوافقك ان بوسع العرب العثور على مصلحتهم من خلال اتساع الخلاف بين العمالقة او بتوسع مثل هذا الخلاف والوصول به الى حافة الحرب، لان ذلك يعني احتمال مواجهة «الكارثة الكبرى» التي قد تقضي على العالم بأسره.

واضاف :

ـ ولكن باستطاعة العرب البحث عن مصلحتهم ضمن اطار اخر ولعله اطار التفاهم .

وسألت الرئيس صدام :

ـ وهل في القرارات الاخيرة لمؤتمر عدم الانحياز ما يرضي حقيقة الموقف العراقي تجاه هذه الحرب؟ هل انتم راضون عن هذ القرارات؟

واجابني :

ـ انا لم أذهب الى مؤتمر دلهي! وما صدر عن ذلك المؤتمر لم يكن كافيا! وما صدر ايضا لم يتجاوب مع «كل» آمالنا في ذلك المؤتمر وفي الحركة الفكرية الطيبة التي تقف وراءه وتسنده! وكنا نرى في الجو العام للمؤتمر ما يمكن المؤتمر من الخروج بقرارات اكثر فعالية واكثر ايجابية واكثر تجاوبا مع الواقع ومع حقائق الامور المتعلقة بقضية الحرب ولكن يبدو ان ادارة المؤتمر كانت تخاف او تتهيب من التعبير عن جو المؤتمر المذكور كما ينبغي . .

ـ معنى هذا انك تعني حكومة الهند . .

ـ نعم . اعني الهند والمسؤولين فيها .

ثم استطرد :

ـ كان المفروض ان يجري عقد هذا المؤتمر في بغداد، ولكن الظروف لم تساعدنا على ذلك . انا اعتقد انه كان من مصلحتنا كعراقيين وكعرب اننا لم نتمسك بالاصرار على عقد المؤتمر في بغداد فنبدو «صغارا» ونخسر اصدقاءنا ونضعف فكرة عدم الانحياز بوضع العراقيل في طريق مؤتمرها . ان عدم الانحياز يستحق منا الرعاية المسؤولة، ولذا عندما شعرنا بأن دورنا تجاه المؤتمر لم يكن كما كنا نتمناه، قررنا ان نوافق على نقل مكان المؤتمر الى بلد اخر رغم كل شيء . !

وابتسم صدام حسين من جديد . .

فقد كنت اعرف مدى الاستعدادات والخطوات والانجازات الهائلة التي قام بها العراق في ميادين الفنادق والمباني والطرق والاستعداد الاذاعي والتلفزيوني من اجل استقبال وفود دول

عدم الانحياز بالصورة الكاملة التي تليق بكرامة العراق وحسن ضيافته ودرجة حضارته. كما اعرف مدى الالم الذي يترتب على قرار نقل المؤتمر الى بلد اخر! ما علينا لقد نقلت الحديث الى موضوع اخر يتعلق بشخصي شخصيا..

وسألت الرئيس صدام:

ـ هل في حياتك اي خطأ سياسي او عسكري كنت تتمنى لو انك لم تقترفه؟

واجابني الرئيس العراقي:

ـ ليس هناك اي انسان يريد ان يكون صادقا مع نفسه او أمينا مع تاريخه ولا يعترف بأنه لم يمر في حياته اي خطأ سياسي او غير سياسي وانه يشعر بالندم او الحزن بسببه. انا مجرد انسان كبقية البشر! لقد مرت بي امور عديدة في حياتي، سواء ايام عملي «السري» ام ايام ان توليت السلطة. ولكني كنت دوما احرص على مراجعة نفسي وان اكتشف اخطائي بنفسي او ان لاامنع اخوتي ورفقائي من مكاشفتي بأخطائي اذا اكتشفوها بأنفسهم. كنت انصت الى حديثهم واسرع الى تصحيح الخطأ بعد اكتشافه. هذا في ما يتعلق بالاخطاء.. ولكن من حقي ان احدثك ايضا عن الانتصارات. ان حياة البشر ممزوجة بالخطأ والصواب، وبالفشل وبالانتصارات. اليس كذلك؟ اقول لك يا استاذ ناصر ان اكبر انتصارات عمري، واحلاها، واسعدها هي انتصارنا الذي حققناه على الفرس في المعارك العسكرية الاخيرة منذ عشرة ايام في «الفكة» «والفكة الطيب».. و(ميسان)! هذه المعركة هي اكثر المعارك تحقيقا للسعادة لانها ستكون ـ وسجل ذلك على لساني ـ هي المنعطف الجديد والكبير على المستويين السياسي والعسكري..!

وسألته: هل في هذا الكلام بعض الاماني!؟

اجابني في حزم: بل هو كلام قائم على الثقة، وعلى المعلومات الصحيحة، وعلى الاخبار الدقيقة، وعلى التحليلات الصادقة، وعلى التفسير المنطقي! انا على ثقة بكل حرف قلته لك! بل انا مليء بالثقة في عظمة الاثار المترتبة على انتصاراتنا، في الايام الاخيرة وكأني اقرأ نتائجها في كتاب مفتوح..!

ومضت ساعتان ونصف..

وقلت للرئيس العراقي وكأني ابحث عنده عن موضوع جديد:

ـ كان العراق دوما هو «بروسيا العرب»! واليوم، واهلنا في الضفة والقطاع يتعرضون لاشنع انواع الاضطهاد والقمع والاحتلال، ومقدساتنا تئن من اثر التدنس والتشويه والتحطيم، أليس من حق طالبات «نابلس» ونساء «جنين» واطفال «القدس» وشيوخ «الخليل» ان يسمعوا كلمة مواساة واحدة او عبارة تشجيع من اخوتهم العراقيين في بروسيا العرب؟

● وصمت صدام حسين اكثر مما يجب..

واعاد غليونه القديم الى فمه وراح يداعبه بعود الكبريت وكأنه يحاول ان يطفيء ثورته على ما يجري للفلسطينيين داخل الارض المحتلة باشعال نار غليونه الصغير ونفث دخانه في الهواء..

وسمعته يقول بصوت قادم من الحزن ومن الجرح:

ـ قل لهم ان لايتصور عربي، قريب او بعيد، في فلسطين او في خارجها، اننا بعيدون عنه او متجاهلون لمأساته، او مستخفون بألمه. نحن لانحب ان نؤكد لهم مشاركتنا الصادقة لكل نبضة عرق في دمائهم او خفقة قلب في اجسادهم، وانما نحب ان نؤكد لهم ان العراق لن ولن يسمح لنفسه ان يغفل لحظة عن مسؤولياته القومية تجاه اشقائه واهله، في الداخل وفي الخارج، وعلى امتداد الوطن العربي الكبير. ولكن التعبير عن مشاعرنا لن يكون الا عندما تحين الساعة التي ننتظرها ونستعد لها وبالاسلوب العملي الفعلي المنتج والقادر. اسمع يا استاذ! قل لاخوتك في الضفة والقطاع ان لكل معركة ظروفها ولكل حالة موعد مع المواجهة الحاسمة القادرة على معالجتها والانتصار على معنى المأساة فيها. قل لهم ان الامل في هذه الامة لن يزول، وان الامل في المستقبل العربي لن يتبدد، وان المواطن العربي ـ مع الايام ـ يزداد علما وصبرا ووعيا واستعدادا للتضحية واكثر دقة وتجاربا.

سألته وكأني اربط بين مصير حرب القادسية في العراق وحرب التحرير والدولة القادمة في فلسطين:

ـ سيدي الرئيس. هل اقدر ان احمل البشرى لاخوتنا الصابرين المصابرين بجوار الاقصى والحرم الابراهيمي، وجبل النار، وسهول المثلث العربي في الضفة المحتلة والقطاع الشهيد ان عام ١٩٨٣ سيكون عام النصر بالنسبة لحرب عراق العرب ضد ايران؟

واجابني صدام حسين قائلا وهو يدق بأصابع يده على الطاولة الصغيرة بجانبه:

ـ لا اريد ان أربط نفسي بتاريخ معين او بعام محدد. ولكنك تستطيع ان تبشر الاهل على لساني بأن الاطماع الايرانية التوسعية ستنتهي وان المؤامرات ضدنا ستفشل وان العراق ـ عراقهم ـ سينتصر، واننا معهم على العهد وان كل القوى التي حاولت ان تقضي على روح العراق الجديد ستعلن هزيمتها امام ارادة العراق الجديد وان العراق سيواصل طريقه في اتجاه حمل مسؤولياته القومية العربية المعروفة التي هي مجبولة بماء «دجلة» وارض بغداد وطين الفرات وبساتين التمر والنخيل وخطوات التاريخ العراقي على مر السنين! قل لهم اننا نعتز في معركتنا الحاضرة بالعربي «المشارك» لابالعربي «المساند» ولا بالعربي المتفرج ولا بالعربي الشامت او المتربص! ونحن نعتمد على الله والذهب وحده هو الذي يبقى بعد ان تخرج الارض ما في بطونها وان «الصحيح» وحده هو الذي يكتب له البقاء. فأما الزبد فيذهب

جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض» صدق الله العظيم.

ولم اعرف وانا أودع صدام حسين، اي دعاء على فمي يجب ان يسبق الدعاء الاخر: دعائي بنصر العراق على اعدائهم الفرس، ام دعائي بنصر بلدي ومسجدي واهلي، على أعدائهم الصهاينة. ؟.

وتمتمت وكأني اصلي:

ـ يا رب! هل كثير ان يتحقق لنا النصر في الحربين، وفي المعركتين، وفي القطرين، وعلى الجبهتين: الشرقية والغربية، في القدس، وفي العراق؟



الرئيس صدام حسين مع المؤلف

برونـاي ـ ١٦/ ٣/ ١٩٨٤

مَعَ ضِيَاع الحَق .. أَوضِيَاع الحُكم!

بـرونـاي ـ ١٩٨٤/٣/١٦

مع ضياء الحق.. أو ضياع الحكم!

رؤساء الدول الاسلامية الذين رأيتهم في قصر سلطان «بروناي» في فبراير من عام ١٩٨٤، هم الرؤساء الذين جاؤوا لتهنئة السلطان بعيد استقلال بلاده، ثم انتهاز الفرصة ـ فرصة اللقاء ـ للحصول من السلطان الثري بنعمة البترول على قروض مالية مستعجلة تساعدهم على حل بعض مشاكلهم المالية والاقتصادية والسكانية والعمرانية والاجتماعية.. والسياسية في بلادهم!

اما رؤساء الدول الاسلامية التي لا تشكو عجزاً لأنها تنعم بثروة الذهب الأبيض، فقد غابوا عن المشهد واكتفوا بان يمثلهم في مولد استقلال «بروناي» سفراؤهم او كبار موظفيهم!

ولهذا، رأيت امامي في صدر طابور المهنئين للسلطان بعيد استقلاله، فخامة رئيس باكستان الجنرال ضياء الحق.. وملك ماليزيا. ولكني افتقدت الكثير من ملوك العرب ومن امراء دول الخليج!

وقد حرص ضياء الحق ان يطيل من مدة اقامته في بروناي لكي يتفرغ للمباحثات المالية مع سمو السلطان الثري بعد ان يفرغ السلطان من حفلات السهر واستعراضات الجيش ومباريات لعبة البولو.

وهكذا سنحت لي الفرصة التي انتظرها لكي التقي مع ضياء الحق ـ رئيس باكستان ـ وان اسأله عن الهند.. ثم باكستان.. ثم ياسر عرفات.. ثم القدس!

وابادر واعترف بان حديثه عن «القدس» قد اصابني بخيبة الأمل وخاصة بعد ان نشرته جميع صحف الخليج ونقلته عنها جميع صحف الباكستان فبادر ضياء الحق الى اصدار بلاغ رسمي ينفي به الحديث من اساسه.

ونسي الضياء الباكستاني انني عندما قابلته كان المسجل بيدي وان المصور كان يلتقط لنا الصور الفوتوغرافية وان اللقاء قد دام اكثر من ساعة كاملة اشترك معنا خلالها اكثر من وزير باكستاني ومستشار رسمي من وزراء باكستان ومستشاري رئيسها..

لا غفر الله له ما قاله لي عن القدس وقضيتها!

اما محاولته التنكر والانكار والاستنكار بعد نشر حديثه، فانها جريمة ادعو الله ان يغفرها

له!

دخلت عليه مع المساء فوجدته يؤدي الصلاة.

وانتظرت في غرفة الصالون الكبير أفكر في السؤال الأول الذي سأضعه امام رئيس الباكستان.. وما هو وعن اي موضوع؟

وعندما انهى صلاته ودخل وابتسامته تسبقه نحوي، شعرت بالراحة والهدوء. فقد بادرني رئيس الباكستان يسألني:

ـ لماذا لم تزرنا في الباكستان من اكثر من عشرين سنة؟

وأجبته على الفور:

ـ ما دمت قادرا على مقابلتك هنا في «بروناي»، فكأني زرتكم في اسلام اباد.!

قال: لا! انا اريدك ان تأتي الينا في باكستان وتزور «بيشاور» و «ممر خيبر» ومنطقة الحدود مع افغانستان، وترى بنفسك حدة الموقف، وحرارة الحال!

ثم سكت قبل ان يسألني:

ـ هه؟ متى ستزورنا؟

وأجبته شاكرا:

ـ مع نهاية الربيع باذن الله!

ثم قلت له وكأني ابدأ معه الحديث:

ـ كيف الحال عندكم على منطقة الحدود؟

أجاب: عندنا ثلاثة ملايين لاجىء في منطقة بلوجستان، و «بيشاور» وننفق عليهم ما لا يقل عن مليون دولار في اليوم الواحد، نصفها ـ اي خمسين في المائة تأتي من ميزانية باكستان، والباقي من تبرعات دولية. يعني: نصف مليون دولار في اليوم الواحد. يعني ما يساوي مائة وثمانين مليون دولار في العام! وقد مضى على ذلك اربع سنوات كاملة حتى اليوم!

قلت: الا تساهم اميركا في نفقات هؤلاء اللاجئين الافغان؟!

أجاب: اميركا تنفق من خلال الجمعيات الدولية فقط!

وأطلق ضحكة قصيرة، ثم قال:

ـ اميركا كعادتها تنفق من وراء ستار.. لئلا تظهر على المسرح!

ثم اضاف يقول مع شيء من الدهشة:

ـ هؤلاء الافغان الثوار يحاربون بايديهم فقط حيث لا يملكون السلاح الكافي بسبب قلة المال! ان عندي لك الف قصة بطولية تروي عظمة هؤلاء الثوار، ومدى شجاعتهم، وبطولتهم في التصدي للاحتلال السوفياتي! انهم يعطون السوفيات دروسا صعبة مملوءة بالدم.!»



ضحكة مشتركة بين ضياء الحق وناصر الدين النشاشيبي

ثم قال:

ـ ولكن العالم لا يعرف الا القليل عن حقيقة ما يجري داخل افغانستان، وعلينا وعلى المسلمين خاصة ان نبذل الجهد لكي نكشف الحقائق للعالم بكل التفاصيل كي لا ينسى العالم هذه المأساة ولكي لا نغفر للسوفيات جريمة الغزو لبلاد الافغان!»

سألت رئيس الباكستان:

ـ وما هو في رأيكم الحل «العملي» لمأساة افغانستان؟

قال الرئيس ضياء الحق:

ـ هناك حل عملي واحد وهو ان ينسحب السوفيات نهائيا وتماما من كل شبر من ارض افغانستان.. ولا حل عندي سوى هذا الحل! تماماً، كما ان لا حل للحرب العراقية الايرانية الا بوقف القتال ولا حل عندي سوى هذا الحل..!»

سألته: الا يكفي ـ مثلا ـ ان نأتي بحكومة جديدة حيادية تحكم افغانستان دون الولاء لموسكو او الشيوعية؟

أجاب: «الحكومات» لا قيمة لها ما دام الجيش السوفياتي يحتل الارض والوطن.! ان اي لاجىء افغاني لن يعود الى وطنه ما دام الجيش السوفياتي يحتل هذا الوطن! من هنا، فالمشكلة لا حل لها الا بجلاء جيش الاحتلال السوفياتي. ان الاحتلال وحده هو الذي يفرض نوع السياسة. ولا حرية لاية حكومة افغانية جديدة مع بقاء الجيش السوفياتي في كابول!»

● ثم اضاف:

ان الافغاني محارب شرس لا يعطي الأجنبي في ارضه راحة ولا هدنة. لقد فشل الانكليز في استعمار الافغان بسبب تعصب هذا الافغاني لوطنه ولدينه. لقد حاول الانكليز ثلاث مرات استعمار افغانستان وفشلوا ثلاث مرات! ان الافغاني معروف بحبه للحرية. . »!

وسألت الرئيس الباكستاني:

● وهل تظن ان موسكو توافق على ان تسحب جيشها من افغانستان؟

وأجاب ضياء الحق:

ـ لا اظن! لا اظن! المسألة ليست سهلة!»

وقهقه طويلا. . ثم قال:

ـ ولكن يجب ان لا نفقد الامل في خروجهم! لان العالم يعيش على الامل. ان هناك «١١٧» دولة من اعضاء الامم المتحدة قد اصدرت قرارها الواضح الصريح بضرورة خروج السوفيات من افغانستان وان العالم كله ملتزم بمثل هذا القرار، ولو من الناحية المبدئية او الانسانية او النفسية. . .

قلت: ولكن العالم لن يفعل شيئا! تماما، كما ان العالم ـ رغم كل القرارات الدولية ـ لم يفعل شيئا من اجل فلسطين!

أجابني ضياء الحق على الفور:

ـ قضية فلسطين اصبحت «قديمة»! العالم نسيها! العالم وضعها على الرف! ارجو ان لا يكون مصير افغانستان كمصير قضية فلسطين!»

ثم عاد واطلق ضحكة قصيرة، قال لي بعدها:

ـ يجب ان نستمر في تذكير العالم بمأساة افغانستان! يجب ان لا نفقدها، كما فقدنا. . فلسطين! يجب ان لا نكتفي. . بالبكاء!»

وسألته على الفور:

ـ هل يعني ذلك ان المسلمين قد خسروا ايضا قضية بلدهم الغالي في «القدس» المقدسة؟

أجابني الرئيس الباكستاني:

ـ حول قضية القدس اشعر بالعاطفة المتأججة. ولكني اقول لك يجب ان يكون موقفنا باننا لا نريد ولا نقدر ان نقذف باسرائيل الى البحر! علينا كمسلمين ان نتعاون ونتفاهم ونخطط من أجل الوصول الى حل «عملي»؟! انا اعتقد ان اسرائيل باقية وعلينا القبول بهذه الفكرة بصورة ما! وما دمنا غير قادرين على استعادة «كل» فلسطين، فان علينا ان نكتفي بجزء من فلسطين وان يصبح هذا الجزء هو الوطن الفلسطيني لكل الفلسطينيين! مع الاعتراف للجميع بحق تقرير المصير. . .

قلت مكررا:

ـ انا اسألك عن القدس؟

ـ أجاب: القدس قضية تهم كل الاديان! انها تهم المسيحيين وتهم المسلمين كما انها تهم اليهود! وعلى ضوء هذه الحقيقة يجب ان نبحث عن الحل! انها ليست لامة واحدة ولا لدين واحد.. !»

قلت له:

ـ انا اريد ان اسمع المزيد عن هذا الموضوع من سعادة رئيس الباكستان!»

أجابني ولم يفقد ضحكته:

ـ وانا لا اريد ان اضيف كلمة واحدة الى هذا الكلام!»

سألت ضياء الحق:

● وماذا عن الهند؟ الا يزال الخطر الهندي على الباكستان قائما؟

أجاب:

ـ نعم! هذا الخطر ما زال قائما. ولكننا نحاول ان نخفف منه او نزيله او نقضي عليه بسلام! نحن نريد السلام مع الهند ولكن جواب الهند على مساعينا للسلام معها ليست «كما نتمنى»! اننا نمشي على طريق السلام مع الهند! نحن بالنسبة للهند دولة «صغيرة»! نحن لا نزيد عن «٨٥» مليونا، مقابل ستمائة مليون هندي! لا مجال هناك للمقارنة او المنافسة! نحن نريد للهند ان تكون دولة صديقة وجارة لنا. ولكننا نريد ان نعيش بكرامة مع الهند.. !»

فسألته مقاطعا:

● هذا موقفكم! ولكني اسألك عن موقف الهند.. منكم؟

وأجاب ضياء الحق مع نبرة الم:

ـ ان على حدودنا اكثر من ١٨ فرقة عسكرية هندية! وهذا يعني كثيرا! ولكننا نصر على القول ان باكستان ليست ولن تكون خطرا على الهند! وان على الهند ان تتعاون وتتفاهم وتجد خطة للعيش بجوارنا في سلام وهدوء! واذا كان هناك من يشكل خطرا على الآخر، فان الهند هي الخطر علينا وليس العكس! وعلى الهند ان تقر وتعترف بان الباكستان قد وجدت لتبقى! واذا كان في مقدور فرنسا ان تتعايش مع المانيا وتثبت لها حسن الجوار فلماذا لا يكون ذلك في مقدور الهند وباكستان... ؟!

● هل تحسنت العلاقات؟

أجاب:

ـ ارجو ذلك! ان ردودهم على نداءاتنا ليست كما نتمنى! والامر لا يتعلق بالهند وحدها وانما هناك السوفيات.. أيضا! ان العلاقة وثيقة بين السوفيات والهند كما تعلم! نحن نرجو ان لا يكون في الامر «مناورة» او مؤامرة للضغط على باكستان من اجل الوصول الى حل



... وحدثني رئيس الباكستان عن قضية بلدي.. فضاعف من حبي لبلدي ومن كراهيتي له!

لمشكلة.. افغانستان..؟!»

وسكت ضياء الحق مطرقا في وجوم وتفكير، حتى سمعت نفسي اسأله:

● وما هي حقيقة الموضوع في ما يتعلق بالضجة العالمية حول قيام باكستان بانتاج القنبلة الذرية؟!

وأجاب فورا:

ـ القصة كلها كذب في كذب! هذه نكتة! هذه اسطورة!

ثم اضاف:

ـ لا يمكننا ان نصنع القنبلة الذرية! ولا نريد ان نصنعها!»

سألته: ولكنهم يقولون ان لديهم ما يثبت عزمكم على صنعها... على صنع القنبلة الذرية! فما هو ردكم؟

أجاب الرئيس الباكستاني في كلام مضغوط بالحدة:

ـ لا احد يقدر ان يقدم برهانا واحدا ليثبت صحة قيامنا بانتاج القنبلة الذرية مع كل ما يتعلق بنا، وبها!»

ثم قال ضاحكا:

ـ انهم يقولون كلاما مضحكا من اننا نملك هذه القنبلة الذرية ـ فعلا! وكل ذلك يفتقر الى الصدق! هل تعلم لماذا يطاردوننا بالاشاعات ويخلقون الاكاذيب من حولنا؟ لان الباكستان هي «اكبر» دولة «مصدرة» للاسلام في العالم وهي اكبر «تجربة» اسلامية في العالم! فاذا

امتلكت الباكستان المسلمة هذه القنبلة الذرية، فهم يقولون ان باكستان ستعطي هذه القنبلة «لياسر عرفات. . » وتطلب من «ياسر عرفات» ان يلقيها فوق اسرائيل!!»

وقهقه طويلا ضياء الحق. . .

ولم ينته من الضحك الا عندما سمعته يقول لي:

ـ ليس لدينا اية نية ولا خطة ولا سياسة حول هذا الموضوع.!

وسألت ضياء الحق:

● ولكنهم يقولون ايضا ان الهند تملك ـ فعلا ـ القنبلة الذرية. فما هو تعليقكم؟

أجابني الرئيس الباكستاني:

ـ نحن نظن ان الهند تملك القنبلة. ونحن نشك في ذلك ايضا! وكذلك فان العالم يظن في امتلاك الهند للقنبلة وانها ـ اي الهند ستنضم الى النادي الذري عاجلا ام آجلا وان الهند تريد ان تصبح القوة «الكبرى» في شبه القارة الهندية بأسرها بعد ان تمتلك هذه القنبلة! ان امال الهند في السيطرة موجودة! وان تطلعاتها مستمرة! وهي تعلم اننا نعلم بحقيقة مطامعها وتطلعاتها وامالها. . تماما!»

سألته وكأني انقله الى الحديث الحساس الدقيق:

● وماذا عن سياستكم الداخلية في الباكستان؟

أجاب ضياء الحق:

ـ انا ارحب بأي سؤال منك حول هذا الموضوع!

قلت: لعله من الصعب على الرجل العسكري ان يتقبل الحديث حول الحكم الديمقراطي او السياسي، او ان يقبل بوجود «المعارضة» في بلده؟ فماذا تقول؟

أجابني «الجنرال» ضياء الحق:

ـ انا رجل مفتوح! وانا رجل معتدل ومتفهم! لم احاول مرة واحدة ان أعارض وجود «المعارضة» في بلدي! هناك من يقول عكس الحقيقة في باكستان! انهم يتهمونني بالحكم الدكتاتوري في باكستان، وهذا غير صحيح! انني احكم بلدي من خلال حكومة دستورية منتخبة! وقد قال القضاء كلمته في شرعية «الحكم والحكومة» في الباكستان، فاقرها! ووافق «القضاء» على كل خطواتي السياسية، كما ان القضاء الباكستاني قد منحني الحق في ان اجري التعديل المطلوب في الدستور الباكستاني بما يتفق مع حاجات الوطن وبما لايتفق ـ مع معنى الديمقراطية عند الغربيين ـ وانما يتفق ومعنى روح الديمقراطية الاسلامية الصحيحة! انني سأعيد البلاد الى الاسلام الصحيح، نصا وروحا! وهناك فرق كبير بين الديمقراطية عند الغرب، وبين الديمقراطية في مفهومها الاسلامي. ان جهدي ان ادخل الى الباكستان تعاليم الديمقراطية الاسلامية الصحيحة، ولذا، وفي مارس ١٩٨٥، سيصبح لنا مجالس منتخبة على

الصعيد المحلي، والصعيد القومي. ان عندنا اليوم ٨٥ مليون نسمة! وهناك «٣٠» الف قرية. وعشرات الالاف من المدن! وستجري الانتخابات في المدن والقرى حسب الاصول الديمقراطية وعلى مراحل! وسيكون عندنا مجالس برلمانية بكل المعنى الصحيح...»

وسألته وكأني اقطع عليه حديثه واسترساله، معا:

● ولماذا اذن هذه المعارضة التي صعب عليكم التفاهم معها؟ وكيف تفسرون حدة هذا العداء لكم في صفوف هذه المعارضة؟

أجابني «ضياء الحق» بعد تفكير:

ـ لان رجال السياسة عندنا لا يختلفون عن بقية رجال السياسة في العالم! والسياسي هو السياسي! وانا اقول بان لرجل السياسة ان يمارس سياسته ولكن عليه ان يفهم السياسة بروح الاسلام! لقد اعطانا الاسلام.. واعطانا القرآن حق الحكم لنا وواجب الطاعة عليهم حيث قال «اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم..» هل يسمعون؟ «اولى الامر منكم». هذا النهج يعطينا شرف الحكم ويعطي الشعب شرف المساهمة في الحكم بشرط ان نكون جميعا شرفاء وامناء وان لا نكذب على الشعب ونخدره بالوعود والاكاذيب ونزعم ان الشمس تشرق ـ مثلاً ـ من الغرب، وان في مقدورنا ان نوزع الاموال الطائلة والخيرات العميمة على الناس بلا حساب وبلا مقابل! هذه اعمال لا تخدم الوطن! وانا مصمم على محاربتها. وهي اعمال لا تمت للديمقراطية بأية صلة! وخدمة الشعب لا تأتي بالخطب وسرقة اموال الشعب ورفع الشعارات واثارة الحزازات.!»

● واين وصل العداء من السيدة «بوتو».. لكم؟

ـ في الداخل.. لا قيمة لها.. لا وزن! لا شيء!

ثم أضاف:

ـ انها تحاول ان تصور نفسها امام العالم وكأنها ضحية دولية! ولكن لا وزن لها ولا قيمة داخل الباكستان..!»

وعاد ضياء الحق الى ابتسامته وصمته..

هل هذا كل شيء!؟

وهل قال لي «كل» ما عنده؟!

وهل سمح لي بأن انشر كل ما سمعته منه؟

ان الجواب على «جميع» هذه الاسئلة الثلاثة، واحد فقط:

ـ لا! لا! لا!

فلا اللقاء قد انتهى مع نهاية الحديث.

ولا هو قد قال لي كل ما عنده..

ولا رئيس الباكستان، سمح لي بان انشر «كل» ما سمعته منه!

● سنعود ونلتقي في الباكستان مع الربيع القادم . .

● وسأسمع منه الجديد، والمثير، عن بلاده وعنا وعن العالم!

● وسأعود، وأنشر عن لسانه، ما ضاع مني او ما نسيته من حديث الامس بعد ان يمر الوقت وتتغير الظروف!

أقولها بصدق: لقد كان وجود الباكستان في حفلات استقلال «بروناي»، اشبه بالمهرجان الاسلامي العرم. . . الكبير!

والسبب لا يحتاج الى شرح.

فقد قرر رئيس الباكستان: اما ان يصنع التاريخ على طريقته، وبأسلوبه، واما. . ان يموت!

وقديما قال «امرؤ القيس» وهو في مثل هذه الحال:

. . . نحاول ملكا او نموت. . فنعذرا!

★★★



المؤلف مع الرئيس الباكستاني ضياء الحق

نيويورك ١٩٨٤/٤/١٠

مع أقدر وأذكى وأجرأ سياسي في أمريكا
ريتشارد نيكسون

نيويورك ١٠/٤/١٩٨٤

مع أقدر وأذكى وأجرأ سياسي في أمريكا ريتشارد نيكسون

لكي نفهم اسرار رونالد ريغان، يجب ان نقرأ اسرار ريتشارد نيكسون.

ولكي نعرف الى اين يمضي الرئيس الأمريكي الحالي ـ ريغان ـ في علاقته مع السوفيت، يجب ان نعود ونقرأ كل ما كتبه وكل ما قاله ريتشارد نيكسون ايام حكمه، وبعد سقوطه من الحكم، عن الاتحاد السوفيتي!

ولكي نتعرف الى سياسة الحزب الجمهوري الاميركي من اعلى المراجع واصدق المنابع، يجب ان نتعرف الى ريتشارد نيكسون!

وفي كل مرة قابلته كنت اردد لنفسي كلمة واحدة:

ـ خسارة!

خسارة ان يسقط مثل هذا الرجل بسبب فضيحة حزبية تافهة كفضيحة ووتر جيت! خسارة ان يغيب رجل مثل نيكسون لكي يخلفه رجل مثل فورد او جيمي كارتر. خسارة ان يضيع الامريكي العالم باسرار وحقائق السياسة العالمية لكي يأتي الى البيت الابيض رؤوساء لايميزون بين بيروت وبغداد، ولا يفرقون بين تركيا واندونيسيا، ولا يعرفون من قضايا العالم الا قشورها او عناوينها!

ومن هنا كان حرصي على مقابلة ريتشارد نيكسون. مرة بعد مرة. ولقاء بعد لقاء، وحديثاً صحفياً اثر حديث خاص. ولقاء على الغداء إثر لقاء للاحتفال بعيد ميلاد احدى حفيداته!

ومع كل لقاء، كان اعجابي بالرجل يتضاعف ويزداد. ومع ذلك الاعجاب كنت اسأل نفسي في حيرة وألم:

ـ هل حاول العرب منذ الخمسينات حتى اليوم، التعرف عن قرب الى شخصية ريتشارد نيكسون، والاستفادة منه في معاركهم وقضاياهم؟

والسؤال لايحتاج الى جواب..

لقد كان لقائي الاول معه يوم الثلاثاء ١٠ ابريل من عام ١٩٨٤. ثم كرت المسبحة وتكرر اللقاء.

وهذا الكلام، كان حديث اللقاءات الأولى مع ريتشارد نيكسون.

قد يختلف المرء مع سياسي محترف «كريتشارد نيكسون» ولكنه لايملك الا ان يعجب به، كمحارب لايكل ولايمل. . اذ بينما غابت شمس جميع رؤساء اميركا السابقين، من أمثال كارتر وفورد، نرى «شمس» نيكسون قد عادت لكي تشرق من جديد. . فهو ما زال يحاضر في كل النوادي، ويتنقل بين جميع الولايات، وينشر المزيد من الكتب والمذكرات، وفي هذا الشهر بالذات ستنقل معظم شبكات التلفزيون الاميركي سلسلة جديدة من لقاءات سياسية مصورة ادلى بها ريتشارد نيكسون الى المراسلين السياسيين في نيويورك وضمنها الخطير من ارائه السياسية وذكرياته الطويلة منذ ان كان نائبا للرئيس ايزنهاور الى ان اصبح رئيسا للجمهورية الى ان سقط في اعنف واعجب فضيحة سياسية في القرن العشرين!

والرجل فوق هذا طاقة عجيبة من النشاط والعمل المستمر رغم بلوغه الثانية والسبعين، ورغم الالام التي يشعر بها في ساقه نتيجة انحباس الدم في العروق.

واذا كان هناك من سياسي اميركي يتمتع بلذة الحكم من وراء ستار ـ ولو الى حد محدود ـ فان هذا السياسي هو ريتشارد نيكسون بالذات!

انه القطب الجمهوري الكبير وعدو الشيوعية الاول والمحافظ التقليدي، وبطل الازمات والتحديات والمشاكل، وصاحب اشهر انف في الصحافة الاميركية!

وعلى مدى ساعات ثلاث كاملة، ادلى ريتشارد نيكسون بكل اسراره لي وهو يردد:

ـ ليس من عادتي ان اسمح في لقاءاتي الصحفية بوجود آلة تسجيل تحسب علي أنفاسي وهمساتي! ولكني اخالف القاعدة معك لكي لايكون هناك أي مجال لسوء الفهم في المستقبل عندما تنشر هذا الحديث ويقرأه «اصدقائي» العرب!.

وراح يتكلم وكأنه يهدر. . كالشلال.

وطال الحديث وتشعب وتطور حتى استنفد الساعات الثلاث واصبح من المتعذر نشره كاملا في مرة واحدة.

وقد يكون في كلام ريتشارد نيكسون بعض الانصاف للعرب وقد يكون في كلامه بعض الهجوم على اسرائيل، او بعض الدفاع عن اليهود او بعض الاراء المحمومة او العدائية او غير الودية.

وقد يكون في عباراته بعض التطرف ضد السوفيات وضد سياستهم.

ويبقى دوري في كل هذا مجرد الصحفي العربي الملتزم الذي جاء الى هنا ليبحث عن بقايا قضية بلده في عقول وقلوب زعماء اكبر دولة في هذا العالم. . المجنون!

وقديما قيل: ناقل الكفر ليس بكافر

ونبدأ الحديث. .

قلت للرئيس السابق ريشارد نيكسون:

● هل كانت السياسة الاميركية في الصورة التي هي عليها الان لو لم يكن هناك النفوذ الصهيوني المؤثر داخل اميركا؟

واجاب نيكسون:

ـ يجب ان ندرك جيدا انه بالاضافة الى وجود الجالية اليهودية التي تتمتع بنفوذ خاص داخل الولايات المتحدة الاميركية، بسبب قوتها الانتخابية في مناطق كنيويورك ولوس انجلوس، وبسبب وجود زعماء يهود اميركيين متنفذين في مختلف جوانب الحياة الاميركية، فان هناك ايضا عطفا خاصا على اسرائيل بسبب مآسي الهولوكوست على يد هتلر، كما ان هناك التأييد المطلق لاسرائيل من جانب الذين يسمون انفسهم هنا بالمتزمتين المسيحيين، اي بالانكليزية Fundemantalist الذين يؤيدون اسرائيل بعيدا عن أي تأثير من اي جانب يحميه. انا اعتقد ان سياسة اميركا يجب ان تكون وان تبقى مؤيدة لاسرائيل ولكن بشرط كبير، ان لا تكون في الوقت ذاته موجهة ضد العرب، انا اعتقد انه من الخير والفائدة بكثير لاميركا ان تكون صديقة لجميع الدول العربية المجاورة لاسرائيل من ان تكون عدوة لهذه الدول. اما اننا لانقدر ان نصنع السلام في الشرق الاوسط بدون ان نكون اصدقاء لكل دول منطقة الشرق الاوسط. وبالتالي فقد كنت دائما انادي بأن تأييدنا لاسرائيل يجب ان لايعني عداء للعرب بل على العكس يجب ان نكون فقط مع السلام نفسه ولاجل السلام نفسه، وان مثل هذا السلام لن يتحقق بدون تعاوننا مع الدول العربية المعتدلة وفي مقدمتها السعودية والاردن ودول الخليج.

قلت للرئيس الاميركي السابق نيكسون اسأله وعقلي يتجه صوب معركة الانتخابات الحالية:

● نحن نعلم جيدا ان هناك التباين الفكري الملحوظ بين السياسة التي يتبعها وينادي بها الديبلوماسيون الاميركيون المتخصصون ومعهم ايضا اجهزة المخابرات في اميركا من جهة، وبين السياسة المتناقضة التي يتبعها وينادي بها الزعماء السياسيون في المعارك الاميركية الانتخابية المختلفة.. من هنا اسألك سيدي الرئيس عن تصورك للموقف عندما ينتهي عام الانتخابات الحالي؟

واجاب نيكسون:

ـ اثناء العام الانتخابي يحرص المرشحون كلهم على عدم استفزاز اي طائفة او اي مجموعة انتخابية في داخل اميركا كلها، مثلا: امامك المرشحان الديمقراطيان اللذان يتنافسان حاليا حول موضوع نقل سفارة اميركا من تل ابيب الى القدس. بعد الانتخابات، وحتى لو استطاع احد هذين المرشحين ان يفوز بالترشيح عن الحزب او استطاع ان يفوز بالوصول للبيت الابيض، وانا شخصيا اؤكد لك ان احدهما لن يحقق اي انتصار في هذه المعارك، ولن

يستطيع الوصول الى البيت الابيض ـ فان اي رئيس مسؤول يظهر فورا في هذه الانتخابات لن يلتزم باي وعد حول نقل السفارة، ولن ينفذ قرار النقل لانه قرار غير مسؤول. ان علينا ان لا ننسى دوما ان على الولايات المتحدة الاميركية التي تريد ان تلعب دورا حساسا ومهما في عالم الشرق الاوسط ان تحرص على بقاء علاقات متساوية ومميزة مع سائر الدول العربية. ان علاقاتنا الحالية مع العرب لا تتسم بالصحة بسبب احداث لبنان وبسبب اشياء اخرى. ولكن اذا قمنا بنقل سفارتنا الى القدس، فان مثل هذه الخطوة لن تخدم اسرائيل، وانما ستعمل على تسميم العلاقات بين اميركا وجميع الدول العربية وعلى رأسها السعودية. وليس فقط ضد ليبيا والجزائر وسوريا، وانما ضد جميع العرب والمسلمين. لذا فاني اؤيد سياسة الرئيس ريغان في تجاهل هذا الموضوع تماما، مؤكدا ان على اي زعيم ديموقراطي يسعى للوصول الى البيت الابيض ان يتناسى هذه القضية الحرجة ويراجع موقفه السابق خلال معركة الانتخابات، لأنه اذا لم يفعل ذلك فانه سينسف تماما قدرة اميركا ودورها الكبير في محاولة تحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط».

● سألته: لماذا الاصرار اذن على ترديد مثل هذه الالحان البغيضة في مثل هذه الايام الدقيقة؟

ـ اجاب نيكسون: انها الانتخابات! ثم اضاف:

ـ نحن في عام المعركة واعضاء الكونغرس يتسابقون لارضاء اصحاب الصوت اليهودي والفوز به.

ثم قال:

ـ ولكني اضيف انني اعرف عددا كبيرا من اصحاب الصوت اليهودي المتميز في هذه البلاد والذين هم لا يوافقون، بل لعلهم غير متحمسين تجاه موضوع نقل سفارة اميركا من تل ابيب الى القدس. انهم واقعيون ومعقولون. وهم يرون ان مثل هذه الخطوة ستكون خطأ، وبالنتيجة فان احسن موقف اراه حاليا حول هذا الموضوع، هو الموقف الحكيم الذي يمثله الرئيس ريغان. انا اقول لك ان الرئيس ريغان يؤيد اسرائيل ويناصر اسرائيل ولكن الرئيس ريغان رجل مسؤول وواقعي، وبالتالي فانه لايؤيد مثل تلك السياسات ولم يتردد في القول، بأنه سيستعمل حق الفيتو في معارضة قرار نقل السفارة اذا اصر الكونغرس على قراره».

سألت ريتشارد نيكسون وكأني اعود به الى سؤالي الاول من جديد:

● ترى ماذا ستكون عليه سياسة اميركا لو لم تكن هذه السياسة خاضعة للضغوط والمؤثرات الداخلية العنيفة من مختلف التجمعات والاقليات؟

واجاب نيكسون:

ـ عندما نتكلم عن التنظيمات الاجنبية والاقليات الاميركية الاجنبية الاصل وبالانجليزية Ethnic Groups فاننا لا نعني فقط التنظيمات اليهودية اذ ان هناك تجمعات قوية مختلفة تؤيد مثلا



الرئيس ريتشارد نيكسون يتبادل هدايا الكتب مع ناصر الدين النشاشيبي

كوبا وتطالب بالتقارب مع كاسترو. انا اقول ان سياسة اميركا الخارجية تخضع بالطبع لتأثيرات داخلية خاصة من مجموعات كثيرة، ولكن على الرئيس الاميركي وحده عندما يصل الى البيت الابيض ان يدرس ثم يقارن بين مطالب هذه التنظيمات المتعددة وضغوطها من جهة وبين مصلحة الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى وان يختار الشيء الذي يخدم مصلحة اميركا ويهمل كل ما لايتفق مع مصلحتها. .»؟

سألت ريتشارد نيكسون:

● انا اعلم ان الحلول المطلوبة لقضية مستعصية كالقضية الفلسطينية تحتاج الى كتب ومجلدات، ولكني اسألك باختصار ما هو الحل العادل الذي تراه انت لقضية فلسطين؟

وضحك نيكسون لاول مرة، وقال وهو يحدق في جدران مكتبه المزين بالصور المختلفة مع زعماء العالم وقال:

ـ ان قضية فلسطين عاشت معنا لسنوات طويلة طويلة. وتبدو اليوم وكأنها لاتقبل اي حل من احد. ولكني اقول ان تصوري للحل الاحسن المطلوب اي الحل الذي تقدر حكومة الولايات المتحدة الاميركية ان تؤيده وبالتالي ان تحصل كذلك على تأييد الكونغرس له، اذ لاقيمة للتأييد الحكومي اذا لم يفز بتأييد مماثل من الكونغرس ـ ينحصر حاليا في توثيق حكومة ذاتية للفلسطينيين متعاونة مع الاردن. هناك من يظن ان مبادرة ريغان حول الشرق الاوسط قد ماتت. ولكنها ما زالت في نظري احسن لعبة سياسية كما يقول المثل الاميركي عندنا، وان علينا ـ والكلام ما زال لريتشارد نيكسون ـ ان نشطب تماما فكرة انشاء دولة فلسطينية مستقلة

ومسلحة في الضفة الغربية تستورد السلاح المتطور من السوفيات وتلعب بالاسلحة الحديثة. هذه الفكرة لن تقبل بها اسرائيل كما لن يقبل بها الاردن. اننا نحتاج الى مجرد حكومة فلسطينية ذاتية مرتبطة بالاردن فقط».

سألت نيكسون ولم يعجبني جوابه عن بلدي:

● وماذا يكون الحل عندك لمشكلة لبنان؟

اجابني نيكسون:

ـ ان لبنان من اكبر المآسي في التاريخ الحديث لقد سبق لي وزرت لبنان فوجدته اكثر دولة متقدمة في المنطقة بأسرها بعد اسرائيل. واللبنانيون شعب ناجح في سائر انحاء العالم. وانا ارجو في هذه المرحلة ان يجري فورا تعديل الدستور اللبناني لكي يخلق توازنا عادلا بين مختلف الطوائف في البلاد. ان الدستور اللبناني القديم وهو الدستور الحالي قد بني على اساس وجود الاغلبية المسيحية المطلقة في لبنان ولكن هذه الاغلبية لم تعد اغلبية. وهذا لايعني ان نعطي حق الحكم في لبنان الى المسلمين وحدهم لأنهم، قد اصبحوا الان هم الاغلبية.. لا ان الاقليات كلها في لبنان تستحق الاعتبار وحق التمثيل واعادة النظر من هنا فاني اعتقد ان المحاولات الجارية لخلق توازن اكثر بين المسلمين والمسيحيين يستحق التشجيع كما اعتقد ايضا ان علينا الاعتراف لسوريا المجاورة للبنان بحق استثنائي مميز، يسمح لها به تاريخها الطويل وموقعها الجغرافي بأن يكون لها الكلمة المسموعة في تقرير مصير لبنان. ومن هنا فان على جميع القوات الاجنبية ايضا ان تترك لبنان عندما تقوم به حكومة لبنانية مركزية قوية وقد يكون هذا مجرد امنية بعيدة المنال ولكن علينا ان نتجنب اي تقسيم فعلي للبنان وهذا التقسيم سيقع حتما اذا لم تقم هناك حكومة لبنانية قوية مركزية تمثل جميع طوائف البلاد بعدالة وواقعية وحكمة.

سألته مقاطعا:

● هل كان التدخل العسكري الاميركي في لبنان خطوة حكيمة في نظرك؟

اجاب نيكسون:

ـ يجب ان لا ننسى ان الموقف الاميركي وكذلك موقف حلفائنا الانكليز والفرنسيين والايطاليين، كان موقفا ـ في بدء الامور ـ يتسم بكل حكمة وبكل الاماني الطيبة. كان هذا ـ كما قلت لك ـ في بدء تطور الازمة. اي منذ شهور طويلة، وقد سمح وجودنا يوم ذاك لقوات منظمة التحرير الفلسطينية بالانسحاب بسلام، كما ساعد وجودنا على استمرار وجود حكومة لبنانية مركزية في بيروت تعمل وتعيش. ولكن ـ بعد ان تطورت ـ الامور ـ جاءت النتائج تنذر وجودنا ومهمتنا بالفشل. ورغم ذلك فاني اؤكد لك ان فشل اميركا في لبنان يجب ان لايعني مطلقا ان نغسل ايدينا نحن الاميركيين من المأساة اللبنانية. اننا لو فعلنا ذلك لكان

الموقف حقا يشبه الكارثة. لقد اشارت مجلة «الايكونومست» اللندنية الى مثل هذه النقطة عندما كتبت اثر انتقال القوات الاميركية من بيروت الى سفن الاسطول الراسية مقابل الشاطيء اللبناني، فقالت «ان اميركا تلقت في لبنان ضربة لونت انفها بلون الحمرة» وهذا صحيح، ولكن ان يصبح الانف الاميركي بلون الدم في لبنان لايعني ان نرمي بالفوطة الى الارض وينتهي كل شيء لا ان نستمر في المحاولة دائما.

سألته:

● هل يعني ان الدور الاميركي في لبنان لم ينته بعد يا مستر نيكسون؟

اجاب نيكسون:

ـ ان الدور الاميركي في لبنان لم ينته ويجب ان لاينتهي.. لاننا اذا لم نلعب دورنا، فان غيرنا ـ هل تفهم ـ غيرنا سيقوم ويلعب دوره. اشعر بأن على اميركا ان تلعب دورها المسؤول في المنطقة. مادام جميع الاطراف في المنطقة يطالبوننا ويسمحون لنا ويشجعوننا على ذلك. واليوم اذا نظرنا الى المسيحيين والى المسلمين، ونظرنا كذلك الى الخلافات الحادة بوجه خاص بين المسلمين انفسهم في لبنان، لوجدنا ان الجميع هناك يريدون السلام ويحتاجون اليه وعلى اميركا قبل اية دولة اخرى ان تقوم بدور صانعة السلام، وانا غير متأكد مثلا، اننا لو توقفنا عن القيام بدورنا فان دولا اخرى لن تتقدم بدلا عنا وتقوم بدور خال من معاني المسؤولية. دعني افسر لك واقول: لقد سبق وسألني الكثيرون هنا عن الفرق بين اماني اميركا واماني السوفيات في الشرق الاوسط كله. فهذا ما لن نسمح به مطلقا لانه لن يكون في مصلحتنا ولا في مصلحة شعوب الشرق الاوسط، انا لا اعتقد ان الرئيس حافظ الاسد يسره ان يصبح العوبة في يد السوفيات او انه يوافق على ذلك. ولذا فان على اميركا ان تستمر في البحث عن اساليب وطرق جديدة لكي تبني علاقة افضل مع حافظ الاسد في سوريا. قد لا تبدو مثل هذه الامنية قريبة المنال ولكنها ستكون في النهاية في مصلحة حافظ الاسد نفسه ان نتفاهم معه لكي لايستمر في تصرفه السياسي التقليدي ضدنا وحيال قضايا المنطقة.

● قلت: وهل كان الغزو الاسرائيلي للبنان عملية حكيمة ياسيدي الرئيس؟

ـ اجاب نيكسون بحماس وصوت مرتفع: بالطبع. واذا عدنا الى بداية الامور فان الحركة الاسرائيلية الاساسية ضد العناصر الفلسطينية الراديكالية في لبنان، كان لها ما يبرره. ولكن، ككل الامور التي تجد لها ما يبررها، تجد ان عملية هذا الغزو قليلها جيد وكثيرها سيء.

وانا اعتقد انه عندما وصل الغزو الاسرائيلي الى مشارف بيروت نفسها فقد تحولت منافعه الى مضار واصبحت شروره اكثر من حسناته.

سألت نيكسون:

● وماذا تقول عن المذابح في صبرا وشاتيلا؟

ـ اجاب نيكسون: مرة اخرى اقول لك ان هذا فصل مأساوي حزين في كتاب تاريخي تراجيدي، وعلينا ان نفهم ان احدا لن يقر بأن اسرائيل كانت وحدها المسؤولة عن هذه المذابح وصحيح ان البرلمان الاسرائيلي قد شكل لجنة لتحديد مسؤولية الذين قاموا بالمذابح، وان العناصر المسيحية التي قامت بالمذابح ضد اللاجئين كانت من حلفاء اسرائيل واصدقائها، ورغم ذلك فان جميع اليهود الذين تحدثت اليهم حول مأساة هذه المذابح اشعروني بمدى قرفهم واشمئزازهم من وقوع مثل هذه الاعمال البربرية ضد اللاجئين الفلسطينيين، لأن هذه الاعمال قد اساءت الى سمعة اسرائيل في العالم والى صورتها، ولذا اسرعت اميركا فور وقوع المذابح، الى القيام بدور الوسيط لاحلال السلام وهذا هو السبب الثاني الذي حملنا على التوسط بين القوات المتحاربة في لبنان يوم ذاك.

● سألت ريتشارد نيكسون عن رأيه في حرب الخليج بين العراق وايران وعن الحلول المطلوبة لانهاء هذه الحرب؟

فاجابني قائلا:

ـ لاخيار افضل بين هذين الطرفين المتحاربين لنا، ولكن علينا ان نجد حلا يضع نهاية لهذه الحرب. وبالطبع فاذا لم نستطع ان ننهي هذه الحرب فان علينا على الاقل الا ندع احد الطرفين يحقق انتصارا على الطرف الآخر. على كل حال فاذا كان لابد من ان نواجه الخيار الصعب وننحاز لاحد الطرفين فان هذا الطرف في نظري يجب ان يكون العراق. وسأقول لك لماذا. لان العراق ـ رغم ما يقال عن ممارسة العراق للحرب الكيماوية وان العهود العراقية الحاكمة لم تكن كلها عهودا ديمقراطية معتدلة، الا ان العراق لايشكل خطرا على الخليج وعلى السعودية، بينما ايران تشكل حتما مثل هذا الخطر واذا انتصرت ايران في حرب الخليج فاننا سنواجه عندها حالة متفجرة ستدفع ايران المتطرفة، والخميني المتعصب ـ والكلام لازال لنيكسون ـ الى نشر المباديء المتطرفة المتعصبة، والاعمال الثورية في كافة انحاء الشرق الاوسط.

سألته:

● وما هو الحل اذن؟

اجاب نيكسون وهو يرفع يديه في الهواء:

ـ الحل؟ لا وجود للحل حاليا. ربما يكون الحل في عدم عمل شيء قد يزيد من قوة ايران العسكرية، او اذا قدمنا اية مساعدة نحن الاميركيين فيجب ان نقدمها فقط للعراق.

قلت:

● وما سر عدم مبالاة اميركا تجاه الحرب الانتحارية يامستر نيكسون؟

ـ اجاب: انا لا اسميها عدم مبالاة. وقد قال جورج شولتز وزير خارجيتنا كلاما منذ ثلاثة

اسابيع قال: ان على امیرکا ان تنحاز الى العراق، اذا كانت ستختار موقفا معينا حيال حرب الخليج، وموقفي الشخصي انا - والكلام لنيكسون - هو ان سياستنا يجب ان تقف مع العراق. هذا لايعني ان نتورط مباشرة في حرب الخليج او نقف علنا في طرف ضد الطرف الاخر وانما علينا ان لانفعل شيئا مطلقا قد يساعد ايران بقدر ما علينا وقدر استطاعتنا بأسلوب معقول لمساعدة العراق لا لكي ينتصر العراق، فاني اعتقد انه ليس هناك فريق منتصر في هذه الحرب عندما تنتهي وانما لكي نتأكد بأن ايران بالذات لن تكون الطرف المنتصر.

سألت ريتشارد نيكسون:

● وماذا تقول في موضوع امن الخليج؟

اجابني الرئيس الاميركي السابق على الفور:

- من بين المواقف غير المسؤولة، ولا المعقولة، التي اعلنها مؤخرا السيناتور هارت المرشح المنافس عن الحزب الديمقراطي قوله: انه مادامت اميركا لاتستورد من بترول الخليج اكثر من خمسة بالمائة بينما تستورد اوروبا اربعين بالمائة وتستورد اليابان ستين بالمائة من بترول الخليج، لذا - والكلام لهارت - فان مسؤولية الدفاع عن امن الخليج في حالة تعرضه لغزو ايراني او شيوعي، يجب ان تكون بيد اليابانيين والاوروبيين انفسهم، مع بعض التأييد الجوي الاميركي، وهذا كلام سطحي وسخيف. لان اليابان لاتملك اية قوة عسكرية جوية تمكنها من حماية منطقة الخليج وقوة اوروبا محصورة كلها في المانيا الغربية، والمانيا الغربية لاتقدر ان ترسل جنديا واحدا من جنودها الى خارج المانيا. لذا فان هذا يعني في النهاية ضياع الخليج اما بأيدي ايران او بأيدي السوفيات اذا اخذنا بكلام سياسي هام مثل هارت.

اننا لانسمح بضياع الخليج. ان الغرب لن يسمح باغلاق الخليج، وعلى اميركا مسؤولية ولها في ذلك دور كبير. حتى ولو عجزت اليابان او فشلت اوروبا في ان تعمل شيئا تجاه سلامة الخليج فان اميركا لن تستطيع ان تقف مكتوفة الايدي وترى اليابان واوروبا يخسران حصتهما من البترول الخليجي. ان كلام هارت خاطىء ومضلل، لأننا - اي اميركا - نستورد اكثر من ثلاثين بالمائة من بترولنا من الخارج. واذا انقطع البترول العربي فان الاثر سيقع بالتالي على المناطق الاخرى التي نستورد منها بترولنا. ان لنا مصلحة مباشرة في ان لانترك مصانع اليابان او نترك مصانع اوروبا الغربية تتوقف بسبب انقطاع البترول عنها.

سألته:

● وما هو رأيك في مشروع ما تسمى بالقوة المتحركة لحماية امن الخليج؟

قال نيكسون ورأسه تهتز:

- انها خطوة عظيمة ومفيدة وهذه الفكرة مفيدة جدا. وقد بدأها كفكرة الرئيس كارتر، ثم



الرئيس نيكسون يهدي كتابه الى النشاشيبي والمؤلف يهدي آخر مؤلفاته الى الرئيس نيكسون

تسلمها منه الرئيس ريغان، ونحن بحاجة الى هذه الفكرة. وانا اقدر ان اضيف واقترح ان تساهم ايضا فرنسا بصورة عسكرية في تكوين مثل هذه القوة، ذلك لان اوروبا لا تقدر ولا يحق لها ان تقول بأن المسؤولية تقع وحدها على اميركا وان الدور العسكري متروك لاميركا بالذات دون غيرها. ان لاوروبا مصالح بترولية واقتصادية وامنية بمنطقة الخليج اكثر مما لاميركا. وعلى اوروبا ان تلعب دورها معنا وتقف الى جانبنا بلا تردد.

قلت للرئيس نيكسون:

● وماذا عن افغانستان؟

اجاب نيكسون : ان اميركا مع بقية العالم الحر قد أدانت التدخل السوفياتي في افغانستان. وانا شخصيا أرى بضرورة تشجيع الاعمال الثورية المضادة للاحتلال السوفياتي في افغانستان. ان الموقف الباكستاني المعروف يساعد في هذا المجال كثيرا ويجب تشجيعه ومضاعفة اثره وقوته كذلك فان هذا الموضوع يجب ان يتصدر اي جدول اعمال لاي لقاء قمة قد يتم قريبا بين اميركا وبين السوفيات. ان علينا ان نلعب الاوراق الدبلوماسية بجانب اشياء اخرى دون ان نعيش بأوهام التفاؤل بالوصول الى حل قريب، لان السوفيات لا يمكنهم السماح بقيام اية ثورة مضادة جديدة في افغانستان موجهة ضدهم او ضد وجودهم هناك. هذا هو سر الموضوع يجب ان لاننسى ان الغزو السوفياتي لافغانستان قد جاء نتيجة صراع حكومة ماركسية افغانية ضد حكومة ماركسية افغانية اخرى وان علينا ان نمضي معا في تشجيع المقاومة الداخلية الافغانية ونمارس معها الضغط الدبلوماسي.

سألته :

● وهل بالوجود السوفياتي في افغانستان ما يشكل اي خطر على الدول المجاورة في المنطقة؟

ـ قال لي نيكسون : بالطبع وباكستان تعتقد ان الخطر او الدور يقع عليها، والصين تعتقد بان الوجود السوفياتي في افغانستان يهدف الى محاصرة الصين من الشرق والجنوب وانه جزء من هذه المحاصرة المؤامرة، وكذلك فاني اضيف بان الخطر يقع على السعودية في النتيجة. ان وجود حكومة سوفياتية في افغانستان، مع وجود عمل شيوعي في اثيوبيا كل ذلك يعني حركات تحاصر وتغزو وتتسلل. ان هناك في الوقت الحاضر اخبارا طيبة ومشجعة تفيد بظهور قوات مضادة للسوفيات في اثيوبيا.. وهذا كله حسن. ولكن اذا استطاع السوفيات تثبيت وجودهم السياسي او العسكري في افغانستان مع اثيوبيا فان السعودية ستقع في الوسط وهذا الكلام لايحتاج الى تفسير.

سألته :

● لعل حديث المشاكل المتفجرة يجرنا الى الحديث ايضا عن السودان وليبيا فماذا تقول يا مستر نيكسون؟

وقال لي ريتشارد نيكسون :

ـ ان السيطرة على القذافي، اعني الرئيس القذافي، هو هدف تسعى اليه كل الشعوب المتمدنة في العالم.

وسكت قليلا وكانه يتفحص اثر كلامه في نفسي ثم قال بجرأة يحسد عليها :

ـ ان القذافي رجل يؤيد الارهاب الدولي، ويخلق المتاعب لنا، ويحاول ان يزيد نفوذه بالقارة السوداء فعزل تشاد، ولولا الفرنسيين لانتصر.. والدور الفرنسي ضد القذافي دور محمود، وعلى كل دول اوروبا التصدي للاخطار حيثما وجدت دون ترك الامور لاميركا وحدها. اما عن السودان فالامر يتعلق بمصر واهتمام مصر بالسودان موضوع قديم وتأريخي مستمر. ومصر تشعر كثيرا بالقلق من موقف القذافي هناك، وهي تعارض مغامرات القذافي في السودان وضد السودان. واميركا تؤيد مصر بذلك وتؤيد السودان، نحن نؤيد النميري ضد القذافي.

سألت ريتشارد نيكسون :

● أليس من حق معمر القذافي ان يختار نوع سياسته وهل تظن انه بذلك ينفذ مواقف خارجية ام انه حاكم وزعيم وطني يعمل بما توحي اليه مصلحة بلده؟

واجابني نيكسون بعد صمت قصير ونظرات قلقة وحائرة :

ـ لا اعرف ولست مستعدا لان اقول شيئا. ان السوفيات لم يحاولوا على الاقل عدم تشجيع القذافي على المضي في مغامراته. ومع ذلك ولو لم يكن هناك الاتحاد السوفياتي، لما امتنع

القذافي عن القيام بمثل هذه المغامرات. يجب ان ندرك ان في المغرب وفي تونس ومصر وفي السودان كذلك في السعودية ظهرت قوات دينية متعصبة تحاول هدم الحاضر والمستقبل لحساب الماضي، وكذلك في المغرب ظهرت قوات ثورية رجعية في حقيقتها، تحاول بعث الماضي ودفن المستقبل. هذه ثورات رجعية. وهذا النوع من الثورات يحظى بتأييد القذافي.

سألته مقاطعا:

● الا يجوز لنا ان نقول بأن القذافي زعيم وطني ومسلم عربي أيضاً، يعمل بوحي عروبته واسلامه يا مستر نيكسون؟

واجابني ريتشارد نيكسون وكأنه يعتذر:

ـ طبعا. طبعا. . ان في الرجل وطنية ليبية خاصة. وانا لا اعرفه ولم اقابله، ولكني اعتقد على ضوء ما اقرأ وقرأت عنه انه انسان ووطني وقوي.

قلت:

● ولعله يحاول ايضا ان ينشر مبادىء القومية العربية ويدافع عن القضايا العربية ولكن بأسلوبه وبطريقته الخاصة؟

ـ قال لي نيكسون: يجب ان نكون حياديين في الحكم على امثال معمر القذافي. انا لا اتهمه بانه مجرد العوبة سوفياتية يشتري اسلحته من السوفيات، وانما اقول عنه ما اقوله ايضا عن الخميني، من انه على خطأ. ولكنه باخلاص وأمانة ملتزم بخدمة بلده، وعلى طريقته الخاصة وبوحي من شعوره القومي الخاص. ان كلا منهما اي الخميني والقذافي يعتقد هو بصحة اسلوبه في الخدمة الوطنية. وانا اعتقد ان كلا منهما مخطىء في ذلك. ان ثورة ايران تهدم المستقبل لحساب الماضي. والقذافي كذلك مثل ايران. وانا لا أؤيد هذا النوع من الثورات ولا اعتقد بجدوى خدمة مثل هذه الثورات لبلادها. انها ثورات رجعية لا ثورات تقدمية.

سألت ريتشارد نيكسون وانا أمشي به صوب مصر وكامب ديفيد:

● لو كنت انت يا مستر نيكسون مكان حسني مبارك، هل تمضي في سياسة التقارب مع العرب ام تلتزم باتفاقية كامب ديفيد وتعزل نفسك وبلدك عن العالم العربي؟

واجابني نيكسون فورا:

ـ الخيار صعب امام مبارك. فهو غير قادر بالمرة على نقض الاتفاقية ما دامت مصر قد جنت المكاسب والارباح من ورائها. لقد جنى انور السادات خيرات السلام، واستعاد سيناء. ومبارك لايريد نقض اتفاقية كامب ديفيد الان، ويجب عليه ان لا ينقضها بالمستقبل، ومع ذلك فاني ارحب بكل جهود مبارك التي يبذلها للعودة الى احضان العرب. ان مصر كما علمتني زيارتي للمنطقة عام ١٩٧٥ لها تأثير كبير على الشرق الاوسط، في ميدان الاساتذة وفي الصحافة ورجال الاعمال، ومصر دولة متقدمة حضارية. والجميع يجني الفوائد اذا بقيت

مصر ملتزمة باتفاقية كامب ديفيد ، بشرط ان تمضي مصر باستعادة روابطها المفقودة مع العالم العربي.

قاطعت الرئيس نيكسون قائلا له:

● هذه عملية مستحيلة يا مستر نيكسون، اعني: لايمكن الالتزام بكامب ديفيد والعودة الى احضان العرب.

اجابني نيكسون:

ـ انا ادرك تماما ما تقول. انت تقول ان على مصر ان تنقض اتفاقها مع اسرائيل قبل ان يقبل بعودتها للعرب. انا اشعر ان هذا خيار مستحيل امام مصر. ان القيادة المصرية النشطة تقدر ان تجد لنفسها الحلول المطلوبة والتي فيها مصلحة مصر. . ان مبارك رجل ذكي، وهو قادر على ان يتمسك بكامب ديفيد مع محاولة تضميد الجراح التي تفتحت بسبب كامب ديفيد، وخاصة ان الاعتراض العربي العام على اتفاقية كامب ديفيد ليس منصبا على الاتفاقية وانما كان حول الاسلوب الذي تمت معه وفيه هذه الاتفاقية. لقد سبق لي ـ والكلام لنيكسون ـ وتحادثت مع ملك المغرب ومع ملك السعودية واخبرني كل منهما، ان ما ازعجهما بالدرجة الاولى من انور السادات ليس في مواد الاتفاقية وحسب، وانما انور السادات في المباحثات ثم في الوصول الى الاتفاق مع اسرائيل، دون استشارة احد من اخوانه القادة العرب والزعماء، وانا لست الان في موقف اقدر معه ان أؤكد صحة هذه الاقوال او عدمها.

وكن اميل الى ان اصدق هذا الكلام في النهاية، وعلى حسني مبارك الان، ان يعمل على تضميد الجراح. وقد يخطىء كثيرا لو انه من اجل عودته للعالم العربي سيعمل على نقض اتفاقية كامب ديفيد. لانه لو فعل ونقض اتفاقية كامب ديفيد فان النتيجة المترتبة على ذلك ان تعود حالة الحرب من جديد بين مصر واسرائيل. ان مصر بطاقاتها البشرية ومشاكلها الناتجة عن تعددها البشري تبقى دائماً بحاجة ماسة الى السلام لا الى الحرب تماما كما ان اسرائيل ايضا بحاجة الى السلام. الكل فيها في اسرائيل يتحدثون عن حالة الحرب التي تعيشها اسرائيل. هناك التضخم الذي زاد فيها عن المائتين بالمائة، وجاءت الحرب اللبنانية فبلغت خسائر اسرائيل في هذه الحرب بالنسبة لعدد سكانها اكثر مما خسرته اميركا في حرب كوريا وفيتنام معا، كما ان في اسرائيل جيلا جديدا يحب السلام ويتمناه ويصر على الوصول اليه وتحقيقه.

سألت ريتشارد نيكسون:

● ترى هل حسني مبارك من النوع السياسي القادر على ان يحقق مثل هذه المعادلات الصعبة او المعجزات السياسية. هل تعرف انت حسني مبارك جيدا؟

اجابني نيكسون:

ـ لا اعرف حسني مبارك جيدا ولكن الناس الذين قابلوه وتحدثوا اليه خرجوا بانطباع جيد عنه. انه ليس في مستوى السادات، تماما كما ان السادات لم يكن في مستوى او صورة عبد الناصر. ولكنهم قالوا لي بعد مقابلتهم لحسني مبارك عن حسني مبارك انه رجل صلب يجيد كثيرا فن الاستماع وانه معقول وقوي وارجو ان يكون هذا الكلام صحيحا، لان الرجل، اي حسني مبارك، يحكم بلاده في ظروف استثنائية صعبة وشاقة وخطرة.

سألته وكأنني اصر على ان يبقى الحديث بموضوع كامب ديفيد:

● وما هو رأيك الشخصي بكامب ديفيد؟ وبالتحديد هل كانت الاتفاقية ـ اتفاقية كامب ديفيد ـ اتفاقية عادلة متعادلة ومحققة لأماني جميع الاطراف؟

اجابني نيكسون:

ـ نعم. هكذا ظننت عنها في باديء الامر على الاقل. ظننت انه لشيء عظيم من وجهة نظر مصر ووجهة نظر اسرائيل ايضا ان تلغى حالة الحرب بين البلدين. من هذه الزاوية وحدها، يستحق الرئيس جيمي كارتر منا كل الشكر، ولكن عندما تسألني هل كانت جميع جوانب كامب ديفيد عادلة وسليمة، فاني اجيبك بأني لست مستعدا الان لكي انتقد هذه المعاهدة من هنا او من هناك. انا اقول انه في باديء الامر كان مجرد الوصول الى اتفاق بين السادات ومناحيم بيغن شيئا فذا عظيما، اذا اخذنا بعين الاعتبار وجود سنوات طويلة من الحروب بين البلدين سبقت الاتفاقية المذكورة.

سألته:

● هل كانت اسرائيل مخلصة في تطبيقها او تنفيذها للاتفاقية؟

اجابني نيكسون بعد تفكير قصير:

ـ الناس في العالم العربي ـ يثيرون شكوكهم الكثيرة حول هذا الموضوع، وخاصة حول موضوع المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية هذه المستوطنات في نظري لاتتفق مع روح كامب ديفيد، سواء كانت تخرق القانون ام لا تخرق القانون، المهم ان المستوطنات اليهودية اقيمت باشراف وتشجيع واموال الدولة الاسرائيلية، وليس هناك ما يبرر بناءها وانا اعتقد ان الرئيس ريغان على حق تام في معارضته لوجود هذه المستوطنات.

سألته:

● وماذا سيكون مستقبل هذه المستوطنات الاسرائيلية في المستقبل يا مستر نيكسون؟

اجابني نيكسون:

ـ ان مبادرة ريغان تملك الحل. فاذا استطعنا ان نضمن الموافقة على تنفيذ وقبول هذه المبادرة ـ والمسألة ما زالت صعبة ـ وجاءت حكومة ذاتية فلسطينية على اثر ذلك فانه يصعب عند ذلك هدم هذه المستوطنات. انا اعتقد ان القبول بمبادرة ريغان وتنفيذها بسرعة قبل ان

تبادر اسرائيل الى ضم الضفة بقرار رسمي حكومي اليها لايقبل النقض لامر يخدم السلام ويخدم العرب ايضا.

سألته:

● وماذا عن القدس، وما هو الحل لمشكلتها؟

اجابني نيكسون:

ـ القدس هي المشكلة التي لا يملك احد بالذات الحل النهائي لها، ولايملك احد بالذات الجواب الشافي على الاسئلة المتعلقة بها. كما تعلم انت فان كامب ديفيد قد تركت مشكلة القدس مفتوحة للتفاوض دون ان تجد لها حلا معينا وبالتالي، فاني لست مستعدا الان في هذا الوقت بالذات ان اقول ما الذي يجب ان نفعله تجاه القدس فهي مشكلة حقا عويصة تركت عمدا للتفاوض المستقبلي دون حل في كامب ديفيد بسبب صعوبتها. يجب ان ندرك ان جميع الاديان لها اهتماماتها في القدس وليس فقط المسلمون، وليس فقط المسيحيون، وليس فقط اليهود، وانه بالتالي فان اية تسوية لقضية القدس يجب ان تأخذ بعين الاعتبار، وان تتجاوب تماما مع حساسيات واهتمامات جميع الأديان وجميع الطوائف.

وشعرت بان ريتشارد نيكسون قد اوشك ان يشكو من جراء حصر الاسئلة معه في موضوع الشرق الاوسط والصراع العربي الاسرائيلي وقضايا لبنان وحرب الخليج شعرت بان نيكسون اوشك ان يشكو من التعب لذا سمحت لنفسي ان اهرب به من قضايانا الكلاسيكية المعروفة وادخل معه الابواب التي دخلها في الماضي وبنى شهرته الدولية بمعالجتها والانتصار عليها.

ولذا سألته عن موضوعه المحبب: الصين..

قلت له وكأني أزف له البشرى المنتظرة:

● وما رأيك يا مستر نيكسون بالتقارب الدائر حاليا بين الصين والسوفيات.. أليس في الامر ما يدعو الى العجب؟

واجاب نيكسون مع الشعور بالراحة: الطرفان حاليا يتصلان ويتفاوضان. وانا ـ وقد يستغرب البعض مني ذلك ـ ارحب بمثل هذه الاتصالات والمفاوضات، لاني ارى ان اية زيادة في العداء وتأزم العلاقات بين الصين والسوفيات قد تؤدي الى ان يقوم السوفيات بالنهاية بشن حرب وقائية على الصين، مما يرغم الولايات المتحدة على ان تنضم الى هذه الحرب رغم ارادتها، وعلينا بكل عزم وقوة ان نتجنب كل ذلك. اننا نشجع كل جهد يهدف الى تخفيف حدة التوتر بين البلدين وعلى الحدود المشتركة بينهما. ويبقى بعد ذلك السؤال الكبير وهو هل ستعود الصين فيما بعد من جديد الى حظيرة السوفيات وتسلم السلاح الروسي كما كانت تفعل ابان الثورة الصينية عام ١٩٤٩، عندما كان البلدان متحالفين خلال تلك الثوره

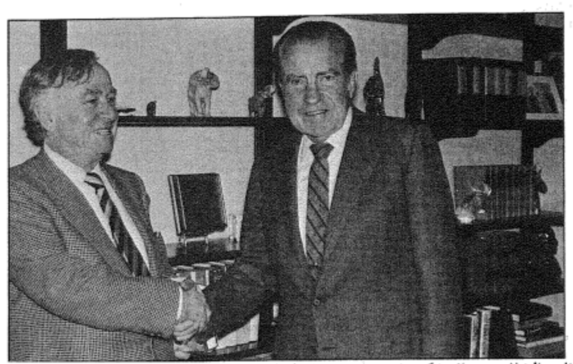
الصينية المسلحة وبعدها وجوابي هو: ان الصين لن تعود مرة اخرى وتدور في الفلك السوفياتي، الا اذا شعرت باليأس منا ومن الغرب. لهذا يجب ان لاتبقى السياسة الاميركية نحو الصين قائمة مبدئيا على مجرد التعاون الاستراتيجي العسكري وانما قائمة ايضا على الزيادة الهائلة في التعاون الاقتصادي بيننا وبين الصين. يجب ان نستزيد احجام التبادل التجاري بين الصين وجميع الدول الغربية في العالم. وفي العام الماضي مثلا بلغ حجم التبادل الاميركي مع الصين خمسة مليارات دولار كما بلغ حجم التبادل مع اليابان والصين عشرة مليارات دولار، وبلغ حجم التبادل بين الصين واوروبا خمسة مليارات دولار، وهذا لايكفي بل يجب زيادة التعاون التكنولوجي والتعاون التجاري، والتعاون المالي، مع زيادة في المساعدات للصين. ويجب ان لاننسى ان الصين بلد فقير ومتطور ويحتاج الى البناء والتعمير والتقدم، وعلينا نحن في اميركا وفي العالم الغربي ان نلبي حاجات الصين بلا تأخر. ويمكن للصين ان تحقق كل ما تريد، اذا بقيت تعطي يدها وقلبها ووجهها للغرب بدلا من السوفيات بشرط ان ندرك نحن ان مفتاح المستقبل يبقى بأيدينا، وان الصين ستتخلى عنا لو شعرت باليأس منا او فقدت ثقتها فينا وفي قدرتنا على مساعدتها ضد السوفيات. عند ذلك فقط ستعود الصين وتتجه الى السوفيات من جديد.

سألته:

● وماذا كان هدفك الحقيقي يا مستر نيكسون من زيارتك التاريخية للصين؟ ماذا كانت غايتك وماذا كانت تطلعاتك وماذا كنت تريد من الصين الشعبية يوم ذاك؟

واجابني ريتشارد نيكسون وهو يعد على اصابع يده:

ـ اولا: هناك الكثيرون الذين اساءوا فهم او تفسير غايتي من زيارة الصين، وظنوا ان العملية كلها كانت موجهة بالدرجة الاولى ضد السوفيات. قد يكون صحيحا ان الصين وفي مقدمتهم الرئيس ماو ووزير خارجيته شو ان لاي كانوا يشاركوننا هناك نحن الاميركيين في شعورنا المتزايد بالقلق تجاه التهديد السوفياتي لهم ولنا. هذا صحيح وله اثره الكبير. ولكني قلت للصينيين بالامس ما سأقوله لك اليوم انه حتى ولو لم يكن هناك اي تهديد سوفياتي، وحتى لو لم يكن هناك شيء اسمه الاتحاد السوفياتي، يبقى من واجب الصين، ويبقى من واجب اميركا العمل عى تطوير علاقاتها ومستقبلها معا. ان الصين هي اكبر دولة بشرية في العالم. وامكانيات الصين وقدرات شعبها تجعلها من اوائل الدول في العالم. وامكانيات الصين وقدرات شعبها تجعلها من اوائل الدول في العالم. وهذا لايغفر لنا في اميركا اي اهمال يصدر عنا في محاولة كسب الصين وفهمها واقامة العلاقة الطبيعية معها. يضاف الى ذلك انني كنت خلال زيارتي المذكورة للصين اتطلع الى المستقبل وافكر به واراه بعين الحاضر. لقد ادرك الجنرال الفرنسي الراحل شارل ديغول حقيقة رسالتي تجاه الصين، عندما قال لي عام



ناصر النشاشيبي يصافح نيكسون مودعا بعد انتهاء المقابلة

١٩٦٩ بعد ان تحادثنا عن احتمال ان اقوم بزيارة للصين، قال لي ديغول في باريس:

«انا اوافقك على خطتك، ومن الأوفق لنا ان نتفاهم مع الصين الان ونعترف بها الان، اعني بينما الصين فقيرة وضعيفة ومحتاجة الينا، من ان ننتظر ونعترف بها بعد ان تقوى وتشتد، ونجد انفسنا مرغمين، رغم ارادتنا، على الاعتراف بها عندئذ بسبب قوتها وامجادها التي حققتها».

واضاف نيكسون يقول لي:

ـ الامر الذي لاشك فيه، ان القرن الحادي والعشرين سيشهد مولد دولة الصين العملاقة، لابسبب شيوعيتها فحسب، بل لان الصين المعروفة بكل خصائصها التاريخية، ويعني ذلك، اننا لو تركنا الصين تقطع تلك المرحلة الكبيرة من الان الى القرن الحادي والعشرين، وتصل الى ذلك المستوى العظيم وتمتلك تلك القوة المخيفة، دون اي تعاون مع المجموعة البشرية، او اي تفاهم مع الولايات المتحدة الاميركية، فاننا نكون قد اقترفنا جريمة عالمية تصل في بشاعتها الى حدود المأساة. انا اقول انني زرت الصين باكثر من دافع واكثر من سبب. على المدى القصير كان هدفي محصورا في احتواء التهديدات السوفياتية لنا وللصين. ولكني على المدى البعيد كان هدفي اكبر واكثر نبلا وعمقا وعظمة. كان هدفي هو الحرص على تحقيق مصلحتنا الذاتية الخاصة في بناء مستقبل افضل، لانه لن يكون هناك سلام حقيقي في العالم بدون علاقات طيبة بين الصين والولايات المتحدة واليابان، اي بين الدول الكبرى المطلة على المحيط الباسفيكي.

● قلت لريتشارد نيكسون وانا ادخل معه في موضوع المعركة الانتخابية الحالية في اميركا وهو الرجل المجرب للمعارك والانتخابات طيلة الثلاثين سنة الماضية :
● وما رأيك في معركة الرئاسة الاميركية الحالية اعني معركة عام ١٩٨٤ يا مستر نيكسون؟
ومد ريتشارد نيكسون يده الى ساقه التي يشكو فيها ألم انحباس مجرى الدم في بعض العروق وراح يتحسس موضع الالم مرة بعد مرة قبل ان يقول لي وكأنه يشكو ظلم القدر وظلم المرض وظلم السياسة :
ـ انا اعتقد ان ولتر مونديل سيكون في النهاية هو مرشح الحزب الديمقراطي لخوض معركة الرئاسة. وانه ـ اي مونديل ـ سيواجه ريغان في معركة شرسة وحاسمة. وانا اعتقد ان ريغان سيفوز في النهاية ويبقى هو ـ أي ريغان ـ رئيسا للولايات المتحدة الاميركية. لان ريغان سيبرهن خلال هذه المعركة للناخبين الاميركيين انه المرشح الاقدر والمرشح الاحسن. ولكن لو سألتني عن المرشح الجديد مثلا المستر هارت لقلت لك ان الناخب الاميركي في عام ١٩٨٠ قد اعطى صوته بالفعل لما يسمى بالفكرة الجديدة او «الرجل الجديد». وقد نجح ريغان يوم ذاك ضد كارتر، لانه نادى بشيء اسمه الفكرة الجديدة. ولذا عندما يأتي الان السيناتور هارت وينادي بما سبق ونادى به منذ اربع سنوات رونالد ريغان، فان الناخب الاميركي لن ينتخب مرشحا كمونديل الذي كان نائبا لكارتر وكان يمثل الافكار القديمة المعروفة، وكذلك فان هذا الناخب الاميركي لن ينتخب ايضا مرشحا كالسيناتور هارت الذي ينادي الان بافكار جديدة لم يسبق ان جربها احد، ولم يثبت صلاحياتها احد. لذا سيتمسك الناخب الاميركي بالمستر رونالد ريغان الذي اثبت ان «الفكرة الجديدة» التي نادى بها ريغان عام ١٩٨٠ قد نجحت في اميركا الى حد كبير.
سألته :
● وماذا تقول في حملة السباب والشتائم والردح التي بدأها مونديل ضد منافسه هارت والتي جعلت هارت يرفض مجرد مصافحة مونديل في المناسبات العامة؟
اجاب نيكسون: ان مستر مونديل رجل محارب. وقد جاء المستر هارت او السيناتور هارت الى المعركة من المجهول، تسانده وسائل الاعلام، فكان لابد للمستر مونديل من ان يرد وان يحارب بعنف. والكلام العنيف الذي نسمعه الان من مونديل لهارت سنعود ايضا ونسمعه قريبا، وفي هذا الصيف القادم، من المستر مونديل ضد الرئيس ريغان. كل الذي يجري الان سيبقى مجرد مقدمة بسيطة لما سيجري غدا. ان مونديل رجل محارب اشد واعنف واكثر قدرة من جيمي كارتر. انه اقدر من كارتر على النقاش وعلى الكر وعلى الحرب.
وللمرة الثانية عدت بريتشارد نيكسون من جديد الى دنيا الشرق الاوسط عندما قلت له :
● الا تعتقد يا مستر نيكسون ان الرصيد السياسي السوفياتي قد تضخم وكبر في دنيا الشرق

الاوسط نتيجة افلاس السياسة الاميركية في دنيا الشرق الاوسط؟

اجابني نيكسون:

ـ علينا ان نقول ان السوريين، مثلا، والذين تؤيدهم موسكو قد عادوا واثبتوا اليوم بعد فشلهم العسكري عند الغزو الاسرائيلي للبنان، اثبتوا اليوم نجاحا في بعض مواقفهم تجاه قضايا الشرق الاوسط. وهذا في حد ذاته مكسب للسوفيات، ولكني اقول كذلك ان السوفيات ليسوا مرتاحين كثيرا من جراء ترك الامور لحليفهم حافظ الاسد في رسم نوع السياسة التي قد تجر الى حرب جديدة، اما مع اسرائيل، واما الى مواجهة عسكرية مع اميركا. انا اقول بأن السوفيات على المدى البعيد يتمنون الاستيلاء على الشرق الاوسط للوصول والتحكم بالبحر الابيض المتوسط، ولكن من جهة اخرى انا اقول بأني لا اعتقد ان جنرالات روسيا يريدون التورط في مواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الاميركية من اجل تلك المنطقة او في داخل تلك المنطقة.

فقاطعته متسائلا:

● ثم ماذا؟ وماذا يجر يبعد هذه المكاسب السوفياتية في الشرق الاوسط؟

اجابني نيكسون:

لن نلجا نحن ـ اي اميركا ـ للسلاح كي نطرد النفوذ السوفياتي من دنيا الشرق الاوسط. ولا نريد التورط في حرب عالمية ثالثة من اجل الشرق الاوسط. ولا اظن ان السوفيات يريدون ذلك. لذا فان الامر يعني ان السوفيات سيقومون بعد اليوم بدور معين لايتسم بالسيطرة، وانما سيقومون بدور بسيط يساهم الى حد ما في انشاء عملية السلام. لقد رفضنا نحن مساهمتهم في الماضي. وانا لا اعتقد بجدوى اية مساهمة سوفياتية في اية عملية سلام، او في اي مؤتمر دولي، لان السوفيات يذهبون للمؤتمرات الدولية لا من اجل خلق السلام وانما من اجل خلق المتاعب. انا اقول ان دور السوفيات في الشرق الاوسط يبقى موضوعا للنقاش بين اميركا والسوفيات ويضاف الى سلسلة بقية المواضيع المنتظرة على جدول الاعمال.

ـ نحن لن نسمح للسوفيات بأي دور فعال او متميز او مسيطر في الشرق الاوسط او في قضاياه. ذلك لأن دورهم ـ لايهدد اسرائيل وحدها، وانما يهدد جميع دول المنطقة ايضا.

سألته:

● انت مبدئيا ضد فكرة عقد مؤتمر دولي لبحث قضايا الشرق الاوسط اليس كذلك يا مستر نيكسون؟

اجاب نيكسون: هذا صحيح. انا ضد مثل هذه الفكرة. ان مثل هذا المؤتمر الدولي سيولد ميتا. انا اعتقد ان مثل هذه المواضيع يجب ان تترك للتفاوض الثنائي بين اميركا والسوفيات على ان يجري التشاور المستمر بين كل طرف عملاق من جهة وحلفائه في المنطقة

من جهة اخرى.

سألته:

● لذا فأنت ضد البلاغ المشترك بين موسكو وواشنطن عام ١٩٧٧ حول الشرق الاوسط اليس كذلك؟

اجابني نيكسون:

ـ انا اقول ان اي مؤتمر دولي مع السوفيات حول موضوع الشرق الاوسط لن يؤدي في مفهومي الى شيء. لان السوفيات لن يلعبوا الدور الايجابي المفيد في مثل هذا المؤتمر اذا عقد.

سألته بعد التردد:

● ان اراءك يا مستر نيكسون تتسم كما أرى بالتطرف والشدة والاتهام والطابع المحاصر.. هل لاجل هذا تجد وسائل الاعلام في اميركا تناصبك العداء؟

اجابني نيكسون وقد تقلصت عضلات وجهه: ـ

ـ يجب ان اضع خطا فاصلا بين العلاقة الشخصية مع الاعلام الاميركي وبين المبادىء السياسية العامة. فعلى المستوى الشخصي تبقى علاقتي مع رجال الاعلام جيدة. اما على المستوى السياسي فان معظم رجال الاعلام الاميركيين ـ وهذا ليس بالسر ـ يقفون ضدي ذلك لاني رجل محافظ ولاني كذلك في السياسة الخارجية اقف بين الصقور ولان رجال الاعلام يتظاهرون بالليبرالية او يعتنقونها، ولانهم او بعضهم يمثل دور الحمائم في السياسة الخارجية.

سألته مقاطعا:

● ولماذا انت السياسي الصقر في سياستك الخارجية؟ لماذا.. تحب الصقور يا مستر نيكسون؟

اجابني نيكسون وما زالت عضلات وجهه مشدودة:ـ

ـ انا لست صقرا فوق العادة.. اعني انا لست سوبر صقر. وانما انا صقر متطور وقابل للتكييف، اي بالانكليزية انا صقر «بريغماتك». انا احب القوة. انا مع بقاء اميركا قوية دائما. انا مع الارادة الاميركية القوية في مختلف انحاء العالم. انا ضد اي انسحاب اميركي من الشرق الاوسط نتيجة بعض الصعوبات التي انهمرت فوق رؤوسنا مؤخرا. يجب ان نستمر بدورنا الايجابي في لبنان، وفي الخليج ايضا، وكذلك في اميركا الوسطى ايضا. انا لست انعزاليا. انا دولي. انا لاميركا وللعالم، وللقوة في حماية الحق.

قاطعته مرة اخرى من الاسترسال في هذه الانغام القوية الخاصة وقلت له:

● غيرك كثيرون من زعماء اميركا الاقوياء، الصقور ايضا كلهم يا مستر نيكسون يحب اميركا،

وكلهم يدافع عن بقائها قوية، ومع ذلك فان وسائل الاعلام الاميركي تناصبهم العداء كما تناصبك انت. . فما هو السر. . لماذا انت العدو الاول للاعلام الاميركي؟

اجابني نيكسون وقد تضاعفت معالم الدهشة والغضب المرتسمة فوق وجهه المتجهم:

ـ يجب ان لاننسى ان هذه العلاقة المتسمة بالعداء ليست جديدة. اعني انه عداء لم يبدأ ضدي مع قضية ووترغيت، وانما بدأ العداء، واستمر، مع بداية حياتي السياسية. مثلا ساعطيك مثلا. . في استفتاء ما اجرته احدى المؤسسات الاميركية المحترمة مع رجال الاعلام الكبار في اميركا وكل واحد منهم اما رئيس تحرير او كاتب كبير وجدت في عام ١٩٧٢ عندما رشحت نفسي ضد ماكفيرن اورشح ماكفيرن نفسه ضدي انني قد نلت ٦١ من الاصوات مقابل ٨٠ بالمائة نالها ماكفيرن. وفي معركتي ضد هامفري كانت النسبة ٦ لهامفري وواحد لي من بين صفوف رجال الاعلام. انا لا احمل مثل هذا العداء على المحمل الشخصي. ابدا. انا ادرك ان هذا العداء من وسائل الاعلام ضدي يمثل حقيقة سياسية، اذ ان رجال الاعلام هنا لايتفقون ـ وهذا من حقهم ـ مع ارائي السياسية. . لقد قمت مثلا بانهاء حرب فيتنام. نعم انا قمت بانهاء حرب فيتنام التي ورثتها عن سلفي، ورغم ذلك فان رجال الاعلام هنا الذين كانوا هم ضد حرب فيتنام لم يشكروني لاني انهيت حرب فيتنام وانما شكوا مني لاني انهيتها متاخرا. اي لماذا لم انهي حرب فيتنام قبل الوقت الذي انهيتها فيه! اليس في هذا ما يفسر جوانب العداء ويثبت لك معانيه؟

سألت ريتشارد نيكسون مع مشروع ابتسامة:

● ورغم ذلك فأنت لاتكره ولا تحتقر رجال الصحافة، اليس كذلك يا مستر نيكسون؟

وسألني نيكسون بدوره:

ـ هل اسمعك تقول اكرههم؟. . لا!. . هم وحدهم الذين يكرهونني. انا لا ارد على كراهيتهم بالمثل. انك عندما تكره شخصا او تحتقره، فان ذلك يعني بالتالي انك تشعر بشيء من الاحترام نحوه. انا لا احمل نحوهم شعورا خاصا ولكني لا احترم اراءهم. . لا احترم. . لا احترم آراءهم الليبرالية المتطرفة وان كنت أفهمهم.

سألت نيكسون:

● ومن هو كاتبك الاميركي المفضل؟

ـ اجابني بعد تفكير:

ـ هذا سؤال عجيب. انا مثلا احب الكاتب «بل باكلي». . واحب كذلك الكاتب «باتريك» وهما كاتبان محافظان. وكذلك احب ريتشارد ريف، وهو كاتب عظيم، رغم اني اختلفت معه كثيرا حول الصين والسوفيات. وكذلك هناك المستر سالبفري من النيويورك تايمز. اما صحيفتي المفضلة فهي مجلة «يو. أس. نيوز» التي تتميز عن مجلة «تايمز» وعن مجلة

«نيوزويك» انها اقل منها ميلا الى الخيال والعاطفة. اما مجلة «الايكونومست» اللندنية فهي في نظري اعظم صحيفة في العالم.

ثم اضاف نيكسون:

ـ دعني اعود قليلا معك الى موضوع رجال الاعلام، ودعني اؤكد لك ـ وانت من رجال الاعلام ـ انني لم اقم مرة واحدة بالغاء اشتراكي في اية مجلة او صحيفة امريكية بسبب هجومها العنيف على شخصي، ولم اتصل كذلك مرة واحدة بأي صحفي او كاتب امريكي لكي اعاتبه على ما سبق ونشره ضدي. ولم اشك اي صحفي امام المحاكم. ورغم ذلك فاني افهم لماذا تناصبني صحافة واشنطن ونيويورك والتلفزيون العداء.. انهم ليسوا ضدي لاني انا ريتشارد نيكسون لا، انهم ضد ما أحمله واعتنقه وانادي به من آراء.. هل تفهمني؟

ثم اضاف نيكسون قائلا لي:

ـ انا رجل صاحب مبادىء قوية، وصاحب نفوذ وتأثير في السياسة الداخلية والخارجية، وهم اي رجال الاعلام لن يغفروا لي ذلك. لا! لن يغفروا لي قوتي ولن يغفروا لي نفوذي وتأثيري.

وانتهزت فرصة هذا الكلام من مستر نيكسون عن العداء والمغفرة لكي أسأل ريتشارد نيكسون:

● اين موقفك الحقيقي من العرب يا مستر نيكسون؟ هل انت معنا؟ هل انت ضدنا؟ هل انت على الحياد بيننا وبين اعدائنا؟

واجابني ريتشارد نيكسون بصراحة تامة وقد فاجأه سؤالي:

ـ انا صديق للعرب. وقد اعلنت ذلك في رحلاتي الاخيرة التي قمت بها كرئيس للولايات المتحدة الى العالم العربي، والى اسرائيل. قلت للعالم هناك انه ليس منطقيا ولا طبيعيا ان تكون امريكا والعرب على خصومة او على عداء.. الشيء الطبيعي والمنطقي ان تكون امريكا مع العرب.. مع جميع العرب على وفاق وصداقة وتفاهم. وكذلك فاني اعتقد بأن ريتشارد نيكسون هو صديق للعرب، ولي بين العرب اصدقاء مقربين اعتز بهم وبصداقتهم، ومن بينهم الملك فهد السعودي، وهو صديقي الشخصي وكذلك الملك حسين الاردني، وكذلك انور السادات، وكذلك بورقيبة، وملك المغرب. ان من بين اصدقائي ايضا ضياء الحق وهو مسلم وليس عربي. انا في هذه الناحية لي موقف فريد وخاص.. اسمعني.. البعض يرى في نفسه صديقا للعرب وعدوا لاسرائيل، والبعض يرى في نفسه صديقا لاسرائيل وعدوا للعرب. انا صديق للعرب وصديق لاسرائيل معا، وكذلك لاني اعتقد ان مصلحة العرب ومصلحة اسرائيل هي مصالح مشتركة وطويلة وتاريخية، وهذه المصالح تفرض على الجميع،

اي تفرض على العرب وعلى اسرائيل، الوصول الى السلام المطلوب. وانا اعتقد ان على الولايات المتحدة الاميركية السعي الحثيث لتحقيق مثل هذا السلام شريطة ان تكون اميركا صديقة للعرب ولاسرائيل معا في وقت واحد. نحن لن نقدر ان نحقق السلام المطلوب اذا نحن أيدنا طرفا واحدا ضد الطرف الاخر.. هذا شيء مستحيل!.

قاطعته فجأة:

● وهل تعتقد يا مستر نيكسون ان السياسة الاميركية في الشرق الاوسط هي سياسة عادلة او مستقلة او غير منحازة؟

واجابني نيكسون بعد سعال قصير:

ـ انا اقول بان سياسة اميركا لم تكن كذلك في وقت ما في الماضي. ولكن دعنا نلجأ الان الى بعض الامثلة.. لقد قام الرئيس ايزنهاور في عام ١٩٥٦ بانقاذ جمال عبد الناصر وعهده ضد اعتراضات ومقاومة اسرائيل. الان هناك من لايرى في سياستي او في شخصي الصورة المطلوبة التي تؤيدها الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية. نعم ان هناك تأييدا يهوديا قويا لي داخل اميركا. نعم هذا التأييد موجود وانا افتخر به. مثلا في عام ١٩٦٨ عندما خضت المعركة ضد هامفري لم انل سوى ١٥ بالمائة من الصوت اليهودي، ولم انل عندما خضت ضد ماكفيرن، لم انل سوى ٣٢ بالمائة من اصوات اليهود. ورغم اني لم احصل على الاغلبية المطلقة من اصوات اليهود في اميركا خلال معاركي الانتخابية السابقة، الا ان سيدة اسرائيلية مسؤولة كغولدا مائير اعترفت لي في مذكراتها، بأن ريتشارد نيكسون في عام ١٩٧٣ هو الذي انقذ اسرائيل بواسطة المد الجوي العسكري بين اميركا واسرائيل، وان ريتشارد نيكسون هو الذي منع التدخل السوفياتي يوم ذاك عندما بادر الى اعلان الانذار الذري في العالم. لقد قمت بما قمت به يوم ذاك لسببين: اسمع ما هما هذان السببان..

اولا: لاني لم اشأ ان ارى اسرائيل تركع على قدميها او تدفن في القبر. وثانيا: لاني اردت ان اخلق الظروف السياسية المواتية من اجل التمهيد لخلق السلام المطلوب. لقد كانت نتيجة مساعدتنا الجوية التاريخية العسكرية لاسرائيل في حرب ١٩٧٣ ان استطاعت اسرائيل محاصرة الجيش المصري الثالث وهذا بدوره مكننا من الاتصال بالسوفيات وانقاذ الجيش المصري من الهزيمة.

واستطرد نيكسون قائلا:

ـ ولان نتيجة حرب ١٩٧٣ لم تؤد الى انتصار اي طرف على الاخر فقد استطعنا بسبب ذلك ان نمضي قدما في سياسة كيسنجر خطوة خطوة، وسياسة الانتقال بين تل ابيب والقاهرة وبين تل ابيب ودمشق وبين اسرائيل ومصر، وبين اسرائيل وسوريا وتمكنا من تحقيق

الانسحاب المصري والاسرائيلي وفك الاشتباك بين الطرفين، وكذلك تحقيق الانسحاب الاسرائيلي السوري في الجولان وفك الاشتباك بين الاطراف المعنية. وهكذا، هكذا فقط وضعنا نحن حجر الاساس لاتفاقية كامب ديفيد».

ثم قال لي نيكسون:

ـ انا ارجو ان لايسمح اي رئيس من رؤساء اميركا في المستقبل لكي يرى اسرائيل تركع او تموت او تضيع. يجب ان لانسمح بذلك لاسباب كثيرة منها اهوال «الهليكوست» التاريخية والوجود اليهودي الاميركي في بلادنا مع وجود الشعب اليهودي الشجاع. ولكن ذلك لايعني ابدا ان نتجاهل خلق السياسة الاميركية المتوازنة، وبالانكليزية Balanced ولك انت ان تسميها حيادية. فقد علمتني تجاربي في مفاوضة الصين وفي مفاوضة السوفيات وفي مفاوضة الفيتناميين، اننا اذا اردنا لاية سياسة خارجية ان تنجح، فيجب علينا ان نجعلها سياسة متوازنة، واذا لم تكن متوازنة، فهي لن تنجح ولا تفيد ولا تخدم معاني السلام».

وللمرة العاشرة قاطعت نيكسون لكي أسأله:

● اليس الاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني نوعاً من السياسة المتوازية التي تحدثني عنها الان يامستر نيكسون؟

واجابني نيكسون ونظراته تتجه صوب صور بعض الزعماء العرب المعلقة في مكتبه:

ـ اجل. اجل.

ثم اضاف نيكسون:

ـ ان الحقوق المشروعة للفلسطينيين امر حق، ولكن، ضمن الاطار الذي حدثتك عنه، اي حكومة ذاتية وليست دولة عسكرية».

ثم اضاف نيكسون:

ـ وطن قومي للفلسطينيين ، ضمن اسس مبادرة رونالد ريغان، ومرتبط هذا الوطن مع الاردن، وليس شيء اخر».

سألت ريتشارد نيكسون:

● قل لي يا سيادة الرئيس.. لقد سمعتك تفخر بأنك انقذت اسرائيل في حرب ١٩٧٣. فهل كافأتك اسرائيل بقدر هذه الخدمة الكبرى وهل اعترفت لك بالجميل فيما بعد؟

واطرق نيكسون طويلا ثم سعل ثم سمعت نفسي اسأله من جديد:

● بعض الناس يقولون ان اليهود هم الذين اسقطوك في فضيحة ووتر غيت فهل هذا صحيح يا مستر نكسون؟

وعاد نيكسون يطرق طويلا ويسعل قليلا ويتأتىء كثيرا قبل ان يقول لي:

ـ اسمع يا صديقي .

ـ انا لا اصدق هذا. قد ظن بعض الناس انهم بسبب ان بعض مهندسي ووترغيت المتطرفين ضدي كانوا من اليهود، ولذا فقد قيل ان اليهود هم الذين دبروها. وانا لا اصدق هذا ابدا. ان اصدقائي في اسرائيل وعلى رأسهم المستر رابين كانوا متألمين بسبب ووترغيت. كانوا معي في تلك المحنة. انا اقول انه شيء عجيب ان يكون اصدقائي من اليهود الكبار موجودين في اسرائيل وليس في اميركا. ان يهود اسرائيل يناصرونني اكثر من يهود اميركا. وهذا لايعني انه ليس لي اصدقاء من اليهود هنا. عندي هنا مناصرون يهود كثيرون. ولكنهم ليسوا اغلبية. والسبب ان يهود اميركا ليبراليون وديمقراطيون وانا رجل محافظ وجمهوري. انا اكثر محافظة من المواطن اليهودي العادي.

قلت له مقاطعا:

● لقد سمعت ان انور السادات الرئيس المصري السابق كان يعتقد بأن اليهود هم الذين اسقطوك في فضيحة ووتر غيت؟

ـ أجابني:

ـ الحقيقة ان السيدة جيهان السادات هي التي قالت لي ذلك وليس زوجها.

ثم اضاف:

ـ ولكني لم اعط هذا الكلام اي اهتمام، انا اعتقد انني اتحمل نصيبي في قضية ووترغيت ويجب ان ادفع الثمن وقد دفعته غاليا وبالكامل.

● سألت نيكسون عن القضايا الدولية الملتهبة. وبدأت سؤالي بقضية بولونيا..

فاجاب:

ـ قضية بولونيا افهمها كما يلي. انه افضل للبولنديين ان يحكمهم ويضطهدهم شخص بولوني من بينهم من ان يحكمهم ويضطهدهم رجل سوفياتي غريب. انا افضل ان لايكون هناك اضطهاد بالمرة ولكن ان كان لابد من الاضطهاد فليكن المصدر بولونيا من ان يكون المصدر سوفياتيا. ولذا فانه على الولايات المتحدة بسبب عدم موافقتنا على نوع الحكم والنظام في بولونيا ان نقيم الاتصالات ونبني التجارة معا وان لانقرر اية عقوبات او نفرض اية عقوبات مالية او اقتصادية ضد بولونيا قد تلحق الضرر بسببها بالشعب البولوني بأسره ولن تفيدنا شيئا. يجب ان ندرك ان المواجهة تقوي دائما من الحكومة البولونية وتخدم انظمة الديكتاتوريين بينما المفاوضات والاتصالات تضعفها. وعلى اميركا ان تستمر في تنمية التجارية والاتصالات مع بولونيا. ان علينا ان ندرك انه ليس علينا وليس من حقنا ان نشجع الشعب البولوني على ان يكون ضد السوفيات ونفتح بذلك ابواب بولونيا امام التدخل السوفياتي المسلح كما سبق وحدث في المجر. الافضل ان يحكم بولونيا شيوعي بولوني من ان

يحكم بولونيا شيوعي سوفياتي.

سألت ريتشارد نيكسون:

● وماذا عن اميركا الوسطى؟ هل هناك من امل وهل كان هنري كيسنجر موفقا في مهمته الاخيرة الى دول اميركا الوسطى؟

اجابني نيكسون:

- انا اؤيد جميع توصياته التي تضمنها تقريره الى الرئيس ريغان، ولكن الكونغرس يؤخر - للاسف - تنفيذ توصيات هنري كيسنجر. اني امل ان ينجح الرئيس ريغان في اقناع رجال الكونغرس بالموافقة لا على الناحية العسكرية من التوصيات فحسب بل على التوصيات الاقتصادية ايضا. انني اقول بأن المساعدات الاقتصادية لاميركا اللاتينية كلها لا لاميركا الوسطى فحسب جنبا الى جنب مع تقديم المساعدات العسكرية هي الطريق الوحيد لحل مشاكل اميركا الوسطى واميركا الجنوبية معا. دعني افسر واقول ان هناك من ينادي - كالسيناتور هارت المرشح الديمقراطي الحالي مثلا - ان مشكلة اميركا اللاتينية ليست بالتسلل او التدخل الشيوعي وانما بسبب الفقر الموجود هناك. كما ان هناك من ينادي بأن المشكلة محصورة في التسلل الشيوعي وان الحل لن يكون الا بالتدخل العسكري. انا اقول فانه بدون امن لن يأتي التقدم وبدون تقدم لن يأتي الامن. انا اقول بالمساعدات العسكرية واقول ايضا بالمساعدات المالية معها.

سألته ونحن ننتقل من قضايا اميركا اللاتينية الى قضايا عمره:

● هل تظن يا مستر نيكسون بأن دول اميركا اللاتينية تحتاج الى منظمة كمنظمة حلف الاطلسي لكي تنقذها من الخطر الشيوعي؟

اجابني نيكسون:

- ان حلف الاطلسي، واقول انني اجد صعوبة في الحديث عن حلف الاطلسي في الوقت الحاضر، لكني اشعر بأن على حلف الاطلسي ان يزيد من قوته في السلاح. وان على الحلف المذكور كذلك ان يوسع نطاق عمله وشموله وجغرافيته وان يدرك بأن الاخطار السوفياتية لاتأتي اليه فحسب من غزو سوفياتي محتمل قد يكتسح الاراضي الاوروبية، وانما قد يأتي من غزو سوفياتي محتمل قد يكتسح الاراضي الاوروبية، وانما قد يأتي هذا الخطر ايضا من حصار سوفياتي منظم بدأ يمتد بالفعل من افريقيا واسيا ودول الخليج بحيث يحاصر العالم الصناعي. انني اسمع الدول الاعضاء بالحلف الاطلسي تتساءل دائما عما فعلته او عما ستفعله اميركا في مشكلة الغزو السوفياتي لافغانستان او غيرها. واجيب ان على دول حلف الاطلسي ان تفهم تماما بان ما يحدث في الخليج او في افريقيا او في اميركا اللاتينية انما يؤثر عليهم في الدرجة الاولى اكثر مما يؤثر على اميركا، وان عليهم - على دول الحلف الاطلسي - توسيع رقعة ارضهم

جغرافيا الى ما وراء حدود اوروبا نفسها.

قلت لنيكسون:

● وماذا تطلب من هذه الدول الاوروبية ان تفعل الان؟

اجابني: ان تدعو الى اجتماع سريع، وعلى اعلى المستويات من اجل وضع سياسة مشتركة قادرة على ان تواجه السياسة السوفياتية في العالم الثالث وان تواجه وان تعمل في هذا الاجتماع على انشاء سياسة اقتصادية مشتركة مع سياسة تجارية واحدة، وسياسة واحدة مشتركة ضد الارهاب الدولي. انظر الى قصة مد انابيب الغاز من روسيا الى قلب اوروبا وما جرى حولها من خلافات تدعو الى الاسف الشديد..

سألته:

● وماذا تقول في قضية الصواريخ الاميركية التي زرعتموها مؤخرا في قلب اوروبا؟

اجابني نيكسون وكأنه يتحدث عن سهرة موسيقية شيقة:

ـ يجب ان نشكر المستشار كول ونشكر رئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر ونشكر زعماء اوروبا الغربية الذين وافقونا على زرع هذه الصواريخ الاميركية في بلادهم بالرغم من قيام المظاهرات الشعبية عندهم. ان هذا الموقف من هؤلاء القادة يثبت مدى قوة حلف الاطلسي وقدرة هذا الحلف على التلاحم معنا.

سألته:

● الا تعتقد يا مستر نيكسون بفائدة نزع السلاح وسياسة نزع السلاح في هذا العالم المجنون؟

اجابني الرئيس الاميركي السابق:

ـ ان مزية نزع السلاح او فائدة تجميد السلاح موجودة في محاولة ابعاد شبح الحرب عن هذا العالم. ولكن تجميد السلاح في هذا الوقت او نزع السلاح في هذا الوقت سيؤدي الى نتيجة عكسية لان هذا التجميد يعني في الوقت الحاضر ان يبقى الروس وحدهم في موقف عسكري افضل من موقفنا، لانهم يملكون سلاح ذريا متطورا افضل من سلاحنا، وهذا بدوره سيمنع السوفيات من مفاوضتنا لحل اية مشكلة دولية، ويدفع السوفيات الى المزيد من سياسة الابتزاز المعروفة ويرفضون اي تفاوض حول الحد من الاسلحة او الرقابة عليها في المستقبل.

● وسألت ريتشارد نيكسون عن رأيه في مؤتمرات القمة وسياسة مؤتمرات القمة وهل يؤمن بفائدتها؟

فأجابني:

ـ نعم. انا اؤمن بمؤتمرات القمة، واؤمن بفوائدها ومزاياها. وهذه المؤتمرات التي عرفناها في عام ١٩٧٢ و ١٩٧٤ قد ساعدت بالفعل على تقليل احتمالات سوء التقدير او سوء الفهم

عند اي من الدولتين العملاقتين وبالتالي قد قللت من الاخطار الناتجة عن ذلك. انني انادي بتكرار مثل هذه اللقاءات على المستوى الاعلى اليوم وغدا وبعد غد.

سألته وقلبي على هذا العالم كقلبه عليه:

● وهل تعتقد بأن هناك نهاية قريبة لهذه الحرب الباردة في هذا العالم المسكين؟

اجابني نيكسون:

ـ نعم. انا متفائل. ولكن في عام الانتخابات الاميركية الحالي لن يكون هناك اي تغيير. وكذلك فان مجيء القيادة السوفياتية الجديدة في موسكو التي لاتريد ان تساعد ريغان على الفوز في الانتخابات القادمة سيؤدي حتما الى تجميد الامور. ولكني اتوقع انه بمجرد انتهاء الانتخابات الاميركية الحالية ستكون هناك عرقة جديدة تماما بيننا وبين السوفيات. ولكن هذه العلاقة ستختلف عن الصورة التي رسمها لها بعض المفكرين الايديولوجيين. سيدرك كل من الزعيمين الكبيرين عند اللقاء القادم انه ليس هناك قضايا بينهما لاحلول لها. وان الخلاف كبير، نعم. هناك خلافات عميقة قد لانجد لها اية حلول. ولكن من جهة اخرى فان هناك رغبة مشتركة بيننا وبين السوفيات في عدم اشعال حرب نووية هي حرب انتحارية. لذا فان ما نحتاج اليه هو الوصول الى عملية وبرنامج يتضمنان عقد سلسلة من مؤتمرات القمة تجري سنويا ويجري فيها حل المشاكل الممكن حلها مع القدرة على ان نعيش جميعا مع القضايا المستعصية الحل، ولا نجعل هذه القضايا المستعصية سببا في ان نموت او يموت العالم بسببها. هذه العلاقة الجديدة بين الدولتين العملاقتين يجب ان تأتي قريبا وهي اتية قريبا لان الاتحاد السوفياتي يحتاج الى مثلها لا لكي يتجنب اشعال حرب نووية فحسب، وانما لان اقتصاد السوفيات في حالة يأس ولان السوفيات انفسهم لهم مشاكلهم الكثيرة في بولونيا واوروبا الشرقية وافغانستان واثيوبيا. ان النتيجة واضحة على المسرح امامنا جميعا، وهذه النتيجة تقول ان الاشتراكية السوفياتية قد فشلت وافلست. انها عجزت عن الاستمرار. انها مشلولة. ولذا، وبالاضافة الى قلق السوفيات من الصين، فان السوفيات يحتاجون الى هذه العلاقة الجديدة معنا. واميركا تريد مثل هذه العلاقة مع السوفيات ايضا، وهذه العلاقة القادمة لابد منها. ولا ادري بالتحديد متى تجيء، ولكنها ربما جاءت بعد نهاية فترة الانتخابات الاميركية الحالية.

سألت نيكسون:

● هل تعني يا مستر نيكسون ان الاشتراكية السوفياتية، وبعد صراع طويل دام اكثر من ستين سنة، قد وصلت كما قلت، الى حافة الافلاس؟

واجابني ريتشارد نيكسون:

ـ سأجيبك باسلوب جديد. كان احد الصحفيين المراسلين الاميركان قد ذهب الى الاتحاد

السوفياتي بعد قيام الثورة البلشفية وارسل الى جريدة نيويورك هيرالد تريبيون تقريرا قال لها فيه: «لقد رأيت هنا المستقبل، والمستقبل الذي رأيته يعمل ويبني» كان هذا منذ ستين سنة والان ـ والكلام ما زال لريتشارد نيكسون ـ قد رأينا الشيوعية السوفياتية بأعيننا وعلى الطبيعة وعمليا، ووجدنا انها بالفعل لاتعمل ولا تبني. والعالم كله يرى ذلك معنا. وهذه ميزة الغرب الكبرى. ان النظام الغربي يتقدم رغم كل شيء، ورغم كل الغيوم ويشتغل. ان نظامنا الرأسمالي يعطي المزيد من الخير والمزيد من التقدم والمزيد من الحريات للشعوب، بينما النظام السوفياتي يعد الشعوب بالتقدم والازدهار ويعطيهم في الحقيقة الفقر، والنظام الشيوعي يعد الشعوب بالتحرر ويعطيهم في الحقيقة الاستعباد. ان النظام الشيوعي يعد الشعوب بالعدالة ويعطيهم في الحقيقة الظلم. هذه هي الحقيقة كلها. هذا هو الواقع بكل مظاهره وحقائقه.

قلت للمستر نيكسون:

● لقد قرأتك في كتابك الاخير تروي اراءك المختلفة عن مختلف زعماء العالم فهل حدثتني الان عن الزعماء الذين نسيتهم ولم تكتب عنهم في ذلك الكتاب، اني اسألك عن السوفيات ما هو تقييمك للرئيس السوفياتي المسيو تشيرنينكو؟

واجابني نيكسون وهو يهز كتفيه:

ـ انا لا اعرفه رغم اني قابلته. انا اقول انه يشبه بريجينيف اكثر من غيره. كان احد رجال بريجينيف وتأثر به قطعا وسيكون مثله قطعا، وسيسير على خطواته بلا شك.

● سألت نيكسون عن رأيه في هنري كيسنجر فأجابني:

ـ ان هنري كيسنجر احد اقدر رجال الاستراتيجية في رسم خطوط السياسة الخارجية بالعالم في هذه الايام. هذه حقيقة لاشك فيها.

سألت نيكسون:

● وما رأيك في السيدة مارغريت تاتشر رئيسة وزراء الانكليز؟

اجابني نيكسون:

ـ أنا معجب بذكاء هذه السيدة، ومعجب بشجاعتها، ومعجب بجرأتها وصلابتها ايضا.

قلت له:

● وماذا تقول في الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران؟

واجابني نيكسون:

ـ لاتعجبني اشتراكية فرنسوا ميتران ولكني معجب بسياسته الخارجية وخاصة سياسته تجاه السوفيات. ان فرنسوا ميتران، يملك فلسفة، ويملك عقل فيلسوف وهذا الذي يعجبني فيه. كما ان فرنسوا ميتران يمتاز بقدرة عجيبة في استعمال بنود اللغة الفرنسية ومفرداتها وتعابيرها المختصرة المليئة بالمعاني. لقد سمعته ذات مرة يصف مشاكل الموقف الدولي باختصار شديد

ويقول: «ان الشرق الذي ينتج الصواريخ ينتج الصواريخ، بينما الغرب ينتج الاستسلاميين والانهزاميين».

● وعندما سألت نيكسون عن المستشار الالماني هلموت كول اجابني قائلا:

ـ لا اعرف المستر كول شخصيا ولكنه يبدو كزعيم صلب.

قلت:

● وماذا تقول في مناحيم بيغن؟

اجابني نيكسون رافعا يديه بالهواء:

ـ لم احادث بيغن مطلقا. قابلته مرة واحدة في جنازة انور السادات، وبسبب مأساته الحالية ووفاة زوجته، لا أريد ان اتحدث عنه. يكفي ان اردد لك ما سمعته عنه، عن بيغن من انور السادات، عندما قال لي انه بالرغم من انتقادات الناس لبيغن، فانه على الاقل كان يملك الجرأة والقوة على ان يصنع السلام.

قلت لنيكسون:

● انا أسألك عن رأيك في سياسة بيغن اعني أسألك عن تطرفه وتعصبه ودمويته؟

واجابني نيكسون قائلا.

ـ اقول لك للمرة الثانية انا لااريد ان انتقد مناحيم بيغن في هذا الوقت. هذا امر غير مفيد بالمرة فقد مضى الرجل واختفى.

● وقلت لنيكسون ان يحدثني عن الملك حسين.

فأجاب:

ـ كنت دائما احب الملك حسين واحترمه. انه رجل في موقع صعب جدا ولو انه يجيد فن البقاء. ان موقفه صعب وخطير. وفي الماضي، اي في عام ١٩٧٠، حارب الملك حسين السوريين ونحن ساعدناه يوم ذاك كي لاينهزم، وفي لحاضر اصبح بيدي الملك حسين خيبة امله في اميركا، ولكنه في النهاية يبقى دائما افضل واعظم امالنا في القدرة على بناء الوطن الذي يحتاج اليه الفلسطينيون.

قلت:

● وماذا تقول يا مستر نيكسون في الملك فهد ملك السعودية؟

واجابني ريتشارد نيكسون بالحرف الواحد:

ـ انا احمل تقديرا خاصا وعاليا للملك فهد. لقد قابلته عندما جاء إلى اميركا وهو ولي للعهد، واقمت له غداء خاصا على شرفه، كنت انا رئيسا للولايات المتحدة، ثم عدت وقابلته في السعودية، والتقينا لمدة اربع ساعات عند سفري للرياض بعد اشتراكي في جنازة انور السادات.

سألته مقاطعا:

● ولماذا سافرت يوم ذاك يامستر نيكسون من القاهرة الى الرياض ولم تعد رأسا الى اميركا كما فعل كارتر وفورد اللذان كانا معك؟

اجابني نيكسون:

ـ ذهبت الى الرياض لاني احسست ان مقتل انور السادات سيعقبه هزات كبيرة في الشرق الاوسط. وقد احببت ان احادث اصدقائي السعوديين عن المستقبل وكيف سيكون، وماذا سيتوقعون من احداث بالغد. لقد وجدت يوم ذلك في الملك فهد رجلا ذكيا، وسياسيا معقولا وعاقلا، ورجل دولة من الطراز الاول. ومن المهم ان نعمل على تشجيع الملك فهد، وعلى تقديره، خاصة لو عرفنا ان السعودية ليست خالية من الاخطار، فهناك في الشمال القريب توجد الثورة الايرانية، وهناك بداخل السعودية توجد بعض العناصر الراديكالية والخمينية، كما ان تأييد السعودية للعناصر المعتدلة في منظمة التحرير الفلسطينية، يجعلها هدفا لنقمة العناصر المتطرفة في المنظمة الفلسطينية.

سألت نيكسون وكأني افتح الكتاب من أوله:

● وهل تظن يا سيدي ان السياسة الاميركية المعاصرة، قد حاولت ، او تحاول ان تساعد السياسة السعودية على حل المشاكل التي تهم السعودية والوصول معها الى شاطىء السلام؟

واجابني نيكسون:

ـ حسنا. ان اميركا وانا في المقدمة، ورغم كل الحرارة الموجودة في داخل بلادنا وقفنا وراء تأييد قضية الاواكس وحاول الرئيس ريغان ان ينفذ صفقة السلاح الجديدة لمساعدة السعودية.

ثم استطرد ريتشارد ينكسون قائلا بعد تفكير قصير:

ـ انا اقول الان، ان الرئيس ريغان قد اتخذ مواقف تأييد ومناصرة قوية للسعودية، لانه يعلم ان السعودية بثروتها الهائلة، تتمتع بنفوذ سياسي وادبي كبير، لان الدور السعودي لاغنى عنه في اية عملية سلام قادمة في الشرق الاوسط. ان السعودية لاغنى عنها مطلقا لخير الشرق الاوسط ولسلامه.

قلت لنيكسون:

● وماذا تقول في ضياء الحق رئيس باكستان؟

اجابني الرئيس الاميركي الاسبق:

ـ قابلت ضياء الحق وعرفته هنا في نيويورك، وتحادثنا طويلا وتأثرت الى حد كبير بما سمعته منه عن القضايا المتطورة الحالية في بلده، والقضايا المحيطة به. وهناك من يعتقد بأن ضياء الحق مجرد نوع اخر من الديكتاتوريين في اصول الحكم، وانا افهم ذلك، ولكني رغم ذلك

تأثرت به، لانه جندي يعمل في السياسة ولان في السياسة طابع القوة وطابع المسؤولية معا.

● وسألت نيكسون عن رأيه في الملك الحسن:

فأجابني:

ـ للملك الحسن عندي احترام كبير. . هل تدري لماذا؟ لاني عرفته منذ كان وليا للعهد وعندما زرت المغرب بدعوة من ابيه الملك محمد الخامس في عام ١٩٥٧، كان الملك الحسن هو مرافقي الدائم في الزيارة. انه زعيم مطلع وكنز من المعلومات، لا يفوته شيء عن بلده، وعن اوروبا وعن العالم بأسره، واشعر دائما بأن نصائحه واراءه مشمولة بالذكاء والعمق والمعلومات.

سألت نيكسون:

● وما هو الحل الذي تراه لمشكلة الملك الحسن في الصحراء الغربية؟.

اجابني نيكسون:

ـ ان الملك الحسن قادر على معالجتها بكفاءته المعهوده. وخطواته حتى الان، تتسم بالحكمة والواقعية رغم انها تستنزف الكثير من امواله وجهده ودماء جيشه. ودعائي له بالمزيد من مياه الامطار في تلك الصحراء القاحلة. ان القحط هي مأساة المغرب الكبرى.

قلت لنيكسون:

● هل انت موافق على كل ما كتبه عنك هنري كيسنجر في كتبه ومذكراته وخاصة عن حياته في البيت الابيض معك وفي رعايتك؟

ولعل نيكسون قد ادرك طابع الغمز في سؤالي فأجابني:

ـ لم اقرأ كل ما كتبه كيسنجر عني. لقد كتب الكثير، ولم اقرأ منه الا القليل.

سألته:

● ولو لم تكن يامستر نيكسون رجل السياسة الكبير فماذا كنت تتمنى ان تكون؟

ـ واجابني ريتشارد نيكسون:

ـ كنت اتمنى ان اكون محرر الصفحة الرياضة في اية صحيفة يومية. وبالاخص محرر اخبار كرة القدم وكرة السلة. انا لست رياضيا بالمعنى المفهوم، اعني لم اكن لاعبا ماهرا، ولكني اقرأ كل شيء عن الرياضة. ولا تفوقتني مشاهدة مباراة مهمة واحدة من مباريات كرة القدم في التلفزيون. ثم اني كنت اتمنى ان اكون موسيقيا. انا اعزف على البيانو من صغري. . !

سألته:

● هل تجيد فن الغناء ايضا يامستر نيكسون؟

واجابني نيكسون:

ـ لا. لا. كنت عضوا في ناد للغناء ولكني لا اذكر اني مارست الغناء وان كنت اعزف على

البيانو.

وسألت نيكسون عن صديقه الرئيس رونالد ريغان قلت له:

● وماذا تحب في صديقك الاميركي الرئيس رونالد ريغان؟

اجابني نيكسون على الفور:

ـ احب فيه مبادئه. انه رجل صاحب مبادىء ويدافع عن هذه المبادىء.

ثم اضاف:

ـ واحب في ريغان اخلاصه لاصدقائه، ووفاءه لهم ومساعدتهم عندما يجدهم في اية مشكلة.

ثم قال نيكسون:

ـ ان ريغان رجل نظيف، ورجل كريم ورجل عطوف. وعندما تهاجمه الصحف يبتسم وينكت ولايكترث، وانما يرتفع بنفسه فوق الخصومات.

سألته:

● وما هي الاشياء التي لاتحبها في صديقك الرئيس الحالي رونالد ريغان؟

واجابني نيكسون:

ـ ان كانت هناك اشياء لااحبها في صديقي الرئيس ريغان، فأني لست يا صديقي مستعدا لان اخبرك عنها!

سألته لكي احمله على الكلام:

● وهل تلتقي بالرئيس ريغان في هذه الايام الحاسمة؟

اجابني نيكسون:

ـ الرئيس ريغان يهوى الحديث بالتليفون، ومن هنا فاننا نتحدث تليفونيا في عصر كل يوم احد، عندما يكون هو في منتجع كامب ديفيد، ويكون معظم حديثنا المشترك عن الشؤون الخارجية.

● سألت نيكسون وكأني اقرأ في صفحات عمره البالغة ٧٣ عاما:

● وما هي نصيحتك الى رجال السياسة في العالم؟

واجابني نيكسون:

ـ نصيحتي الى رجال السياسة في العالم، اولا: عليهم بالمزيد من القراءة. اعني ليس فقط قراءة الصحف اليومية العابرة، وانما قراءة التاريخ. ان اعظم مزايا اصدقائي رجال السياسة في الصين وفي الاتحاد السوفياتي انهم يكفرون بأسلوب تاريخي، لانهم يقرأون التاريخ جيدا. علينا قراءة التاريخ ولكن رجال السياسة عندنا واعني في دنيا الغرب، يشعرون بأن ليس عندهم الوقت الكافي للقراءة، وخاصة لقراءة التاريخ. وهذا خطأ كبير. وكذلك فاني انصح

رجال السياسة في العالم بأن لايصبحوا اسرى لما يقال عنهم في استفتاءات الصحف او تخمينات الذين يسمون انفسهم خبراء. وكذلك على رجال السياسة عدم التحول من رجال سياسة الى رجال تلفزيون، ومحاولة كسب الجمهور بالاغراء والصورة المنقمة، بدلا من الالتفات الى الرأي الصحيح والكلام القوي.

ثم اضاف نيكسون يقول لي:

ـ بعض رجال السياسة اصبحوا مجرد ممثلين في التلفزيون، ومن واجب السياسي ان يكون به بعض مزايا التمثيل. هذا شيء لابأس به. ولكن بشرط ان يحافظ السياسي في ذاته على مزايا السياسي، ولايسمح لصفات الممثل ان تطغى على شخصيته.

ثم قال:

ـ ان السياسي اصبح اليوم يهمه البحث عما يسعد الشعب ويسره لكي يردده على مسامع هذا الشعب. وهذا خطأ. ان مزية السياسي الكبير، تتجلى في عدم السماح لنفسه بأن يكرب الموجة الشعبية لكي يبني امجاده عليها. ان السياسي العظيم، هو السياسي الذي يقدر ان يتبنى مبدأ عاما، قد لايكون هذا المبدأ شعبيا ولايؤيده رجل الشارع. ولكن السياسي الكبير قادر على ان يجعل من هذا المبدأ شعارا للناس وعقيدة لهم».

وسكت نيكسون..

وسألني بدوره:

ـ هل انتهى الحديث!

سألته وكأني لا أريد لهذا الحديث ان ينتهي:

● يا مستر نيكسون، ماذا تريد للتاريخ ان يقول عنك؟

واجابني ريتشارد نيكسون مع نظرات تلمع في عينيه:

ـ اريد ان يذكرني الناس بأني الانسان الذي ساهم بكل قدرته، وكل امكانياته، لكي يجعل هذا العالم اكثر سلاما للبشر..

ثما اضاف نيكسون:

ـ انا اشير بالذات الى دوري والى مبادراتي في الصين، والى دوري والى مبادراتي في فيتنام، والى دوري والى مبادراتي في الاتحاد السوفياتي، والى دوري والى مبادراتي في أحداث الشرق الاوسط. وقد لاتكون كل هذه الامور وكل هذه المبادرات ناجحة ولكنها لم تكن ابدا ضارة او شريرة. اتمنى ان يذكرني التاريخ بان عهدي كان يختلف تماما ويتميز تماما عن بقية العهود. لقد اعطيت التاريخ دفعات الى الامام وتميزت عن غيري بما فعلته في دنيا السلام لقد فعلت ما عجز غيري عن ان يفعله.

سألته:

● وهل انت رجل محارب يا مستر نيكسون؟

اجابني: نعم. انا رجل محارب وكذلك انا رجل يجيد فن البقاء.

واخيرا انتقلت مع ريتشارد نيكسون الى سؤالي الاخير عندما قلت له:

● نحن الان في عام الانتخابات بكل براكينها وجراحها ومفاجآتها فهلا سمعت منك نصيحة معينة توجهها الى صديقك الرئيس ريغان؟

وصمت ريتشارد نيكسون طويلا.. ثم رفع رأسه امامي وقال وهو يضغط على حروف كلماته:

- نصيحتي الى صديقي الرئيس ريغان، ان يحافظ على رباطة جأشه لكي يلهم الجميع، يلهمنا نحن، بكل الثقة. وانا اقول له بأن ولتر مونديل لن يتوانى في ان يجعل من المعركة الانتخابية الحالية معركة شرسة الطابع والخطوات وان يتخللها انواع من الهجوم الشديد على شخص الرئيس ريغان، وعلى سياسته معا. وانا لا اقول هذا من قبيل النقد، فهذه هي طبيعة الانتخابات او طبيعة اللعبة كما يقولون، كما انها طبيعة ولتر مونديل الشرسة المحاربة التي اثبتها وكشف عنها في حربه الحالية ضد منافسه هارت. من هنا فان على صديقي الرئيس رونالد ريغان ان يحافظ على هدوئه وعلى رباطة جاشه، وان لا يتأثر كثيرا بما قد يسببه له منافسه مونديل من جراح.

ثم قال وهو ينهض عن كرسيه ويقف الى حافة مكتبه.

- ونصيحتي ايضا الى صديقي الرئيس ريغان ان يستمر في خطواته التي بدأها في السياسة الخارجية. انه مسافر قريبا الى الصين، وهذا شيء عظيم وموفق. اما بالنسبة للسوفيات فقد ابقى الرئيس ريغان الباب مفتوحا امامهم للبحث وللتفاوض في المستقبل. وعلينا ان نتذكر دائما، انه بدون قيام علاقات جديدة - اكرر جديدة - بين اميركا والاتحاد السوفياتي فأن السلام في العالم لن يعيش طويلا، ولن تتمتع البشرية بشيء من هذه الحياة. هذا هو مبدئي وهذا هو شعاري وهذا هو معتقدي وعلى صديقي الرئيس ريغان ان يطور هذه العلاقة بأسلوبه وقدرته البناءة المعروفة عنه.

سألته:

● وهل استطاع صديقك الرئيس ريغان ان يجد الحل لما تسمى بمشكلة القيادة او ازمة الزعامة في اميركا؟

اجابني ريتشارد نيكسون والعاصفة الثلجية بالخارج تدق زجاج مكتبه المعلق بالدور الثلاثين، من احدى ناطحات السحاب في مدينة نيويورك:

- نعم. نعم. لا جدال في هذا، اذ لم نعد نسمع شيئا عما يقال عن ضياع الزعامة في هذه البلاد كما كان يسميها كارتر. وسواء اتفقت مع ريغان ام خالفته، فان أحدا لن يتردد بالقول

بان رونالد ريغان قائد قوي ورئيس قوي وانسان قوي.

سألته وأنا اجمع اوراقي مستعدا للانصراف:

● ما هي كلمتك الينا نحن العرب يا مستر نيكسون؟

واجابني ريتشارد نيكسون وهو جالس على حافة مكتبه الضخم:

ـ عندي للعرب نصيحة وليس مجرد كلمة. انا اقول لهم بأن لديهم الكثير الذي يقدرون تقديمه للعالم. عندهم التراث العظيم، والدين العظيم، والتقاليد الحضارية العظيمة، والادب الخالد، وانا اتمنى ان ارى العالم العربي وقد خرج من نطاقه المحدود الاقليمي، وانتشر بكل ما فيه وما عنده في سائر انحاء العالم. ثم ان على العرب مواجهة الواقع المر ـ حتى ولو كان مذاقه مرا ـ وذلك بالنسبة لاسرائيل من اجل اعداد المائدة القادرة على كسر الجمود القاتل في قضية الصراع العربي الاسرائيلي. ان جميع دول الشرق الاوسط بحاجة ماسة الى عصر من عصور السلام. وهذا السلام طريق ذو اتجاهين. والسلام لن يتحقق بفوهة البنادق، ان السلام يتحقق فقط بالمفاوضات والمباحثات والتفاهم. ومعنى هذا ان المفاوضات لن تنجح، الا عن طريق تبادل الثقة، ووجود الارادة الكافية للتغلب على الصعاب الكثيرة. اني ارجو ان يفهم العرب ان اميركا ـ رغم كل اتصالاتنا وارتباطاتنا مع اسرائيل ومع الشعب اليهودي في العالم ـ فأن الاميركيين الذين هم مع اسرائيل ليسوا بالتالي ضد العرب. قلت في عام ١٩٧٤، وانا ارفع كأسي اشرب نخب الملك حسين هنا في اميركا، وفي العاصمة واشنطن وفي البيت الابيض، انه ليس طبيعيا ان يكون العرب مع اميركا على خلاف، ان الطبيعي ان نكون معكم دائما على وفاق، واني اتمنى ان اعيش لكي ارى هذه الامنية وقد اصبحت حقيقة قائمة راسخة.

وسكت ريتشارد نيكسون..

ولولا انه غمس كلامه في طبق السلام مع اسرائيل لاكتفيت بالحديث وانهيته عند هذا الحد ولكني ـ ورغم انفي ـ سمعت نفسي أسأله:

● قل لي يامستر نيكسون: هل هناك امل قريب لان تتحرر اميركا من النفوذ الصهيوني وتقوم بدورها الكبير المطلوب، بحياد وصدق في ارساء قواعد السلام في الشرق الاوسط؟

واندهش نيكسون ان نبدو وكأننا نعود بالحديث معا الى بدايته فقال وسعاله العصبي يسبقه:

ـ هناك عندي امل كبير في ان تصبح امنيتك حقيقة قريبا. هناك رؤية صادقة في قدرة اميركا على ان تقوم بدور صادق وحيادي وفعال في تلك المنطقة وذلك بان نبقى مع اسرائيل دون ان نكون ضد العرب. لا من اجل اسرائيل ولا من اجل العرب وانما من اجل السلام

المطلوب. ولان بقاءنا على ود مع العرب هو ايضا وفي حد ذاته في مصلحة اسرائيل.»

وتوقف ريتشارد نيكسون نهائيا عن الكلام...

سألني وهو يشير الى الشريط والمسجل في يدي:

ـ هل ستحتفظ بهذا الشريط في مكتبك؟

وعندما اجبته بالايجاب ضحك عابسا او عبس ضاحكا وقال ريتشارد نيكسون وكأنه يتذكر فصلا من مأساة ووتر غيت معه:

ـ انا شخصيا اكره الاشرطة واكره التسجيلات..!

وانتهى اللقاء. وانتهى الحديث.

ـ شكراً مستر نيكسون.

★★★

مانيلا - الفلبين - ٨/٣/١٩٨٤

ديكتاتور آسيا .. يتكلم!
مع ماركوس الحاكم والفيلسوف والطاغية .. وزوج الست "إيملدا ماركوس"!

مانيلا - الفلبين - ٨/٣/١٩٨٤

ديكتاتور آسيا.. يتكلم!
مع ماركوس الحاكم والفيلسوف والطاغية.. وزوج الست "إيملدا ماركوس"!

حياً، كان ام ميتاً، سيبقى أسمه منشوراً في الصفحات الأولى من جرائد العالم، وفي صدر النشرات الرئيسية للاذاعات والتلفزيون في مختلف انحاء الأرض!

وآثار حكمه، ستبقى حية تصرخ، ما بقي ماركوس على قيد الحياة، والى سنوات طويلة قادمة بعد ان يسقط، او يقتل أو ينتحر او يموت!

ولن يعرف التاريخ المعاصر، حاكماً ضحك على الشرق والغرب، وسخر من واشنطن وموسكو، وخدع نيكسون وكارتر وريغان كما خدع برجينيف واندروبوف وكوربوشوف، وفتك بالأقلية الاسلامية في بلده وهزأ بالكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان، كهذا الرئيس الفليبيني الثعلب: فرديناند ماركوس!

وقد تكون العاصمة «مانيلا» هي مدينة الفسق والفجور والحب المباح، ولكنها ايضاً، المدينة التي تتعلم منها بقية دول جنوب شرق آسيا، اصول الخداع السياسي والتقلب المبدأي والتنقل الذكي بين احضان الشرق من جهة، واحضان امريكا من جهة اخرى!

وفي قصرهِ الرسمي في قلب مانيلا، كان لقائي مع فرديناند ماركوس، في «غداء عمل» ظهر يوم الثامن من شهر مارس من عام ١٩٨٤.

وكان معنا على مائدة الغداء معظم رجال الوزارة وكبار المستشارين.

ورأيت مشهداً لطيفاً دلني كيف يتحول الرئيس الأول الى استاذ مدرسة ويصبح الوزراء الكبار امامه مجرد تلاميذ صغار... صغار!

ولنبدأ الحديث...

عندما دخلت على الرئيس «فرديناند ماركوس» في مكتبه بقصر مالكن يانج الذي بناه الاسبان عندما حكموا الفلبين.. كنت لا افكر في حاضر هذا القصر فحسب بل كنت أفكر في ماضيه وفي مستقبله ايضا، ففي الماضي سكن هذا القصر الغزاة الاميركيون في أواخر القرن الماضي. ثم سكنه اليابانيون عندما احتلوا مانيلا ابان الحرب العالمية الاخيرة.. ثم سكنه الجنرال ماك آرثر بعد تحرير مانيلا من اليابان ثم أصبح المقر الرئيسي لرؤساء الفلبين واخرهم ماركوس الذي مضى عليه في القصر الحالي حوالي ١٩ سنة.

من يدري من الذي سيقطن هذا القصر غدا وبعد غد. رجال المعارضة يستعدون للدخول الى القصر، ورجال الحكم يستعدون للمواجهة من أجل البقاء في القصر. البعض يقول ان هناك نقمة وثورة ومشاعر مكبوتة وحرية ضائعة والبعض الآخر يؤكد ان اعداء الفيليبن في الخارج هم وحدهم يختلقون الاخبار وينشرون الاشاعات عن هذا البلد.

المواجهة بين الطرفين قائمة وعلى أشدها. والشارع في العاصمة يبدو وكأنه بركان مغطى بالحشائش والزهور. قد ينفجر في اية لحظة وتتحول الزهور الى قبور وتتصاعد حمم الموت والدمار.

لذا باتت مانيلا قصة كل آسيا في هذا الربيع، وستصبح ايضا من أكبر مهازلها.

فالاقتصاد هنا كما يقول البعض في فوضى. والسياسة هنا كما يقول البعض في تحول.. وثورة الشيوعيين في الجنوب كما يؤكد البعض تتضاعف وتزداد. ولا مكان للتفاؤل الا عند الذين لا يعلمون او الذين يستمتعون بنعمة الغباء.

قلت لهم ان البلد اشبه بثورة متأججة. قالوا: هذه أكاذيب يخترعها الاميركيون.

قلت لهم ولكن هناك ثورة في الجنوب تكاد تفصل الجنوب عن الوطن الام. فأجابوا: هذه اكاذيب يخترعها الشيوعيون.

وبين الشيوعيين في الجنوب والاميركان في الشمال ضاعت الحقيقة عني في دنيا الفيليبن. وتسمع من يضع المسؤولية في كل ذلك على الرئيس ماركوس وعلى عائلته ويتهمهم بالثراء غير المشروع واستغلال النفوذ، وتسمع كذلك بأن الرئيس يحكم الفلبين بيد من حديد تكاد تكون جميع اصابع صاحبها ملطخة بدم الثوار. وتسمع كذلك الأساطير والقصص عن خلاف الرئيس مع زوجته التي تطمع بأن تكون خليفته، وعن نفوذ هذه السيدة الاسطورية التي تحكم البلاد من وراء الستار. يضاف الى ذلك كله ان الفلبين تقف على عتبة الانتخابات البرلمانية المقبلة في شهر مايو القادم قد تأتي الى البرلمان بمعارضة ساحقة وقوية. وان صحة الرئيس ماركوس تشكو من مرض في عينيه. وان العلاقات الودية الوردية التي كانت تربط بينه وبين الدولة العظمى اميركا قد تقهقرت الى النقيض. وان الظروف قد اصبحت تفرض على الرئيس ان يوافق على اختيار نائب رئيس له يشاركه المسؤولية وبعض الحقوق وبعض الواجبات وان البلاد كلها تقف على كف عفريت.

من هنا كان حرصي على ان ازور الفلبين وان اطلب مقابلة رئيسها فردناند ماركوس فقد ضاعت عني الحقيقة في دنيا الفلبين. دوائر الحكومة واقطابها يسخرون من كل الاشاعات والاخبار المبالغ فيها والتي تنشر عن الفلبين في الخارج. انهم يؤكدون ان الحالة هادئة والشعب سعيد والامن مستتب والدنيا بالف خير. ولكن الاسئلة الحائرة لم تفارقني لحظة واحدة منذ وطئت قدماي أرض الفليبين.



ناصر الدين النشاشيبي يستعرض مع الرئيس ماركوس رئيس الفلبين مشروع اسئلته

كان في جعبتي للرئيس الفيلبيني وأنا أستعد لمقابلته الف سؤال وسؤال:

من قتل زعيم المعارضة الراحل المستر جونيو؟ وهل ستصبح إيميلدا ماركوس زوجة الرئيس هي الرئيسة القادمة للفيلبين؟

ولماذا انقلب الحب مع اميركا الى عداء؟

وماذا تريد اميركا من ماركوس؟

وماذا يريد المسلمون من ماركوس؟

وماذا يريد الشعب من ماركوس؟

وماذا يريد ماركوس نفسه من ماركوس الرئيس؟

وأي نوع من الناس هذا الرئيس ماركوس الذي يعلم كثيرا ويتهمه اصدقاؤه انه مع العلم الكثير يرفض ان يعمل شيئا.

ولماذا يحاول ماركوس ان يخلد نفسه بالصور والتماثيل كما يقول عنه خصومه؟

وهل سينوي الاستقالة تحت ضغط الشعب الناقم؟

وما هو موقف الجيش الفليبيني؟

ولماذا يتعرض ماركوس الى نقمة الاغنياء وأصحاب الملايين بينما هو الرئيس الرأسمالي المولع بطبعه بالمحافظة على الحكم.. ولماذا تستمر صحافة اميركا بالحملة على ماركوس وتصف عهده بالفساد وتصف حكمه بالدكتاتور وتصفه بالطمع والجشع والحرص على الحكم الذي مضى عليه فيه ١٨ سنة كاملة؟

لقد حملت كل هذه الاسئلة.. ودخلت بها على الرئيس الفيليبيني الصارم فرديناند ماركوس في مكتبه المزين بصور الرؤساء السابقين وبآلاف الكتب المرقومة وباعلام الفيلبين الملونة.. وقلت له قبل ان أقرأ عليه السؤال الأول:

ـ هذه أسئلتي. وأنت الان وحدك يا سيادة الرئيس رئيس التحرير، ولك الحق الكامل بأن تشطب من هذه الاسئلة أي سؤال لا يعجبك وان ترد منها على السؤال الذي ستختاره.

وابتسم الرئيس الفيليبيني لأول مرة ابتسامة قصيرة.. ثم بدأ يستعرض اسئلتي ويسمع مني سؤالي الاول.

قلت له هل نبدأ؟

قال: بالطبع..!

وقرأت عليه هذا السؤال:

● ما هي أوجه الاختلاف بين بلادكم والولايات المتحدة الاميركية؟

ـ ليس هناك ما يعكر العلاقات بيننا وبين الولايات المتحدة. فقد كانت دائما حليفتنا المقربة وشريكتنا التجارية الرئيسية. واذا حدث أي خلاف بيننا فاننا نلجأ الى حله عن طريق المفاوضات وفي روح من الاخوة والاحترام المتبادل.

● هل تشعر بمخاوف من «الصحافة» العالمية التي تميل الى نشر كتابات سلبية عنك؟

ـ لا! بامكاننا ادراك ردود فعل الصحافة العالمية خاصة وسائل الاعلام الاميركية التي تميل الى الكتابات السلبية عنا. فمنذ فرضنا قانون الاحكام العرفية ومحاولتنا تشكيل نظام الحكومة الخاص بنا الذي يتعارض مع ناصحنا الاستعماري المخلص ـ الولايات المتحدة الاميركية ـ بدأت الصحافة الاميركية في التهجم علينا. اننا نشعر على اية حال انها حرة في ما تنشره وذلك انطلاقا من ايماننا المطلق بحرية الصحافة.

«إن ما نطلبه من تلك الصحافة هو اعطاؤنا فرصة للتدليل على حسن نوايانا ـ وتوخيها النزاهة والموضوعية في ما تورده من انباء خاصة بالاحداث في بلادنا.

● ترى متى تكون قادرا على الاجابة عن كافة الانتقادات التي توجه اليك خاصة وأنك تترك الكثير من الاسئلة دون جواب؟

ـ لا اعتقد ان باستطاعتنا ارضاء منتقدينا الذين لا يتوخى بعضهم جانب المنطق. على سبيل المثال لا الحصر يطالب بعض نقادي المفترضين اجراء مصالحة وطنية، لكن المصالحة بالنسبة لهم تعني ضرورة استقالتي وتسليمهم السلطة. وبالطبع ليس بوسعي عمل ذلك.

لقد اعيد انتخابي لفترة ست سنوات اخرى تنتهي في عام ١٩٨٧. اذا استقلت من منصبي فان ذلك معناه خيانة شعبي.

● هناك موجة اسلامية حقيقية ماثلة أمامكم ـ ما نسمعه انه يجري قمع هذه الموجة ترى هل



ناصر الدين النشاشيبي في مقابلته مع رئيس الفلبين ماركوس

تشعر ان هذه الفئة تعد العدة لثورة ضدكم؟

ـ ربما كان ما تعنيه الحركة الانفصالية في جنوب الفلبين. لقد تلقينا تقارير مخابرات مفادها ان اخواننا المسلمين المغرر بهم الذين سعوا في الاصل الى الانفصال قد تسربت الى صفوفهم ايديولوجيات شيوعية بغيضة. لا ادري كيف يتحقق الانسجام بين الجانبين، وذلك لان الاسلام كدين ونهج حياتي مناهض تماما للشيوعية الالحادية. لكننا لا نجد اي دليل على عمل مشترك من جانبهم ـ سواء اكان كفاحا مسلحا او غيره. كل ما في الامر ان هناك اشتباكات متفرقة بين قواتنا والعناصر الانفصالية التخريبية، لكن مثل هذه الاشتباكات قلت في الاونة الاخيرة وتحدث خلال فترات متباعدة.

● تم ابلاغنا بأن سلطتك مطلقة كما ان سلطة السيدة قرينتكم كذلك، فعليه كيف والحالة هذه تدافع عن نفسك حيال مثل هذه الصيحات.

ـ بالطبع هذا ليس صحيحا. اننا عبارة عن حكومة برلمانية، بصفتي كرئيس لحركة المجتمع الجديد الحاكمة «كيلوسانغ باغونغ ليبونان» فانني أترأس مؤتمر الحزب الذي يتخذ القرارات حول السياسات والبرامج الرئيسية للحكومة. كما ان اي قرار مهم للحكومة لا بد وان تتم الموافقة عليه في المؤتمر الحزبي الذي أترأسه، وكما ترى، فانني لا اتخذ قرارات حول اي من المسائل الرئيسية. وهذا هو النهج الذي تسير عليه حكومتنا.

« بالطبع لدينا كذلك الهيئة التشريعية التي تعتبر مسؤولة بشكل رئيسي عن اتخاذ القرارات

وبموجب دستورنا فانني مخول ايضا باصدار المراسيم او القوانين ولكنني استخدم هذه السلطة فقط في الحالات الطارئة وعندما لا يكون هناك اجتماع للهيئة التشريعية او ان الهيئة لا تستطيع معالجة مثل هذه الحالات في الحال.»

«. وعدا عن الهيئة التشريعية، لدينا هيئات دستورية ليست لي اية سيطرة عليها باستثناء تعيين أعضائها، مثل: المحكمة العليا، هيئة التدقيق وهيئة الانتخابات.

«. اما بالنسبة للسيدة الاولى فانها تتولى رئاسة وزارة المستوطنات البشرية كما انها محافظة لميترو مانيلا. كانت عضوا في اللجنة التنفيذية، لكن تلك اللجة الغيت بموجب تعديل دستوري تم في يناير الماضي وقد استقالت من اللجنة قبل الغائها وذلك لاسكات شائعات عن رغبتها في ان تخلفني في السلطة.

«. على وجه التحديد لديها بعض السلطات لكنها ليست مطلقة كما تقول. لا احد يتمتع بسلطة مطلقة في البلاد.»

«. اننا نؤمن بأداء ما علينا من واجبات، كما اننا نحترم الحقوق السياسية لشعبنا.»

● الولايات المتحدة الاميركية تعتبر جبل رشمور «ماونت رشمور» رمزا لتكريم مؤسسي الديمقراطية العظام. نستشف من خلال الصحافة انكم حذوتم حذوها في بلادكم. ترى هل هناك شعور من هذا القبيل تجاهك تماما كما تشعر تجاه نفسك؟

ـ ربما كنت تشير الى تمثال نصفي نصب على سفح احد التلال المطلة على طريق ماركوس المؤدي الى باغيو يجب ان اصحح انطباعك بان ذلك التمثال نصب هناك بناء على تفويض مني. لا أشعر ان النصب التذكارية ستكون عبارة عن تراثي لبلادي.

● لقد احطنا علما بان الفلبين تأتي في الرتبة الثانية بعد المكسيك التي لديها اكبر نسبة من الفساد في العالم. ترى ما هو مدى اثر ذلك على تطلعات الاشخاص الذين يتطلعون الى القيام باعمال تجارية واستثمارات في بلادكم؟

ـ انني امقت ان اخيب امال الشعب، ولكنني لا اعتقد بصحة ذلك التقييم.

حتى فانني اشعر بالدهشة والاستغراب كيف ان بعض الناس يتجرأون على القول بان المكسيك لديها «اكبر نسبة من الفساد» في العالم. واذا افترضنا جدلا بان ذلك صحيح، ولكن كيف استنتجوا بان الفلبين تتبوأ المركز الثاني في الفساد؟ لا اعتقد ان هناك بلدا ما في العالم يخلو تماما من الفساد لكن بشكل او باخر اعترف بان لدينا في الفلبين بعضا من أشكال هذا الفساد.»

«. لهذا السبب لدينا قوانين ضد الابتزاز، ومحاكم خاصة للنظر في قضايا الفساد. لقد بذلنا وسنواصل بذل الجهود من اجل التقليل من الفساد ان لم نستطع استئصاله تماما.

«. ومما يذكر ان الناس الذين لديهم مصالح تجارية واستثمارية في الفلبين يعرفون تمام المعرفة



الرئيس الفلبيين ماركوس يهدي مؤلفاته ويوقع اهداءه عليها الى ناصر الدين النشاشيبي

العقوبات التي تفرض ضد الفساد. وزيادة على ذلك فان بعض هؤلاء الاشخاص ساعدوا الحكومة في حملتها المستمرة ضد الفساد عن طريق الكشف على السائرين في فلك الفساد، الامر الذي اشعر بالارتياح حياله اكثر من اي شخص اخر في الحكومة الفيليبينية. انني أرغب في وضع حد للممارسات الشريرة الخبيثة لان الحكومة والناس الذين لهم مصالح واستثمارات في الفلبين هم ضحايا الاول لمثل هذه الممارسات. وفي غياب الاجراءات الرادعة لا نتوقع ان يأتي اي من رجال الاعمال والمستثمرين الاجانب الى بلادنا لانشاء مصالح فيها. »

● عمدت الولايات المتحدة بالتدريج الى قطع المساعدات التي تقدمها لبلادكم. هل تم ابلاغك رسميا باستياء الولايات المتحدة منك؟

ـ في الوقت الذي قدمت فيه الولايات المتحدة مساعدات للفلبين، الا انه ليس كل ما قدم الينا تم على شكل مساعدات. وانما القضية الحالية هي ان الفلبين تتوقع الحصول على مخصصات مقابل استخدام الولايات المتحدة لقواعد عسكرية في الفلبين. وسنقوم باستخدام ما نحصل عليه من اجل التطوير العسكري والتنمية الاقتصادية.

« . وسواء اكانت الولايات المتحدة مرتاحة ام غير مرتاحة فذلك موضوع آخر. المسألة هي مسألة موافقة الجانبين على شيء ما يرضيهما. والفلبين والولايات المتحدة كدولتين صديقتين وكحليفتين تمكنتا من ايجاد الحلول لبعض المشاكل وذلك لما فيه مصلحتنا.

● الى اي مدى تتأثر بالمعارضة وهل أنت مرتاح للاجوبة المقدمة الى معارضيك؟

ـ المعارضة أمر متوقع في جو ديمقراطي كجونا. المشكلة الوحيدة هي ان هناك من

يعارضون فقط لشعورهم بالاحباط في جهودهم الرامية الى الوصول للسلطة او المعارضة لا لشيء سوى الرغبة في ذلك. ولا شك ان مثل هذا النوع من المعارضة يؤدي الى آثار عكسية علي وعلى الحكومة. اما النوع الاخر من المعارضة فهو ذلك الموجه ضدي او ضد الحكومة ولذلك لا بد من اتخاذ اجراءات مناسبة لتقويم المسار الخاطىء. نحن نرحب بهذا النوع من المعارضة بالطبع.

● ابلغت شخصيا بانك تعلم تماما كما يعلم غيرك من هو قاتل اكوينو. الم يحن الوقت لاجابة العالم عن التساؤلات حول حقيقة الامر؟

ـ ان من ابلغك بانني اعرف قاتل السناتور السابق اكوينو لا بد ان يكون إلهاً او انسانا احمق. كا ما اعرفه عن الحادث هو انه حادث يؤسف له. لو انني كنت قد ارتكبت الحادث لعرفت ذلك لكن لم اكن الفاعل بالطبع. لكن كوني رئيسا للجمهورية لا بد ان اتحمل عبء ملاحقة الموضوع لمعرفة الجناة. ولذلك فانني شكلت لجنة فيرناندو للتحقيق في الامر، ولكن تلك اللجنة ما لبثت ان حلت بسبب اتهامات وجهت اليها بانها لا تستطيع ان تكون غير منحازة. والان يتولى مجلس آخر التحقيق في القضية. هذا كل ما اعرفه. واقول للعالم عليه الانتظار لمعرفة النتائج من خلال تقرير المجلس حول هذا الامر. وتأكد ان عقوبات مناسبة ستنزل بحق الجناة...»

وسكت ديكتاتور اسيا. وشعرت وانا أودعه بعد نهاية الحديث انني اودع حاكما لن يبقى على قيد الحكم، ولن يبقى على قيد الحياة..!

ودعته لآخر مرة قبل ان يستقيل أو ان يموت.!

... وانتهى حديث ماركوس!

ولكن حديث الفليبين لاينتهي.

ولا أعرف بلداً واحداً، سواء في اسيا ام في افريقيا؛ قد تخلى عن طابعه، وتنازل عن تقاليده، وتحول الى مايشبه «الكباريه» الضخم، او منزل كبير مشبوه او ماخور دولي كهذا البلد الذي اسمه: الفلبين!

والذي يدعو الى السخرية ان امريكا بالذات، هي التي ـ من خلال ملاينها، ودولاراتها، وقواعدها الجوية، ونفوذها وصداقتها المشبوهة مع ماركوس، وزوجته، قد أحالت «مانيلا» العاصمة الى ما يُشبه البلد الدنس المليء بالعاهرات والأمراض السرية والبيوت الحمراء وحياة المخدرات والقوادين والقتلة والنصابين! ومع الفقر، والدنس، والجوع، وجشع الكنيسة في الأستيلأ على الأراضي من المسلمين الفقراء في الجنوب، وفساد الحاكم وديكتاتورية النظام، تحول شعب الفلبين الى شعب من الخدم او من المهاجرين للبحث عن لقمة العيش.

لقد مشيت في شوارع «مانيلا»، فرأيتُ صوراً من ابشع مايراه المرء ـ عادة ـ في اخطر

وأحقر أحياء همبورغ وميونيخ ونابولي ونيويورك من فحش وعربدة وصفقات مشبوهة! كانت الأنوار الحمراء اكثر عدداً من المنازل! وكانت ارصفة الشوارع تضج بالفتيات القاصرات اللواتي خرجت الى السوق بحثاً عن المال الرخيص! وكان الفقر الشديد منتشراً في كل مكان وكانت نظرات الأولاد والبنات تحت أعمدة النور مليئة بالأسى والحقد والمرارة! ولا أدري لماذا تلتزم أمريكا جانب الصمت على ماركوس وزوجته وأسلوب حكمه طيلة العشرين سنة الأخيرة! والى متى يستمر هذا الصمت؟ اعني، الى متى تتولى اكبر دولة في العالم مهمة حماية الفساد والرشوة والحكم الظالم في شخص فرديناند ماركوس؟ عشرون سنة من الوجود الأمريكي المتسلط فوق رقاب كل «فلبيني»، أستباح الارض وأستباح العرض، واستباح الثروة الطبيعة، وترك لماركوس حرية التصرف بمصير «ستين مليون» فلبيني على طريقته الخاصة!

أمريكا تعلم جيداً، عن كل شبر ارض، وكل دولار يملكه ماركوس او تملكه زوجته ـ ايملدا ـ في داخل امريكا وفي خارجها. وأمريكا تعلم من أين، وكيف جمع ماركوس وعائلته تلك الأموال؟ ورغم ذلك، فإن بعض رؤوساء امريكا من امثال جيمي كارتر ورونالد ريغان مازالوا يتحدثون عن حقوق الانسان، والحكم الديمقراطي، وارادة الشعوب، وحق تقرير المصير بينما هم يحالفون الفساد ويحمون العهر ويدافعون عن أبشع انواع الحكم الديكتاتوري الفردي!

وسيأتي يوم قريب، تستفيق فيه أمريكا من غفلتها وتنفض يدها من ماركوس. . تماماً، كما استفاقت في ايران ونفضت يدها من الشاه! وكما جرى بالأمس، سيجري غداً. وقد يسقط ماركوس، ولكنه اذا سقط، ستدخل الفلبين في دوامة من الانقلابات والثورات وسفك الدماء، لايعلم مداها الا الله!

قد يسقط حكم «المافيا» في دنيا الفلبين! ولكن «المافيا» التي حكمت عشرين سنة، قد تشعبت وتفرعت وانتشرت واسست، بحيث يصبح سقوطها غير كاف لكي تعود الأمور الى حالتها الطبيعية.

امريكا ادخلت الفلبين في هذا النفق الفاسد المظلم الطويل، وعليها وحدها تقع المسؤولية في كل ما جرى، وما سيجري غداً من اضطرابات وثورات في جنوب شرقي آسيا! امريكا ـ من اجل الحفاظ على قاعدتي خليج «سوبيك» البحرية، وقاعدة كلارك الجوية، اطلقت لمأجورها ماركوس حرية الفساد!! لقد سمعت رئيس وزراء سنغافوره يقول لي بعد ان علم انني قادم من زيارة الفلبين:

ـ الفلبين في مفهوم شعوب شرقي اسيا، ليست وطناً ولا دولة. انها مجرد كباريه للترفيه عن شباب العالم عامة، وعن جنود الأسطول الامريكي وبحارته. . خاصة!»

ثم اكمل قائلاً:

ـ وفي الكباريهات، تنشب عادة الخناقات والاشتباكات بين الزبائن بسبب السكر والجو العفن! وهذا ما سيحدث في الفلبين! ان الزبائن ـ وأعني الامريكان ـ سيحطمون في النهاية فوانيس «الكباريه» ويضربون الخدم ويقذفون بزجاجات الخمر فوق رؤوس الحاضرين ويخرجون وهم يرددون اغاني السكاري والمخمورين والمُخدَّرين. !»

وداعاً يا مانيلا..

وركبت الطائرة الى .. هونج كونج، وسنغافورة!

★★★

بالم سبرنجز - لوس انجلوس - ٣ / ٥ / ١٩٨٤

جيرالد فورد...
ليس مجرد رئيس بالصدفة
إنه يلعب الغولف أيضاً!

بالم سبرنجز ـ لوس انجلوس ـ ٣ / ٥ / ١٩٨٤

جيرالد فورد... ليس مجرد رئيس بالصدفة إنه يلعب الغولف أيضاً!

عندما مات فرانكلين روزفلت، اصبح نائبه هاري ترومان رئيساً للولايات المتحدة الاميركية.

وعندما مات عبد الناصر، أصبح نائبه انور السادات رئيساً لجمهورية مصر.

وعندما سقط ريتشارد نيكسون، أصبح وكيله جيرالد فورد رئيساً اصيلاً.

وقال الناس عن هاري ترومان قبل وفات روزفلت انه مجرد جثة، ولكنه بعد ان دخل البيت الابيض اثبت انه اخطر «والعن» رؤساء امريكا.. وانه اول من أمر بالقاء القنبلة الذرية فوق اليابان، واول من أمر بالاعتراف باسرائيل، على جثث العرب!

وقبل ان يموت عبد الناصر كان انور السادات مجرد نكتة. كانت وظيفته لتسلية الرئيس، والقاء النكت، والتغني بخلود جمال عبد النصر، وزيارة دول الخليج العربي من أجل جمع الأموال باسم الاسلام تارة، وباسم «جيبه» الخاص تارات، وتارات!

وعندما أصبح السادات رئيساً للجمهورية، أثبت انه اخطر «والعن» رئيس عرفته مصر في تاريخها الحديث. كما اثبت انور السادات انه العدو الأول والاكبر لكل ما نادى به رئيسه من معتقدات وشعارات وفلسفات وسياسيات..!

وعندما سقط ريتشارد نيكسون، قال الناس ان الكرسي سيبقى اكبر من ان يملأه رجل مثل جيرالد فورد.

وكان «فورد» عند «حسن» الظن فيه فاكتفى من الكرسي وسلطاته بالعفو عن رئيسه السابق، ثم السفر الى موسكو للالتقاء بالرفيق برجينيف!

ترى اي نوع من الرجال هذا الرجل..

قلبه طيب كالطفل، وجثته ضخمة كالفيل.

ولكن ماذا عن رأسه؟. عن عقله؟. عن تفكيره؟. عن ذكائه؟. عن دوره في التاريخ؟

من أجل العثور على الأجوبة الصحيحة، لهذه الاسئلة، كلها او بعضها، ركبت الطائرة من جنيف الى لندن، ومنها الى نيويورك ومن نيويورك الى لوس انجلوس، ومنها الى مدينة «بالم سبرنجز» في قلب صحراء كاليفورنيا، حيث يعيش جيرالد فورد، ويلعب الغولف،

ويقضي معظم شهور السنة مجاوراً للمغني فرانك سيناترا، والممثل بوب هوب. .
كان ذلك، كله، في مساء الخميس ٣ إيار «مايو» من عام ١٩٨٤. .
وكان هذا الحديث. .

عندما قلت للرئيس الاميركي الاسبق ريتشارد نيكسون في لقائي الثاني معه ان مقابلتي مع خلفه جيرالد فورد قد دامت ساعة كاملة، فتح نيكسون عينيه وقال في دهشة:

ـ هذه معجزة لان جيرالد فورد لا يطيق الصحافيين ولا يحب الحديث في السياسة. . !

وعندما انتهت مقابلتي مع الرئيس جيرالد فورد احسست بان «المعجزة» ليست محصورة في مدة المقابلة وحدها، وانما المعجزة ان طائرة الهليكوبتر التي حملتني وحيدا من لوس انجلوس الى مقر جيرالد فورد في قلب الصحراء عند مدينة بالم سبرنغز لمدة ساعتين كاملتين، لم تسقط بي بين الجبال والصخور تحت ضغط العواصف الصحراوية المخيفة التي كانت تهب مع موسم الربيع من شواطىء المحيط الهادي متجهة عبر الصحراء الى القارة الاميركية. . !

كانت النجاة من الموت في حد ذاتها معجزة. . !!

اما المعجزة الثالثة في ان يقتنع جيرالد فورد بان يترك لعبة «الجولف» لمدة ساعة كاملة ويقضي الساعة مع صحفي من الشرق، لا يلعب الجولف ولا يتحدث الا في السياسة التي يكرهها جيرالد فورد. . !

وطيلة الحديث، لم يبتسم جيرالد فورد مرة واحدة. كان وجهه أشبه بتمثال من الشمع في معرض مدام «توسو» الشهير في لندن.

وكانت أصابع يديه، أشبه بأصابع «البيانو» طويلة ومتحركة، وتلفت النظر. . !

وقد يكون مفهوما ان يهوى الانسان نوعا خاصا من الرياضة كالجولف او كرة القدم. . ! ولكن ليس طبيعيا ان يعيش الانسان، او يختار منزله الدائم، في وسط ملاعب الجولف وملاعب كرة القدم. . ! ان جيرالد فورد يعيش في قلب اكبر ملعب للجولف في مدينة بالم سبرنغز. . ! تماما كما يعيش الانسان الذي يهوى السباحة في قلب البحر، او يختار الانسان الذي يحب القطط والكلاب منزله في حديقة الحيوان. . ! ويقرر الشخص الذي يهوى حياة الليل ان ينام في كاباريه!!

ورغم ذلك، فان جيرالد فورد، هو المثل الاوضح والاكبر للانسان الطيب البسيط الامين الذي لا يكذب ولا يسرق. . ولا يفهم في السياسة!!

ومنذ ان سقط في انتخابات الرئاسة امام جيمي كارتر، لم ينس جيرالد فورد انه جاء الى السلطة كنائب للرئيس بعد فضيحة، ثم اصبح رئيسا اساسيا بعد فضيحة. . !!

وبين هاتين العقدتين النفسيتين، عاش جيرالد فورد، وعلى ضوء هاتين العقدتين النفسيتين، بدأت حديثي معه.

عندما قلت للرئيس الاميركي السابق جيرالد فورد، انني سعيد بان اراه وان استمع الى حديثه فاجأني بقوله:

ـ وانا أهنؤك بسلامة الوصول، فقد كان مكتبي هنا على اتصال مستمر بقائد الطائرة التي حملتكم الى هذا المكان وكنا نشعر بمدى الخطر الذي احاط بكم بسبب اعاصير الربيع الموسمية. !

ثم اضاف:

ـ انا آسف لما اصابكم من تعب، ومن خوف.

ثم قال وكأنه يقوم بدور «الحكم» في مباراة لكرة القدم التي يحبها ويمارسها بشغف:

ـ لقد حددت لهذا اللقاء معك مدة نصف ساعة فقط.. فهل توافق؟

وتجاهلت سؤاله وانا احدق في وجهه الذي لفحته شمس الصحراء، وفي نظراته المعجونة بغبار الارض وقلت له:

ـ انا أرجو ان أحصل منك في دقائق ما يعجز غيري ان يحصل عليه في ساعات!

فقال وكأنه قد اطلق صافرة بدء مبارات الكرة:

ـ ابدأ فوراً..!

● قلت: اصدقاؤك في الشرق الاوسط يسألون عنك، ويتساءلون كيف تمضي ايامك، وهل تشعر بالوحشة لغيابك عن «البيت الابيض».

وأجاب «جيرالد فورد» على الفور وكانه يقرأ سطورا امامه:

ـ نعم! لقد وحشتني أيام البيت الابيض! ولكني رغم ذلك اجد ما اشغل نفسي به! ان عندي الكثير من النشاطات التي تشغلني. ومنذ ان تركت «البيت الابيض» ـ اي منذ سبع سنوات ـ اشعر بالشوق اليه ولكني سعيد حاليا بما يشغلني!.

●سألته: وما الذي يشغلك ـ غير الرياضة والجولف ـ يا سيدي الرئيس؟

وأجاب جيرالد فورد ونظراته ما زالت صارمة ووجهه ما زال مشدودا:

ـ ان جدولي اليومي مشحون بالمقابلات والاجتماعات! انني عضو في مجالس ادارات لثماني شركات اميركية وعالمية منها الاميركان اكسبرس، وشيرسون، وايماكس، وتاكسس كومرس، وعدة بنوك. وعدة مؤسسات، وشركة «تيغر انترناشيونال»، وشركة ايرول سبيس اندستري، وشركة سانت ايفيه، وشركات سينمائية «كفوكس القرن العشرين»، وغيرها.!

سألته مقاطعا:

● وما الذي حملك على الانتقال من دنيا السياسة والمجتمع الى دنيا المال والشركات؟ هل كنت ـ مثلا ـ بحاجة الى المال؟.

وقال جيرالد فورد مع نبرة فخر:

ـ حسنا! انا ما زلت «شابا! . . » وما زالت صحتي جيدة! وما زلت طموحا في الاستمرار بان اعيش حياة نشيطة ومنتجة. لذلك، فانني في الوقت الحاضر، اقوم بالقاء المحاضرات في عدة اندية ومجتمعات لاغراض انسانية تهدف الى جمع التبرعات للمشاريع الخيرية العامة! تراني الان اخطب في لقاءات طعام الغداء، والعشاء، والسهرة، والقي خطابات سياسية اؤيد فيها حزبي «الجمهوري» ومرشحيه للكونغرس الاميركي! وهذا كله يسعدني ويبعث الحياة في نفسي! وكذلك فاني اقوم بعدة امور اخرى متفرقة قد لا يهمك ان تعرفها!.

سألته وكأني احثه على المزيد من الكلام . .

● بل يهمني ان أعرف كل شيء عنك، وخاصة، يهمني ان أسمع رأيك في معركة الانتخابات الاميركية الحالية؟

وأجاب جيرالد فورد:

ـ أنا جمهوري! . . وانا بكل قوتي اناصر الرئيس رونالد ريغان. . وساقوم بالدعوة له شعبيا وعلى مستوى الخطابات واللقاءات عند بدء المعركة في هذا الصيف. . وكذلك فساقوم بالدعوة شخصيا لعدد من المرشحين «الجمهوريين» لمقاعد الكونغرس سواء في مجلس النواب او في خارجه، وقد قمت بكل ما يلزم لنصرة ثمانية مرشحين جمهوريين للكونغرس حتى الان، والقيت عشرات الخطابات في تأييدهم وسأقوم بترشيح وتأييد عدد كبير اخر خلال الشهور الخمسة القادمة. الا يكفي هذا؟

قلت على الفور لعلي اطمئنه.

● يكفي جدا. ولعلك تشعر بالفرق الشاسع بين معالم الحياة السياسية هذه الايام، ومعالمها كما كانت على أيامك في البيت الابيض. . اليس كذلك؟

وأجابني الرئيس الاميركي السابق وقد بدأت معالم الحياة لاول مرة على وجهه:

ـ حسنا! لقد كانت ادارة «كارتر» ونائبه «مونديل»، بمثابة الكارثة على اميركا وعلى العالم!!.

ثم اضاف:

ـ ان الاقتصاد الاميركي الذي بعثته «انا» من العدم خلال ادارتي في البيت الابيض قد جاءت ادارة كارتر ونسفت كل الامال في قيام اقتصاد صحي وثابت وسليم في بلادنا. .

ثم اضاف وكأنه يعدد مفاخره:

ـ انا عندما غادرت البيت الابيض كانت نسبة التضخم لا تزيد عن خمسة في المائة او اقل، وكانت نسبة الفائدة في حدود «ستة وربع» في المائة! وكنت اعمل على زيادة عدد الوظائف العامة، وكانت نسبة البطالة تسير في هبوط مستمر. ولكن، عندما غادر «كارتر» ونائبه البيت الابيض، كانت نسبة التضخم قد وصلت الى اربعة عشر في المائة، ونسبة «الفائدة» حوالي



الرئيس الامريكي السابق جيرالد فورد مع المؤلف

واحد وعشرين في المائة، والبلاد كلها اصبحت في حالة ركود اقتصادي لم تعهده منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة! من هنا، فان اثر ادارة كارتر على البلاد ـ داخليا ـ كان بمثابة الكارثة الكبرى!

سألته مقاطعا:

● وكيف كان حكم «كارتر» على الصعيد الدولي او الخارجي؟

وأجاب الرئيس جيرالد فورد الذي يكره كارتر كالعمى:

ـ اما على الصعيد العالمي فان ادارة كارتر قد قطعت بعض الخطوات الايجابية حيث تم الاعتراف بدولة الصين الشعبية، وتم التصديق على اتفاقية قناة «بناما» ولكن تحت ادارة الرئيس ريغان وجدنا انفسنا بحاجة ملحة لكي نعود ونبني قوتنا العسكرية «المفقودة» على ايام كارتر، وقد لاقت سياسة ريغان العسكرية كل تأييد في صفوف الشعب الاميركي، وانا اعتقد كذلك ـ ان سياسة ريغان الاقتصادية، هي سياسة صحية وصحيحة من حيث المبدأ، ولأجل هذه الاسباب اجد نفسي مؤيدا كل التأييد للرئيس ريغان، بينما لا اجد ما اصف به سياسة «كارتر» سوى انها كانت تشبه الكارثة!.

سألت الرئيس «فورد» وكأني اسوقه معي الى ميدان الشرق الاوسط:

● وماذا تقول في مبادرة الرئيس ريغان حول الشرق الاوسط؟

وأجاب الرجل الذي كان مهندسا لفصل القوات المصرية والاسرائيلية وما تبعها من خطوات سلام ووئام، بين القاهرة وتل ابيب:

ـ ان المبادىء التي وضعها الرئيس ريغان في شهر ايلول ـ سبتمبر من عام ١٩٨٢ كانت اساسا قويا وصالحا من اجل عقد مؤتمر ارجو صادقا ان يؤدي الى خلق السلام الواسع والعريض لمختلف قضايا الشرق الاوسط التي بقيت قائمة بعد ولادة اتفاقية «كامب ديفيد!».

وقد شجعتني غمزة فورد لاتفاقية كامب ديفيد، ان اسأله عن رأيه في المرشح الديمقراطي «والتر مونديل» والذي كان نائبا لجيمي كارتر عند ولادة اتفاقية كامب دايفيد، فقال لي فورد:

ـ انا آمل بصدق، وأرجو بكل حماس ان يتمكن الرئيس رونالد ريغان من الانتصار على «ولتر مونديل» في الانتخابات القريبة القادمة!.

وسألته والحديث يعود من جديد الى قصص الذكريات:

● وما هي القضية الشائكة الكبرى التي أستأثرت باهتمامك وجهدك خلال مدة رئاستك من اغسطس في عام ١٩٧٤ الى يناير عام ١٩٧٧؟

وأجاب الرجل الذي لا تشغله المشاكل ولا تقلقه القضايا الصعبة:

ـ كان الركود الاقتصادي في داخل اميركا عام ١٩٧٥ من أخطر القضايا الداخلية التي واجهتها! ولذا، فقد وجدت نفسي يومذاك مرغما على ان اخرج ببلدي من ذلك الركود عن طريق انشاء سياسة ضرائب جديدة وسياسة ميزانية جديدة. وقد استطعت ان انجح في ارساء قواعد هاتين السياستين بسرعة!.

قلت له مقاطعا:

● انا اسألك عن المشاكل الدولية والخارجية؟

وأجابني جيرالد فورد:

ـ كانت حادثة «ماياغويس» من اخطر التحديات الدولية في حياتي العامة. ولكن ـ وكما نقول عندنا ان «صعوبة الشيء هي العذر الوحيد الذي يرفضه التاريخ» ـ قد رضيت ان اواجه هذا التحدي الكبير. فقد صحوت في صباح ١٢ مايو عام ١٩٧٥ على صوت احد المساعدين في البيت الابيض يخبرني ان الباخرة الاميركية التجارية المسماة «ماياغويس» قد سقطت في يد «الكمبوديين» داخل المياه الدولية مع جميع ملاحيها البالغ عددهم تسعة وثلاثين بحارا! وعلى الفور دعوت الى عقد مجلس «الامن القومي». وقال «كيسنجر» الذي كان يحضر المجلس ان الاعتداء قد وقع على «الادارة» الاميركية وعلى التصميم الاميركي في معالجة قضايا العالم، وان على اميركا ان ترد على هذا العدوان كي لا تخسر اسمها ووزنها وسمعتها في سائر انحاء العالم! وعلى الفور ـ ايضا ـ امرت الخارجية ان تطلب من العهد الثوري الجديد في كمبوديا ـ كامير روج ـ اطلاق سراح الباخرة كما امرت بعض قطع الاسطول الاميركي الراسية في «الفلبين» ان تتجه الى مكان الحادث، ولكن العلاج الديبلوماسي لم يثبت نجاحه مما

اضطرني ان الجأ الى استعمال القوة! وبالقوة الاميركية الجبارة اعدت الباخرة «مایاغویس» الى دنيا الحرية واعدت لاميركا كرامتها واحترامها! كانت هذه الحادثة من اخطر الاحداث التي واجهتها. كما كانت معالجة الفصل الاخير من مآسي حرب «فيتنام» واجلاء القوات الاميركية من هناك ـ من سايغون وغيرها ـ من الامور الهامة والخطيرة في مدة رئاستي للجمهورية! وكذلك، لا اريد ان انسى دوري الرئيسي في اقناع مصر واسرائيل بالاتفاق على فك الاشتباك في «سيناء» وتوقيع اتفاق عام ١٩٧٥!..

ثم توقف جيرالد فورد قليلا وكأنه يستعيد ذكرياته قبل ان يستطرد قائلا لي:

ـ وكذلك فأنا الذي ارسيت قواعد اتفاق «سالت رقم ٢» خلال اجتماعي مع المستر «برجنيف» في مدينة «فلاديفوستك» بالاتحاد السوفياتي!

وكأني تذكرت شيئا، قلت للمستر فورد:

● هل تعني الاجتماع الذي اهديت فيه معطفك «الفرو» للمستر برجنيف.

وأجاب فورد وقد أعجبه السؤال:

ـ أجل!

ثم سألني: هل تعرف لماذا اهديته معطفي؟ لاني شعرت بان المعطف قد نال اعجابه وانه من اللائق ان اعطيه له وقد شعرت بيده تضغط على ذراعي وكانه يتحسس المعطف قبل ان اخلعه واهديه له..!

سألته مقاطعا، وضاحكا:

● وهل من عادتك ان توزع معاطفك الفرو على الناس يا سيدي الرئيس؟

وأجاب فورد بكل وقار:

ـ ابدا! نحن هنا في صحراء ولا نحتاج الى معاطف فرو! وليس عندي الان اي معطف فرو!. والمعطف المذكور كان هدية قدمها لي احد تجار الفرو!.. كان ذلك في نوفمبر في عام ١٩٧٤.. عند لقائي مع برجنيف حيث اذكر اني قلت له: «هذا لقاء نقدر فيه ان نحمي شعوبنا وجميع شعوب العالم». وقد اهديته معطفي لانه احبه، ولاني لا احب الفرو!.

قلت للرئيس «فورد» ونحن نعود الى موضوع الشرق الاوسط:

● لقد سمعناك تقول بعد اشتراكك في جنازة انور السادات بالقاهرة ان على اميركا الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية فهل ما زلت عند رأيك؟

وأجاب الرئيس «البحار» الذي خدم في الاسطول الاميركي الثالث، والخامس، خلال الحرب العالمية الاخيرة قبل ان يصبح عضوا لاول مرة في مجلس النواب الاميركي عام ١٩٤٨، اي في العام الذي نشأت وولدت فيه «دولة» اسرائيل:

ـ نعم! ولكن بشرط ان تبادر منظمة التحرير الفلسطينية وتعترف باسرائيل!.

ثم اضاف:

ـ اذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة للاعتراف بدولة اسرائيل كدولة وكشعب، فاني اقول بان على اسرائيل، بعد ذلك، ان تجلس مع منظمة التحرير وتعترف بها وتتباحث معها!.

وسألته:

● وهل ترى في الغزو الاسرائيلي للبنان والاصطدام الدموي مع قوات الفلسطينيين هناك «ما يشجع» منظمة التحرير على الاعتراف باسرائيل؟

وأجابني جيرالد فورد وكأنه يتهرب من الموضوع، ومن الاجابة:

ـ حسنا! هذا موضوع معقد! ويجب علينا ان ننظر الى الموضوع من جميع الوجوه وعلى صعيد شامل وعام! انا اقول بأن على جميع القوات الاجنبية ان تغادر لبنان بما في ذلك قوات اسرائيل كلها! اكرر: على جميع القوات الاجنبية في لبنان، سواء قوات سوريا في «البقاع» او قوات اسرائيل في جنوب لبنان ان تغادر لبنان على الفور! لاننا اذا استطعنا ن نضمن رحيل جميع القوات الاجنبية من لبنان، فاننا نضمن عندئذ بقاء الامل في وجود لبنان الحي!..

قلت لجيرالد فورد وانا اكرر على مسامعه سؤالي:

● كان سؤالي للرئيس «فورد» عن رأيه في الغزو الاسرائيلي للارض اللبنانية والوطن اللبناني؟

وأجاب «جيرالد فورد» بصراحة «الرياضي» في ملعب كرة القدم:

ـ انا أرى ان خروج اسرائيل عن حدودها الجغرافية المعروفة للدفاع عن امنها هي غلطة وخطأ.. معا!»

سألته والسؤال هنا يفرض نفسه:

● وماذا يكون الحل النهائي لقضية فلسطين في تصورك؟

وأجابني جيرالد فورد:

ـ حسنا! ان على الفلسطينيين، سواء، وحدهم، ام بالاتفاق مع الدول العربية، القيام بالاعتراف بدولة اسرائيل كما ينص القرار الدولي رقم ٢٤٢، ورقم ٣٣٨!»

قلت مقاطعا:

● ثم ماذا؟ وماذا يترتب على اسرائيل بعد ذلك؟

أجاب:

ـ وبعد ان يعترف العرب باسرائيل ويقبلون بالقرارين: «٢٤٢»، و«٣٣٨»، فان على اسرائيل ان توافق على الذهاب الى طاولة «المقايضة»..

وسألته وكأني أصرخ:

● هل سمعت الرئيس فورد يقول كلمة: «مقايضة»؟

أجابني وكأنه يفسر او يعتذر:
ـ انا اعني طاولة «التفاوض»!
سألته:
● وماذا تقول في قرارات مؤتمر «فاس»، ومبادرة «فاس» لحل القضية الفلسطينية.. هل سمعت عنها؟
وأجابني جيرالد فورد:
ـ طبعا قرأت وسمعت عنها. ان هذه المبادرة تشرح لنا مدى «الشيء» الذي نقدر الحصول عليه واذا رضينا ووافقنا على الذهاب الى طاولة المفاوضات! هناك اتفاقية كامب دايفيد.. وهناك مبادرة «فاس».. وهناك مبادرة الرئيس ريغان.. وهناك القرار الدولي رقم «٢٤٢» والقرار الدولي الاخر «٣٣٨».. وكل هذه المبادرات والقرارات تشكل غطاء او مظلة اذا جمعناها معا! وان لا يهمني ان اعرف تحت اي جزء من هذه «المظلة» سيذهب العرب او اليهود الى مائدة المفاوضات، وانما يهمني ان اجد الجميع وقد وافقوا على الذهاب وعلى التفاوض معا!»
سألته مقاطعا:
● وهل تؤمن انت بصدق ايمان اسرائيل في التفاوض وفي السلام؟ قل لي يا سعادة الرئيس، هل تعتقد ان اسرائيل اخلصت في تنفيذ اتفاقية كامب دايفيد للسلام مع مصر.. مثلا؟
وأجاب جيرالد فورد، وقد ادرك جوهر السؤال:
ـ ان انشاء «المستوطنات» موضوع خاص ومنفرد! وانا ضد انشاء هذه المستوطنات وضد سياسة انشاء المستوطنات..!»
فسألته وانا اخرج بالحديث الى «الملعب» الدولي:
● وهل انت كالاخرين، تؤكد وجود خطر التسلل السوفياتي الى الشرق الاوسط؟
وأجاب بطل اتفاقية «سالت رقم ٢» مع السوفيات:
ـ اذا اخذنا الامر من نواحيه الداخلية، او الجوهرية، فاني ارى ان الخطر السوفياتي تجاه الشرق الاوسط موجود بكامل اوصافه ومميزاته! ان هناك خطرا كامنا ومتربصا بالشرق الاوسط مصدره السوفيات! ولكني عاجز عن ان اثبت بان السوفيات يشتركون ـ بالفعل ـ في اشعال النار بالشرق الاوسط، رغم اني اعتقد بانهم يقفون على «جانب الطريق» وفي «الظل» و «بعيدا عن النور».. بانتظار جني اية مكاسب يقدرون على الحصول عليها! انهم ينتظرون الارباح من وراء المشاكل التي تتنازع الشرق الاوسط والتي قد تنشأ في المستقبل!
سألته وعيني على الخليج:
● وكيف نقدر ان نضمن سلامة وامن منطقة الخليج العربي.. يا مستر فورد؟

وأجابني الرئيس الذي زار الكويت ويعرف الخليج جيدا:
ـ ان امن الخليج وسلامته هي مسؤولية اهل الخليج وحدهم في الدرجة الاولى!».
قلت:
● وماذا تقول في موضوع انشاء «قوة التحرك السريع»؟
أجاب فورد:
ـ انا انادي بان على الولايات المتحدة الاميركية ان تمتلك مثل هذه القوة، واذا وافقت دول المنطقة على التعاون مع مثل هذه القوة، فالامر ميسور وسهل، وبشرط ان لا نعتمد نحن ـ اميركا ـ ان نفرض هذه القوة على اهل الخليج ولا على غيرهم.!»
وسألته والحديث يمشي بنا صوب حرب الخليج:
● وكيف تتصور ان تكون نهاية الحرب الدائرة حاليا بين العراق وايران؟.
وأجابني جيرالد فورد:
ـ هذه حرب تراجيدية، ومأساوية دامت حتى اليوم طيلة هذه السنوات الطوال.. ونتائج هذه الحرب ستكون دامية وضارة ومذهلة اذا استطاع الخميني وايران الانتصار في هذه الحرب. ان انتصار «الخميني» ينطوي على تهديد مباشر ومبطن وواضح. ان الخطر هنا يهدد السعودية والكويت والامارات والبحرين وبقية اقطار المنطقة في الشرق الاوسط. ستكون مأساة لحكومات ودول الخليج لو انتصر «اية الله الخميني» في هذه الحرب.!
وشعرت بمدى الذعر في كلام «جيرالد فورد» تجاه ايران والخميني فسألته بعد تردد لم يدم طويلا:
● وما دام الامر كما تصفه وبهذه الخطورة، فلماذا لا تحاول اميركا ان تفعل شيئا تنهي به هذه الحرب المجنونة؟
سألني فورد: وماذا تريدنا او تريد منا ان نفعل؟
قلت:
● الشيء الطبيعي أن تحاولوا رفع الاذى ـ كما تتصورونه ـ وتنصروا الطرف المعتدل كما تصنفونه؟
قال لي فورد: لم افهمك!
قلت له:
● اذا كانت ايران في قاموسكم هي «الخطر الاكبر» فلماذا لا تفعلون شيئا تنصرون به.. العراق؟
وأجاب جيرالد فورد بلهجة غضب:
ـ قل لي انت: وماذا فعل العرب لنصرة العراق في هذه الحرب؟! قل لي انت: ولماذا لا



ناصر الدين النشاشيبي يسأل جيرالد فورد: هل تعلم امريكا ان في الخليج العربي حرب فناء بين ايران والعراق قد دخلت عامها الرابع؟ اين انتم؟

تحاول دول منطقة الخليج المحيطة بالعراق ان تفعل اكثر مما فعلته حتى الان لنصرة العراق؟

وهز «جيرالد فورد» رأسه مرة بعد مرة . .

وتشابكت اصابع يده في نرفزة ظاهرة، ثم قال وكأنه يؤنبني او يؤنب العرب في شخصي:

ـ نحن نطالب الذين يطالبوننا ان يبادروا ـ هم انفسهم بالمساعدة والمشاركة وحسم الموقف. . . قبل فوات الاوان! وخشيت ان يفسد حديث ايران بقية ما ينتظرني مع «جيرالد فورد» من اسئلة واجوبة، فقلت له وانا امشي به الى موضوع الانتخابات البرلمانية في اسرائيل:

● سيدي الرئيس: هل انت مع حزب حيروت، ومناحيم بيغن واسحق شامير، والسياسة الدموية، ام انت مع حزب العمل المعارض ورابين. . وبيريز. . وصديقتك «الراحلة» ـ كما تقول عنها ـ غولدا مائير؟

وصمت جيرالد فورد طويلا، وراح ينظر الى حدائق ملاعب الجولف المحيطة بمنزله وكأنه يستعين بها على حراجة السؤال ويستلهم منها الجواب الصحيح ثم قال لي:

ـ اسمع يا صديقي . .

ثم عاد وسألني الرئيس الاميركي السابق جيرالد فورد فجأة:

ـ هل قرأت مذكراتي عن حياتي في «البيت الابيض» مجموعة في كتاب «وقت لكي تندمل الجراح» وقد صدر عام ١٩٧٩؟

وعندما أجبته بأني املك اكثر من نسخة واحدة من الكتاب المذكور، نهض من كرسيه

واتجه الى مكتبه وتناول نسخة جديدة من كتابه المذكور وقال لي :

ـ سأهديك نسخة اخرى لكي تضيفها الى بقية النسخ! ثم وضع نظارته فوق عينيه وكتب لي اهداءه بعبارة رقيقة لم اكد أقرأها واشكره عليها حتى سألته :

● من هم اصدقاؤك بين حكام اسرائيل؟ هل هم «الليكود» ام هم حزب «العمل»؟

وأجاب فورد بعد صمت لم يكن قصيرا :

ـ انا لا اريد ان احشر نفسي في امور اسرائيل الداخلية ، ولكني اقول لك انني عملت وتعاونت خلال رئاستي «للبيت الابيض» مع المستر «رابين» القطب العمالي ، ومع جماعته في حزب العمل! اقول مرة اخرى انني لا أنوي ان ازج نفسي في امور اسرائيل الداخلية ولذا ، فاني لن اجيب على سؤالك حول النتائج المحتملة للانتخابات البرلمانية الاسرائيلية لو انك سألتني عنها!

قلت :

● أنا اقصر سؤالي فقط حول نقطة واحدة هي : من هو الطرف الاسرائيلي الاكثر حرصا على السلام المطلوب : الليكود ام حزب «العمل»؟

وأجابني جيرالد فورد : دعني اقصر جوابي على هذه العبارة واقول ما يلي : عندما كنت انا رئيسا للجمهورية كانت علاقتي جيدة جدا مع حزب «العمل» الاسرائيلي . . . . فقط!

ثم نظر «فورد» في وجهي وسألني :

ـ هل تفهمني؟!

اجبته : اجل . . وبكل وضوح ياسيدي

ثم سألته :

● وهل هناك في نظرك يا مستر «فورد» اي تناقض او صراع بين مصلحة اميركا في الشرق الاوسط من جهة ، وبين سياسة اسرائيل التوسعية العدوانية من جهة اخرى؟

أجابني «فورد» ولم يسره السؤال :

ـ هل تقدر ان تشرح لي سؤالك؟؟

وأجبته قائلا :

● هل ترى في مغامرات اسرائيل العسكرية ضد «العراق» وضد «لبنان» ، ما يهدد مصالح اميركا التقليدية في منطقة الشرق الاوسط؟!

قال وكلماته تتقطع عن عمد :

ـ هذا موضوع يختلف فيه الناس! ان علينا ان ندرك وان نعترف ايضا بان هناك من هدد وهاجم اسرائيل من حين الى حين! وعلينا الاعتراف ايضا بان اسرائيل تنظر الى الموقف من خلال نظرتها الى امنها وبقائها واستمرارها . . !

سألته مقاطعا بلهجة ساذجة جدا:

● ترى من هي الدولة العربية التي بادرت اسرائيل بالهجوم؟!

ولم يرد على سؤالي متجاهلا واستمر يقول لي:

ـ لقد هاجموا اسرائيل مرات! وانا اقول واعترف بان اسرائيل كانت «معتدية» في بعض الحالات، ولكني اقول كذلك بان «بعض» الشعوب العربية قامت بالهجوم على اسرائيل طيلة السنوات الماضية، كما ان اسرائيل تتعرض لهجوم «الارهابيين» العرب حتى هذه الايام.. واسرائيل ترى في هذا الهجوم العربي تهديدا لها.. ولامنها.. ولاستقرارها!

سألته مقاطعا:

● حتى ولو كانت مثل هذه النظرة الاسرائيلية الى مثل هذا التهديد العربي المزعوم مجرد وهم او خيال... ولاغراض خاصة؟

وأجابني جيرالد فورد:

ـ يجب ان نعترف بان بعض الهجمات الاخيرة على اسرائيل قد كلفت يهود اسرائيل الكثير من الضحايا، وانها لم تكن كلها مجرد خيال!

ثم اضاف:

ـ ان التهديد الارهابي لاسرائيل يتحدى سلامة وامن اسرائيل! هذه حقيقة لا تقبل النقاش! وعندما يتوقف مثل هذا الارهاب ضد اسرائيل، عندئذ، ستختلف نظرة يهود اسرائيل الى الامور وستختلف اعمالها كما ستختلف نظرتنا واحكامنا نحن على اعمال اسرائيل في المستقبل..!

قلت له:

● ولكن ما الحيلة واسرائيل ترفض كل خطوات السلام؟ وما العمل واسرائيل لا ترى حلا للموقف سوى التمسك «بقدسية» اتفاقية كامب دايفيد؟

وأجابني الرئيس السابق «جيرالد فورد» بصراحة لاعب الملاكمة:

ـ انا اؤيد اتفاقية كامب دايفيد وقد ايدتها في الماضي!

سألته:

● وهل تعتقد ايضا ان مثل هذه الاتفاقية قادرة على تحقيق السلام الذي تنشدونه في المنطقة؟!

أجابني فورد:

ـ نعم! شريطة ان تتعهد كافة الاطراف بالعمل على تنفيذ «جميع» بنودها، وعندئذ، تصبح اتفاقية كامب دايفيد خطوة كبرى على طريق السلام الكبير!

قلت له ونظراتي تدور بين ارجاء مكتبه الخاص المزين بعشرات من الكؤوس الفضية التي تتوسطها على الحائط، صورة فوتوغرافية كبيرة للرئيس المصري انور السادات، مهداة

بالعربية والانجليزية معا الى «صديقه سعادة الرئيس جيرالد فورد».

● هل تسمح لي بسؤال صريح يا مستر فورد؟؟

أجاب:

ـ استمر! بكل تأكيد! قل!

قلت:

● هل كانت سياسة اميركا تجاه العرب تصل الى مثل هذا الحضيض، وتتسم بمثل هذا العداء، لو لم يكن هناك الشيء الذي اسمه: «اللوبي» اليهودي.. او الصوت اليهودي.. او النفوذ اليهودي.. داخل اميركا؟!

أجابني «جيرالد فورد» بصراحته وسذاجته وطيبة قلبه التي يتحدث عنها الشعب الاميركي بقوله عنه: «مستر الرجل الطيب».

ـ في بلادنا، لكل مواطن الحق في ان يخاطب حكومته ويكتب لها ويستنجد بها ويطلب ومساعدتها في سائر القضايا الداخلية والخارجية! هذا حق منصوص عليه في صلب الدستور الاميركي ومعطى لأي فرد أو ولايه أو منظمة او جماعة!

ثم قال فورد:

ـ وهناك بالطبع عدة منظمات يهودية موجودة في اميركا وكلها تشعر وتقلق وتطالب وتحرص على استمرار التأييد الاميركي لاسرائيل! وهذا حق طبيعي لها تشاركها فيه كل المنظمات وكل الافراد داخل الولايات المتحدة الاميركية ما دام الجميع يحافظون على القانون ولا يخرجون عنه! وعملية «اللوبي» ـ الاتصالات الداخلية مع المسؤولين الاميركيين ـ عملية شرعية ومعترف بها! وقد لا اتفق انا، او غيري، مع «نوعية» الجهد الذي تقوم به جماعات «اللوبي» اليهودي، ولكني اعترف لهم بحقهم في القيام بجهدهم الذي يقدمونه! ولن اسمح لنفسي بان انتقد انسانا قد يكون على خلاف في الرأي معهم ولكني كذلك لا انكر عليهم حقهم المنصوص عليه في دستور بلادي!

وشعرت عندما سكت جيرالد فورد انني اكاد اقول له:

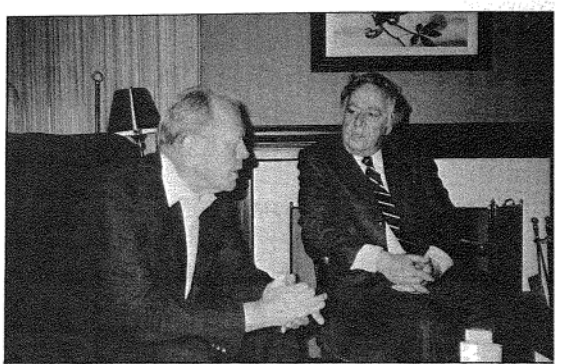
● مبروك عليكم يا سيدي الرئيس..

ولكني قررت ان اعود به الى القضايا العالمية والحرب الباردة وخطر الفناء والدمار فسألته:

● كيف ستنتهي هذه الحرب الباردة بينكم وبين السوفيات يا مستر فورد؟!

وأجاب فورد:

ـ انا اوافق على النظرية السياسية التي تقول بأن الوفاق لا يتحقق الا في طريق ذات اتجاهين: الاتجاه الاول يطالب اميركا بان تصبح في ذروة القوة العسكرية بحيث نتمتع ـ اي اميركا ـ بشيء اسمه «هامش الامن والسلامة» على الصعيدين الاستراتيجي والعسكري.



كان جيرالد فورد طيلة الحديث يعبر عن آرائه.. بيديه! وكان ناصر الدين النشاشيبي يتابعه بالأسئلة!

ونحن حاليا نتمتع بمثل هذا الامتياز، وبالتالي يحق للرئيس ريغان، وهو على حق كبير، في ان يذهب قريبا ويقابل الرئيس السوفياتي المستر «تشيرنينكو» ويفاوضه في موضوع تخفيض الاسلحة الاستراتيجية، مع كل ما تتضمنه من صواريخ عابرات القارات والمتوسطة المدى! وانني آمل ان ينجح المستر «ريغان» في ان يتفاهم مع الرئيس السوفياتي قريبا وان يتفاوض معه على تخفيض سائر انواع الصواريخ الاستراتيجية!

سألته:

● وهل تتوقع ان يتم اجتماع قمة بين ريغان وقادة السوفيات... قريبا؟

أجاب: بعد الانتخابات، ارجو، وأتوقع ان يتم مثل هذا الاجتماع.. بل لعلي أؤكد مجيئه!

سألته:

● وماذا تقول انت في القيادة السوفياتية الحالية، وهل هي احسن ام اسوأ من القيادة السوفياتية التي عرفتها خلال رئاستك للولايات المتحدة؟

وقال «جيرالد فورد» الذي ما زال يعتبر نفسه صديقا «لبريجنيف» الذي رحل:

ـ كلهم سواء! وكلهم من جيل واحد! والمستر بريجنيف، والمستر اندروبوف، والمستر تشيرنينكو. كلهم من نوعية واحدة هكذا اراهم. كلهم واحد...!

سألته:

● هل يعني هذا انك تتوقع تحسنا في العلاقات مع السوفيات في المستقبل القريب؟

أجابني جيرالد فورد:

ـ اسمعني جيدا! انا اقول بأني اتوقع بعد الانتخابات الاميركية ومن الزاوية «العملية» ان تتحسن علاقاتنا مع السوفيات!

قلت:

● وهل يعني ذلك ـ ايضا ـ انك لا تملك رأيا خاصا تقوله لي عن قادة السوفيات الحاليين؟

قال فورد:

ـ لم اقابل الرئيس السوفياتي الحالي، ولا اعرفه! ان المستر تشيرنينكو غريب عني ولا اعرف عنه الكثير! لقد تعاونت في الماضي فقط، مع المستر بريجنيف، ومع المستر غروميكو. وانا لا ارى اي تبديل جوهري أو تغيير اساسي في السياسة السوفياتية بعد ان تولى المستر تشيرنينكو زمام الامور هناك!

سألته:

● هلا اسمعتني يا مستر فورد ـ من اجل التاريخ ـ رأيك الصريح في شخصية المستر بريجنيف؟

وأجابني جيرالد فورد قائلا:

ـ كان المستر «بريجنيف» شخصا لذيذا ومحبباً الى القلب. ولكنه كان مفاوضا شرسا في الدفاع عن وجهة النظر السوفياتية! اقول لك ان بريجنيف كان انسانا اجتماعيا رائعا، وحديثه عذب. وكان يمثل الاتحاد السوفياتي بكل جدارة ومقدرة. !

ترى هل انتهى الحديث!؟

لقد بدأ جيرالد فورد يتململ وينظر الى ساعته!

ولكني مثله ـ اصبحت بسيطا طيب القلب ـ وتجاهلت عامل الوقت وسألته وانا ادخل معه في موضوع جديد:

● الجميع هنا يتحدثون عن مشاكلكم مع اميركا الوسطى. مع نيكاراغوا. . والسلفادور. . والمكسيك. . وكوبا! قل لي يا مستر فورد اين هو موقفك في النزاع القائم بين المستر ريغان والمخابرات الاميركية والكونغرس ورجال الصحافة حول قيام المخابرات بزرع الالغام في موانىء نيكاراغوا؟

وأجابني جيرالد فورد:

ـ حسنا! انا اعتقد بوجود تهديد للولايات المتحدة الاميركية من جانب التحالف الكوبي السوفياتي في مناطق اميركا الوسطى! وهذا التحالف السوفياتي الكوبي يستغل نيكاراغوا من اجل ضمان تنفيذ الحصول على موطىء قدم «مريح» لهما في منطقة اميركا الوسطى! وكل الذي يجري الان في «نيكاراغوا» يشكل خطرا ضمنيا على السلفادور! ولذا، فان ادارة ريغان محقة

تماما في استعمال كل السلاح واللجوء الى كل الاساليب القوية والقادرة على الحرص على مصالحنا هناك. . !

ثم قال:

ـ انا اؤيد وبلا شروط ولا تحفظ كل ما ورد في تقرير «هنري كيسينجر» عن اميركا الوسطى الذي يطالب بمد المعونة العسكرية والمالية معا لست او سبع دول في منطقة اميركا الوسطى . !

قلت:

● هل تعني ان الحل يكمن في تقديم المساعدات العسكرية والمالية معا، جنبا الى جنب، لتلك الدول الفقيرة والمهددة، والمحطمة في اميركا الوسطى؟؟

وأجاب «فورد» قائلا:

ـ انا اقول بمد تلك الدول بالقروض والهبات المالية، بالاضافة الى السلاح والخبراء العسكريين. . وفي وقت واحد!

سألته والحديث بيننا ذو شجون:

● اليس لديكم أية شروط على تلك الدول مقابل هذه المساعدات؟

سألني فورد:

ـ أية شروط تعني؟

قلت:

● انها شروطكم التقليدية على الدول التي لا تحبونها! اعني: حقوق الانسان، والديمقراطية، والحرية. . الى اخره!

قال فورد: انا اتمسك بحقوق الانسان، ولكن علينا ان نوازي بين الحاجة الى المساعدات المالية والعسكرية من جهة وبين حقوق الانسان من جهة اخرى بحيث نرغم تلك الدول على الاعتراف بحقوق الانسان دون ان نجعل موضوع «حقوق الانسان» وحده، يطغى على العلاقات بيننا او ان يتحكم ـ وحده ـ في قراراتنا تجاه تلك الدول!

سألت الرئيس «فورد» وكلامه السابق عن الشرق الاوسط ما زال يرن في اذني:

● الم تتعرف على احد من زعماء العرب غير انور السادات؟

أجابني وكأنه «ارخميدس» الذي حقق اكتشافه وصاح «وجدتها. . وجدتها»:

ـ بكل تأكيد! طبعا! لقد عرفت الكثيرين ومن بينهم الرئيس المصري حسني مبارك!

سألته:

● وما هو رأيك في حسني مبارك؟

أجاب فورد:

ـ انه يقوم بعمله حسنا. . ويؤدي واجبه على صورة مرضية!

سألته:

● ومن غير «مبارك» عرفت من زعمائنا؟

أجاب: عرفت الملك فهد..

● سألته: وما هو رأيك في الملك فهد؟

قال فورد: انه رجل مؤثر وجذاب!

● سألته: ماذا تعني بكلمة مؤثر؟.

اجاب: ان الملك فهد انسان ذكي ومسؤول وعملي، وكذلك فهو قلق دوما على المصير العام لكافة انحاء منطقة الشرق الاوسط.

● سألت فورد: ومن غير ذلك عرفت من كبار العرب؟

أجاب الرئيس السابق الذي قضى في البيت الابيض ثلاث سنوات:

ـ عرفت كذلك امير الكويت في عام ١٩٨٢ ورأيت فيه انسانا كبيرا متواضعا ومؤثرا، وقد زرت «الكويت» بوصفي عضوا في مجلس ادارة شركة «سانتافي» ورأيت في الكويت بلدا حضاريا ومتقدما يقدر ان يفخر بانشاءاته وانجازاته، كما عرفت «حافظ الاسد» رئيس سوريا في مناسبات سابقة..

● سألته: ما هو رأيك في الرئيس الاسد؟

اجاب جيرالد فورد:

ـ بصراحة، فقد قضيت مع الرئيس «الاسد» ثلاث ساعات في حديث طويل بدمشق... كان حديثا رائعا وشيقا! كان ذلك في عام ١٩٧٩... وكنت ازور دمشق للاجتماع وتناول الغداء ثم المغادرة! ووجدت في الرئيس «الاسد» رجلا جذابا.. ورجلا قويا! وانا اعتقد تماما بأن الرئيس حافظ الاسد ليس ـ كما يقال عنه ـ عدائيا للولايات المتحدة الاميركية!

سألته: وماذا عن الدور السوري في لبنان؟ ماذا تقول عنه وماذا تقول فيه؟!

وابتسم «جيرالد فورد» لأول مرة! لقد تحققت معجزة اخرى عندما رأيته يبتسم! ولم اصدق عيني! وانتظرت ان اسمع رأيه في الدور السوري في لبنان، فاذ به يقول لي وما زال يبتسم:

ـ هذا موضوع حساس وشائك، ولا اريد ان اعلق عليه بشيء! ولا بحرف واحد!

واكتفيت من جواب «جيرالد فورد»، بابتسامته الفريدة واليتيمة، وسألته:

● ترى كيف تتمنى ان يذكرك التاريخ يا سيدي الرئيس؟

وأجاب أبرع وأقدر لاعب فوتبول، وسباح، ولاعب تنس. «وجولف» بين جميع رؤساء اميركا على مدى التاريخ الطويل:

ـ اريد ان يقال عني انني الرئيس الذي تقلد امور الحكم في اصعب فترات تاريخ الولايات المتحدة حيث أصيب الشعب الاميركي بعدم الثقة في رؤسائه وحكوماته! واريد ان يذكرني التاريخ باني الرئيس الذي «ضمدّ جرح اميركا»!

سألته وأنا انظر الى تقاطيع وجهه المجمدة، والى قامته الطويلة العريضة، والى وجهه المغبر بتراب ملاعب الجولف:

● وهل لزوجتك اي تأثير على عملك او على قراراتك؟

وأجابني جيرالد فورد على الفور:

ـ طبعا!

سألته:

● وكيف تمارس السيدة زوجتك مثل هذا التأثير عليك؟

أجاب: نشترك معا في بحث القضايا والمشاكل والبرامج ودورها بالنسبة لي دور هام وحيوي!

● سألته: وماذا عن بقية افراد العائلة، ترى ما هو دورهم عندك؟

أجابني «فورد» الوالد الفخور بعائلته:

ـ عندي أربعة اولاد! وعندما كنت في الكونغرس وفي البيت الابيض، كنت احترم اراءهم واسمعها واحسب حسابها.

● سألته: اولادك كلهم ذكور؟

قال: ثلاثة اولاد.. وبنت واحدة! واحد من الاولاد الذكور فقط يشعرني باهتماماته السياسية! اما البقية فلا يحبون السياسة..

● قلت: وهل تتمنى ان يخلفك ولدك المذكور في مركزك السياسي ويصبح عضوا في الكونغرس او.. رئيسا للولايات المتحدة؟

وعلى الفور أجابني فورد:

ـ بكل تأكيد! وهذا ما اتمناه وما أعمل من أجله! اريده ان يدخل المعترك السياسي من أوسع ابوابه؟

واسعدني فورد بمثل هذا الكلام عن ولده، فسألته:

● سيدي الرئيس: هل انت انسان طيب، ام انسان ذكي، ام انسان بسيط، ام انسان جيد؟ ما هو تعريفك لنفسك؟

أجاب: هذا سؤال صعب.. جدا.. ولا اجد عندي الجواب عليه!

● قلت: ان الصحافة الاميركية لم تكن منصفة ولا عادلة في الحديث عن شخصيتك.. وعن حوادث سقوطك وتعثر قدمك المتكرر في الحفلات العامة.. ماذا تقول انت في ذلك؟

أجابني فورد: انا رجل ضميره حي، وثقافته واسعة، وذكي، واحكامي على الامور عادلة وحكيمة وتتسم بالواقع!

قلت له:

● سيدي الرئيس: ومن هو اعظم رئيس في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية، في نظرك؟

ـ أجابني «جيرالد فورد» وهو ينظر الى تمثال نصفي كبير لابراهام لنكولن:

ـ احبهم الى قلبي هو ابراهام انكولن. اما في التاريخ المعاصر، فان الرئيس «ايزنهاور» كان رجلا عظيما، وقد ادى لبلاده خدمة عظيمة! وكذلك فان «ترومان» كان رجلا طيبا وكبيرا!

سألته:

● ومن هو الرئيس الذي لا تحبه يا مستر فورد؟

أجاب: لا اريد ان اجيب على هذا السؤال واحتفظ بالجواب لنفسي..!

ومضت ساعة كاملة..

وأحسست بأن جعبتي من الاسئلة قد نفذت، وانني قبل الزيارة، ومعها، وبعدها، أصبحت أعرف الكثير عن جيرالد فورد.. الرئيس الاميركي «السابع والثلاثون» للولايات المتحدة الاميركية!

ترى هل أسأله عن صحة زوجته المريضة بالسرطان؟ أنا أعرف ان الرئيس قد تجاوز السبعين من عمره. حيث ولد في عام ١٩١٣ ولكنه يبدو في الخامسة والخمسين! وأنا اعرف ان الرئيس فورد يحب زوجته رغم ان القصص والروايات تقول عنه الكثير وتروي قصته الشهيرة مع المطربة المكسيكية العريقة السيدة «فيكي كار» التي دعاها «فورد» للغناء ذات ليلة في البيت الابيض. وكانت جميلة وساحرة وجذابة. وعند بدء العشاء والغناء، قام الرئيس «فورد» بمصاحبة السيدة المذكورة الى مائدة «البوفيه»، فسألته السيدة عن طبق الطعام «المكسيكي» الذي يفضله، فاجابها الرئيس فورد على الفور:

ـ انت! انت! انت «الطبق» الذي افضله!

وكانت السيدة زوجة فورد على مقربة من الحديث، فسمعت الكلام جيدا وصاحت على مسمع من الجميع:

ـ هذه السيدة لن تدخل البيت الابيض بعد اليوم!

حسنا، ولكن جيرالد فورد على اية حال، ليس «جون كنيدي» في فضائحه الغرامية وقصصه العاطفية! لذا، سمعت نفسي اسأله:

● كيف صحة زوجتك يا سيدي الرئيس؟

وأجابني فورد:

ـ انها بخير! وصحتها على احسن ما يرام! بل لعل صحتها اليوم احسن مما كانت عليه طيلة الخمس والثلاثين سنة من عمر زواجنا.

قلت له بعد تردد:

● ولكني أشعر بالحيرة من ان يتحول موضوع «مرض» السيدة زوجتك من شيء خاص لا يتعلق باحد سواكم، الى حديث عام تتناقله جميع الصحف والمجلات في الولايات المتحدة! قل لي سيدي الرئيس، ما هو تفسيرك لان يصبح مرض زوجتك عنوانا رئيسيا في معظم صحف بلدك؟

وأجابني الرئيس فورد بالعقلية الاميركية المعروفة:

ـ بل انني فخور بزوجتي! لقد اصيبت بالسرطان عندما كنا في البيت الابيض وكان حديثها عن مرضها ثم عن علاجها سببا في شفاء الالاف من سيدات اميركا من السرطان! لم تخف ولم تخجل وكانت جرأتها دافعا لالاف النساء واقتناعهن بضرورة العلاج وفوائده! وعندما اصبحت زوجتي فريسة للمسكنات والادوية المخدرة مع تعاطي الخمر، لم تخجل ولم تخف بل اعترفت واعلنت واستسلمت للعلاج وانتصرت على الخمر، وعلى الادوية، وعلى السرطان! ومن خلال املها وارادتها انقذت الاف النساء غيرها! لا يا صديقي! نحن هنا لا نعتذر ولا نخاف ولا نخفي شيئا! نحن فخورون بما نحن فيه!

قلت مقاطعا:

● انا لا اتكلم عن الخجل والخوف، وانما اتكلم فقط عن طبيعة مثل هذه الامور وهل هي امور خاصة تخص اصحابها وحدهم، ام هي من الامور العامة التي تتناقلها صفحات الجرائد؟!

أجابني جيرالد فورد:

ـ قد يكون الامر غريبا، لولا ان زوجتي قد تسلحت بارادتها وعزيمتها وحاربت المرض وساعدت الالاف غيرها من اللواتي يشاركنها في حالتها المرضية في الانتصار على المخدرات والخمر، والسرطان وبدء الحياة من. . جديد! لقد رسمت زوجتي للملايين طريق الشفاء، فاستحقت مني الفخر، ومن الملايين الشكر والتقدير!

ومضت ساعة وعشر دقائق. . او يزيد!

وعاد «جيرالد فورد» ينظر الى ساعته، ويتمتم، وينقل بصره عبر النافذة حيث الملاعب الخضراء ورفقاء «الجولف» بانتظاره. . .

وقلت له وانا أجمع بعض اوراقي مع بعض اجزاء الة التسجيل في يدي:

● قل لي سيدي الرئيس! هل عندك من رسالة احملها معي الى اصدقائك من زعماء العرب، او من شعوبهم؟

وأجابني «فورد» وقد نسي الوقت، والساعة، ولعبة الجولف:

ـ أجل! اتمنى على اصدقائي من العرب، وخاصة اصدقائي من «المعتدلين» العرب ان يتأكدوا من صداقة بلدي الولايات المتحدة معهم! اريدهم التأكد من «صدق» صداقتنا تجاههم!

ثم سكت جيرالد فورد وقال بعد تفكير:

ـ وكذلك اريدهم التأكد من أننا سنعمل معا، وفي يد واحدة، لكي نحقق سلاما شاملا ودائما وعادلا في الشرق الاوسط!

وعاد جيرالد فورد الى صمته وتفكيره..

وسألت نفسي وانا اراقبه واستعد كي اودعه:

● ترى هل كانت صحيفة (نيوز ويك) الاميركية المعروفة محقة عندما هاجمت «جيرالد فورد» ذات يوم بلسان الملايين من يهود نيويورك وقالت انه «يتكلم اكثر او اقل مما يجب عليه ان يفعل لكي يعبر عن رأيه... وانه طالما اعتذر فيما بعد لانه لم يقصد ان يقول تماما الشيء الذي سبق له.. وقاله!

كلام فارغ! فارغ! فارغ!

فقد اسمعني جيرالد فورد كلاما منطقيا وواضحا وصريحا. وكان في كلامه، رجلا جريئا وامينا.. ورياضيا!

وعندما سلمني كتاب مذكراته قال لي وهو يودعني:

لقد اخذت مني ثلاثة اضعاف الوقت المحدد لك!

فأجبته شاكراً:

● عذري يا مستر «فورد» انك اخذت مني خمس ساعات طيران من نيويورك الى «لوس انجلوس»، وساعتين طيران مع الموت من «لوس انجلوس» الى مقر اقامتك في «بالم سبرنغز» لكي القاك واتمتع بحديثك!

وابتسم جيرالد فورد للمرة الثانية...

وعندما صافحني فورد مودعا، هز يدي بعنف، وضغط عليها كما يضغط على عصا «الجولف»، وقال وقامته المديدة تسد منافذ النور:

ـ لا تنس ان تبعث لي بنسخ من هذا الحديث منشورا بالعربية ومترجماً الى الانكليزية.. وبالبريد المسجل السريع!

ـ حاضر سيدي الرئيس!..



برمنغهام - الولايات المتحدة - ٣/٥/١٩٨٤

جيمي كارتر يتحدث معي وكأنه عضو في منظمة التحرير الفلسطينية!

جيمي كارتر يتحدث معي وكأنه عضو في منظمة التحرير الفلسطينية!

سمعته باذني يقول لي:

- مبادرة ريغان ماتت!
- وضع القدس الحالي مأساة..
- انا ضد نقل سفارتنا الى القدس!
- ريغان لم يقم باي جهد لحل ازمة فلسطين!
- قمة فاس فيها ايجابيات كثيرة!!
- اصرار الليكود على ضم الضفة ينسف احتمالات السلام..

الى اخره..

ولكن؟ هذه هي قصة مأساة العرب مع جميع رؤساء امريكا! فهم عندما يكونون في السلطة يصبحون اعضاء عاملين في حزب «حيروت» او ائتلاف الليكود! وهم عندما يخرجون او يسقطون او يخسرون او يفشلون يصبحون اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية..!

والشيء الوحيد الذي بقي مع جيمي كارتر بعد سقوطه من عرش الرئاسة الأميركية، هي ضحكته التلفزيونية الكلاسيكية المعروفة.!

وما اكثر ما كرهت هذه الضحكة المصطنعة، وما اكثر ما نفرت من صاحبها.

. صوته كصوت المبشر في صلاة يوم الأحد. ونظراته قلقة غير مستقرة. وحديثه كالتلميذ الجامعي الذي حفظ المحاضرة عن ظهر قلب وجاء يلقيها في ندوة علمية من ندوات جامعته على اخوانه وزملائه التلاميذ. وكنت كلما نظرت الى عينيه، في لقائي الطويل معه، يوم العاشر من مايو من عام ١٩٨٤، تأكد لي ظني بان انتصار هذا الرجل على العرب في ابرام اتفاقية كامب دافيد، لا يعود الفضل فيه الى سحره او قوته او نفوذه او عبقريته، وانما يعود الفضل فيه الى خور محمد انور السادات وضعفه واستسلامه..

ونبدأ الحديث..

قيل لي ان لقائي مع الرئيس الاميركي السابق «جيمي كارتر» لن يتم في مدينة (أتلانتا) ولا في ولاية (جورجيا) حيث الاقامة الدائمة للرئيس السابق وانما سألتقي معه في جلسة خاصة في

فندق شيراتون بمدينة برمنغهام من ولاية (الاباما) المجاورة لجورجيا في جنوب الولايات المتحدة الاميركية.

وعندما سألتهم لماذا برمنغهام، قالوا:

ـ لان جيمي كارتر سيلقي محاضرة في جامعة (برمنغهام) عن «مكتبة» جيمي كارتر المنوي انشاؤها، والتي ستبلغ نفقاتها حوالي اربعين مليون دولار، او يزيد لكي تضم اوراق الرئيس السابق ومذكراته وكتبه.. ومجموعة صوره وافلامه.. ثم يأتي بعد المحاضرة الى فندق «شيراتون» لكي التقي به او نلتقي معا او يلتقي بي؟.

عال..

ومتى سيكون اللقاء.. بالتحديد؟

وأجابوا: في تمام الساعة الخامسة وعشر دقائق من مساء يوم الثلاثاء.

ثم اضافوا يسألونني:

ـ هل لديك فكرة عن مدى التزام الرئيس كارتر بدقة المواعيد؟

وعندما اجبتهم بالنفي، قالوا:

ـ الرئيس كارتر يفضل ان يلغي المواعيد التي لايلتزم بها ـ حرفيا ـ زواره وضيوفه. والافضل لك ان تقضي ليلة «الاثنين» في مدينة (برمنغهام) وان تنام في احدى غرف فندق (شيراتون) بالذات، وان لا تبرح غرفتك طيلة ساعات بعد ظهر يوم الثلاثاء، لكي تضمن ان موعدك مع «الرئيس» سيصبح نافذ المفعول في تمام الساعة الخامسة وعشر دقائق بالضبط من مساء ذلك اليوم الموعود.

مرة اخرى: عال.

وحملتني الطائرة من نيويورك الى (اتلانتا) ـ وقد بنى لها كارتر لانها بلده ـ اكبر مطار في الولايات المتحدة الاميركية ثم حملتني طائرة اخرى من اتلانتا الى (برمنغهام) التي بدت بالمقارنة ورغم انها اغنى مدينة للحديد والصلب في اميركا اشبه بقرية نائية من قرى ريف مصر ـ ومن المطار عبرت بي السيارة في غابات المدينة النائية والساعة قد بلغت الثانية صباحا ـ لكي تحط بي امام فندق سياحي فخم رأيت معظم زواره اما من العرسان في شهر العسل او من الشيوخ على عتبة الموت.

وقضيت في الفندق المذكور (٢٤) ساعة لم أر فيه الا الملونين من اهل الجنوب، وبعض رجال الامن الاميركي الذين سبقوا مجيء كارتر الى الفندق للحفاظ على حياته.

مرة ثالثة: عال.!

وفي تمام الساعة الخامسة وسبع دقائق، وصل موكب كمواكب الملوك والامراء والرؤساء الحاكمين لا السابقين ـ الى مدخل الفندق. وهبط كارتر تسبقه ابتسامته التقليدية ـ او

التلفزيونية ـ وقد رفع يده بحكم العادة لكي يحيي الجماهير بينما لم يزد عدد المستقبلين عن عشرين شخصا، بينهم مدير الفندق ومدير الاستقبال ورئيس الخدمة وعشرة من رجال الامن، . . وأنا.

وفي لحظات تمت عملية التعارف.

وفي ثوان صعدنا معا الى غرفة الاستقبال الخاصة الملحقة بجناحه الخاص.

وفي ثوان، فتحت حقيبتي واخرجت منها جهاز التسجيل ووضعته امام «جيمي كارتر» وصوته ـ من قبيل المجاملة ـ يسألني:

ـ كيف الحال عندكم. . الان؟

واجبته وانا اضع المسجل امامه:

ـ سيئة كما تركتها يا سيدي الرئيس.

وهز كارتر رأسه وقال:

ـ نعم. انا على علم بذلك!

ولاحظت ان كارتر يتعمد ان يضع فمه بعيدا عن الة التسجيل فسألته:

ـ هل يزعجك المسجل؟

اجاب مع ابتسامته المفتعلة اياها:

ـ انا اقبل به اذا كان لابد منه.

قلت: اخشى ان يكون التسجيل في هذه الحالة امرا ضروريا!

وعلى الفور اقترب كارتر بفمه من المسجل ولكنه ـ لسبب ما ـ راح يحكي بصوت خافت! وعندما رجوته ان يرفع صوته لكي يأتي التسجيل واضحا، رأيته، او سمعته يتكلم بلهجة اميركية غريبة ومتعمدة لكي لايفهمها الناس! ولعل كارتر ادرك حيرتي عندما رحت اكرر وراءه كلامه، عبارة بعد عبارة، فقاطعني ومازال يطلق تلك الابتسامة:

ـ سأتحدث اليك بلهجة عادية! اعذرني! انا قادم من القاء محاضرة طويلة دامت ثلاث ساعات في جامعة برمنغهام. ان الطاقة البشرية لها حدود!.

واعتدل الرئيس الاميركي السابق في جلسته وقال لي وهو يمد لي يده للمصافحة، وكأننا نتفق مقدما على شروط المبارزة المقبلة بيننا:

ـ انا على استعداد لكي اجيبك على كل شيء!.

قلت لجيمي كارتر والحديث يبدأ بالطبع من موضوع الشرق الاوسط:

● اين هي اميركا اليوم من قضايا الشرق الأوسط؟

وكأنه الاستاذ المحاضر في احدى الجامعات الاميركية في بلاده راح جيمي كارتر يجيب عن سؤالي بلهجة رتيبة وصوت يكاد يشبه المواعظ، التي اعتاد ان يلقيها في صلوات يوم الاحد في

ولاية جورجيا قال:

ـ انا لا اشعر مطلقا بأي جهد حقيقي تبذله الادارة الاميركية الحالية من اجل ايجاد حل سريع لاية قضية من قضايا الشرق الاوسط، او من اجل التصدي للاسباب والعوامل التي قامت عليها هذه القضايا. وقد يكون الخطاب التاريخي الذي القاه الرئيس رونالد ريغان في شهر سبتمبر ايلول من عام ١٩٨٢ خطابا جيدا، والذي بناه على الاسس الواردة في اتفاقية كامب ديفيد. ولكن منذ القاء الخطاب المذكور حتى اليوم، لم تقم الادارة الاميركية الحالية بأي عمل قادر على ان يكمل الجهد، او ان يضمن الحياة للمشروع السياسي الوارد في خطاب الرئيس ريغان، خاصة وان مناحيم بيغن، عندما اعلن رفضه للمشروع، قد اصابه بالشلل التام، الذي كان بمثابة خطوة مخيفة الى الوراء في العمل من اجل السلام، وكذلك جاءت احداث لبنان وانهماك الادارة الحالية فيها ثم دخولنا في عام الانتخابات للرئاسة.. كل ذلك قد شغل ادارة رونالد ريغان عن الانصراف الى متابعة خطاب شهر سبتمبر من عام ١٩٨٢.

واستمر جيمي كارتر يقول:

وانا اعتقد ان اميركا لم تقدر ان تقطع اي شوط للعمل من اجل السلام او ان تتقدم بأية خطوات ملموسة في هذا الطريق السياسي، سواء بشأن الضفة الغربية او غزة او حقوق الفلسطينيين او المستوطنات اليهودية او القضية الفلسطينية بشكل عام من جهة، ثم اقناع العرب بضرورة الاعتراف بدولة اسرائيل من جهة اخرى ما لم تقرر الولايات المتحدة الاميركية ان تقوم بدور فعال وقوي ومؤثر ونافذ على مستوى الرئاسة الاولى وعلى مستوى وزارة الخارجية الاميركية معا. وهذا الشيء لم نقم به منذ سبتمبر ١٩٨٢، وقد لانقوم به طيلة هذا العام الحالي للاسف الشديد».

قلت لجيمي كارتر:

● وما هو رأيك انت بمبادرة رونالد ريغان حول الشرق الاوسط؟

واجاب على الفور وكأنه كان يتوقع سؤالي:

ـ انا ارى فيها فهما طيبا للقضية الفلسطينية وادراكا جيدا للموضوع الخطير، ولكنها، اي هذه المبادرة، قد ماتت ولم تعش طويلا..!»

ثم اضاف جيمي كارتر:

ـ لقد استشاروني في المبادرة المذكورة قبل اعلانها، وعرضوا علي مشروع مسودة لها حملها لي وزير الخارجية الاميركي الى منزلي في جورجيا، وقرأتها واضفت عليها بعض المقترحات من عندي، وقلت يوم ذاك للخارجية الاميركية انني اؤيد مبادرة الرئيس ريغان بكل قوتي، لاني اؤيد كل ما تضمنته هذه المبادرة من نقاط ولاني اوافق عليها. وكانت مبادرة جيدة ولكنها للاسف الشديد استمرت مجرد مبادرة ليس الا..»

سألته:

● وهل من امل لديك في قدرة هذه المبادرة على ان تعود وتبعث من جديد؟

واجاب جيمي كارتر:

ـ انا اقول بكل وضوح ان مبادرة الرئيس ريغان قد اضافت شيئا ما الى الينابيع التي استمدت منها اتفاقية كامب ديفيد مضمونها ومادتها، كما انها اضافت الى القرار الدولي رقم ٢٤٢ شيئا ما قد يسهم الى حد كبير باقرار السلام في المنطقة. وانا ارى في قرار الرؤساء العرب في قمة فاس جوانب ايجابية اخرى قادرة بدورها على ان تسهم مع بقية الجهود والقرارات والمبادرات في بناء عملية السلام..».

وقلت للرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر:

● وماذا تقول انت في نصيب قضايا الشرق الاوسط خلال معركة انتخابات الرئاسة الحالية في الولايات المتحدة حتى اليوم؟

واجابني كارتر:

ـ انا اصبت بخيبة امل شديدة لما اصاب قضية الشرق الاوسط في معركة انتخابات الرئاسة الاميركية حتى اليوم. ولكن خيبة املي لاتعني بالتالي انني مندهش لما اسمع وأقرأ. لقد وصلنا الى نقطة تجلت فيها صورة خلافاتنا مع اسرائيل على حقيقتها وبكل خطورتها. وان اصرار ائتلاف ليكود الحاكم في اسرائيل على ضم الضفة وقطاع غزة الى اسرائيل يعني تماما ان الجيل الحاضر في اسرائيل لن يرى السلام في عينيه. وانا اسف لان المرشحين للرئاسة عن الحزب الديمقراطي الاميركي، ولان الرئيس ريغان بالذات ايضا لم يتصد احد منهم لهذه النقطة الجوهرية بالعشرات من الخطب والتصريحات التي ادلوا بها في هذه المعركة. وقد تعمدوا تأجيل الموضوع بأسره للمستقبل اي إلى ما بعد الانتهاء من معركة الرئاسة وهذا ما يدعو الى الاسف الشديد!»

قلت له مقاطعا:

● ولكن المستر والتر مونديل المرشح الديمقراطي للرئاسة، وقد كان الى امس القريب نائبا لك في الرئاسة الاميركية ـ قد تعمد الادلاء بتصريحات عن القدس ونقل السفارة من تل ابيب مما لاتدعو الى الاطمئنان ولا تتسم بالتعقل والايجابية. فماذا تقول انت؟

واجابني كارتر:

ـ انا لا استثني والتر مونديل من النقد والاتهام. وقد اقترف مونديل غلطة كبرى بتبني مشروع قرار نقل سفارتنا من تل ابيب في خطبه وتصريحاته الاخيرة. ولعلك تذكر انني في عام ١٩٧٦ ثم في عام ١٩٨٠، كان لي خلال المؤتمر العام للحزب الديمقراطي الاميركي موقف معروف عندما قرر المؤتمر نقل سفارتنا من تل ابيب الى القدس، وفي الحالتين ورغم كوني

كنت المرشح الديمقراطي للرئاسة الا انني تعمدت يوم ذاك ان ادعو، في المناسبتين معا، الى مؤتمرين صحفيين وان اعلن في كل مرة منهما انني لن التزم بقرار الحزب الديمقراطي في موضوع نقل السفارة الاميركية من تل ابيب الى القدس».

ثم اضاف جيمي كارتر بعد شيء من التفكير:

ـ ولكني اقول لك للحقيقة وللتاريخ ان موقف مستر والتر مونديل الحالي حول نقل السفارة ليس بالموقف الجديد، اذ ان المستر مونديل كان دوما، وخلال عمله كنائب لي في الرئاسة الاميركية، ينادي بضرورة نقل سفارة اميركا للقدس، ولكن بحكم وجودي كرئيس له، كان مونديل مرغما على الالتزام بقراري وبسياستي وبموقفي حول هذا الموضوع الهام».

ثم قال لي جيمي كارتر:

ـ اما اذا استطاع المستر مونديل ان يصبح رئيسا للولايات المتحدة الاميركية ـ وانا ارجو له ذلك ـ فأنه سيجد عندئذ ان الموضوع ليس سهلا كما تراءى له بل ان الامر ينطوي على الكثير من الصعوبة بل لعله ايضا يتناقض مع مصالح اميركا القومية ان ينقل السفارة الاميركية من تل ابيب الى القدس».

سألته مقاطعا:

● هل افهم من ذلك انك تقف ضد فكرة نقل سفارة اميركا من تل ابيب الى القدس؟

اجابني بحماس ملحوظ:

ـ بكل تأكيد انا ضد الفكرة جملة وتفصيلا!

● قلت: انت ضد الفكرة بلا تحفظ؟

قال وحماس المستر كارتر يزداد:

ـ نعم يا سيدي نعم، انا ضد نقل سفارة اميركا من تل ابيب الى القدس.

ثم مد لي يده مصافحا علامة الثقة، والتأكيد ، فسألته ولقد شعرت بحقيقة موقفه تجاه نائبه السابق والمرشح الحالي ولتر مونديل:

● وهل تعتقد ان فرص النجاح متوفرة بكثرة امام المستر مونديل للفوز في هذه الانتخابات؟

واجاب جيمي كارتر مع شبه ابتسامة:

ـ انا أعتقد ان فرص النجاح امامه موجودة ولكني لا اعرف ماذا تعني انت بكلمة (كثيرة) في الحديث عن مدى توفر هذه الفرص. انا أظن ان مونديل سيكون اقوى المرشحين من صفوف الحزب الديمقراطي في هذه الانتخابات. ورغم ان الاستفتاءات الشعبية للرأي العام الاميركي، في الوقت الحاضر تؤكد فوز رونالد ريغان، الا انني اعلم كذلك، ومن تجاربي الخاصة السابقة، الى اي مدى ستتبدل الامور خلال الشهور الستة القادمة ومدى قدرة مثل هذا التغيير بالتأثير على مجريات الامور!»



المؤلف مع الرئيس كارتر

ثم اضاف جيمي كارتر يقول:

ـ وإذا استطاع الحزب الديمقراطي توحيد صفوفه لاختيار مرشح واحد تدعمه جميع الاجنحة ويقف وراءه جميع اقطاب الحزب فأني اعتقد ان فرص الفوز عند مونديل ستكون عندئذ شبه مضمونة».

ثم راح يكرر: يجب الان ان لانسبق الاحداث. ان المفاجآت القادمة كثيرة»!

وسألت جيمي كارتر عن رأيه في خصمه اللدود رونالد ريغان الذي سرق منه منصب الرئاسة الاولى واخرجه من البيت الابيض وقلت له:

● وما هو رأيك انت في ادارة الرئيس الحالي وما هو تقييمك لسياسته الاقتصادية الداخلية والخارجية؟

فأجابني صاحب الابتسامة الكليشيه وهو يشعرني بمدى سعادته لسؤالي:

ـ اما في السياسة الخارجية فقد كانت سياسة الرئيس ريغان سلسلة متواصلة من الاخطاء والهزائم. انا لا اعرف له حسنة واحدة او خطوة ايجابية واحدة، ولا اعرف لسياسة الرئيس ريغان اية ميزة ايجابية في ميدان السياسة الخارجية. كانت كل اعماله تشير الى الانهيار وكأنها تتساقط من اعلى الجبل. وهو في تعامله مع السوفيات، وفي تعامله مع مباحثات الحد من الاسلحة النووية وتجاه حرب الخليج ولبنان والضفة الغربية ومشاكل اميركا الوسطى كانت سياسته في كل هذه المناطق المتأزمة في انحاء العالم متسمة بالجمود او الفشل او اللامبالاة. اذ لانرى امامنا اليوم اي تحرك جدي بهدف التفاوض لحل ازمة واحدة من هذه الازمات، سواء

على مستوى الرئاسة الاولى، ام على مستوى وزير الخارجية. فالفشل ثم الانسحاب كانا طابع سياستنا الاميركية في لبنان. والحالة في اواسط اميركا تسير من سيء الى اسوأ. وهكذا لا أرى امامي اية انجازات في حقل السياسة الخارجية، وانما ارى امامي سلسلة هزائم وخطوات الى الوراء. اما في السياسة الاقتصادية الداخلية ـ والكلام ما زال للمستر جيمي كارتر ـ فقد نسمع من يقول: ان نسبة التضخم عندنا قد انخفضت، وهذا صحيح ولكن الفضل في ذلك لايعود للرئيس ريغان، وانما يعود لازمة الركود في الاقتصاد العالمي اولا، ثم للانخفاض الملحوظ في اسعار البترول ثانيا..»

ثم اضاف جيمي كارتر وكأنه ينسف تمثال رونالد ريغان من قاعدته:

ـ وقد يقال بأن رونالد ريغان ـ رغم انفه ـ قد حقق نجاحا في ذلك الميدان الاقتصادي للاسباب الذي ذكرتها لك ولكن يجب ان لاننسى كذلك ان نسبة البطالة في اميركا قد ارتفعت وان كمية العجز في صادراتنا وميزانيتنا العامة قد زادت مما خلق مشكلة كبرى لاية قيادة اميركية تأتي بالمستقبل. وفي العموم فان حجم تجارتنا العالمية قد انحطت بصورة لم نعهدها قبل الان، وهناك مائة مليار دولار كعجز في الميزان التجاري الاميركي لم تعرفها البلاد طيلة تاريخها الحديث..»

ثم راح جيمي كارتر يردد كعادته عن خصمه ريغان:

ـ سياسته سلبية .. سلبية وفاشلة ومتجمدة!»

قلت له وانا افتح له صفحة بيضاء كي يكتب فيها بعض سطور انتصاراته:

● وماذا كانت اعظم انتصاراتك انت خلال رئاستك للجمهورية؟

ومرة اخرى مد جيمي كارتر يده لكي يصافحني شاكرا لي سؤالي، وقال وكأن كلماتي هبة سماوية هبطت عليه من المجهول:

ـ لعل اخطر التحديات التي واجهتها او واجهتني خلال رئاستي للجمهورية كانت تتعلق بموضوع اتفاقية بنما. والقدرة على ابرامها ثم التصديق عليها، من الاغلبية في الكونغرس. وانا اشعر بالفخر لانجازي هذه الاتفاقية. كما اني اشعر بالفخر لاني نجحت في تطبيع علاقاتنا مع الصين، ولاني نجحت في عقد اتفاقية سالت رقم ٢ والتي ما زالت نافذة المفعول من جميع الاطراف».

ثم اعتدل جيمي كارتر في جلسته ووضع ساقا على ساق وقال وقد ارتفعت نبرته وعلا صوته:

ـ ولكني اشعر بفخر من نوع خاص لاني نجحت في ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل والتي مازالت سليمة ومعمولا بها!».

ثم صمت كارتر قليلا وقال وكأنه يستعيد ذكرياته:

ـ اما في الميدان الداخلي فاني انتصرت بأن وضعت سياسة ملائمة حول موضوع الطاقة في بلادنا، كما اني فخور بأنني اعدت الى موضوع حقوق الانسان في العالم الكرامة والجدية وجعلت من هذا الموضوع اساسا للسياسات وللمواقف العامة»

ثم عاد كارتر وابتسم وقال لي:

ـ تلك هي بعض الانتصارات التي تخطر على بالي في هذه الدقائق».

سألته ونحن ندخل معا باب الحوار الساخن:

● وما هي القضايا التي لم تنجح في حلها، او القضايا التي لم تسمح لك الظروف او الوقت لمواجهتها ثم الانتصار عليها؟

واجابني جيمي كارتر:

ـ ان اسوأ ما اصابني من خيبة امل كانت بسبب التأخير في الافراج عن الرهائن الاميركيين في ايران واطلاق سراحهم في الوقت المناسب».

ثم اضاف:

ـ اذا كانت الامور تقاس بالنتائج فان جميع الرهائن كما هو معروف قد عادوا الى بلدهم والى الحرية بخير وسلام ولكن الشهور الطويلة التي قضوها في المعتقل الايراني قد اصابتني شخصيا بالقلق وبالمرارة بصورة تفوق كل شيء اخر طيلة سنوات رئاستي..»

سألته والنقاش بيننا قد بدأ يسخن قليلا:

● وبماذا ترد انت على المرشح الديمقراطي الحالي السناتور هارت الذي خطب يوم امس قائلا عن عهدك في الرئاسة بأنه اسوأ العهود وبان ادارتك الاميركية كانت كلها رهينة عند آية الله في ايران؟

واجاب جيمي كارتر وقد اختفت الابتسامة ـ الكليشيه:

ـ هذه كلمات سخيفة تدعو للسخرية وهذا كلام انتخابي لايساعد صاحبه في شيء ولن أرد عليه بشيء!.

سألته والسخونة تشتد:

● والى اي مدى كانت تصرفات اخيك بيلي كارتر الاخلاقية قد أثرت على منصبك كرئيس للجمهورية او أثرت على احتمالات عودتك الى الرئاسة لفترة اخرى؟

وقال كارتر:

ـ حسنا! ان الهجمات على اخي بيلي كارتر كانت متفقة بموعدها مع تاريخ عقد المؤتمر الديمقراطي العام للانتخابات، وبالتالي، فقد استطاعت هذه الهجمات ان تحتل الصفحات الاولى في جميع صحف اميركا وان تكون عناوينها بالاحمر والاسود والاخضر في المجلات والصحف اليومية لمدة اسابيع طويلة، كان المفروض خلالها ان أتمكن انا من ضم وتوحيد

صفوف الحزب الديمقراطي وراء مرشح قوي واحد، ولكن اخي بيلي شغلني وشغل العالم عن القضايا العامة بقضاياه الخاصة. وقد استطعنا في النهاية امام الكونغرس وفي الجهات المختصة ان نرفض الاتهامات التي وجهت الى اخي بيلي، وان نثبت عدم صحتها، وخلوها من اي طابع اجرامي وانها مجرد اخطاء بشرية عادية لاتشكل جريمة ولا تتطلب عقابا، شأنها شأن كل الاخطاء التي يقترفها اي انسان اخر. ولكن اخطاء اخي بيلي في ذلك الوقت كانت بمثابة مشاكل خطيرة شخصية لي رغم اني لا احمل تجاه اخي المذكور أي نقد شخصي. واني اشعر الان بأن اخي بيلي قد اصبح انسانا اخر اذ أصبح يربح كثيرا من المال من وراء عمله، وان مشكلته الكبرى في تعاطي الخمور وادمانها قد تلاشت مع الزمن، حيث دخل المستشفى في كاليفورنيا للعلاج وقد نجح العلاج وانقطع اخي بيلي عن تعاطي الخمر طيلة السنوات الاربع الماضية. مرحى لاخي بيلي!.

قلت مرددا لكي اطيب خاطر رئيس اميركا السابق:

● اجل! مرحى لاخينا بيلي!

ثم سألته عن زوجته الحسناء السيدة روزالين التي انضمت مؤخراً الى قافلة الكتاب والمؤرخين وناشري المذكرات واصدرت كتابها الجديد الضخم تحت عنوان «السيدة الاولى روزالين كارتر». . وقلت لزوجها الذي قال في نوفمبر ١٩٧٦ في تصريحات معروفة له بمجلة بلاي بوي الاميركية انه يعجب بالنساء الحسان وانه يشعر تجاههن بالرغبة الجنسية وانه بسبب ذلك يطلب مغفرة السماء. قلت لجيمي كارتر الزوج:

● وماذا كان تأثير زوجتك السيدة روزالين على شخصك وعلى عملك؟

واجابني كارتر الذي اعترف دائما بأنه مجرد رجل ليس احسن من بقية الرجال:

ـ روزالين هي شريكتي الكاملة والتامة في كل شيء، سواء كزوج وزوجة، ام في العمل عندما كنت ادير مزارع الفستق في سهول بلدي، ام في تربية الاولاد، ام في الاشراف على الحملات الانتخابية لمنصب الحاكم وللرئاسة الاولى. وانا أشاركها في كل شيء، واشركها معي في كل التحديات التي تواجهني او اواجهها. وانا اكشف لها ـ لزوجتي ـ عن كل الاسرار الخاصة والعامة ـ فيما عدا الاسرار القومية المتعلقة بسلامة الدولة العليا ـ وهي توجه لي النصائح المخلصة التي أرى فيها الكثير من الذكاء والحكمة والادراك السليم للامور! . .»

سألت جيمي كارتر:

● وهل يشجعك دور روزالين معك على ان تنصح بقية نساء العالم التشبه بروزالين مع ازواجهن؟

قال جيمي كارتر وكأنه لم يعد يسعد كثيرا بالحديث عن زوجته:

ـ هذا امر خاص يعتمد على نوعية الزوجة، وعلى نوعية الرجل معا. هناك الكثير من

النساء والكثير من الرجال الذين يرفضون مبادىء المشاركة التي حدثتك عنها وما تتضمنه هذه المشاركة من مسؤوليات وصلاحيات. ان روزالين تملك موهبة خاصة في تقييم الناس، كما انها تملك عقلا خلاقا ومستفسرا، يبحث دوما عن الحقائق والمعلومات، وهي امرأة ذكية تقرأ كثيرا وتعرف اسرار السياسة الخارجية وخاصة احوال السياسة الدولية في معظم انحاء العالم.

قلت له مقاطعا:

● وما هو تقديرك لكتاب زوجتك الاخير؟

اجابني كارتر:

- انا أعتقد ان هذا الكتاب سيحظى بما يستحقه من نجاح هائل وقد حقق حتى الان كل معالم هذا النجاح المطلوب.

قلت له:

● وهل نالت روزالين بعض مساعدتك في كتابة كتابها وانهائه بشكل لائق؟

اجابني بصراحة الاميركيين:

- لم أساعدها بمعنى المساعدة. كانت تكتب كثيرا وكانت تطلعني على كل جزء من الكتاب عندما كانت تفرغ من كتابته. وكانت تسألني عن الكثير من التواريخ او ما اذكره شخصيا عن بعض الامور الخاصة والعامة. ولكن الكتابة بمعناها الواسع كانت من اختصاصها ومن مسؤوليتها. وقد كتبت روزالين في باديء الامر اكثر من ألف صحفة لكتابها ثم جاء التلخيص الى حوالي خمسمائة صفحة فقط. وانا واثق انها ستبيع من هذا الكتاب مئات الالوف لانه يستحق الانتشار..

قلت مشجعا او مجاملا:

● ولكنها هي تستحق ذلك ايضا!

ثم بدأنا ندخل معا في الكلام الجد عندما سألت جيمي كارتر:

● هل يزعجك ان نعود في حديثنا الى موضوع الشرق الاوسط؟..

وأجاب كارتر مع هزة رأس:

- ابدا.. تفضل!

قلت وانا ادخل معه الحديث الساخن من جديد:

● أنت رجل تقرأ الانجيل وتؤدي الصلاة يوميا، وتعظ في الكنائس وتبشر بالدين، ألا يسوءك يا ترى ان تجد مدينة الاديان السماوية الكبرى تئن تحت العذاب الصهيوني وتستغيث من بطش التعصب اليهودي؟ ألا تسمع يا سيدي الرئيس صوت مدينة القدس؟ ألا تخجل من غياب السلام عن مدينة السلام؟

ولاول مرة رفع جيمي كارتر رأسه ونظر في وجهي مباشرة دون ان يبدي اي اهتمام بآلة

التسجيل او بعدسة المصور وقال مع ابتسامة مفتعلة ليس فيها من معنى الارتياح او السعادة شيء:

ـ هذه مأساة! هذه تراجيديا! هذه مصيبة للمسلمين وللمسيحيين ولليهود ان يجدوا القدس التي هي مدينة المحبة والرسل والسلام وقد اصبحت موطنا للقتل والكراهية والاستفزاز وسوء التفاهم. وقد مضى على هذه الحال عدة سنوات..

قلت له وكأن جوابه لم يقنعني ولم يشف غليلي:

● انت رجل سلام، كما ان للمسيحية في قلبك مكانا كبيرا جعلك تحاول ان تبشر بها علنا وتقنع صديقك رئيس جمهورية كوريا البوذي ان يعتنق الدين المسيحي، وان تقنع الالاف من السود في الجنوب بضرورة اعتناقها.. ترى ما قيمة المسيحية بدون القدس يا مستر كارتر؟

واجاب كارتر الذي لم ينقطع عن مهمة التبشير حتى بعد مجيئه الى البيت الابيض:

ـ منذ اجيال طويلة والقدس في عذاب.. هذه هي الحقيقة لسوء الحظ. وكلي امل ان يجيء السلام الى الشرق الاوسط. وقد كانت جميع جهودي في سياستي الخارجية كرئيس الولايات المتحدة الاميركية تهدف الى خلق السلام في الشرق الاوسط، لا بين مصر واسرائيل فحسب، بل بين اسرائيل والفلسطينيين ايضا، وكذلك بين اسرائيل والسوريين، وكذلك بين الاردن واسرائيل، وكذلك بين اللبنانيين. وما زلت اسعى لهذا الهدف.. هل أقول لك شيئا، انا الان اضع كتابا خاصا عن فلسطين وعن القدس!

سألته:

● عن فلسطين والقدس معا!؟

اجابني كارتر:

ـ وعن الشرق الأوسط ايضا!

قلت:

● وماذا سيكون اسم الكتاب؟

اجاب كارتر يسألني:

هل عندك اسم لائق لمثل هذا الكتاب؟

ولم اجب، بل ضحكت، ولم يدرك كارتر سر ضحكتي، فسألني:

ـ هل هناك من اسئلة اخرى؟.

اجبته: ان أسئلتي كثيرة.

واستمر قائلا: لقد انهيت معظم فصول هذا الكتاب الجديد واني آمل ان تعود القدس وتصبح مدينة السلام الخالدة من جديد وان احمل معي كتابي اليها واهديه لها..!

قلت له:

● هل سيتحقق هذا السلام رغم انف اسرائيل؟

اجاب:

ـ سيتحقق السلام رغم كل شيء!

سألته:

● حتى رغم الطغيان الاسرائيلي؟

ولم يجب جيمي كارتر..

وساد صمت ظننته طويلا فبادرت أسأله:

● لعل في الحديث عن مآسي ثورة ايران ما ينسيك بعض هذا الحزن والقلق عما يجري من مآسي اسرائيل في مدينة الانبياء. ترى ما هو تقييمك الان للحالة السياسية والعسكرية في داخل الثورة الايرانية؟!

واجابني جيمي كارتر الذي لايحب النكتة، ولا يفهمها، كما لايحب الخسارة ولايطيقها، خاصة وقد كان هو بالذات احد ضحايا الثورة الايرانية:

قال:

ـ لقد ثبت ان جميع قرارات آية الله الخميني لم تكن عاقلة ولا متسمة بالذكاء مهما كانت تبريراتنا لقيام الثورة في ايران. ان قضية الرهائن الاميركيين وقضايا الخطف والاعتقال، مع الكثير من تأييد الخميني لاعمال الارهاب والاعتداء على حقوق الانسان قد جعلت منه ارهابيا يفوق اعمال الارهاب التي قامت على ايام الشاه السابق، وكذلك فان انتشار موجات العدوان التي يقوم بها بواسطة ارسال الاطفال الصغار الى ميدان القتال ضد العراق قد حدت من انتصارات الثورة الايرانية.

ثم قال جيمي كارتر وكأنه قد تذكر شيئا:

ـ ان العراق قد اقترف خطأ جسيما في الهجوم على ايران ولكن العراق قد بدأ مؤخرا يحاول بكل جهده وطاقته ان ينهي هذه الحرب.

سألته:

● هل تقول ان العراق هو الذي بدأ الهجوم؟

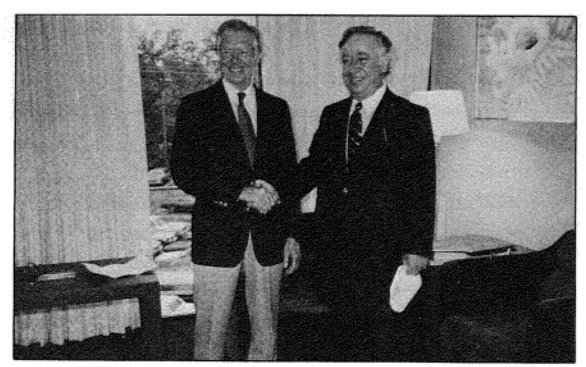
اجابني كارتر:

ـ انا اقول ان العراق كان مخطئا في بدء الهجوم العسكري على ايران!.

سألته:

● ولماذا لاتتذكر سلسلة الاعمال العسكرية السرية والعلنية التي اصابت العراق على يد الثورة الايرانية قبل بدء القتال على المستوى الحربي الواسع بين البلدين؟

قال كارتر:



وكلما حمل المصور آلة الكاميرا اسرع كارتر وصافح ناصر الدين النشاشيبي!

ـ ان العراق قد أبدى حسن نواياه بالدعوة حاليا الى السلام مع ايران.

قلت:

● ان هناك يا مستر كارتر من يتهم اميركا بأنها تقف وراء توريط العراق في حرب واسعة ضد ايران، قادرة على ان تستنزف البلدين وتشغل الجيشين وتضرب البعث العراقي بالجنون الثوري الايراني؟

واجابني جيمي كارتر على الفور:

ـ لا يا سيدي!

ثم راح يكرر بشدة:

ـ لا . . لا! هذا غير صحيح . . نحن لانملك علاقات ديبلوماسية مع العراق. ونحن لانقدر ان نتصل بالعراق. وانا شخصيا اصابني من اعلان العراق الحرب على ايران ضرر كثير. . !

سألت جيمي كارتر عن الاضرار الشخصية التي اصابته من اشتعال الحرب بين العراق وايران فاجابني:

ـ شعرت بالحزن الشديد عندما قامت العراق بالهجوم على ايران، لان ذلك قد خلق لي مشكلة جديدة وصعبة وخطيرة في طريق جهدي المضني لاطلاق سراح الرهائن الاميركيين!

ثم اضاف كارتر

ـ لذلك كنت ـ على عكس ما اسمعه منك الان ـ ضد عملية اشتعال الحرب بين العراق

وايران. وبكل قوتي ضد فكرة هذه الحرب. صدقني: هكذا كان موقفي وموقف ادارتي وحكومتي ايضا!

سألته دون تردد:

● ولماذا لاتحاول اميركا ان تقوم اليوم بعمل ما او بخطوة ما من اجل انهاء هذه الحرب المسعورة؟

واجابني جيمي كارتر:

ـ وماذا نستطيع ان نفعل ونحن بصدد منطقة معينة في هذا العالم ليس لنا فيها اي نفوذ وليس لنا معها اي اتصال. انت تعلم ان ليس بيننا وبين العراق او ايران اية علاقات ديبلوماسية، واذا نحن قلنا مثلا لاية الله الخميني ان ينهي هذه الحرب فأني متأكد بان الخميني سيسرع ويفتح ضد العراق عشر جبهات عسكرية جديدة نكاية بنا وردا على نصيحتنا له..!»

قلت لجيمي كارتر:

● لقد شهد لك العالم بانك رجل سلام. كما شهد لك العالم بانك من اجل السلام تضحي بالكثير وتعمل الكثير وتخفي الكثير وتعلن الكثير ولا تأبه للقليل او للكثير. قل لي يا مستر كارتر هل بقيت عندك اسرار لم تعلنها على العالم في عملية السلام التي خلقتها بين القاهرة وتل ابيب؟

واجابني جيمي كارتر باختصار:

ـ لا ليس عندي ولم يبق عندي ما اخفيه.

ثم اضاف:

ـ ولم يعد عندي ما اعلنه او ما اخاف منه!

ثم اضاف:

ـ لقد كنت صريحا ومكشوفا بكل الخطوات التي قطعتها وبكل التصريحات التي اعلنتها خلال مشوار السلام الطويل بين مصر واسرائيل وليس عندي اليوم ما اضيفه.

سألته لكي اعود واثير غروره في نفسه:

● يشهد لك الجميع بانك كنت دون الكثيرين غيرك من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية ـ قادرا على رسم وتثبيت سياسية خارجية خاصة مطبوعة بطابعك. قل لي يا مستر كارتر: كيف تفسر قدرتك على الانفراد برسم مثل هذه السياسة؟

واجابني الرئيس السابق للولايات المتحدة الاميركية والذي كان انضمامه الى قوات الاسطول الاميركي خلال الحرب العالمية الثانية اقصى امانيه في هذه الحياة:

ـ انا كنت في سائر اعمالي بالبيت الابيض اعتمد على ان اكمل كل ما حاول ان يبدأ سواي

من الرؤساء السابقين. كنت استغل نجاح الذين سبقوني في اعمالهم السياسية في الشرق لاوسط واميركا الوسطى وافريقيا واوروبا والصين، وابني قواعد سياستي الجديدة على تكملة النجاح واستمراريته ولم احاول مرة واحدة ان الوم احدا من الرؤساء الاميركيين السابقين على معالجة قضية معينة كنت وحدي المسؤول عنها او على التقصير في معالجتها. ثم اني كنت اؤمن بان عظمة الشعب الاميركي لاتعتمد فقط على قوته العسكرية او متانته الاقتصادية، وانما تعتمد ايضا واولا على مميزات صغيرة معروفة تتعلق بسمعة هذا الشعب وبصلابته وامانته ونظافة يده واخلاقه الخاصة والعامة وانضباطه واحترامه للقانون والنظام، وحبه للسلام والعدل. وكنت على مر الايام اثق بان الوقت لن يكون بعيدا عندما يستطيع هذا الشعب ان يدرك بنفسه ما سبق وامنت به في نفسي وما سبق وعملت من اجله وما سبق ووثقت بقيمته وما سبق وجاهدت بكل طاقتي من اجل الحفاظ عليه، حفاظا مني على عظمة الشعب الاميركي وعلى سمعته.

ومد جيمي كارتر يده ليصافحني للمرة الرابعة او الخامسة علامة الرضا. ورأيته وقد ارتاح في مقعده وكأنه فرغ من القاء موعظة يوم الاحد بالكنيسة المجاورة لمبنى البيت الابيض في واشنطن فسألته وانا ادخل من جديد الى نار فلسطين المتأججة بالحمم:

● اسمع مني ياسيدي الرئيس. ان صراع مصر مع اسرائيل كان مجرد نتيجة من نتائج صراع ثوار فلسطين مع يهود فلسطين قبل عام ١٩٤٨. اعني: ان القضية الفلسطينية كانت دوما سر جميع الحروب التي خاضها العرب؛ وعلى رأسهم مصر ضد اسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا. فهل يجوز لك ياسيدي الرئيس ان تفخر بانجازات كامب ديفيد كمعاهدة سلام، بينما سمحت لنفسك ان تتجاوز في هذ المعاهدة مهمة العثور عن الحل العادل الشامل للاسباب الرئيسية الكامنة وراء الصراع المسلح بين مصر واسرائيل، اعني الحل المنشود لقضية فلسطين؟

وذعر بطل معاهدة كامب ديفيد لسؤالي فبادر ليدافع عن مولوده البكر، اعني كامب ديفيد المعاهدة، وقال وكأنه قد عاد لتوه الى موقعه العسكري كضابط بحار فوق احدى قطع الاسطول الاميركي الراسية عند شواطىء بيروت:

ـ كان يمكن لاتفاقية كامب ديفيد ان تكون اتفاقية مكتملة لعناصر النجاح المطلوبة. الاتفاقية نفسها ناجحة. اعني: كان يمكن ان تكون ناجحة! اعني: ان نجاحها شيء لايمكن انكاره، ولكنه ليس كافيا! وانور السادات نفسه لم يحاول ان يتراجع او يتلاعب بالالتزامات التقليدية المتينة تجاه القضية الفسطينية.

ثم قال لي كارتر مستطردا:

ـ ولو انك قرأت نصوص اتفاقية كامب ديفيد بدقة وامعان لكنت لاحظت فيها مدى

الحرص على ارساء وفتح طريق كبير يهدف الى حل القضية الفلسطينية بامانة وعدل وشمول مع التركيز على حقوق الفلسطينيين المشروعة في تقرير مصيرهم واقامة الصلح النهائي بين اسرائيل وجيرانها العرب، وانسحاب اسرائيل العسكري مع انسحاب الادارة الاسرائيلية العسكرية من الضفة الغربية وقطاع سينا، مع انشاء قوة بوليسية قوية محلية من ابناء البلد العربي الفلسطيني. كل هذه الامور قد تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد بشمول ووضوح ولكنها رغم كل ذلك بقيت عاجزة عن ان توفر للاتفاقية كل النجاح الذي تفتقر اليه وذلك لعدة اسباب..

سألته بلهفة:

● وما هي هذه الاسباب يا سيدي؟

اجابني كارتر وهو يرفع اصابع يده في الهواء استعدادا لكي يعد عليها:

- سأذكر لك منها الان سببين اثنين فقط. السبب الاول ان لا الاردن ولا الفلسطينيين وافقوا على الانضمام الى مائدة المباحثات. اما السبب الثاني فهو ان مناحيم بيغن قد مضى بسياسته العنيفة المتصرفة والشرسة الى تحطيم معنى ومفهوم اتفاقية كامب ديفيد..؟

قلت اسأله:

● مناحيم بيغن تعمد تحطيم معنى ومفهوم اتفاقية كامب ديفيد؟ اليس كذلك يا سيدي الرئيس!؟

واجاب جيمي كارتر فورا:

- نعم! وبكل تأكيد لقد فعل مناحيم بيغن هذا كله!

سألته بكل سذاجة الاطفال:

● وكيف استطاع بيغن ان يحقق مثل ذلك العمل الرديء ويحطم كامب ديفيد امام اعينكم وامام العالم؟

اجابني جيمي كارتر الذي فرض كامب ديفيد على انور السادات فعزل مصر عن العرب وترك المصير كله بيد مجرم اسمه مناحيم بيغن:

- لم يقم مناحيم بيغن باي جهد خاص او عام قد يمنح العرب الفلسطينيين حق تقرير المصير او حق الحكم الذاتي الكامل، كما انه اي بيغن - قد نكث وعده الصريح الذي قطعه لي وسمعه معي انور السادات في كامب ديفيد بان يسعى لحل جميع خلافات اسرائيل مع جيرانها العرب بالاساليب السلمية.

سألته:

● وهل تراجع بيغن عن هذا الوعد الذي قطعه لكم؟

اجابني جيمي كارتر مع نبرة يأس:

ـ لعل في عملية الغزو الاسرائيلي للبنان ما يجيب على سؤالك.

قلت لبطل كامب ديفيد:

● وهكذا يتضح لنا ولك وللعالم، ان بيغن لم يكن مخلصا لروح ونصوص اتفاقية كامب ديفيد. اليس كذلك يا مستر كارتر؟

اجاب جيمي كارتر:

ـ هذا هو تحليلي للشخص وللموقف وللسياسة.

قلت له على الفور:

● ألم يكن من السذاجة والبساطة بمكان بل وبعض الغباء السياسي ايضا، ان يعتمد احد في هذا العالم على طيبة اخلاق رجل مثل مناحيم بيغن، او يثق احد بشرف مثل هذا الرجل وبامضائه وبتعهداته؟

ولم يجب جيمي كارتر..

وكررت السؤال ولكنه رفض الاجابة وتمسك بالصمت.

فقلت له:

● ألم يكن القول خاطئاً بان قوة بيغن المحلية بداخل اسرائيل قادرة ان تمكنه من تحقيق السلام مع العرب؟

ورفض كارتر ان يجيب للمرة الثالثة. فقلت له

● الى اي مدى ياسيدي الرئيس استطاعت ظروف مصر الاقتصادية الداخلية الدقيقة المعروفة ان ترغم انور السادات بان يوقع على اتفاقية كامب ديفيد؟

وبعد صمت قصير اجابني جيمي كارتر فقال:

ـ انا لا اعتقد بان العامل الاقتصادي في مصر كان عاملا جوهريا في اقناع انور السادات بضرورة التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد. ان انور السادات قد جاء الى كامب ديفيد وقد قرر سلفا ان يصل الى اتفاق سريع معي ومع الولايات المتحدة الاميركية. وانا لا اعتقد بان الظروف المحلية الداخلية في مصر لها اي اثر بالموضوع..

قلت لجيمي كارتر ولم يعد المجال يتسع للف والدوران:

● انت تراجعت سيدي الرئيس عن اتفاقك الثنائي المشترك مع غروميكو وزير خارجية السوفيات في عام ١٩٧٧ بخصوص عقد مؤتمر دولي لفلسطين فلماذا جاء هذا التراجع المفاجىء بعد اجتماعك الطويل مع الجنرال موشيه ديان وزير خارجية اسرائيل في جناحك الخاص بفندق بلازا الامم المتحدة بمدينة نيويورك؟ لماذا يا سيدي الرئيس؟

واجاب جيمي كارتر وقد بدأ ينظر الى ساعته وكأنه يسألها الاعتذار او الخلاص:

ـ نحن لم نستطع ان نقنع السوريين بالمجيء للتفاوض في ما كنا نسميها يوم ذاك «مباحثات



قال لي الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر : كان السادات لايرفض لي أمرا!

جنيف». لقد رفض السوريون مبدأ المجيء والمشاركة في جنيف. كذلك فان انور السادات قد اعلن رفضه التام لاشراك السوفيات بالمؤتمر الدولي المذكور، او في اعطاء السوفيات اي دور في مثل هذه المباحثات. لقد اتصل بي انور السادات على الفور ونقل لي رأيه بوضوح . كما اتصلّ بي وزير خارجيته المصري وفسر لي موقف السادات من فكرة المؤتمر الدولي المقترح بحضور السوفيات. ولعل ذلك هو السر الكبير الذي دفع السادات للسفر الى القدس كي ينسف فكرة عقد المؤتمر الدولي الذي يسمح للسوفيات بدور مهم في بناء عملية السلام. لقد ظن السادات ان مصالح مصر القومية لايمكن خدمتها والحرص عليها الا باشراك مصر مع اميركا واسرائيل والاردن والفلسطينيين بعيدا عن السوفيات وبدونهم. . !

قلت له :

● وهل ذهب السادات الى القدس بناء على رأيه الشخصي ام انك ساعدت انت في اقناعه بالذهاب؟

قال جيمي كارتر:

ـ كان الجهد في هذا الموضوع جهدا مشتركا بيني وبين السادات.

قلت:

● هناك من يقول ويؤكد بان الفضل في ذهاب السادات الى القدس يعود اليك وحدك؟

اجابني كارتر وقد طبع الابتسامة اياها على فمه :

ـ كان الجهد مشتركا، ولكني لا اجد مانعا حقيقيا يدفعني لانكار نصيبي في اتمام عملية

الزيارة!.

قلت:

● أما نحن واما بقية الملايين من العرب فاننا نرى ياسيدي الرئيس بالموضوع وفي الزيارة المذكورة غير ما تراه انت الان وغير ما كان يراه انور السادات قبل مصرعه.

ثم سألته:

● قل لي يا مستر كارتر هل كنت حقا بكل ذكائك وطيبة قلبك تؤمن بأن مناحيم بيغن وهو التلميذ النيجب لجابوسكي، وخريج معسكرات هتلر، قادر على ان يعمل للسلام ويخدم البشر ويعيد اي حق مسلوب وضائع الى اصحابه من العرب؟

واجابني رئيس اميركا السابق وكأنه يعتذر:

ـ كنت اعرف خلفية شخصية بيغن، كما كنت أعرف تماما خلفية شخصية انور السادات الذي اشترك وعاش في حياة عسكرية متخبطة. وكذلك كنت اعرف خلفية حافظ الاسد العسكرية، وشخصية الملك حسين ونشأته العسكرية وميوله الى حياة العسكر. والامر كذلك ينطبق على شخصيتي انا، فقد كنت ضابطا في البحرية الاميركية. ولكني كنت على اعتقاد تام بأنه ـ اي بيغن ـ وحتى في اللحظة التي جرى فيها التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد، كان مناحيم بيغن حقا يريد السلام لشعبه. كنت اعتقد ان بيغن حقا يؤمن بضرورة مجيء السلام لدولته. كنت اعتقد حقا انه بالفعل يرى ان مصلحة اسرائيل لا تتم الا في تحقيق مثل هذا السلام. لعلي كنت مخطئا في تقديري. ولكن هكذا كان تقديري»!

قلت لجيمي كارتر والحديث لم يعد كله مجرد كلام:

● ولكن السادات كان يؤكد لجميع اصدقائه من الحكام العرب انه لم يكن ليضع توقيعه على اتفاقية كاتفاقية كامب ديفيد لو لم يسمع منك انت شخصيا ـ سيدي الرئيس ـ مجموعة وعود شفهية وخطيرة تتعلق بالمستقبل، فماذا تقول؟

ولاول مرة اوشك جيمي كارتر ان يفقد اعصابه عندما سمعته يصرخ:

ـ هذا كذب. انا لم اعد السادات بأي شيء سري من هذا النوع!

قلت له:

● ترى هل أرغمت السادات للتوقيع على اتفاقية كامب ديفيد خدمة لاغراضك الانتخابية الاميركية المحلية؟

وانتفض جيمي كارتر وقال:

ـ انا اردت ابرام الاتفاقية خدمة للسلام، وليس خدمة للسادات او لبيغن او لاميركا او خدمة لي شخصيا.

قلت له:

● ولماذا لاتحاول ان تضاعف سعيك لكي تقنع الرئيس السوري حافظ الاسد بالانضمام الى المفاوضات، ما دمت انك ترى فيها كل هذه الخيرات العميمة للبشرية جمعاء؟

ولعل المستر كارتر قد أدرك الغمزة فأجابني:

ـ ان الرئيس الاسد رجل قوي وحازم وذكي. ثم بعد صمت قال:

ـ وهو ايضا طموح ولا يرحم ولا يخاف.

سألته:

● ثم ماذا؟ هل لاجل هذا لم تحاول ان تجري وراءه للسلام المنشود؟

اجاب كارتر:

ـ السلام لايحتاج الى اغراء من احد.

قلت وانا افرغ بقية ما بقي في جعبتي من متفجرات:

● وهل صحيح انك ياسيدي الرئيس وعدت انور السادات بأن السعودية والاردن ينتظران على الباب بلهفة للحاق بقافلة السلام والتوقيع معا على كامب ديفيد خلال اسبوع واحد؟

واجابني جيمي كارتر وقد عاد صوته يعلو من شدة النرفزة:

ـ انا لم اعد بأي شيء عن السعودية او الاردن. هذا كله مجرد اشاعات وأقاويل لا صحة لها.

ثم همس كارتر وكأنه يكشف لي سرا كبيرا لم يعد يقوى هو على حبسه:

ـ هل تريد ان تعرف الحقيقة؟ ان انور السادات بالذات هو الذي اخبرني انه قادر على اقناع السعودية هو ـ اي السادات ـ الذي كان يعرف الحكام السعوديين جيدا ولست انا! هو، اي السادات الذي كان يتصل بالسعوديين ولست انا. هو الذي كان يتكلم مع السعودية ولست أنا!.

سألته مقاطعا:

● ولكنك وعدته ياسيدي الرئيس، كما يقول، بأن السعودية ستؤيد الاتفاق! ألم تعده بذلك؟

وصاح كارتر على الفور:

ـ ابدا! هذا لم يحدث مطلقا!

قلت:

● ولكن بعض سفرائك من الدبلوماسيين الاميركيين قد نقلوا عن لسانك الكلام الذي يحمل مثل هذه المعاني خلال وجودهم معكم في منتجع كامب ديفيد؟

ـ أنا لا اعرف منهم واحدا هل انت قادر ان تسمي لي سفيرا واحدا بالاسم؟

أجبته: ان كتب التاريخ والصحف والمجلات مليئة بهذه الاسماء.

وعدت وسألته:

● هل ادركت الان ياسيدي الرئيس مدى معارضة المملكة العربية السعودية لاتفاقية كامب ديفيد ومدى ألم المملكة العربية السعودية من النتائج المؤسفة التي أسفرت عنها هذه الاتفاقية في عزل مصر العربية عن القافلة العربية؟

واجابني جيمي كارتر:

ـ انا معجب بالملك فهد وقد تعاملت معه حتى على ايام الملك خالد. وقد رأيت في الملك فهد رجلا كبيرا يحب التعاون المثمر، ولكن شريطة ان لا يؤثر ذلك على التضامن العربي الكامل بين مختلف الزعماء العرب. ولعل حرص الملك فهد على التضامن العربي هو الذي حدد له موقفه من اتفاقية كامب ديفيد!

قلت:

● ألم تستعن بالملك الحسن المغربي لاتمام صفقة كامب ديفيد!؟

واجابني جيمي كارتر:

ـ الملك الحسن هو صديق لي وهو ذكي ومثقف وعالم بالامور الدولية ومحلل للامور بدقة. وكنت دوما ارحب بأي تعاون من أي مسؤول عربي لما فيه اي خير للعرب اجمعين.

قلت:

● ويبدو انكم بفضل دهاء هنري كيسنجر او لؤمه قد قررتم قصر اتصالاتكم مع الاردن ومع الملك حسين شخصيا على مجرد تبادل التهاني بالاعياد وتبادل التعازي في الجنازات دون القيام بأي عمل جدي لايجاد حل سريع عادل للضفة الغربية وللقدس ولقطاع غزة. لماذا ياسيدي الرئيس هذا الاهمال المقصود؟

واجابني جيمي كارتر وقد عاد له هدوؤه:

ـ ان الملك حسين في نظري ملك جريء جدا ويحب السلام لبلده وللمنطقة بأسرها شريطة ان يضمن موافقة منظمة التحرير الفلسطينية بكل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وهذا الشرط المهم الحيوي عند الملك حسين هو الذي ربط سواعد الملك حسين وقيده ومنعه من الحركة. وهو ايضا ـ اي الحسين ـ ينشد تأييد المملكة العربية السعودية في جميع خطواته السياسية الحاسمة. ولكن موقفه يبقى محاطا بالضعف بسبب ضعف بلده. ولذا لايقدر الملك حسين ان يحتفظ لنفسه بالسياسة المستقلة او بالشخصية المستقلة في العمل السياسي. وهذا كل شيء معروف وله آثاره بالتحرك السياسي بوجه عام!.

قلت للرئيس كارتر:

● احب ان أسألك عن اخبار عائلة السيد السادات عندكم؟

واجاب كارتر:

ـ زوجتي وأنا نتصل بحرم السيد السادات ونطمئن عنها. وقد قرأت بالصحف الاميركية

يوم أمس أن احدى بنات السادات من زوجته الاولى موجودة اليوم في أميركا وأنها تكتب كتابا جديدا عن أبيها الراحل.

قلت:

● وكيف وقع خبر اغتيال السادات عندكم؟

ـ اجابني كارتر وهو يرفع يديه وينهض من كرسيه ويمشي نحو الباب الخارجي:

ـ كارثة!

وقلت لنفسي وانا اودع هذا الرجل الطيب جدا، الممثل جدا، المتدين جدا، الحريص على حقوق البشر جدا: لماذا اقترفت جريمة كامب ديفيد بحق مصر وحق السادات، فقتل السادات اوعزلت امصر عن العرب لماذا؟

ولم اعرف جوابا الى ان سمعت نفسي اردد العبارة الاخيرة من الخطاب الوداعي الاخير الذي اذاعه جيمي كارتر بعد فشله في الانتخابات عام ١٩٨٠، يوم ذاك قال جيمي كارتر للشعب الاميركي:

«انا لا أكذب عليكم. لقد خضت معركة الرئاسة للمرة الثانية لاني احب اميركا ولاني احبكم. والان اقول لكم ان فشلي رغم مرارته لم يضعف حبي لاميركا، ولم يزلزل حبي للشعب الاميركي..».

ترى هل من اجل هذا الحب الشديد القاتل الذي كان يحمله كارتر للرئيس الراحل انور السادات كان كل هذا العمل السياسي المضني للوصول الى اتفاقية شؤم كاتفاقية كامب ديفيد، لم ترحم السادات، ولم ترحم شعب مصر العربي الاصيل!

اي حب هذا الذي يقتل ويعزل وينتهي بالفشل؟

وقلت لنفسي مرة اخرى وانا اودع الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر:

ـ يا ليت جيمي كارتر احب انور السادات اقل درجة واحب مناحيم بيغن واسرائيل كثيرا وبلا حدود.

اذن لكان اراحنا واستراح!

ثم ركبت الطائرة عائدا الى نيويورك...

★★★



الخرطوم ـ ٩/١٠/١٩٨٤

واشنطن ـ أيار ١٩٨٥

جعفر النميري في حوار ساخن .. ثم في آخر ساعات حكمه!

الخرطوم ـ ٩ / ١٠ / ١٩٨٤ ـ واشنطن ـ أيار ١٩٨٥

جعفر النميري في حوار ساخن .. ثمّ في آخر ساعات حكمه!

زرت السودان لاول مرة في عام ١٩٤٥ . ثم عدت وزرت السودان برفقة الصاغ «صلاح سالم» عضو قيادة الثورة المصرية في عام ١٩٥٤ .

وعندما رأيت السودان في عام ١٩٨٤، ترحمت على السودان في الأربعينات وفي الخمسينات!

وبعض الناس تقابلهم لأنك تحبهم . وأقر بأني لم أقصد مقابلة جعفر النميري يوم الأحد ٩ اكتوبر من عام ١٩٨٤ الا نتيجة احساس قوي بأن الرجل على وشك الرحيل، وانه ذاهب بغير رجعة، وان الصحفي الذي يحرص على جمع المقابلات الصحفية في «الألبوم» الخاص للاستفادة منها في الكتابة والتأليف، يهمه ان يجري مقابلات من هذا النوع مع اناس قد يقابلهم لأول مرة ولأخر مرة، وقد يكون في حديثهم معه نوع من الوداع للحياة وللسلطة، وقد يجد الصحفي فيهم ما يبرر له كراهيته لهم او معارضته لسياستهم اومقاطعته لبلادهم طيلة الأيام التي حكموا فيها تلك البلاد . .

وكنت في ٢٧ يناير من عام ١٩٧٩ قد نشرت في مجلة «المستقبل» الصادرة بباريس، مقالاً بعنوان : «من ليس معنا في القدس فهو ضدنا في الخرطوم» هاجمت فيه جعفر النميري وحذرته من جاره «السادات» ورددت على مسمعه قولاً لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه قال فيه : «استغن عمن شئت تكون نظيره، واحتج الى من شئت تكون اسيره، واحسن الى من شئت تكون أميره»! وقلت للنميري ان في استسلامه للسادات يكمن الخطر عليه وعلى السودان معاً، وان في استسلامه لأمريكا سيمكن امريكا من رقبته حتى تقضي عليه . . وان عليه ان يتحرك فوراً لكي يتحرر فوراً، وانهيت المقال ببيت من الشعر صاحبه «جرير» ويقول فيه داعياً الى صلاح النفس بالسرعة الممكنة :

واني لارجو منك خيراً عاجلاً
والنفس مولعة بحب العاجل!

ولم ادهش عندما رأيت مدير مكتب النميري يستقبلني في خريف عام ١٩٨٤ ويمد يده الى جيبه ويخرج من محفظته ورقة مطوية تحمل مقالي المذكور ضد جعفر النميري . . .

لقد سألته يومذاك هازئاً:
ـ هل اعجبك المقال؟
فاجاب على الفور:
ـ لا!
قلت: إن المرء لايحتفظ الا بالشيء الذي يستحق ان يحتفظ به. وقد مضى على نشر هذا المقال خمس سنوات طوال وما زال يحتفظ بمكانة المختار في محفظتك الخاصة. هذه تحية منك لا استحقها!»
واشاح «المستشار» بوجهه غاضباً وهو يفتعل ابتسامة صفراء ويقول لي وهو يقودني الى مكتب رئيسه:
ـ تفضل! ان الرئيس ينتظرك. !
ودخلت على «النميري» فرأيته محاطاً بالعلم السوداني وغارقاً في الاوسمة والنياشين التي يزين بها صدره وقد بدت عليه امارات التعب، والقلق، . . والمرض!
وعلى الفور، تذكرت فيه، لقاءاتي السابقة الطويلة مع رجال سبقوه في السير على مثل هذا الدرب الشائك وظنوا ان قوتهم مرهونة بالخارج، وان حمايتهم تأتي من الغرب، وان رضى السماء عليهم من رضا لندن او باريس او واشنطن. رجال من أمثال خالد العظم وحسني الزعيم والحناوي في دمشق، وامين عثمان في مصر، وابو الهدى في الاردن، ونوري السعيد في بغداد، وشاه ايران، وكميل شمعون وغيرهم، فمضوا كلهم الى النسيان، وامتدت اليهم ايادي اعز اصدقائهم وحلفائهم من حكّام لندن وواشنطن وباريس لكي ترمي فوق قبورهم حفنة تراب!
ومع محمد جعفر النميري، كان الحديث التالي. . أنشره من جديد، للعبرة، وللتاريخ، . . وللتسلية ايضا!

★★★

الحوار الساخن لايتحقق الا فوق ارض ساخنة.
ويبقى السودان الساخن هو البلد العربي المسلم سواء حكمه المهدي ام الميرغني، وسواء قرر مصيره الفريق عبود ام الجنرال النيمري.
ويبقى السودان الساخن هو القاعدة الاستراتيجية الهائلة، التي تشرف على باب البحر الاحمر وتسيطر على منابع النيل، وتجاور على حدودها سبع دول، ولايفصل بين جدة في السعودية وبين بورسودان على الشاطىء الاخر سوى سبعين كيلومترا، ومساحة السودان تساوي مساحة القارة الاوروبية بأسرها.
ويبقى السودان الساخن، هو العمق الطبيعي لمصر، وقلب الاسلام في قلب افريقيا،

وملعب الجهاد التاريخي ضد الاستعمار، سواء اراد حكامه بالامس تلوينه بالشعارات الحمراء، ام قرر حكامه اليوم وضع العمامة البيضاء فوق رأسه اعلانا عن قيام حكم الشريعة الاسلامية عند شعبه الشقيق.

ويبقى السودان الساخن هو الشعب الثائر، ويبقى السودان الساخن هو الارض الطيبة، كما يبقى السودان الساخن هو القضية المتأججة. هؤلاء هم الاصل وفيما عدا ذلك يتساوى الماء والحطب.

من هذه الزاوية وحدها حملت نفسي الى الخرطوم لكي اقابل الرئيس السوداني جعفر النميري، وأسأله عن الكثير من المواضيع المتفجرة التي بدأت صحف الغرب في هذين اليومين تثيرها واحدا بعد الاخر، لكي تؤكد في شماتة الاعداء، ان حكم الشريعة المعلن منذ عام قد انتهى وسقط، وان ثورة المتمردين الانفصالية في الجنوب قد اثمرت، وان المحاكم الشرعية التي اصدرت احكاما ضد القتلة والسارقين، ولم تعجب صحف الغرب، قد اغلقت ابوابها ، وان ارض الجنوب قد جرى اعادة تقسيمها خلافا لاتفاقية عام ١٩٧٢ ، وان اقرب حلفاء السودان وهي مصر قد بدأت تتململ وتعترض وتثير المخاوف، وان الرجل الحاكم هناك قد اصبح في موقف لايحسد عليه.

ولم يعد هناك اي مكان للمجاملة او المسايرة. .

واذا كان من واجب الصحفي ان لايحترف التهجم والعداوات فإن من واجب الصحفي ايضا، ان لايحترف الغباء او يصطنع السذاجة، او يدفن رأسه في رمال الخرطوم ويعلن للناس انه لم يعد بالامكان ابدع مما كان.

بل ان الموقف هنا اشبه ببركان هادىء نائم مغطى بالحشائش الربيعية.

وما تسمعه بأذنك جزء بسيط من الهمسات الخطيرة التي تتردد في كل مكان.

والبلد بمشاكله واعاصيره اضحى صورة نموذجية للحالة التي يتمنى ان يكتب عنها اي صحفي يبحث عن الصدق والخبر واذا كنت اعترف بأنني في بعض اسئلتي قد تجاوزت حدود اللياقة الصحفية فأنني اؤكد ايضا بأن الرئيس السوداني قد تحلى معي بصبر أيوب وانه قرر ان يرد الصاع بمثله ورفض الا ان يجيب على جميع الاسئلة وبكل اسهاب.

ودخلت عليه بمكتبه بالدار التي بنتها هندسة اهل الصين وسواعد اهل الخرطوم وبدأت معه حوارا طويلا ساخنا استمر مدة ساعتين او اكثر ركبت بعدها الطائرة عائدا الى اوروبا. .

قلت للرئيس السوداني وكأني اقابله لاول مرة:

● من انت يا سيدي؟ اعني ما هي سياستك؟ هل انت عربي ام افريقي، هل انت عالم ثالث ام شيء اخر؟ وهل يجوز لمن بكى بالدمع على عبد الناصر ان يعود ويتفجع حسرة على انور السادات؟ وهل يجوز لمن انقذ الفلسطينيين في الاردن ان يعود ويؤيد اتفاقية كامب ديفيد؟

وابتسم الرئيس النميري وقال:

ـ انا لست عربيا فحسب ولست افريقيا فقط، بل انا مزيج من العربي والافريقي معا. انا سوداني. وسياستي تنبع من ارض بلدي. وفي اول ايام حكمي قالوا عني شيوعي. واليوم يقولون انني اميركي. صدقني انا مجرد سوادني.. ادور حيث تدور مصلحة السودان، وعلى كل من يريد ان يرجمني بحجر ان يحاول قبل ذلك ويفهم السودان ويدرس سياسة السودان ويطلع على قضايا السودان ومسؤوليات كل من يحكم السودان.

● قلت: انت تحكم الخرطوم والخرطوم تحكم السودان فأنت حاكم السودان المطلق.. أليس كذلك؟

اجاب مقطاعا وما زال يبتسم:

ـ السودان لايحكم من الخرطوم وانما يحكم بنظام لا مركزي وهذا كما جاء بالدستور السوداني الذي لم يكن من صنع جعفر النميري، وانما من ارادة الجماهير السودانية وحدها، وهذا الحكم اللامركزي الذي توصلنا اليه هو حكم اقاليم، وهو الحكم الجديد الذي يضم كل الانظمة السياسية المعروفة كالفدرالية والكونفدرالية، وحكم الشعب المحلي، وكل ولاية او كل اقليم من ولايات واقاليم السودان له حكومة قائمة بذاتها يرأسها حاكم ذاتي مسؤول امام رئيس الجمهورية. وهذا الحاكم يتعاون مع حكومة ذاتية ومجلس شعب يراقب اعماله ويشرع له القوانين المحلية..

ثم اضاف النميري قائلا لي:

ـ اما هنا في العاصمة فأننا نكتفي بممارسة الامور المتعلقة بالسياسة الخارجية وبالدفاع وبالمواصلات العامة، بما فيها الطيران والتلفونات والطرق. اما الصحة والتعليم والامور الاخرى فهي امور لا مركزية ترسم سياستها وتقررها الاقاليم وحدها.

● سألته: والان ياسيادة الرئيس ما هو الحل الذي تراه لمطالب شعب الجنوب حول الكيان الذاتي او الاستقلال او ما اليه؟

واجاب الرئيس النميري:

ـ الاستقلال معناه الانفصال وهذا امر مرفوض. وكان لدى اهل الجنوب فيما مضى اقليم كبير واحد ثم جاؤوا وطالبوا بثلاثة اقاليم بحجة انهم يريدون انشاء ثلاث حكومات اخرى وقلنا لا مانع ووافقنا لهم، ثم زعموا انني مسؤول عن تقسيم الجنوب وهذا افتراء رخيص، لان القرار كان قرارهم وهم الجهة التي صدر عنها القرار، وقد رفعوا لي قرارهم المذكور ووافقت لهم عليه.

وقال النميري مستطردا:

ـ وقد قلت لاهل الجنوب: انكم اذا اردتم الان ان تعودوا الى الحالة الاولى التي كنتم

فيها، فان عليكم الاتفاق على ذلك في برلماناتكم الثلاثة، فاذا كانت هذه البرلمانات الثلاثة لا تريد ذلك وتصر على التمسك بالوضع الحالي الراهن فان الامر متروك لها، وليس لي وعليكم معالجة الامر بنفكسم هناك لا في الخرطوم ولا في رئاسة الجمهورية.

● قلت وانا امسك اعصابي بيدي:

● وهؤلاء الذين يحاربونك في الجنوب من هم، هل هم يا سيادة الرئيس يعملون بوحي خارجي ام هم مخربون ام هم رمز للعمل الثوري القومي الوطني السوداني الصحيح؟

واجاب الرئيس السوداني على الفور:

ـ بل هم شيوعيون تساعدهم اثيوبيا، وتساعدهم ايضا دولة عربية معروفة اصبح كل همها ان تزيل هذا العهد وان تقضي على جعفر النميري بالذات وبالاسم، وهذا الامر لم يعد سرا... ورئيس تلك الدولة العربية يكرر ذلك في كل خطبه، وكذلك اثيوبيا الفقيرة التي باعت نفسها للشيطان جريا وراء المال وسعيا وراء نقل مشاكلها المالية الداخلية الى خارج البلاد، فأصبح الضابط الاثيوبي والجندي الاثيوبي يحاربان جنبا الى جنب مع التمردين الشيوعيين السودانيين في الجنوب ضد السلطة الشرعية السودانية.

ـ وقلت للرئيس النميري وكأني اؤدي واجبا قوميا:

● ألم يحن الوقت يا سيادة الرئيس ان تحل مشاكلك مع الرئيس الليبي معمر القذافي وان تعيد الامور بينك وبينه الى ما كانت عليه خدمة للعمل العربي القومي الواحد العام، وللعمل الفلسطيني بوجه خاص؟.

واجابني الرئيس النميري بعد صمت:

ـ أنا كنت اول صديق للرئيس القذافي، وانا اول من تفاهم معه، وانا أول من دخلت معه في وحدة، ولكن معمر القذافي يقول اليوم انني ما دمت قد أيدت السادات في اتفاقية كامب ديفيد، فالمطلوب مني ان اسحب هذا التأييد وبصورة علنية كشرط لقيام التفاهم معي وهذا الشرط لايمكن ان اقبل به.

ـ وصرخت مقاطعا:

● لماذا ياسيدي؟.

ـ واجاب النميري:

ـ لانني قلت ومازلت اقول بأن العرب يعجزون عن هزيمة اسرائيل عسكريا، وانما نقدر ان نهزم اسرائيل بأسلوب السلام وحده. العرب جميعا قبلوا بالسلام. والحرب مع اسرائيل مستحيلة عسكريا.

ثم اضاف:

ـ نحن اقوى من اسرائيل ثقافيا واقتصاديا وسكانيا اعني مذهبيا. وبلادنا اكبر، ومراكزنا

اهم، واذا كان الوقت يعمل لحساب اي طرف فإنه يعمل لحسابنا لا لحساب اعدائنا، والوقت معنا ونقدر ان نحتج واليهودي المحتل يركض وراء المال كطبعه المعهود ليتحول الى سلعة للبيع والشراء اذا نحن عرفنا كيف نشتري وكيف نبيع اضف الى ذلك ان الحل العسكري يبقى مستحيلا ما دامت الجيوش العربية متفرقة ومشتتة ومختلفة. ولا اريد لك ان تنسى انه سبق لنا واشتغلنا في داخل الجامعة العربية، وضمن اطار ما يسمى بالمكتب العسكري، فلمسنا انعدام اي وفاق بين العرب بصورة مؤسفة ولكنها واضحة وموجودة.

قلت مقاطعا:

● لعلي اسمح لنفسي ان اقول لسيادتك بأن المناداة بالسلام مع اسرائيل لم يكن طابع سياستك منذ اربع عشرة سنة، وبالتحديد قبل وفاة جمال عبد الناصر؟.

واجاب جعفر النميري على الفور مقاطعا:

ـ بل كان هذا هو رأيي دائما.

اجبته:

● ابدا. أنا اؤكد لك ان هذا الكلام ليس كلامك ولم يكن كلامك على ايام عبد الناصر عندما كنت انت تطالب بالحرب وانقاذ فلسطين واعادة الحقوق المشروعة لاهلها، وكنت تؤيد سياسة عبد الناصر على طول الخط. هل كان عبد الناصر ينادي بالصلح مع اسرائيل يا سيدي؟.

ـ قاطعني النميري قائلا:

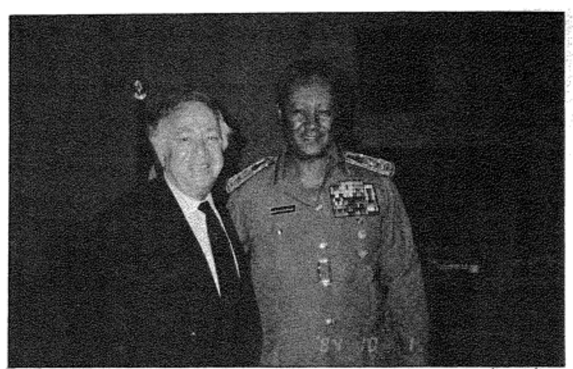
ـ لا ، ابدا على عكس ما تقول على طول الخط. انا اذكر نفسي واذكر سياستي واذكر مواقفي جيدا. وعبد الناصر عندما شعر بأن السودان الجديد لايؤيد سياسته اصيب بالهلع، وعندما بادرنا نحن في السودان الى الاعتراف بالمانيا الشرقية قبل مصر لم يكن يصدق ما سمع. اسمع يا اخي. العرب كلهم لايريدون الحرب. قل لي ما هي مبادرة فاس في حقيقتها؟ هل دعوة للحرب ام هي دعوة للسلام؟.

قلت للرئيس النميري:

● إن ما كان بين الملك الحسن وبين الرئيس القذافي اخطر مما هو اليوم بينك وبينه، ورغم ان مؤتمر بوحصيرة قد عقد في المغرب ورغم تصريحات الملك الحسن ومواقفه الواضحة المذهلة تجاه القضية الفلسطينية، بل رغم صادقة الملك الحسن المعروفة للرئيس السادات، فإن الاتحاد قد قام بين المغرب وليبيا، فلماذا لايقوم الوئام او شبه الوئام بينك وبين الرئيس الليبي؟.

واجابني الرئيس النميري:

ـ ليس بيني وبين اي دولة عربية اية مشاكل باستثناء ليبيا وعليك ان تفهم وتسأل القذافي



مع الرئيس السوداني جعفر النميري

عن مثل هذا الموقف المحير. انا اقول لك ان العرب الذين عجزوا عن فهم الوضع السوداني لم يسببوا لي ولا للسودان اية مشاكل باستثناء ليبيا.

وقلت للرئيس النميري:

● نعود الى موضوع الجنوب. ان العالم الخارجي وخاصة اميركا تطالبك بضرورة ايجاد حل لمشكلة الجنوب كما تطالبك بالتساهل في تطبيق الشريعة على السكان المواطنين المسيحيين ان صحافة اميركا تقول لك بأن جلد رجل دين مسيحي في ساحة الخرطوم، لايخدم سمعة السودان في الخارج. ان شركات البترول الاجنبية قد عقدت صفقة سرية خطيرة مع المتمردين ضدك ولاجل القضاء عليك فماذا تقول ياسيدي؟.

واجاب النميري بغضب:

ـ ما يذاع ضدنا في الخارج هو مجرد دس رخيص من اعداء الاسلام في العالم. انا اقول لك ان الحروب الصليبية التي قامت بالامس مازالت تقوم حاليا ضدنا. وهذه الحروب لم تتوقف. اشاعات وقصص وحكايات. لذلك انا ادعو العرب اخواني للمجيء الى السودان والاطلاع على الحقائق بأنفسهم. ان اعداء السودان لايكتفون بالدس بين المسلم وغير المسلم بل هم يدسون بين الحاكم وبين الشعب وبين السلطة وبين الناس، ألم تسمع بأن الدبابات تملأ شوارع السودان وتحيط بالقصر الجمهوري حفاظا على النميري؟ انظر امامك، هذا هو كورنيش النيل الذي يزعمون انه محاط بالدبابات. هل ترى امامك دبابة واحدة؟ لعلهم يظنون ان سيارات التاكسي الصفراء الواقفة في الخارج هي دبابات، او لعلهم يحسبون المقهى

البلدي الذي يقع على الشاطىء المحاذي للقصر هو قيادة سرية عسكرية. انا لا اخشى الا الله. انا اخرج من مكتبي واقود سيارتي لوحدي وبنفسي واتجول في انحاء السودان في كل يوم. بعضهم يقول انني شجاع. لا ياسيدي مش شجاع. انا عايز اثبت لهم ان البلد آمنة. هذا أمن. هذا استقرار.

● قلت: وأعود وأسأل الرئيس اليس هناك من حل للمشاكل التي انبثقت عن تطبيق الشريعة الاسلامية في الجنوب؟.

واجاب النميري بعنف:

ـ الشريعة للسودان كله وليس للجنوب وحده. هذا بلدنا. هذا قرارنا.

ثم اضاف:

ـ وهناك مسيحيون في الشمال كما ان هناك مسيحيين في الجنوب. بل ان عدد المسيحيين في الشمال اكثر من عددهم في الجنوب.

قلت مقاطعا:

● الا تعتقد بأن الافضل للسودان ولسمعته في الخارج وضع مشاكل المواطن المسيحي في السودان في ايدي قضاة مسيحيين؟ ان الاسلام يا سيدي هو دين التسامح والتعايش والمودة.

فاجابني النميري:

ـ ليس لدينا قضاة مسيحيون اكفاء قادرون على معالجة القضايا المختصة بالمواطنين المسيحيين. نحن بلد فقير. وفقير. ونحن ما زلنا حتى الان نحاول تدريس وتخريج قضاة جنوبيين مسيحيين لكي نعهد لهم بمثل هذه المهمات..

ـ ألم تعلم ان في الجنوب مليون مسلم وثمانمائة الف مسيحي فقط، بينما هناك في الجنوب مليونان من السودانيين الذين لا دين لهم؟ هذه المعلومات غير معروفة للعرب ولا للمسلمين ولا للعالم الخارجي. ان المسلمين هم الاغلبية في الجنوب كما انهم الاغلبية في الشمال ولكن لان الكنيسة رعت ابناء المسيحيين وحدهم بالعلم والتدريب فأصبحوا هم القاعدة او هم محط النظر او هم محور الحركة، او اصبح صوتهم اعلى من اصوات غيرهم، بينما بقي المسلمون سواء في الجنوب ام في الشمال على ما هم فيه من ضعف وجهل وفقر. هذه حقيقة مؤسفة وليست محصورة بالسودان وحده وانما تجدها في الكثير من دول افريقيا ان ٩٠٪ من سيراليون هم من المسلمين ولكن الحكم بيد الجيفاد غير المسلمين. اي ١٠٪ يتحكمون بألـ ٩٠٪ وفي نيجيريا بلد المائة مليون نسمة هناك ٦٠ مليون مسلم، ولكن المسيحيين هم المسيطرون الذين اشعلوا حرب بيافرا لاستلام الحكم، وقاتلوا وقتلوا جميع الرؤساء المسلمين، وقتلوا ابو بكر وقتلوا مرتضى الله، وسيقتلون بخاري زادة وهكذا.

● وقلت له: لماذا لاتسافر الى الخارج، الى اميركا مثلا وتشرح ظروفك ووضعك للمسؤولين

هناك امام هجمات الصحافة الاجنبية العالمية ضدك؟.

واجاب النميري في لهجة اسفة:

ـ انا اذهب الى اميركا للعلاج فقط، وليس للاستجداء او الطلب او العمل السياسي. ليس عندي مشاكل مع اميركا، وفي العام الماضي دعوني لزيارة رسمية فلبيتها وهذا كل شيء.

قلت له:

● وهناك صفقة السلاح الاميركي المجمدة اليس كذلك، اليست هذه مشكلة؟.

ـ اجاب: ان هذه الصفقة كلها بقيت في حدود، ٦٠ مليون دولار فقط وهي اسلحة للدفاع. واميركا نفسها هي التي اقترحت علي ان اقبل هذه المساعدة. فاذا رأت اميركا اليوم ان تتوقف او توقف هذه المساعدة فليكن لها ما تريد ومع الف سلامة..

وسألته:

● وما رأيك في عودة العلاقات بين مصر والاردن رغم ان مصر منذ عودتها الى عضوية المؤتمر الاسلامي لم يطرأ شيء على السياسة المصرية بالنسبة لكامب ديفيد؟.

اجاب النميري:

ـ هذه خطوة (حبيبة) جدا وهي حبيبة بلا حدود. وهي تتمشى مع سياسة السودان. واتمنى على جميع الدول العربية ان تعيد علاقاتها مع مصر، لاني اقول وسأقول دائما ان مصر دولة عربية اسلامية، يجب ان نهتم بها ونحرص عليها بسبب ما تملكه من ثقافة وعدد سكان وموقع استراتيجي والتاريخ النضالي ضد الاستعمار وضد اسرائيل. ان مصر للعرب دائما والعرب دائما لمصر.

● قلت: ولكن بالقرار المذكور، اي عودة العلاقات الديبلوماسية بين مصر والاردن خروج صريح على قرار تاريخي صدر عن مؤتمر قمة بغداد، أليس كذلك؟

واجاب النميري: لا بأس ولا يهم. مش مهم ابدا..

● قلت: وما رأيك في الاتحاد المقترح القائم او القادم بين ليبيا والمغرب؟

واجاب السيد جعفر النميري رئيس جمهورية السودان بالحرف الواحد:

ـ نحن دولة اتحادية نوافق على كل اتحاد ونؤيد كل اتحاد، ولكن هناك ثلاثة امور اذا كان الاتحاد المقترح يستهدف اي واحد منها فان واجبي عندئذ ان آخذ حذري واعلن تحفظي على مثل هذا الاتحاد.

ثم رفع النميري يده وراح يعد على اصابعه وقال لي:

ـ اولا: اذا كانت هذه الصفقة من اجل بيع تشاد والصحراء فان واجبي ان آخذ حذري منها.

ثانيا: اذا كان المقصود من هذا الاتحاد انشاء محور ضد الجزائر او ضد موريتانيا او ضد

تونس فان واجبي ان اعلن الحذر الشديد وان التحفظ.

ثالثا: اذا كان هذا الاتحاد يعني انشاء محور ضد العالم العربي او ضد اي دولة عربية فان واجبي ان آخذ حذري منه.

وقد اخبرت الملك الحسن بكل هذه التفاصيل وقلت له عندما جاء مبعوثه لمقابلتي لكي يشرح لي مفهوم الاتحاد المذكور انني اتمنى ان لايكون هدف هذا الاتحاد واحدا من هذه الاحتمالات المذكورة، وسأعود وأكرر للمبعوث المغربي هذا الكلام عندما يصل الى مقابلتي هنا في الخرطوم بعد يومين.

● وسألت الرئيس السوداني بالحاح:

ولكن ما هو في رأيك الهدف الحقيقي الصحيح من قيام مثل هذا الاتحاد بين المغرب وليبيا؟

واجاب النميري بصراحة يحسد عليها:

ـ اما انها صفقة من اجل تشاد والصحراء، حيث لايخفي على احد ان الملك الحسن يواجه مشكلة كبرى هي مشكلة الصحراء التي تساهم فيها بقسط كبير دولة ليبيا، وان المغرب كانت تؤيد تشاد. لعلهم، اعني الحسن والقذافي وصلوا الى حالة نفسية ادركوا معها ان لا حل عندهم لهذه المشكلة وان عليهم ابرام مثل هذه الصفقة..

ثم قال لي جعفر النميري:

ـ قلت لهم: انا مع الوحدة لانني ابن الوحدة ولانني صاحب وحدة ولانني عملت اتفاق التكامل مع مصر، وأيدت الوحدة بين دول الخليج العربي، فلا يمكن لي ان اعارض قيام اية وحدة بين دول المغرب. انا بلد وحدوي منذ سبعة الاف سنة، ولكن من واجبي ان ارى الامور كما هي لاكما يريدها بعض الناس ان تكون..

وسألت الرئيس النميري وعيني على ورقة امامي تحمل تفاصيل الظرف الاقتصادي الدقيق الذي يمر به السودان قلت له:

● أليس مما يدعو الى الاسى ان يبقى السودان ضعيف الجانب من الناحية الاقتصادية بينما هو اكبر دولة في افريقيا، وبينما يملك من الزراعة والماء ما يكفي نصف دول القارة السوداء؟

واجابني النميري:

ـ نحن بلد رفضنا ان نحالف الدول الكبرى ولذا ترددت الدول الكبرى في تقديم المساعدات الملموسة لنا. وكذلك فان الاشقاء العرب، مع كل امتناننا لما لمسناه وما زلنا نلمسه من بعضهم من مساعدات، الا ان تطوير السودان وبناء ثرواته واستغلال خيراته ما زال يحتاج الى المليارات من الدولارات التي لانملك منها شيئا. اننا ننفق ١٤٠ مليون دولار في العام على الدفاع، كما ننفق ٦٠ مليون دولار على الماكولات للشعب ونشتري بترولا بـ ٦٠٠

مليون دولار، ومبلغ الـ ٤٠٠ مليون دولار الذي اقترضناه من السعودية قد وظفناه في مؤسسة النقد الدولي حفاظا على قيمة العملة السودانية، فماذا بقي؟ ان السودان يا صديقي قارة وبناء القارة يحتاج الى جهد كبير والى مال اكثر..

● قلت: لعل وراء الافتقار الى عنصر الامن في الجنوب وضياع الاستقرار يوجد السبب الحقيقي لفشل عملية التطوير والبناء كما يتمنى الكثيرون؟

وغضب النميري من سؤالي وقال:

ـ بل ان السودان اكثر البلاد هدوء واستقرارا في افريقيا وما يجري عندنا يجري عشرات من امثاله في لندن وروما وباريس. ولم يشهد السودان مثلا عملية تخريبية كعملية نسف سيارة البوليس امام مخازن هارولدز في لندن. ان ما جرى ويجري في السودان من اعمال تخريبية يجري مثلها في معظم بلاد العالم. وهذه الاعمال التخريبية لن تتوقف ولكنها لن تخيفنا ولن تعرقل مساعينا ولن تقف في طريق تقدمنا وتطوير حياتنا.

قلت مقاطعا:

● ولكن معلوماتي تؤكد ان اعمال المتمردين في الجنوب هي المسؤولة عن تجميد اعمال الشركات البترولية هناك، الامر الذي حرم السودان من اكتشاف المزيد من آبار البترول وبالتالي حرم السودان من المال والايراد.. فماذا تقول؟.

واجاب النميري بعد تفكير:

ـ لذلك قررنا ان نشكل الهيئة الاهلية السودانية للبترول لكي تقوم بالمهمة وتنقذ الموقف الذي عجزت تلك الشركات الاجنبية عن انقاذه.

ثم صمت قليلا وقال:

ـ لقد قمنا بتأسيس شركة بترولية جديدة، لاننا نتوقع ان تعمل الشركة الجديدة على اكتشاف المخزون من البترول السوداني الذي ما زال تحت الارض والذي كما يؤكد الخبراء يشكل كميات هائلة جدا كما نرجو ان تعمل الشركة المذكورة على استغلال الخيرات الاخرى في السودان كالزراعة والمعادن والاخشاب في مختلف المناطق وان تعمل بثقة وباستقرار وبلا خوف ولا تردد..

● سألته: وما هو تصورك يا سيادة الرئيس ان في مقدورك ان تقوم به انت شخصيا لكي يستتب الامن وبالتالي تستطيع مثل هذه الشركة البترولية الجديدة ان تقوم بأعمالها بنجاح في بلدك.

واجاب جعفر النميري بأصرار:

ـ الامن عندنا مستتب.. وما يجري عندنا يشبه مجرد فرقعات ارهابية، حيث يحشدون هناك بعض القوات ويرسلونها متسللة اما براً او بواسطة طائرة هيلوكبتر ويفجرون شيئا او

يخطفون مهندسا، ثم يتسللون هاربين في الظلام. ومثل هذه الاعمال يحصل مثلها في فرنسا وبريطانيا وايطاليا ومعظم بلاد العالم.

● سألته: الا يخطر ببالك ان تشكل قوة خاصة، كما يسمونها، مهمتها الاشراف على استتباب الامن في المناطق البترولية حيث لايبقى لدى اية شركة بترولية اجنبية كانت ام اهلية بأن تجمد اعمالها بحجة ان بعض موظفيها قد تعرضوا للخطر؟

واجابني جعفر النميري:

ـ نحن عندنا قوة سودانية خاصة وقادرة على ان تتجاوب مع الموقف وان تؤدي المهمة على الوجه الاكمل اذا توفرت لها مساعدة بسيطة وتدريب سريع.

ثم توقف قليلا وقال لي:

ـ أريد ان اقول لك شيئا بسيطا، لقد مضى على حرب الجنوب سبع عشرة سنة. وعندما استطعت انا ان اوقف هذه الحرب ظن الاميركيون كما ظن الانكليز ان السودان كان يحارب هناك معارك الجنوب بكل جندي من افراد الجيش السوداني، بينما الحقيقة ان عدد قواتنا في الجنوب حتى في الحالات واكثرها خطرا لم يبلغ اكثر من ستة آلاف جندي..

هل تعرف لماذا.. لاننا لانحارب بأسلوب اميركا ولا اسلوب فرنسا ولا اسلوب الانكليز وانما نحارب المتمردين بنفس اسلوبهم. ان الجندي السوداني قادر على ان يعيش بلا ماء ولا طعام لمدة ثمان واربعين ساعة، وان يأكل طعامه من ورق الشجر عند الضرورة، وان يعيش في اشد الظروف حرارة ورطوبة وصعوبة وان يحارب وان يصبر وان ينتصر..

سألته:

● هل معنى هذا انك واثق من النصر في نهاية الامور؟

اجابني جعفر النميري:

ـ طبعا.. انا مازلت بحاجة الى المساعدات الخارجية ولكني وبالرغم من ذلك فالسودان وهو الدوله الصغيره الفترة الضيقة الا ان احداً لايستطيع ولن يستطيع ان يخطف لنا طائرة سودانية واحدة، وذلك بفضل الشباب السوداني الذي دربته للحفاظ على طائرات بلاده..

عندي قوة ـ ولله الحمد ـ لايزيد عددها عن العشرات ولكنها قادرة على ان تقوم بأعمال طيبة وشجاعة. انا اذكر انه عندما جرت عملية خطف ثلاثة عمال اوروبيين في الجنوب عمدت لارسال هذه القوة التي لايزيد عددها عن ١٢٠ شخصا، فمشت القوة الى اقصى حدود السودان الجنوبية وادت مهمتها وافرجت عن المخطوفين واعادتهم الى اهلهم. تسألني لماذا لا تثير مثل هذه البطولات اعجاب العالم؟ واجيبك: لان السودان بلد عربي اسلامي وليس هو اسرائيل التي تملك اسباب الدعاية وتسيطر على الاعلام في العالم ان اليهود يسيطرون على الصحف في العالم بينما السودان مشغول حتى من اقرب اشقائه..

وسكت جعفر النميري . .

لن تتحول اعمال التخريب الى حرب اهلية

وعدت أسأله :

● وهكذا افهم من حديثك ان هذه الاعمال الفردية التي يقوم بها بعض المتمردين لاتشكل خطرا على الاعمال الانشائية التي ستقوم بها الشركة الاهلية السودانية للبترول والتي تبنون عليها الامال الكبار؟

واجاب :

ـ انا اقول ان التخريب قد يستمر وقد يستمر الى وقت طويل ولكن لن تتحول هذه الاعمال التخريبية الى حرب شاملة او الى حرب اهلية. لا قطعا لا . . التخريب انا اتوقعه في اية لحظة ولكني انا كفيل به ايضا.

● سألته : وماذا عن مفاوضتك مع اهل الجنوب هل هناك اي تقدم؟

قال الرئيس السوداني :

ـ نعم هناك مفاوضات تدور بيننا . . وستؤدي الى نتائج مفرحة للجميع بأذن الله . . اما الماركسيون فلا مفاوضات بيني وبينهم . .

● قلت : والى اي مدى انت مستعد لان تمشي مع طلبات اهل الجنوب؟

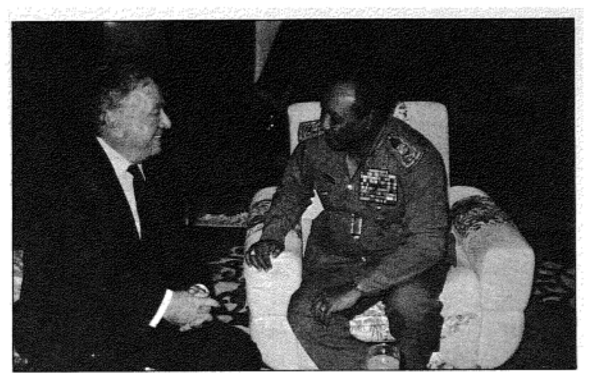
ـ واجاب جعفر النميري : لقد مشينا معهم حتى النهاية. لقد وافقنا على عودتهم الى اماكنهم في القوات المسلحة بشرط ان يسلموا سلاحهم وينضموا تحت الانضباط في الجيش والبوليس، ووعدناهم بأن نجد عملا لكل من ليس له عمل . . انهم جميعا أولادنا، فماذا يطلبون منا أكثر من ذلك، نحن مستعدون ان نخدم بشرط ان نجد التجاوب اللائق والحسن من الذين نخدمهم.

● قلت : يريدون حصصهم يا سيدي ويريدون مخصصاتهم المالية لاعمار الجنوب كما يقولون؟

ـ بل ان السودان اكثر البلاد هدوء واستقرارا في افريقيا وما يجري عندنا يجري عشرات من امثاله في لندن وروما وباريس. ولم يشهد السودان مثلا عملية تخريبية كعملية نسف سيارة البوليس امام مخازن هارولدز في لندن. ان ما جرى ويجري في السودان من اعمال تخريبية يجري مثلها في معظم بلاد العالم. وهذه الاعمال التخريبية لن تتوقف ولكنها لن تخيفنا ولن تعرقل مساعينا ولن تقف في طريق تقدمنا وتطوير حياتنا.

قلت مقاطعا :

● ولكن معلوماتي تؤكد ان اعمال المتمردين في الجنوب هي المسؤولة عن تجميد اعمال الشركات البترولية هناك، الامر الذي حرم السودان من اكتشاف المزيد من آبار البترول وبالتالي حرم السودان من المال والايراد . . فماذا تقول؟ .



النميري يسأل ناصر الدين النشاشيبي لماذا لايحاول العرب فهم السودان؟

واجاب النميري بعد تفكير:

ـ لذلك قررنا ان نشكل الهيئة الاهلية السودانية للبترول لكي تقوم بالمهمة وتنقذ الموقف الذي عجزت تلك الشركات الاجنبية عن انقاذه.

ثم صمت قليلا وقال:

ـ لقد قمنا بتأسيس شركة بترولية جديدة، لاننا نتوقع ان تعمل الشركة الجديدة على اكتشاف المخزون من البترول السوداني الذي ما زال تحت الارض والذي كما يؤكد الخبراء يشكل كميات هائلة جدا كما نرجو ان تعمل الشركة المذكورة على استغلال الخيرات الاخرى في السودان كالزراعة والمعادن والاخشاب في مختلف المناطق وان تعمل بثقة وباستقرار وبلا خوف ولا تردد..

● سألته: وما هو تصورك يا سيادة الرئيس ان في مقدورك ان تقوم به انت شخصيا لكي يستتب الامن وبالتالي تستطيع مثل هذه الشركة البترولية الجديدة ان تقوم بأعمالها بنجاح في بلدك.

واجاب جعفر النميري بأصرار:

ـ الامن عندنا مستتب.. وما يجري عندنا يشبه مجرد فرقعات ارهابية، حيث يحشدون هناك بعض القوات ويرسلونها متسللة اما براً او بواسطة طائرة هيلوكبتر ويفجرون شيئا او يخطفون مهندسا، ثم يتسللون هاربين في الظلام. ومثل هذه الاعمال يحصل مثلها في فرنسا وبريطانيا وايطاليا ومعظم بلاد العالم.

● سألته: الا يخطر ببالك ان تشكل قوة خاصة، كما يسمونها، مهمتها الاشراف على استتباب الامن في المناطق البترولية حيث لايبقى لدى اية شركة بترولية اجنبية كانت ام اهلية بأن تجمد اعمالها بحجة ان بعض موظفيها قد تعرضوا للخطر؟

واجابني جعفر النميري:

ـ نحن عندنا قوة سودانية خاصة وقادرة على ان تتجاوب مع الموقف وان تؤدي المهمة على الوجه الاكمل اذا توفرت لها مساعدة بسيطة وتدريب سريع.

ثم توقف قليلا وقال لي:

ـ أريد ان اقول لك شيئا بسيطا، لقد مضى على حرب الجنوب سبع عشرة سنة. وعندما استطعت انا ان اوقف هذه الحرب ظن الاميركيون كما ظن الانكليز ان السودان كان يحارب هناك معارك الجنوب بكل جندي من افراد الجيش السوداني، بينما الحقيقة ان عدد قواتنا في الجنوب حتى في الحالات واكثرها خطرا لم يبلغ اكثر من ستة آلاف جندي..

هل تعرف لماذا.. لاننا لانحارب بأسلوب اميركا ولا اسلوب فرنسا ولا اسلوب الانكليز وانما نحارب المتمردين بنفس اسلوبهم. ان الجندي السوداني قادر على ان يعيش بلا ماء ولا طعام لمدة ثمان واربعين ساعة، وان يأكل طعامه من ورق الشجر عند الضرورة، وان يعيش في اشد الظروف حرارة ورطوبة وصعوبة وان يحارب وان يصبر وان ينتصر..

سألته:

● هل معنى هذا انك واثق من النصر في نهاية الامور؟

اجابني جعفر النميري:

ـ طبعا.. انا مازلت بحاجة الى المساعدات الخارجية ولكني وبالرغم من ذلك فالسودان هو الدولة الصغيرة الفقيرة الضعيفة، فان احدا لايستطيع ولن يستطيع ان يخطف لنا طائرة سودانية واحدة، وذلك بفضل الشباب السوداني الذي دربته للحفاظ على طائرات بلاده..

عندي قوة ـ ولله الحمد ـ لايزيد عددها عن العشرات ولكنها قادرة على ان تقوم بأعمال طيبة وشجاعة. انا اذكر انه عندما جرت علمية خطف ثلاثة عمال اوروبيين في الجنوب عمدت لارسال هذه القوة التي لايزيد عددها عن ١٢٠ شخصا، فمشت القوة الى اقصى حدود السودان الجنوبية وادت مهمتها وافرجت عن المخطوفين واعادتهم الى اهلهم. تسألني لماذا لا تثير مثل هذه البطولات اعجاب العالم؟ واجيبك: لان السودان بلد عربي اسلامي وليس هو اسرائيل التي تملك اسباب الدعاية وتسيطر على الاعلام في العالم ان اليهود يسيطرون على الصحف في العالم بينما السودان مشغول حتى من اقرب اشقائه..

وسكت جعفر النميري..

لن تتحول اعمال التخريب الى حرب اهلية

وعدت أسأله:

● وهكذا افهم من حديثك ان هذه الاعمال الفردية التي يقوم بها بعض المتمردين لاتشكل خطرا على الاعمال الانشائية التي ستقوم بها الشركة الاهلية السودانية للبترول والتي تبنون عليها الامال الكبار؟

واجاب:

ـ انا اقول ان التخريب قد يستمر وقد يستمر الى وقت طويل ولكن لن تتحول هذه الاعمال التخريبية الى حرب شاملة او الى حرب اهلية. لا قطعا لا.. التخريب انا اتوقعه في اية لحظة ولكني انا كفيل به ايضا.

● سألته: وماذا عن مفاوضتك مع اهل الجنوب هل هناك اي تقدم؟

قال الرئيس السوداني:

ـ نعم هناك مفاوضات تدور بيننا.. وستؤدي الى نتائج مفرحة للجميع بأذن الله.. اما الماركسيون فلا مفاوضات بيني وبينهم..

● قلت: والى اي مدى انت مستعد لان تمشي مع طلبات اهل الجنوب؟

ـ واجاب جعفر النميري: لقد مشينا معهم حتى النهاية. لقد وافقنا على عودتهم الى اماكنهم في القوات المسلحة بشرط ان يسلموا سلاحهم وينضموا تحت الانضباط في الجيش والبوليس، ووعدناهم بأن نجد عملا لكل من ليس له عمل.. انهم جميعا أولادنا، فماذا يطلبون منا أكثر من ذلك، نحن مستعدون ان نخدم بشرط ان نجد التجاوب اللائق والحسن من الذين نخدمهم.

● قلت: يريدون حصصهم يا سيدي ويريدون مخصصاتهم المالية لاعمار الجنوب كما يقولون؟

اجاب النميري:

ـ ان اموال السودن كلها مخصصة لكل السودان وليس للجنوب وحده وليس للشمال وحده..

● سألته: وما زلت ابحث عن بقية اعصاب لكي امسك بها: وماذا عن نظام الحكم في السودان؟ الا تفكر يا ريس في اجراء بعض التعديل في نظام الحكم السوداني بما يتفق وطبيعة العصر او بما يتفق ومطالب الناس في السودان؟

واجاب النميري وهو يرفع يديه بالهواء:

ـ هذا موضوع يقرره الشعب. والارادة ارادة الشعب. واذا أراد الشعب ان يجري تعديلا فله ذلك اما انا شخصيا فلن أجري اي تعديل الا بارادة الشعب السوداني.. ولعل بعض الاشقاء في بعض البلاد العربية يظنون انني ديكتاتور.. بالعكس انا رئيس جمهورية تأتيني القرارات واقوم بتنفيذها على الوجه الاحسن. هذه القرارات تأتيني من الجماهير من المجالس

من الوحدات الاساسية ودوري هو مراقبة التنفيذ فقط لا غير. .

سألته واجري على الله:

● وماذا تسمي نظام الحكم عندكم في السودان؟

واجابني جعفر النميري:

ـ اسميه نظام الجمهورية الديمقراطية السودانية. . واستطيع ان اضيف الاشتراكية ايضا. فإن نظام الحزب السياسي عندي هو الحرب الاشتراكي.

● سألته: فقط

اجاب: اجل فقط. . ! فقط!!

● قلت: هذا يفسر العنوان السياسي للجمهورية الديمقراطية السودانية ولكن لايحدد جوهرها ولا نوعها؟.

ولم يرد جعفر النميري بكلمة واحدة.

● قلت: وهل ادت خطوتكم الاخيرة بالتكامل الاقتصادي مع مصر اية ثمرات ملموسة وحقيقية، ام ان الامر بقي مجرد دعاية؟.

واجاب وهو يهز رأسه:

ـ نعم لقد لمسنا ثمرات كثيرة. وبكل تأكيد وبعيدا عن الدعاية يجب ان اقول لك انها خطوة مباركة ضرورية. والحمد لله.

● سألته: هل اسمع منك شيئا عن هذه الثمرات التي جاءت نتيجة خطواتكم في التكامل الاقتصادي مع مصر؟.

ـ اجاب النميري: اصبحت المعاملة بين المصريين والسودانيين في كل من مصر والسودان واحدة متساوية.

ثم اضاف:

ـ وهناك استثهار بشري هائل، حيث يأتون الينا ونذهب اليهم. لقد اصبحت جامعات مصر مفتوحة امام السودانيين حيث يعاملون تماما كالمصريين. ان السوداني هو الانسان الوحيد الذي يعامل في مصر وكأنه مصري وكذلك المصري الذي يأتي الى السودان يصبح وكأنه سودانيا.

ثم قال النميري:

ـ اريد ان اضيف شيئا قبل ان انسى. انا لا املك الا ان اعبر عن مدى الآمال التي اعلقها على نجاح الشركة الاهلية الجديدة للبترول من اجل خدمة اقتصاد البلد. انها مزيج بين روح القدرة وروح المواطنية. اني على ثقة بأن العالم وخاصة اخواننا العرب سيفرحون لنا عندما تثبت هذه الشركة نجاحها وتؤدي واجبها وتجني للسودان المال القادر على انقاذه.

فسألته وانا امشي به بعيدا الى موضوع اخر:

● هل تتصلون بالاخ صدامَ حسين؟

ـ اجاب: طبعا انني على اتصال دائم معه.

● سألته: وكيف ومتى ستنتهي معركة حرب الخليج في حساب السودان؟.

ـ اجابني: ان هذ الحرب لن تنتهي الا اذا بدأنا نحن في تبديل سياسة استراتيجية تنطوي على منع الدول الكبرى من دعم العراق ودعم ايران معا. ان العراق وايران يملكان معينا لاينضب من الامكانيات والاموال مما لايجعل نهاية هذه الحرب قريبة. ان المطلوب من امريكا و من الاتحاد السوفياتي ومن دول أوروبا التوقف عن مد أي من العراق او ايران بالدعم المطلوب سواء بالسلاح او بالقروض حتى يدرك الطرفان ضرورة التوقف عن هذا الانتحار.

● قلت: وهل ستلبي هذه الدول الكبرى مثل هذا الطلب؟.

ـ اجاب: المهم ان نبدأ في الخطوة الاولى، ثم نترك الامر للهيئات الدولية والمؤسسات العالمية لكي توالي توجيه ضغطها وان تتحمل مسؤولياتها بانقاذ الخليج من ويلات الحرب.

● قلت: وهل تتصلون بالملك فهد ملك المملكة العربية السعودية؟.

ـ اجاب: انا شخصيا اقول لك بأن السعودية تعامل السودان معاملة الشقيق وقد وقفت السعودية الى جانبنا واعطتنا وبلا منة ولا شكر كل ما طلبناه منها، انني عاجز عن شكر السعودية ولا أريد ان أشكرها لان السعوديين يؤثرون العمل الصامت بلا ضجة وبلا دعاية ولا شكر.

سألته وانا الملم اوراقي بانتظار الوداع:

● ما زلت ياسيدي الرئيس ابحث في شخصك عن مفاتيح بقية الالغاز في سياستك. انني لا ادري لماذا مثلا، وقد مضى عليك في الحكم خمس عشرة سنة فأنك لم تفكر بتطبيق نظام الشريعة في بلدك الا منذ عام واحد فقط؟.

واجاب جعفر النميري:

ـ انا لم اقد هذه الثورة الا لانها كانت تريد ان تطبق نظام الشريعة. لقد وضعنا في منهاج الثورة السودانية عبارة (العودة الى الاصالة). من هنا فإن عملية الاعلان عن تطبيق الشريعة الاسلامية منذ عام واحد فقط هي في الواقع تتويج لمرحلة ثورية كنا خلالها نتطلع الى الموعد المناسب لاعلان ما سبق وقررناه منذ خمس عشرة سنة..!

سألت جعفر النميري: وانا انظر الى وجهه المتعب بالاحداث واسمع نبرات صوته المفعمة بالكثير من الكر والفر، عن الدرس السياسي الكبير الذي تعلمه رئيس جمهورية السودان طيلة الخمس عشرة سنة الماضية من الحكم المليء بالمفاجآت والمشاكل.فأجابني مرددا عبارة سبقه اليها صاحبها وناظمها ونستون تشرشل:

ـ ليس هناك صداقات دائمة وليس هناك عداوات دائمة، هناك فقط مصالح دائمة.
ثم نظر جعفر النميري حوله صوب علم السودان المنصوب بجانبه في قلب مكتبه ومشى اليه وهو يقول لي:
ـ ان ألوان علم السودان هي نفسها ألوان العلم الفلسطيني ولكنها مرتبة بشكل اخر.
ثم اضاف:
ـ ان السيد ياسر عرفات يأتي الينا من حين لاخر ويزورنا ويطمئننا عن احواله ونراه دائما متفائلا.. اتمنى ان اكون في تفاؤل عرفات..!

فسألته:

● وهل تشارك السيد عرفات هذا التفاؤل يا ريس؟.
واجاب النميري ضاحكا لاول مرة:
ـ بودي لو قدرت ان اكون في مثل تفاؤله. ان الجو جوه وجو الشرق الاوسط بأسره مليء بالغيوم والاعاصير..!
وعدت اقول له وأنا اودعه:
● وهل عندك الخبر الصحفي الذي لو نشرته اليوم على لسانك لاحتل الصفحات الاولى في جرائد العالم غدا.
فأجابني جعفر النميري:
ـ كانوا يتحدثون ضدنا عن قوانين الطوارىء. وها انا قد الغيت قوانين الطوارىء. اما الخبر الكبير فهو الخبر الصغير! انه كما اريد ان اقوله لك ان المؤسسات السودانية بعد اليوم ستصبح بأذن الله بمستوى من الدقة امام اخلاص وعمل وحركة السودانين بما يذهل العالم بأسره ويؤكد للجميع ان الاسلام الذي اعتنقناه دينا وحياة ودولة ليس فقط مجرد عبادة، وانما الاسلام هو عمل وهو انتاج وتعاون ومحاربة الفقر والبطالة ايضا.
سألته ووجهي صوب باب المكتب الخارجي:
● اما زلت عاتباً على اخوانك العرب؟.
واجاب النميري وهو يمشي معي مودعا:
ـ السودان لو عرف العرب هو جنتهم ومجمع الخير لهم والقادر على تمويل اسواقهم بأعظم محاصيل الزراعة واللحوم. اليس غريبا ان يبحث العرب في بلادهم عن اللحوم ويستوردون اللحم الاسترالي والاميركي بينما السودان يشكو من وفرة الماشية التي يخشى عليها من الموت بسبب عدم الاقبال عليها؟ ان عندنا حاليا ملايين الاغنام والبقر التي اصبحت مهددة بالانقراض لالف سبب وسبب.

اجبته هامسا متسائلا:

● ترى من المسؤول عن ذلك، انتم ام اخوانكم العرب؟ اعني من المسؤول عن عدم الفهم بين الاخوة انتم ام هم؟.

ولم يجب الرئيس..

شكرا يا ريس.

★★★

ومضى عام ١٩٨٤ وجاء ربيع عام ١٩٨٥.

وكنت في واشنطن، على مقربة من قلب الاحداث بانتظار تحديد موعد مقابلتي مع الرئيس الامريكي رونالد ريغان.

وجاء النميري الى واشنطن في آخر زيارة له قبل سقوطه باسبوعين..

وسألت الصديق سفير السودان في واشنطن ضاحكاً:

ـ هل «الرئيس» على استعداد لأن يقابلني ويدلي لي بحديث وداعي قد يكون «آخر» ما يتحدث به وهو في منصبه؟؟

وتجاوب الصديق الأديب مع ضحكتي ومع غمزتي معاً، واجاب:

ـ إن الرئيس على استعداد لأن يقابلك غداً لأنه قرر ان يبقى في الحكم عشر سنوات اخرى وسيعلن لك عن ذلك بنفسه..!»

وفي الموعد المحدد، كان اللقاء، وكان هذا الحديث.

وما يهمني ان أعود واكرر حقيقة بسيطة واحدة هي ان الحديث التالي هو «آخر» حديث رسمي أدلى به «جعفر النميري قبل سقوطه بـ ٤٨ ساعة فقط.!

إنه صورة للتفكير الخاطىء العليل الذي يصاب به الحاكم الفرد عندما يستبد به الغرور وتحجب عنه الحقائق..

وهو حديث جدير بالتحليل والدرس لدى كل من يتابع قضايا الشرق الاوسط وعلى رأسها قضية السودان..

★★★

قال لي جعفر النميري: ان كارثة القحط ومارافقها من عبور الآلاف من المشردين واللاجئين الى داخل حدود السودان قد تصبح بعد وقت قصير مشكلة «طبيّة» تنشر الأوبئة والأمراض في قلب دول افريقيا!

قلت اسأله : وماذا سيجري لو وصل هؤلاء اللاجئين الى الخرطوم العاصمة؟؟

أجاب: عندئذ سينتشر الوباء والخراب في جميع انحاء السودان، وبالتالي في جميع الدول المجاورة!

سألته: ولماذا سمحت «لبعضهم» في مغادرة السودان والانتقال الى اسرائيل مثلاً؟؟
أجاب: انا لاسلطان لي على هؤلاء اللاجئين! ولا استطيع ان امنع اي لاجىء دخل السودان من ان يعود ويغادر السودان! القانون الدولي «اعطاهم» الحق في الانتقال والتنقل وحرية الحركة!»
قلت: ولماذا لم تمنع خروجهم عندما عرفت السرّ؟ وصرخ النميري: لا استطيع! عندي «اثنين» مليون لاجىء وانا على استعداد لأن ارسلهم الى اي بلد في العالم وعلى نفقتي وبالطائرات السودانية! انا لااستطيع ان أتحمل نفقات هؤلاء اللاجئين، ولا مسؤولية الأشراف المباشر عليهم. !»
قلت: ولكن العالم لم يبخل عليك بالمساعدات المطلوبة لهؤلاء اللاجئين!؟
قال: أية مساعدات تعني يا ترى؟.. إن الطنّ الواحد من الغذاء الذي يصلني من الخارج يكلفني ما يساوي ثمنه مقابل نقله من الموانىء الى خيام اللاجئين! إن كثرة هبوط الطائرات القادمة من الخارج محملة بالأغذية للاجئين قد أصابت مطارات السودان بالضرر الشديد وكلفتنا ملايين الدولارات للتصليح!»
سألته: انا مازلت اشعر بالحيرة والشك تجاه ما يقال وما يكتب عنك! قل لي ياسيادة الأخ ما هو دورك الحقيقي في قصة يهود الفلاشا؟
وأجاب جعفر النميري بصوت مبحوح:
ـ هؤلاء «الفلاشا».. هم من الناس الذين يسكنون في «ارتيريا» ومنطقة «التبحريه».. وكانوا دائماً هدف «منجستو» الرئيسي بعد ان فشل جيشه الاثيوبي بعد تسع حملات عسكرية متتالية من ان يوقف المناضلين الارتيرين من ضرب جيشه! إن حاكم اثيوبيا يقذف سكان أرتيريا بالطائرات ويمطر القرى الأرترية المسالمة بالقنابل المحرقة بدون ان يعلن الاحكام العسكرية عليهم إنه يحرق مزارعهم.. ومعظم هؤلاء من المسلمين.. ويحرمهم من خدمات الصحة والتعليم! كان السودان يخدم هؤلاء المواطنين ويرعاهم على قدر ما يستطيع بينما كانت الحكومة الاثيوبية تمنع هؤلاء المواطنين من المجيء الى داخل اثيوبيا خوفاً على أمنها منهم».
ثم استطرد النميري يقول:
ـ وعندما بدأ هؤلاء المهاجرين في دخول حدودنا واصبحوا يشكلّون عالة علينا، أطلقنا انذار الخطر وقلنا للعالم انّ السودان لايستطيع ان يتحمل مسؤولية «إطعام» هؤلاء اللاجئين لان السودان لايكاد يجد ما يكفيه لأبنائه او اهله! قلت لهم ان انتاج السودان السنوي لم يكد يصل الى شهر اكتوبر من عام ١٩٨٤، حتى انتهى كله ولم يعد في المخازن رطل طحين او أقة سكر او شوال ارز! ومما زاد في سوء الموقف ان البنوك الاسلامية ـ ويسيطر عليها «الاخوان

المسلمون» ـ قد راحت تتلاعب بقوت الشعب وتتاجر به! المهم ان هؤلاء اللاجئين دخلوا وبقوا وشعروا برعاية «لجنة اللاجئين» في السودان لأمورهم. . »

ثم قال بعد تنهدة طويلة:

ـ وانا عرفت من الخارجية انّ مشكلة «الفلاشا» ليست وليدة يوم أو شهر او سنة. . وإنما هي مسألة قديمة مضى عليها عشر سنوات ورئيس اثيوبيا «يغازل» في موضوعها اسرائيل، ويلوح لها! بالمبادلة المطلوبة منها في هذه المسألة!

وقال لي جعفر النميري مستطرداً:

ـ وطيلة العشر سنوات الماضية كان «منجستو» يشتري من اسرائيل السلاح وقطع الغيار والأجهزة الزراعية، والطبية!. وقد لجأت اثيوبيا الى اسرائيل لكي تصون لها طائرات «الفانتوم» الامريكية الصنع التي كانت قد حصلت عليها من امريكا! ولم يكن في الشرق الاوسط من يملك مثل هذا النوع من الطائرات سوى اثيوبيا واسرائيل! وعملية الفلاشا هي عملية قديمة اشتركت فيها اسرائيل واثيوبيا معا وجنباً الى جنب! وقيل ان السودان قد ساعد في عملية موسى! والله انا لا اعلم ولم اكن اعلم ولايهمني ان اعلم ما هي عملية موسى!

سألته مقاطعاً:

ـ بل لعل مسؤولياتك يا سيادة الرئيس كانت تفرض عليك ان تعلم، حتى ولو كنت لاتريد ان تعلم. . !

وأجاب بصوت عال:

ـ انا ماذا يدريني ما هي الطائرات التي حملت هؤلاء اللاجئين اليهود؟ ولا ادري كيف ساعد السودان في هذه العملية! هه؟ كيف؟ اين نزلت هذه الطائرات التي يقولون انها نقلت هؤلاء اللاجئين؟!»

وقاطعت رئيس السودان مرة اخرى وقلت له:

ـ اسمح لي ياسيادة الرئيس. ان الطائرات التي نقلت هؤلاء الفلاشا، قد قامت من مطار الخرطوم اليس كذلك؟ وهل هذا صحيح؟

واجاب النميري في حده:

ـ انا قلت لك لا ادري! ولم اعلم الا مؤخراً بان هناك شركة سويسرية او سويدية قد جرى تأجير طائراتها وجاءت هذه الطائرات الى مطار الخرطوم ونقلت بعض الجماعات! يعني ماذا كان يدريني نوعية هؤلاء الناس؟ ومن قال لي انهم يهود فلاشا؟. كل ماعندي من معلومات ان الطائرات كانت مؤجرة لحساب شركات طيران عالمية وانها حطت في مطار الخرطوم ونقلت جماعات أفارقة لونهم اسود ولباسهم كلباسنا فهل كان المطلوب مني ان اقبض على هؤلاء الأفارقة واقول لهم: «ممنوع. . وليس لكم الخروج من هنا؟»

ثم راح جعفر النميري يصرخ قائلاً:

ـ القانون الدولي يمنعني من ان امنع اي شخص لاجىء من مغادرة هذا البلد! المندوب السامي للاجئين هو وحده المسؤول عن اللاجئين ولست انا! المندوب السامي للاجئين هو المسؤول تجاه الامم المتحدة، وهو الجهة المختصة باعطاء اللاجىء «وثيقة سفر» وفتح الابواب امامه للتنقل ولايملك احد ان يتحدى قرار المندوب السامي او يعطل اجراءاته!

ثم سألني النميري:

ـ انت فاهم كلامي او لا . . ؟!

قلت: انا سامع كلامك، ولكني لا استطيع ان اعثر على كثير من المنطق فيه!!

قال: كيف ؟ كيف؟ قل لي كيف؟!

قلت: لأول مرة اسمع ان رئيس جمهورية ما، لايعرف ماذا يجري في مطارات بلده، ولا يقدر ان يسأل المندوب السامي للاجئين عن اجور داخلية تتعلق بسلامة البلد وسلامة المواطنين! هذا ياسيادة الرئيس شيء غير معقول. !

وصرخ النميري:

ـ كيف؟ كيف؟ انا قادر ان امنعهم فقط من القيام باية اعمال عسكرية ضد بلدي او ضد اي بلد مجاور. اما غير ذلك. . فلا.

قلت: الم يكن باستطاعتك اعادتهم الى بلدهم!؟

قال: لا! مستحيل!

قلت: الم تستطع ان تمنع الطائرات الامريكية من الهبوط في مطارات بلدك ، وانت تعلم سبب مجيئها الحقيقي؟

قال: الطائرات الامريكية هبطت في مطار سوداني وكانت طائرات عسكرية امريكية، على بعد ٨ كيلو من مرتبة إسمها «قبار». انا اعرف ان طول مطار هذه المدينة لايسمح بنزول طائرات كبيرة. . !»

سألته: اذن ما هو تفسيرك؟!

اجاب: انا اعرف ان هناك طائرات امريكية صغيرة تهبط في السودان وتحمل الاغذية لنا يومياً. . ! وقد تكون هذه الطائرات قد نقلت بعض الناس في طريق عودتها من بلدنا؟ هذا ممكن. ! ولكن ماذا كنا نستطيع ان نفعل؟؟ هل نتحدى الطائرات الامريكية ونعمل شيئاً؟! المسؤولية تقع على امريكا وعلى طائراتها وعلى رجالات مخابراتها! الأوراق التي في حوزة هؤلاء الناس اعطيت لهم من امريكا ولست انا مسؤولاً عنها! والطائرات نقلتهم الى مطارات خارجية لا حق لنا في التصدي لها! انا لا أملك طائرة سودانية واحدة وليس عندي طائرة سودانية واحدة أقلعت من بلدي الى اسرائيل محملة بيهودي واحد! انا اتحدى اي دولة عربية

تقول، إن طائرة سودانية واحدة مرت مجالها الجوي لكي تعبر منه الى اسرائيل. قد يقولون ان طائراتنا مرت في البحر الأحمر؟ حسناً! ولكن اجهزة الرادار في السعودية قادرة على ان تكشف ما يجري داخل السودان لمسافة «٣٥٠» ميلاً! إذن ماذا؟ وكيف يمكن لطائرات سودانية ان تمر فوق مصر او الاردن ولايعرف بها حكام هذه الدول؟ كيف؟!»

وقال النميري:

ـ انا سمعت ان اسرائيل ـ بالذات ـ قد تولت نفي المزاعم التي ينشرها خصومنا عنا! ان اسرائيل لاتحب السودان ولا تتبرع بالدفاع عنه. ان اشد الخصومات والمعارك الدولية في نيويورك هي التي تجري بين مندوبنا ومندوب اسرائيل!»

سألت النميري:

ـ يا سيادة الرئيس انك تحدثني عن التفاصيل ولا تريد ان تخوض قلب الموضوع؟!

وأجاب: ماذا تريد ان تسمع؟ هل يروقك ان ابادر الى شتم الذين يتهموني بالخيانة؟ لقد اصرت ليبيا على إدراج موضوع الفلاشا في اجتماعات الجامعة العربية!؟ فاجاب وزير خارجيتنا انه مستعد لادراج موضوع الفلاشا على جدول اعمال مجلس الجامعة، ولكن بشرط ان يدرج معه موضوع معسكرات التدريب التي في ليبيا، والسلاح المخزون، وتدريب المخربين للاعتداء على دول عربية مجاورة. يجب ان نحقق في كل ذلك. كذلك في الاسلحة العربية التي ارسلت الى ايران؟! واذ بالمندوب العربي الليبي يسحب اقتراحه حول موضوع الفلاشا.. ويسكت!»

سألت النميري: وماذا يريد «منجستو» من السودان؟

اجاب: هناك اتفاقية ثلاثية بين عدن وليبيا واثيوبيا، ويؤيدها السوفيت، وهدفها «قطع» السودان العربي الاسلامي بين جنوب وشمال!. وأستشهد صادقاً ان القذافي رفض ان يعمل على تقسيم السودان، ولكنه وعد بان يعمل على اسقاط النميري وتبديل الوضع! وقال لهم القذافي ان السودان لن ينقسم ويكفي «تحرير السودان» من الحكومة الحالية الى حكم ماركسي.. يساري.. احمر!!

وقال النميري مستطرداً وهو يفتح ذراعيه في الهواء:

ـ القصد هو ربط السودان مع ليبيا ومع اثيوبيا في رباط احمر يمتد من شمال افريقيا الى شرقها، ويصبح اليمن والسودان واثيوبيا مع ليبيا.. كلها حمراء.! هذا هو الهدف الاستراتيجي للرئيس الاثيوبي.! انه يريد ضرب السودان لانه يظن ان الدعم العسكري لثوار ارثيريا يأتي من السودان واكمل جعفر النميري قائلاً.

ـ اما هدف ليبيا الاستراتيجي فهو ان السودان يؤيد سياسة السلام المصرية وهذا ـ في قاموس القذافي ـ خيانة! ثم ان القذافي ضد التكامل المصري السوداني لأنه يريد عزلة مصر


الرئيس النميري يتحدث الى المؤلف

لكي يضمها اليه! . ان القذافي يكرر قوله ان ليبيا قائد بلا شعب، بينما مصر شعب بلا قائد! لذا، فإن له - اي للقذافي - الحق في ان يتولى زعامته مصر لكي يملأ الفراغ! ويأتي - هيكل - ويصّور للأخ القذافي انه خليفة عبد الناصر.. وعليه ان يلعب دور عبد الناصر..! نعمل ايه؟!»

وقال النميري مستطرداً :

- ومما لاشك فيه ان منجستو يكاد يكون قد اصبح رئيس دولة لا زراعة ولا أكل فيها! لم يعد في اثيوبيا مواشي! لم يعد فيها مزارع! حتى الابقار المريضة قاموا بذبحها وأكلها! ولذا اصبح الرئيس الاثيوبي يتلاعب في حدوده مع السودان.!

قلت مقاطعاً: وهل تشعر بانه اصبح يشكل خطراً عليك، أعني: على السودان؟

اجاب النميري :

- بلا شك.!

سألته: ولكن اخوتك العرب لا يشاركونك في شعورك بالخطر المزعوم.؟

قال: العرب فاهمين الموضوع.. ولكن ليس هناك شيء يجمع بين العرب في الوقت الحاضر! والجامعة العربية منذ خروجها من مصر لم تعد شيئاً. ماتت! العرب اليوم لاشيء! وجامعتهم لاشيء! انا مع الاتحادات الثنائية الجغرافية فقط!

سألته: وما هو سر هذه الخصومه العربية العامة للسودان؟!

قال: هذه الخصومة العربية مصدرها بعض الافراد! لا الشعوب ولا الحكومات.!

وهؤلاء الافراد اما انهم حمر ماركسيون. . نعرفهم جيداً في السوان لانهم يحاربوننا. ! وهناك شيوعيون فلسطينيون ايضاً. ! وهناك شيوعيون مصريون. ! وهؤلاء جميعا قد جرى طردهم من بلادهم فجاءوا الى السودان وتولوا المناصب العليا فيه! انا اعرف واحداً منهم كان يتولى مسؤولية اللجنة المركزية العليا ـ المكتب السياسي ـ وبعد عامين سافر الى انجلترا، ولم يعد، بل سافر الى الى الكويت وعمل طبيباً هناك واسمه «الخوجلي». . وصنعته شيوعي. . ماذا نفعل؟!»

قلت: ولكن المعارضين لكم ليسوا كلهم شيوعيين! إن وزير خارجيتكم السابق ـ وهو بالتحديد ليس شيوعياً ـ لم يكن في معارضته اقل وطأة من الشيوعين. فكيف تفسر ذلك؟

واجابني النميري وقد زادت البحة في صوته المتعب:

ـ هذا الرجل هو صديقي. وكان زميلي في الدراسة. وعندما قامت الثورة أنشأت وزارة جديدة اسمها وزارة الشباب وجاءني كتاب من «منصور خالد» يعرض فيها خدماته. واجبته فوراً وطلبت منه الحضور الى السودان لكي يتولى وزارة الشباب! وجاء منصور خالد الى الخرطوم وقال لي ان عنده شرطاً واحداً قبل ان يتولى الوزارة، وهذا الشرط هو ان صديقه «عبد الحليم» يريد وان يصبح وكيلاً للوزارة، ووافقت فوراً. وجاء عبد الحليم وانضم للوزارة. وبدأ الاصدقاء يتوافدون على مكتبي ويهمسون في اذني قائلين: هل تعرف منصور خالد؟ وهل تعرف انه عمل «مع عبد الله خليل» قطب حزب الامة؟ وكنت اجيبهم باني لا ارى في منصور خالد الا صفاته الايجابية الحسنة. الى ان طلب من ان اوصي عليه لكي يصبح سكرتيراً للأمم المتحدة!

ونصحته بان لايغامر في مثل هذا الطلب العجيب. فعاد وطلب مني ان ارشحه لمنصب سكرتير عام منظمة الوحدة الافريقية وادخلني في إحراج شديد عندما اكتشفت انه يسعى للحصول على عدة مناصب اخرى متعددة وانه طلب من «بوتفليقه» الجزائري وغيره لمعاونته على الفوز باحد هذه المناصب! وعندما شعر بأني زاهد في معاونته، شن الحرب ضدي! وسألت عنه فقيل لي انه في الكويت! وماذا يفعل في الكويت؟ بدأ يمارس لعبة الحرب ضدي تحت ستار انه يعمل هناك في احدى الشركات! ثم ترك الكويت وجاء الى لندن. وعمل مساعداً لشؤون البيئة في الامم المتحدة؟ ما هذا؟ لاشيء! لانه لم يبق في هذه الوظفية سوى عام واحد. ! ماذا افعل؟. . كان ذات يوم صديقاً لي ثم انقلب الى عدو. ولن يكون الاول، ولن يكون الأخير. .»

واحسست بان حديث النميري عن بعض الاشخاص يكاد لايتفق مع خطورة المرحلة المتفجرة التي يمر بها السودان في ذلك اليوم والتي تكاد تطيح بالعهد كله وتنهي حكم النميري الى الأبد، فسألته:

ـ قل لي ياسيارة الرئيس. . . كيف كانت زيارتك الحالية الى واشنطن؟ واجاب جعفر النميري:

ـ اليوم قابلت جورج شولتز. . وتحدثنا ـ بالطبع ـ عن المنطقة. . وسألته عن دور امريكا تجاه احداث السودان واجابني باختصار عن دور امريكا تجاه مساعي السلام. !»

سألته: اي سلام. . تعني . . سياده الرئيس؟

قال: سلام العرب واليهود. !»

قلت: انا اسألك عن السلام بينك وبين السودان!؟

قال و كأنه يتجاهل سؤالي عن عمد:

ـ وقال لي شولتز ان امريكا تريد ان تصنع ثوب السلام على المقياس الذي تختاره. . وان السلام محتمل وقريب. . . ولكنها لن تفرض حلاً وانما تنتظر اقتراحات العرب واقتراحات اسرائيل!!»

سألته: وهل اشعرك «شولتز» بان حقده على العرب قد زال بعد فشله في تنفيذ الاتفاق اللبناني الاسرائيلي منذ عامين؟

اجاب النميري: لم الحظ في كلامه مسحة المرارة ولو ان في وجهه امارات حقد لم افهمها، لأني لست عالماً نفسياً ولا انا قارىء وجوه. . !»

قلت له: وهل أشعرك بتفاؤله ام اكتفى النصائح. ؟

قال: هو يؤمن بان الحوار قادر على ان يوصلنا الى السلام.

قلت: وماذا حدثك عن السودان؟ . . عن بلدك؟

قال: أخبرني على طريقته وبأسلوبه في الكلام المتردد الهامس المليء بالمحطات أن السودان «مشكلة خاصة» وان السودان يستحق كل المساعدات. . »!

سألته: وماذا يعني بعبارة: المشكلة الخاصة؟

قال النميري: يعني ان وضع السودان الاقتصادي الخاص ومشكلة اللاجئين. . كلها تزيد الموقف تفجراً وتحث الغير على المساعدة!

سألته وماذا يقول شولتز في الذي يجري حالياً في الشارع السوداني. . ضدك؟!

قال جعفر النميري وكأنه يتحدث عن فيتنام لاعن السودان:

ـ يعتقد «شولتز» ان البيان الذي اذعته، وان اللجنة التي امرت بتشكيلها، شيء حسن وإيجابي جداً جداً. . وان امريكا ستدعمنا سياسياً ودبلوماسياً. . وستضغط على الدول التي لها علاقة بتأييد ما يجري في الشارع السوداني لكي توقف تأييدها! وسيجري هذا بصورة غير مباشرة وخاصة مع دولة. . كليبيا مثلاً!»

سألته: ولماذا لاتحاول انت وتصلح علاقتك مع ليبيا مباشرة؟

فأجاب جعفر النميري: لن احاول ولن اريد، وليست هناك اية فائدة من مثل هذا الجهد! لا ليبيا.. ولا سوريا!»

قلت: ولكن الموقف «يا اخي» الرئيس يكاد يفلت من بين يديك. ولم يعد امامك مجالاً للاختيار! وليس بوسعك ان تعتمد كثيراً على الدور الاميركي! هكذا علمتنا الأيام والتجارب! انني احس وكأنك تجتاز آخر أيام ولايتك وارجو ان اكون مخطئاً؟!

قال جعفر النميري: انا جئت الى واشنطن للعلاج ولكن الاحداث قد احالت الزيارة الى رحلة عمل بل اكثر من رحلة عمل. لقد قابلت اكثر من ثلاثين صحفي. كانوا يسألوني عن الاحداث، ولم اجبهم لأني كنت بعيداً عما يجري في الشارع السوداني!»

سألته بدهشة: هل تعني انك تجهل بحقيقة ما يجري في شوارع بلدك... الخرطوم؟؟

قال: انا أجيب على الاسئلة العامة.. فقط، ولا اريد ان احشر نفسي في الاحداث الفرعية.!»

قلت: سيادة الرئيس. ان الاحداث الفرعية كما تسميها، هي ثورة عامة كما يراها العالم في الخارج.! وهي ثورة ضدك!

قال جعفر النميري: انا مع السلام.!

وصرخت: اي سلام؟ انا اسألك عن السودان ياسيدي!!..

قال: وانا اريد الحل! انا لااريد ان احارب احداً انا لن احارب المواطنين السودانيين.. إنهم اهلي!»

قلت للنميري وقد نفد صبري معه ونفد صبري عليه:

ـ سيادة الرئيس! ان شعب السودان يطالب بتنحيتك فماذا تقول.؟

واجابني جعفر النميري، وكلامه مسجل على الشريط:

ـ انا لا أتنحى الا بالدستور! انا لا أتنحى تحت ضغط الشارع! انا أرفض الكلام الفاضي. يبقى البلد لعبة! ماذا؟ كيف؟ أتنحى لا! اتنحى.. اتنحى.. اذا جاء الشعب.. وجاء الدستور وجاء الجيش وجاء البرلمان.. وطلبوا مني ان اتنحى عندئذ اتنحى! لايهمني ان ابقى! لاتهمنى الرئاسة ولا الملك! انا جئت لكي اخدم ومازلت اقدم خدماتي حتى اليوم وفقدت حريتي وخسرت صحتي واشياء كثيرة! واذا اراد الشعب ومن خلال الدستور.. كله مكتوب في الدستور.. ان اتنحى بالاسلوب الدستوري عندئذ اتنحى! يجب ان تجري انتخابات عامة وان اشرف انا على العملية واذا طلبوا مني الخروج.. اخرج.! باسلوب ديمقراطي ودستوري وشعبي، لا بالضغط والتجديف والسخط والشتائم.!»

قلت ومازلت احدثه عن قرب النهاية:

ـ وكيف يكون تصورك للحالة في السودان اذا قررت ان تتنحى لغيرك.. اليوم او غداً؟

قال محمد جعفر النميري :

ـ انا لا ادري من سيملأ الفراغ! ولكني اعتقد بان هناك في السودان جهازاً سياسياً كفؤاً ليس له مثيل في افريقيا او في الشرق الاوسط بأسره! واسم هذا الجهاز هو «الاتحاد الاشتراكي السوداني». وهذا الجهاز قادر على أن يختار رئيسه المرشح لرئاسة الجمهورية! لقد استطعت خلال الـ «١٥» سنة الماضية ان أبني في السودان مؤسسات دستورية ناجحة تقدر ان تتحرك حتى لايقع اي مكروه!!»

سألته مقاطعاً: ولكنك ياريس تحب ان تعيش في اجواء بعيدة خاصة، لاتمتُّ للحاضر الخطر بصلة! الا تشعر بخطورة الوضع؟ الا تسمع اصوات الشعب؟»

قال النميري وكأنه يتحدث عن بلاد الواق واق:

ـ وماذا يريد الشعب. انا طبقت «الشريعة» وانا فخور بها.. وانا معتز بها! انا لن اتفاهم مع الاخوان المسلمين لانهم يعملون كحزب سياسي لا كافراد مسلمين! وانا لن اتفاهم مع البعثيين الا كافراد! انا لن اتفاهم إلا مع السوداني المخلص لبلده.! امريكا مش فاهمه. وصندوق النقد الدولي له اجراءات مالية ارغمته ان يمسك يده عن مساعدتنا. نحن في ضيق مالي. هذا صحيح!»

قلت للنميري وانا أودعه:

ـ انت تواجه ثورة عارمة في بلدك! فماذا انت فاعل؟ هل ستتحدى الشارع وتجنح للعنف، ام ستلبي مطالب الشارع وتستقيل؟؟

واجابني محمد جعفر النميري رئيس السودان قبل استقالته بثمان واربعين ساعة فقط:

ـ اذا تقدم الشعب بمطالبه بوسائل دستورية، عندئذ سأضعها فوق رأسي. واذا سمعت صوت الشعب من خلال الاتحاد الاشتراكي، عندئذ سأفتح للشعب قلبي وعقلي وارضخ لرأيه! اما العنف والقتل وسفك الدماء وحرق المنشآت فلا مكان لها عندي ولا بد من احترام القانون.! لقد جئت الى الحكم خلال اجراءات معينة ولا يقدر ان يعزلني الا الاتحاد الاشتراكي لانه وحده القادر ان يحكم لي او ضدي! هذا الأتحاد قادر ان يطلب مني ان اتنحى وان استقيل من رئاسة الاتحاد الأشتراكي. أنا في كل الحالات مستعد لأن اسمع قرار الاتحاد وان البيه فوراً..»

قلت وانا اجمع اوراقي مودعاً:

ـ سيادة الرئيس. اخشى انك تعيد على مسمعي تلك القصة القديمة حول النقاش عن جنس الملائكة وهل هم ذكرا أم انثى بينما الجيوش تحاصر البلد والبركان يوشك ان ينفجر.!؟

وقاطعني جعفر النميري وهو يصعد الى الطابق العلوي من دار السفارة السودانية بواشنطن لكي يحمل حقيبته ويتجه الى المطار:

ـ لا ملائكة ولا شياطين! انا عائد اليوم الى القاهرة، ومنها الى الخرطوم. ولكل حادث حديث. !»

ووصل النميري الى القاهرة! وبقي فيها حتى كتابة هذه السطور!

منزل السفير السوداني في واشنطن حيث التقى المؤلف مع النميرى قبل سقوطه بيومين اثنين



النميري بالزي السوداني التقليدي وإلى جانبه وقف المؤلف في لقائهما الأخير في العاصمة الأمبركية

فيينا - ٢٠/٩/١٩٨٤

يهودي بثلاثة «كلى».. وألف روح!
برونو كرايسكي أو: شجاعة الصراع.



فيينا ـ ٢٠/٩/١٩٨٤

يهودي بثلاثة «كلى».. وألف روح!
برونو كرايسكي أو: شجاعة الصراع.

قالت لي زوجته ـ وهي تشبه في شكلها ومظهرها «جولدا مائير» ـ ان زوجها العائد لتوه من إجازة الصيف في اسبانيا يحمل في بطنه ثلاثة «كلاوي» بعد ان أجرى له الأطباء عملية جراحية أبقوا فيها على «الكليتين» المضروبتين واضافوا من عندهم، كلية ثالثة!

قلت لها: وهكذا أصبح زوجك «المستشار» بألف روح وألف قلب وألف لسان.. وثلاثة كلى!

وضحكت زوجة برونو كرايسكي وقالت لي:

ـ ولكنه متعب. ولولا روحه المعنوية العالية لما قاوم العمليات الخطيرة التي اجريت له في هذا الشهر.

وعندما رأيته كانت امارات المرض ما زالت محفورة على وجهه. وفي منزله الأبيض الأنيق وسط العاصمة النمساوية، كان لقائي مع هذا الزعيم الاشتراكي النمساوي اليهودي الذي يحتقر مناحيم بيغن، ويعارض شمعون بيريز، ويسخر من رونالد ريغان ولا يثق بالسوفيات ولكنه يملك من النشاط العجيب ما يجعله دوماً في حالة سفر ويملك من الجرأة ما يدفعه الى توزيع التصريحات ونشر الآراء وعقد المؤتمرات الصحفية وتأليف الكتب والردح الشيق القاسي لاسرائيل الدولة، والسياسة، والزعامة، والمطامع..

وكلما قابلته، زادت قناعتي بان «اليهودي» هو خير من يهاجم اي يهودي آخر او يصارعه، او يعارضه، او يشتمه!

ورأيت في منزله طاولة للعب «الزهر» وخنجر ذهبي بداخل علبة من الصدف ومجموعة صور لأصدقائه من زعماء العالم.. الثالث!

وكانت غيوم الخريف تملأ سماء «فيينا» عندما التقيت به في العشرين من شهر ايلول سبتمبر من عام ١٩٨٤.

كان يبدو امامي كالاسد الجريح! كانت آثار المرض تبدو واضحة في وجهه وصوته وجسده! كانت نظراته قلقة تائهة ومتعبة، تماما، كنبرات صوته، كخطواته، كحركات يديه،

كحرصه على تناول جرعات مستمرة من المياه المعدنية ـ اليوغسلافية ـ التي يداوي بها كليته التي تحجرت وماتت ويستعين بها على كليته الاصطناعية الجديدة التي زرعوها له في احد جوانب بطنه!.

ومضت عليه اربعة شعور غائبا في شواطىء «ملقة» باسبانيا يحاول ان يسترد عافيته بعد العملية الجراحية الكبرى التي اجريت له في شهر مايو الماضي..

ولم يبق منه الا روحه، وارادته، وعزيمته! فقد أسمعني من آرائه خلال حواري معه لمدة ثلاث ساعات، انه ما زال ذلك الرجل السياسي الكبير الذي يتنطح لاكبر قضايا العالم، ويصارع اشرس الصهاينة في اسرائيل، ويتحدث بأنبل واشرف لغة سياسية بين سائر السياسين العالمين، ويتبنى الحق كله، والعدالة كلها، ويعيش صريحا جريئا وكأنه احد نسور جبال «الترول» في بلاده، او قمة شامخة من قمم جبال الالب المحيطة كالسوار بأرض النمسا المنعمة بالانهر والبحيرات.. والتاريخ العظيم!.

وكنت اعرف ان زوجته لا تطيق الحديث في السياسة ولا تنافس زوجها في عمله السياسي فلم اجعل حديثي معها الا في موضوع الاجازة، والبحر، والشتاء الذي بدأ مبكرا!.

كما كنت اعرف ان علاقته بولده ليست على ما يرام، وان الابن الذي احترف المذهب الشيوعي قد ناصب والده العداء انطلاقا من «الاخلاق» الشيوعية المعروفة والتي لا تعترف بطاعة الولد للوالد او بالاحترام المتبادل، فلذا لم أسأله عن ولده ولا عن قصة هذا العداء الذي استمر طيلة العشر سنوات الماضية!.

وعندما جلست بجانبه في احدى زوايا صالونه الصغير المزين بصور اصدقائه من زعماء العالم، سمعته يحدثني باللغة «السويدية». فسألته اين وكيف ولماذا يجيء الحديث باللغة السويدية، فأجاب:

ـ عشت في السويد مدة ١٢ سنة حيث كنت موظفا في السفارة النمساوية في «استوكهولم» وتعلمت اللغة السويدية.. كما عشت في السويد كلاجيء سياسي ايام الحرب لمدة خمس سنوات كاملة عملت خلالها على تحسين العلاقات بين الدول الاسكندنافية وبلدي. وعندما اشتاق الى ايامي في السويد اجد نفسي ـ دون قصد ـ «اتحدث باللغة السويدية!».

قلت: دون مقدمات:

ـ لا املك ـ كعربي ـ الا ان اشيد بجرأتك في مناصرة الحق العربي المغتصب! ولا املك ـ كانسان ـ الا ان اشكر فيك عظمة انسانيتك في الحرص على الامن والسلام في العالم!.

وأجابني كرايسكي باختصار، وبتواضع معا:

ـ انا بكل تواضع لا استحق اي شكر من احد! ذلك انني وبكل هدوء احاول ان اقنع العالم بعدد من القضايا العالمية المهمة عن طريق وضع الحلول الصحيحة لها! انا لست محاربا

بقدر ما انا دبلوماسي وسياسي ومفكر! وعلى رأس القضايا المهمة التي تشغلني تجيء قضية الشرق الاوسط لانها قضية «عدل» بالنسبة للفلسطينيين ولانها ـ حسب اعتقادي ـ مفتاح العلاقة الودية التي نتمناها بين الدول العربية من جهة ودول اوروبا الديمقراطية من جهة اخرى. وكذلك لان قضية الشرق الاوسط ـ حسب مفهومي وتصوري ـ اذا استمرت بدون حل، وتضاعفت اخطارها وابعادها، فانها ستكون الشرارة التي ستشعل نيران الحرب العالمية الثالثة...».

ثم أضاف:

ـ لقد كادت حرب لبنان ان تصبح المقدمة المطلوبة لقيام حرب عالمية جديدة، واقترب العالم من حافة الحرب لان ما جرى في لبنان كان بمثابة حرب بين سوريا التي تمثل الاتحاد السوفياتي واسرائيل التي تمثل الولايات المتحدة، وكادت كل من الدولتين الصغيرتين ان «تجر» كلا من الدولتين الاعظم الى حرب نووية!.

لقد خمد البركان في لبنان مؤقتا، ولا احد يعلم الى متى، وما زال الشرق الاوسط اكثر القضايا تفجرا في العالم، ولذا فاني املك من الاسباب التي تجعلني اطالب بايجاد الحلول السلمية السريعة لقضايا الشرق الاوسط.. وكذلك فاني اقول ـ ومنذ البدء ـ ان القضية يجب ان تعود الى اطارها القديم ضمن الطابع الدولي داخل الامم المتحدة، وتطرح من جديد على بساط مؤتمر «جنيف» الدولي الذي يضم جميع الاطراف المعنية بالقضية وعلى رأسهم شعب فلسطين والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة! أنا اعتقد بضرورة احياء فكرة المؤتمر الدولي المذكور من جديد، والعمل بها وتنفيذها قبل فوات الاوان...»

واستراح كرايسكي مدة لحظة قبل ان يقول لي:

ـ هذه واحدة. وهناك قضية اخرى تشغلني واشاغلها منذ زمن طويل، طويل، واعني بها العلاقة المحمومة وغير الودية بين الدول الصناعية من جهة والدول المتطورة من جهة اخرى. هذه القضية العالمية المهمة الثانية التي تسيطر على تفكيري وتستبد بوقتي وجهدي! انني ما زلت اضع لها الحلول وادعوا الى معالجتها بروح الجد والسرعة الممكنة! اما القضية الثالثة التي تشغلني واشاغلها فهي قضية العلاقة بين الشرق والغرب. وانا كرجل يؤمن بالوفاق وساهم في بناء سياسة الوفاق فاني ادعو الى اعادة بحث سياسة الوفاق واقامتها على قواعد جديدة اذ لا مفر من القبول بسياسة الوفاق ولا بديل عنها! واني اقول لك وبكل حسرة والم ان جهودي الملحة لم تثمر كثيرا في معالجة هذه القضايا العالمية الثلاث! فلا قضية الشرق الاوسط قد وجدت حلا، خاصة وان الحكومة الاسرائيلية الجديدة لا تبشر خيرا، ولن تمد العالم بأي امل حقيقي في معالجة هذه القضية او حلها. وهذه الحكومة ـ واكرر لك ذلك ـ لا تعطي احدا اي امل في المستقبل. انها حكومة تعاون بين حزب العمل وتجمع الليكود وانا لا ادري كيف يمكن

ان ينتج اي خير من وراء مثل هذا التعاون الغريب! . . .»
سألته: هل تقول هذا لان التعاون بين العمل والليكود يكاد يكون في شبه المستحيل؟ .
أجاب: بل انا اقول ان «العمل» و «الليكود» سيتعاونان معا ولكنهما لن يقدرا على رسم سياسة سلام حقيقي في المنطقة! .
سألته: لماذا؟ .
أجاب: لان هذه الحكومة الاسرائيلية الجديدة ليست مهتمة بموضوع السلام ولا تفكر بالسلام! ان الليكود لا تريد السلام! ان شامير وكذلك شارون لا يريدان السلام! ولو كان هؤلاء يريدون السلام حقا لما اوصلوا القضية الى حالتها الحاضرة! ان وجود امثال هؤلاء ضمن اسماء الوزراء الجدد في الحكومة الجديدة لا يبشر بأي خير ولا يؤدي الى السلام المطلوب الذي نريده ونسعى اليه . . .
سألته: هل كنت تفضل لاسرائيل اجراء انتخابات جديدة بدلا من مجيء مثل هذه الحكومة العجيبة؟ .
أجاب كرايسكي على الفور:
ـ ابدا ان اجراء انتخابات جديدة لن يغير في الامر شيئا. انا اعتقد ان حزب العمل الاسرائيلي قد ركع واستسلم امام قوة الليكود. . وهذه هي المأساة؟ .
قلت: ولماذا كان مثل هذا الاستسلام من امثال شمعون بيريز واسحق رابين. . وانت تعرفهما جيدا؟ .
وأجابني كرايسكي:
ـ لقد قبلوا ببرنامج الليكود الذي هو برنامج حزب «حيروت»! لقد رضوا بالموافقة على الكثير من سياسة «حيروت» التي هي غريبة عن سياستهم! .
سألته: وهل سر هذا موجود في الشارع الاسرائيلي الذي اصبح يعتنق سياسة التطرف والتعصب؟ .
أجاب: السر بسيط جدا! ان الشعب الاسرائيلي قد رفض من خلال هذه الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة ان يمنح الثقة المطلقة او الاغلبية الواضحة لاي حزب من الحزبين الكبيرين في اسرائيل! إما عن عمد او بدون قصد. لقد عجز شعب اسرائيل ان يختار الحزب الذي يريد له ان يحكم او يقرر! وهذا الفشل قد ادى الى جعل الشعب وجعل البلد وكأنهما يرفضان اية حكومة مهما كان نوعها ومهما كان اعضاؤها. ان اسرائيل تبدو اليوم وكأنها دولة لا يمكن حكمها او شعب لا يمكن ضبطه! . .
سألته: الا تعتقد ان ضعف شخصية شمعون بيريز كرئيس لحزب العمل كان السبب فيما جرى مؤخرا؟ .

أجابني كرايسكي :

ـ هناك اسباب كثيرة! وانا اشعر بخيبة املي الكبرى في شمعون بيريز! لقد انتهى الى هذه الحالة المؤسفة التي هو فيها! وأنا «لا» اريد ان احشر انفي في موضوع اسرائيل. ان هذا الامر يخص شعب اسرائيل وحده. . !.

ثم سكت قليلا قبل ان يقول لي:

ـ وكذلك فيما يتعلق بسياسة الوفاق في العالم! انني لا ارى امامي بصيص امل! ان الحالة الحاضرة في واشنطن وفي موسكو لا تمهد لقيام او استمرار او بعث سياسة الوفاق بين الشرق والغرب! ان العلاقة الحاضرة مليئة بالكلام الحاد والخطب الحماسية والتهديدات والاقتراحات ثم الاقتراحات المضادة والنقاش المستمر الذي لم يؤد الى اية نتيجة! ان قضايا نزع السلاح النووي لم تجد حلا! ان هناك «٧٥٠» مليار دولار من الديون المتراكمة لن يحصل اصحابها على اي جزء منها! ان علاقة موسكو بواشنطن مجمدة! ان علاقة الشمال بالجنوب مجمدة! انني يائس! انني في قنوط حاد عميق! ولكني اشعر بواجبي ان استمر! وان احارب! وان لا اكف عن العمل من اجل انقاذ شيء. . اي شيء!.

● قلت لبرونو كرايسكي الذي ولد في يناير من عام ١٩١١ ودخل السجن في عام ١٩٣٥ وانتخب للبرلمان عام ١٩٥٦ واصبح رئيسا للحزب الاشتراكي النمساوي عام ١٩٦٧ :

ـ ارجو ان تسمح لي بالعودة قليلا الى استعراض القضايا العالمية الثلاث التي ورد ذكرها على لسانك وان اسألك باختصار: هل تتوقع حربا جديدة في الشرق الاوسط؟.

وأجابني كرايسكي :

ـ لا! انا لا اقول حربا، ولكني اقول «لا سلام»!.

قلت:

ـ وماذا عن علاقة الشرق بالغرب!. هل تتوقع نشوب حرب تقضي على العالم؟.

وأجاب: لا حرب ولا سلام. .

قلت: وديون العالم الثالث، ماذا سيجري بشأنها؟.

أجاب: لن تحصل الدول المدينة على المزيد من القروض! ولكني ارجو ان يدرك الناس في اوروبا وبقية شعوب الدول الصناعية ان سياسة القروض والهبات لن تؤدي الى اية نتيجة وان الواجب يقضي بمساعدة الدول النامية على بناء مطاراتها وموانئها وطرق مواصلاتها واسواقها وتمكينها من الوقوف على قدميها والاعتماد على نفسها بدلاً من اغراقها بالمال او القروض يجب ان نساعد الدول النامية ان ترتقي وترتفع الى المستوى الذي وصلنا نحن اليه. . !.

قلت: ومن اين يأتي المال اللازم للقيام بمثل هذه العمليات؟

أجاب: ان المال موجود. ان العالم ينفق ما يزيد عن ثمانمائة مليار دولار على السلاح.

وسننفق في هذا العام اكثر من الف مليار دولار على السلاح. الا نخصص بضعة ملايين من الدولارات من اجل بناء امة وشعب ودولة من الدول النامية؟

قلت لبرونو كرايسكي:

ـ انت تتحدث الان بلسان الملائكة! ان الدول الكبرى الحريصة على امنها وتفوقها العسكري لن تتوقف عن هدر الاموال من اجل الحصول على السلاح لكي توفر المال وتعطيه لتطوير دولة كالبرازيل او الارجنتين!.

أجاب:

ـ ان المال الذي اقترضته تلك الدول منا لن يعود الينا، لان تلك الدول المدينة ستبقى عاجزة عن السداد! اذن، فموضوع المال لم يعد واردا! لقد خسرنا كل دولار اقرضناه لتلك الدول! علينا الان البحث عن حل جديد للموقف! ان الضرورة تحتم علينا العثور على الحلول الجديدة. لقد سبق لي منذ شهور والقيت محاضرة في مدينة «ميونيخ» الالمانية وفي جمهور محافظ جدا ضمن ناد سياسي محافظ جدا. وكذلك كان الامر عندما القيت محاضرة على جمهور محافظ في مدينة «مدريد»! وفي المحاضرتين كان الصدى لكلامي وديا جدا عندما اسمعتهم الرأي الجديد حول عدم جدوى الاستمرار في اعطاء المزيد من القروض للدول النامية والاكتفاء بمساعدة تلك الدول على ان تسرع في تطورها والوقوف على قدميها والارتفاع الى مستوى الدول الاخرى عن طريق بناء كل ما يلزم لتلك الدول النامية من اسباب التقدم الصناعي والاقتصادي..

قلت للهر برونو كرايسكي وانا ادخل معه باب السياسة النمساوية الداخلية والخارجية مع العالم:

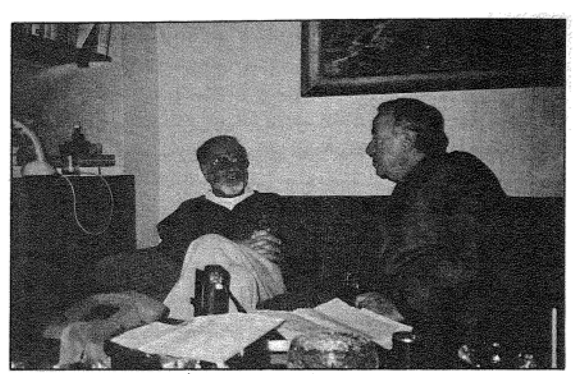
ـ لقد سمعنا حكومة الولايات المتحدة الاميركية في الاسبوع الماضي وهي توجه انتقادا للنمسا وتتهمها ببيع التكنولوجيا التي تأخذها من اميركا الى.. السوفيات؟ فماذا تقول؟ وهل هذا صحيح؟.

● وأجاب المستشار النمساوي السابق:

ـ انا لا اريد ان احشر نفسي في بحر السياسة النمساوية الداخلية او ما يجري بيننا وبين حكومة الولايات المتحدة الاميركية من نقاش وعراك، ولكني اكشف لك عن جوابي الخاص الذي اسمعته لكل من يهمه الامر في الحكومة او في اميركا.

قلت لهم اسمعوا: اذا كانت اميركا تساعدنا او تمدنا ببعض انواع من التكنولوجيا الاميركية فان على النمسا ان تراعي خاطر اميركا وتمتنع عن بيع هذه التكنولوجيا الى السوفيات وتلبي طلب اميركا في هذا الموضوع!.

أما اذا كان الموضوع يتعلق بنا او بالتكنولوجيا النمساوي التي نبيعها لسوفيات فان اميركا



المستشار النمساوي برونو كرايسكي يتحدث والنشاشيبي يستمع ويسجل.

لا تملك اي حق في التدخل لمنعنا من ممارسة حقنا الكامل في التعامل التجاري مع الدول الخارجية!.

سألته:

ـ هل حقا ان النمسا ـ فعلا ـ قد سمحت بتسريب بعض انواع من التكنولوجيا الاميركية الى السوفيات؟؟.

وعاد كرايسكي يكرر:

ـ انه من الصعوبة بمكان ان تخضع العمليات الاقتصادية او التجارية لاية رقابة حكومية في بلد يتمتع بحرية التعامل التجاري..!

سألته:

ـ هل التكنولوجيا التي انتقلت منكم الى السوفيات كانت في الاصل اميركية الصنع ام نمساوية؟!.

● أجاب:

ـ لا ادري ان كانت اميركية! ولكن بلدنا يتمتع بحرية التجارة! ولا يمكن لنا ان نراقب سائر العمليات التجارية القانون يمنع ذلك! ولكن علينا ان نحترم الرغبة الاميركية في الحفاظ على ما يخصهم ويتعلق بمصلحتهم.

قلت له:

ـ انا اسألك باختصار يا سيدي. هل الاتهام الاميركي لكم في هذا الموضوع يستند الى

اساس ام لا؟

وأجاب كرايسكي فورا:

ـ بل هو اتهام خاطىء ولا يستند الى اي اساس!

وقلت للهر برونو كرايسكي الذي اعتزل منصب المستشارية في اواخر العام الماضي:

ـ ولكن «برافدا» السوفياتية، تتهمكم ـ اي تتهم النمسا ـ بأنها تخضع لضغوط واغراءات اقتصادية من جانب المانيا الاتحادية لكي تصبح محمية المانية وتحقق لالمانيا بالاسلوب الاقتصادي ما عجز ان يحققه «هتلر» بالاسلوب العسكري، فماذا تقول؟

● أجابني كرايسكي الذي كان وزيرا الخارجية بلده منذ عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٦:

ـ هذا كلام غير صحيح! وما تقوله برافدا الان يجافي الحقيقة والحق. هناك تقارب وتعاون بيننا وبين المانيا الغربية، ولكن هناك ـ أيضا ـ تعاون وتقارب بيننا وبين السوفيات وبيننا وبين المانيا الشرقية! كانت المانيا الشرقية هي اول دولة خارجية اقمنا معها علاقات دبلوماسية. !

قلت: ولماذا، وكيف تفسر هذه «الحملات» ضدكم من موسكو، ومن واشنطن؟

أجاب كرايسكي:

ـ نحن نعيش حاليا في «زمن الضغوط» وكل طرف يوجه لنا الضغوط! والسبب هو التأزم الحالي في العلاقات بين الشرق والغرب! نحن جزء من اللعبة الدولية! السوفيات كاميركا، يضغطون ويضغطون. !

● وهنا.. وجدت نفسي أصل مع الدكتور برونو كرايسكي الى صلب الموضوع الذي جئت من أجله اليه! لقد وصل بنا الحديث الى موضوع التغيير الوزاري الاخير في الحكومة النمساوية والذي اطاح بوزير الخارجية ووزير الاقتصاد وبعض الوزراء وقيل يومها، وما زال يقال، ان اميركا وراء هذا التغيير الذي يشبه «الانقلاب الابيض» في عالم السياسة النمساوية..

فقلت للدكتور كرايسكي الذي اطاحوا ببعض تلامذته من الوزراء في التغيير الوزاري الاخير:

ـ ماذا تقول في التغيير الوزاري الاخير داخل الحكومة النمساوية؟

أجاب بعد تردد وبعد تفكير، ولاول مرة رأيته يتردد ويفكر:

ـ يحق للمستشار النمساوي ان يجري اي تغيير يراه في حكومته.. ولا احد غير المستشار يملك مثل هذا الحق!.

ثم اضاف:

ـ ليس لاحد ان يتدخل في صلاحيات المستشار!

قلت وكأنني أوشك ان اصرخ:

ـ يا مستر كرايسكي! هناك من يؤكد ان المستشار المذكور لم يتصرف بدافع من ارادته وانما هناك جهات خارجية ارغمته على ذلك. !

وارتفع صوت كرايسكي لاول مرة وهو يقول:

ـ لكل شخص مسؤول يوجد عدد من الاصدقاء ومن المستشارين، ولعل «احدهم» اوحى للمستشار بان يجدد بعض الذي جرى! ولكني متأكد من انه تصرف بوحي من عنده. !

ولم اصدق كلام كرايسكي.. فقلت له:

ـ دعنا من هذا الكلام الدبلوماسي يا سيدي! وتعال نتكلم بصراحة. !

فقاطعني كرايسكي فورا:

ـ ولكني، انا لا اريد ان اتكلم بصراحة في هذا الموضوع!

● قلت له وكأني أعاتبه او استفزه:

ـ منذ شهرين يا سيدي كنت في مدينة «سالزبرغ» واستمعت الى محاضرة سياسية قيمة القاها ـ صديقكم ـ وتلميذكم ـ وزير الخارجية السابق الهر «لانس» وهاجم فيها السياسة الاميركية بكل صدق وجرأة حيث وضع مسؤولية تدهور العلاقات بين الشرق والغرب على كتفي السياسة الاميركية المليئة بالعنجهية والغطرسة والحماقة! قلت لاصدقائي بعد انتهاء المحاضرة ان ايام مثل هذا الوزير الجريء في الحكم لن تطول حيث سيتدخل الضغط الاميركي الجارف للخلاص منه!

وقاطعني كرايسكي وهو يصرخ، ولعل عنده ما يبرر ذلك:

ـ انا لن الوم اميركا! لا! لن الوم الاميركيين. اسمع ان علينا ان نسرد قصة التاريخ كاملة!

● ثم غرق برونو كرايسكي في كرسيه بجانبي وراح يعد على اصابع يده وكأنه يستعيد الذكريات القريبة الماضية، وقال:

ـ لقد قام السوفيات بغزو افغانستان فاقترفوا عملا عدائيا ضد السلام العالمي! وكان الصدى العام في العالم وداخل الامم المتحدة اشبه بالبركان! ولم يتوقع السوفيات مثل هذا الصدى! ولو كانوا يعرفون سلفا مدى سخط العالم على غزو افغانستان لما قاموا بالغزو! وكذلك لو كان السوفيات يدركون سلفا ان غزوهم لافغانستان سيشعل حربا هناك لم تهدأ بالرغم من مرور اربع سنوات على الغزو، لما قاموا بعملية الغزو!.

لقد خانتهم حساباتهم! لقد اخطأوا في التقدير! وعلى كل حال فان غزو افغانستان قد نسف جو الوفاق الدولي!.

ثم اسمع جيدا: ان زرع الصواريخ السوفياتية «اس. اس ٢٠» قد قلب ميزان القوى العسكرية في اوروبا! هذا امر لا شك فيه! وكذلك الامر فيما يتعلق بالولايات المتحدة.

انني الوم اميركا لان سياستها الكلامية تتسم بالتطرف والعدوان حيث بتنا نسمع اميركا تتحدث عن احتمال قيام «حرب نووية محدودة» وتتحدث عن «الضربة الاولى» ثم تصر على زرع الصواريخ الاميركية الموجهة للسوفيات في قلب دول اوروبا الغربية!.

ان اميركا ـ كما يبدو ـ لم تدرك معنى وخطورة ما قامت به في هذا الشأن! كان على المسؤول الاميركي ان يدرك تماما ان عملية زرع صواريخ اميركية في قلب المانيا الغربية وموجهة ضد السوفيات الذين خاضوا غمار حربين عالميين ضد المانيا بالذات، هو عمل خطير وخاطىء سيؤدي في صدور ردود فعل متأجحة ومتفجرة من جانب السوفيات! وهذا بالضبط ما جرى. وعندما دعت المانيا الغربية الهر هونيكر مستشار المانيا الشرقية لزيارتها ظنا منها ان المانيا الغربية قادرة ـ رغم زرع الصواريخ الاميركية في ارضها ـ ان تحييد بعض الدول الشيوعية المجاورة وتقيم معها علاقات اقتصادية متطورة.. اقول، عندما دعت المانيا الغربية المستشار الالماني الشرقي لزيارة «بون» لم تكن تدرك عمق الجرح الموجود في قلب السوفيات من جراء غرس الصواريخ الاميركية ضدهم في ارض المانيا الغربية! من هنا، جاءت عملية الغاء الزيارة بسبب سوء الفهم الموجود عند الالمان الغربيين. ان السوفيات في هذا الموضوع لا يقبلون التفسير ولا النقاش. ان التعليمات السوفياتية المعطاة للدول الاشتراكية في اوروبا الشرقية تقول بوضوح ان لتلك الدول كل الحق في الاستفادة من اية اموال او قروض تأتيهم من اوروبا الغربية ولكن بشرط، وفي الوقت نفسه، ان لا تحيد دولة شرقية واحدة عن الخط السوفياتي الواحد الوحيد في السياسة الخارجية تجاه اوروبا الغربية واميركا والعالم بأجمعه!.

● وسكت كرايسكي لحظة قبل ان يستخرج معنى كلامه امامي وقال:

ـ وهكذا نشهد اليوم مظهرا جديدا من مظاهر التأزم الدولي بين الشرق والغرب تقع احداثه في الدولتين الالمانيتين. ولكن الامر عندي كان واضحا منذ البداية. كنت اجزم ان الهر هونيكر ـ المستشار الشرقي الالماني ـ لن يقدر ان يزور المانيا الغربية، كان يتمنى ان يذهب ولكن تطور الجو الدولي الى الاسوأ قد منعه من الذهاب. انا شخصيا اعرف كم يتمنى المستشار هونيكر ان يزور المانيا الغربية. سمعته عدة مرات يحدثني عن ذلك. قال لي انه يود ان يزور المانيا الغربية.!

سألته مقاطعا:

ولكنهم منعوه.. اليس كذلك؟.

● أجاب فورا:

ـ لا! لم يمنعه احد! لكنه يشارك «الاخرين» شعورهم! لقد ادرك وفهم واستوعب، كشيوعي الماني كبير ومسؤول، انه غير قادر ان يصطدم مع الاتحاد السوفياتي او ان يخرج عن «الخط» السوفياتي المعروف! في البدء، ومنذ شهور طويلة كان يريد ان يذهب لزيارة المانيا

الغربية! وكان الامر مقررا في نفسه، ولكنه عاد وفهم وادرك تماما انه ـ بعد ان اصبح غروميكو سيد السياسة السوفياتية الجديدة ـ .

ـ وان السياسة السوفياتية الجديدة تتسم بالصرامة والحدة والتطرف، فانه سيعجز عن الذهاب الى «بون» او ان يتحدى سياسة موسكو. . ! .

ورأيت كرايسكي يتنهد تنهيدة طويلة كأنها الاستغاثة او الاستراحة، فسألته قبل ان يضيع خط الحديث بيننا:

ـ كم اتمنى يا سيدي الدكتور لو اسمعك تربط بين كل هذه التفاصيل وبين سؤالي لك عن التدخل الاميركي في التعديل الوزاري الاخير داخل الحكومة النمساوية؟! .

● وأجاب كرايسكي، متعبا:

ـ كانت بداية التدهور في الغزو السوفياتي لافغانستان. اما بولونيا فلم يكن هناك اي تدخل سوفياتي مباشر، ان بولونيا محكومة من ديكتاتورية عسكرية بولونية. وليست بولونيا ذات موضوع. ولم يجيء اي تدخل عسكري في بولونيا كما سبق وجرى في المجر او في تشيكوسلوفاكيا.

سألته مقاطعا:

ـ والنمسا. ! انا اسألك مدى التدخل الاميركي الاخير في وزارة النمسا؟! .

أجاب وهو يهرب من الجواب:

ـ النمسا بلد حر. . وديمقراطي. . ومستقل! .

قلت الاحقه:

ـ ولكن هذا لم يمنع حكومة الولايات المتحدة الاميركية من ان تتدخل وتطرد وزير خارجيتكم. . اليس كذلك؟ .

وأجاب كرايسكي:

ـ غير صحيح! .

قلت مقاطعا: بل هذا صحيح! .

قال: اقول لك «لا اعرف»! .

قلت: بل انك تعرف كل شيء ولكنك ترفض ان تتكلم! .

قال: انا اعرف ان السفير الاميركي المقيم في «فيينا» قد قال للمسؤولين في الحكومة النمساوية ان الولايات المتحدة الاميركية غير راضية عن مواقف «النمسا» في جلسات الامم المتحدة بنيويورك! .

قلت: اليس في هذا ما يدلكم على بقية الموضوع؟ .

● قال: ولكن العتاب الاميركي لم يكن غير متوقع مني! ان السوفيات قالوا لنا نفس الكلام

منذ سنوات! ان الدول العظمى تصر على ان تجعل من الدول الصغرى مجرد «صدى الصوت» لصوتها! ان الاحتجاجات تلاحقنا! مرة من السوفيات. ومرات من اميركا.. ان لنا مواقفنا الخاصة..!.

قلت: ولكن الامر لم يبلغ بالسوفيات الى الحد الذي يجعلهم يطالبون برأس وزير خارجيتكم كما فعل الاميركان؟.

قال: انا اعتقد ان المستشار النمساوي الحالي المستر «سنوفتس» قد قرر ان يختار صديقه المقرب اليه كوزير للخارجية النمساوية!.

و أضاف:

ـ انا اريد ان اعتقد ان اميركا لم تتدخل في الموضوع!.

قلت: ولكن الصحافة النمساوية المقربة الى اميركا والناطقة باسم السياسة الاميركية قد سبق لها وهاجمت وزير خارجيتكم بسبب هجومه على السياسة الاميركية. اليس كذلك؟.

أجاب كرايسكي:

ـ الصحافة «المحافظة» تهاجمني كما تهاجم اصدقائي وتلامذتي من الوزراء السابقين والحاليين.

قلت: الا تشعر بمدى الضغط الاميركي من اجل وضع نهاية حاسمة وسريعة لعهدكم ولسياستكم المعروفة «بعهد» كرايسكي، «وسياسة» كرايسكي؟.

أجاب كرايسكي:

ـ ربما ما تقوله صحيحا! ربما يكون ذلك في تفكيرهم. انا اقول لك ان الإدارة الاميركية الحالية لا تعتبرني صديقا لها ولا توافق على الكثير من مواقفي السياسية!.

وصرخت فرحا كالطفل:

ـ عال! وهل السياسة الاميركية متفقة معك في سياستك تجاه فلسطين؟؟.

وأجاب فورا:

ـ لا!!.

سألته: وهل السياسة الاميركية متفقة معك في موقفك من السوفيات؟.

وأجاب فورا:

ـ لا!.

ثم اضاف قائلا في غضب:

ـ انا لا اشك في اني وهم على طرفي نقيض!.

قلت: ولعلهم بعد ان تخلصوا منك، يحاولون الان التخلص من بقية تلاميذك!.

أجاب: لو كان هذا الكلام صحيحا لكان اثره مدويا في صفوف الحزب الاشتراكي

الحاكم!.

ثم اضاف:

- انا ارجو ان لا يفعلون معنا ما يفعلونه في المانيا الغربية من تدخلات! ولكني متأكد من انك تصبغ الموقف بطابع «دراماتيكي» لست متأكدا من مدى صحته!.

قلت: وكيف تفسر هجماتهم عليك في جلسات البرلمان؟ وكيف تفسر نقدهم المر وتحاملهم ضدك لانك اخذت قرضا من ثلاث دول عربية لكي تبني مقرا للمؤتمرات الدولية في بلدك؟ انا على استعداد لان افهم دقة موقفك الحالي تجاه المستشار الحالي وتجاه اميركا ولكني لست على استعداد ان اسمي الحقائق وكأنها دراما تمثيلية!.

ثم قلت: الم تحاول السياسة الاميركية ان تستغل الضربات الاقتصادية التي اصابت النمسا مؤخرا لكي تضع اللوم على كرايسكي وسياسة كرايسكي؟!.

قل!.

تكلم!.

أجب يا سيدي المستشار!.

ورفع كرايسكي نظارته عن عينيه لكي يمسح عنها بعض العرق المتصبب فوق جبينه المتعب، ثم اعادها فوق عينيه وراح يعدد امامي حسنات سياسته الاقتصادية في الداخل قائلا لي:

- اسمع يا صديقي..

قال لي كرايسكي:

- النمسا تملك حاليا اكثر الامكانات المالية صحة بين سائر دول اوروبا الغربية. ان المانيا الغربية مثلا تشكو من ازمة بطالة لا حل لها. وكذلك الدانمرك وبلجيكا وايرلندا. وهذه الدول تشكو من عجز مالي في ميزانيتها يفوق بكثير العجز المالي الضئيل الذي تشكو منه النمسا. صدقني ان حالتنا المالية جيدة مهما حاول البعض انكار ذلك.

وقاطعته قائلا:

- كل هذا جيد وحسن ولكن كيف تفسر يا مستر كرايسكي استمرار هذا الهجوم السياسي ضدك وضد سياستك؟ انني اسمعهم يصرخون في وجهك وفي غيابك وبلسان المستشار الجديد شخصيا انهم قد قرروا فتح صفحة جديدة في تاريخ النمسا.. ليس لكرايسكي ولا لسياسة كرايسكي فيها اي اثر؟.

وأجاب كرايسكي بصوت هادىء:

- علينا ان ننتظر ما اذا كانت ستنجح مثل هذه الصيحات غير الودية ام لا. انا افضل ان اصبر وان انتظر وان ارى.

قلت هناك من يقول ان المستشار الجديد في النمسا لا يختلف كثيرا في ولائه لاميركا وركوعه امامها عن زميله الالماني الهر كول؟

وقاطعني كرايسكي وهو يصيح :

ـ لا . . لا . . الفرق كبير بين الرجلين . .

ثم اكمل :

ـ لا يقدر اي مستشار نمساوي ان يركع ـ كما تقول ـ امام الولايات المتحدة دون ان يثير فوق رأسه السوفيات. ان واجب المستشار النمساوي ان يوازن ويوازي بين الدولتين العملاقتين وان لا يخرج عن حياد البلد التقليدي .

قلت وانا اخرج به الى مواضيع دولية خارجية كثيرة اخرى :

ـ ماذا تقول في معركة الانتخابات الاميركية الحالية؟

وأجاب :

ـ هذا موضوع يتعلق بالشعب الاميركي وحده ولا علاقة لنمساوي مثلي به ، ولا اريد ان احشر نفسي في قضايا اميركا الداخلية . . .

قلت : ولكني اشعر وكأنك تفضل مرشحا اميركيا معينا على مرشح اخر اليس كذلك؟

وأجاب الدكتور كرايسكي :

ـ لو كنت مواطنا اميركيا لكان عندي حق التفضيل والاختيار هذا امر طبيعي لكل من يحب السياسة ويريد ان يمارس حقه في الانتخابات . . ولكني يا صديقي لست اميركيا ، وحتى لو كان عندي اي تفضيل فلن اخبرك عنه ما دمت اني غريب عن اميركا . .

ثم أضاف :

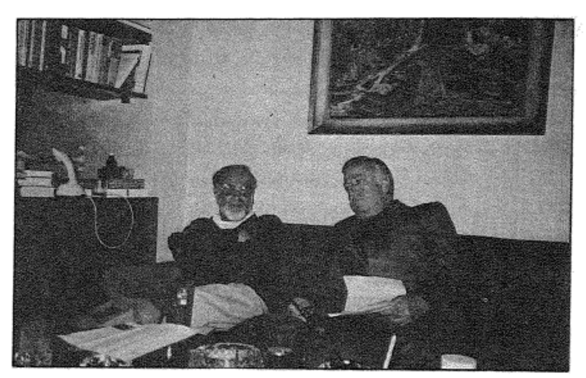
ـ ولكني استطيع ان اعطيك جوابا غير مباشر على سؤالك . لقد دعتني بعض الجامعات والمؤسسات العلمية الاميركية لإلقاء محاضرات في شهر اكتوبر القادم ، وأبرقت لها بالموافقة ، ولكن لاني احمل اراء سياسية واقتصادية وعسكرية لا تتفق مع رأي المسؤولين الاميركيين فقد قررت ان الغي الاتفاق لاني لا اريد ان احشر نفسي لا سلبيا ولا ايجابيا في الامور الاميركية . اعني : لا اريد ان اجد نفسي في مواجهة مباشرة ضد السياسة الاميركية ولا ان اجد نفسي في صف هذه السياسة ايضا .

لقد قررت ان انصرف الى ان تنتهي معركة الانتخابات الحالية ثم اقرر ماذا سأفعل . . .

سألته : ايهما اقرب الى عقلك بين المرشحين ريغان ام منافسه؟

وأجاب كرايسكي :

ـ انا لا اريد ان اكشف لك عن حقيقة موقفي في هذا الموضوع رغم اني بالتأكيد أشعر بتفضيل احدهما على الاخر .



قال المؤلف للمستشار كرايسكي: تكلم ودافع عن نفسك.

قلت: ما دمت انك ترفض الحديث عن الاشخاص فلماذا لا تحدثني عن المعركة الانتخابية ذاتها؟ هل انت سعيد بمثل هذه المعركة الانتخابية في اميركا وهل تعجبك مظاهرها ونظافتها وتهريجها وما يدور فيها وحولها؟

وأجاب كرايسكي:

ـ كل ما اقدر ان اقوله لك هو ما سبق لي وقرأته في صحيفة محافظة مشهورة في بلادنا عندما وصفت مؤتمر الحزب الجمهوري الاخير الذي جرى فيه ترشيح رونالد ريغان للرئاسة بأنه أشبه بحفل تتويج ملك.. أنا أقول اكثر من ذلك.. انا اقول ان المؤتمر الجمهوري كان اشبه بمهرجان تتويج امبراطور اسمه رونالد ريغان.

وضحك برونو كرايسكي لاول مرة...

فسألته:

ـ وما هي القضية النمساوية التي تشغل بالك ويستعصي حلها عليك؟

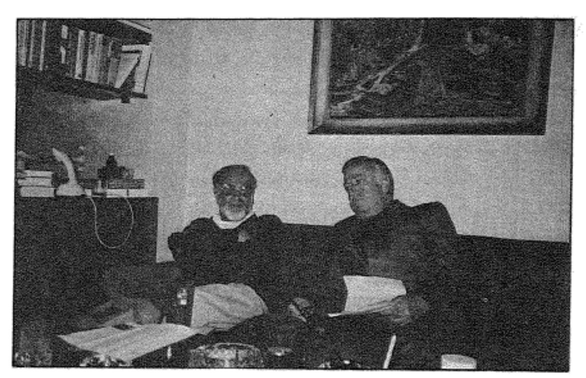
فأجاب وهو ما زال يبتسم:

ـ لا اعرف قضية واحدة يعجز أي مسؤول نمساوي عن حلها.

قلت: حتى ولو سألتك عن قضية معينة بالذات هي قضية ما تسمى جنوب التيرول واحتمال عودة ضمها الى النمسا. أليست هذه مشكلة نمساوية ما زالت تبحث عن حل؟

أجابني كرايسكي:

ـ جنوب التيرول لن يعود الى النمسا. ولا أحد في اوروبا قادر على ان يجري ان تبديل



قال المؤلف للمستشار كرايسكي: تكلم ودافع عن نفسك.

قلت: ما دمت انك ترفض الحديث عن الاشخاص فلماذا لا تحدثني عن المعركة الانتخابية ذاتها؟ هل انت سعيد بمثل هذه المعركة الانتخابية في اميركا وهل تعجبك مظاهرها ونظافتها وتهريجها وما يدور فيها وحولها؟

وأجاب كرايسكي:

ـ كل ما اقدر ان اقوله لك هو ما سبق لي وقرأته في صحيفة محافظة مشهورة في بلادنا عندما وصفت مؤتمر الحزب الجمهوري الاخير الذي جرى فيه ترشيح رونالد ريغان للرئاسة بأنه أشبه بحفل تتويج ملك.. أنا أقول اكثر من ذلك.. انا اقول ان المؤتمر الجمهوري كان اشبه بمهرجان تتويج امبراطور اسمه رونالد ريغان.

وضحك برونو كرايسكي لاول مرة...

فسألته:

ـ وما هي القضية النمساوية التي تشغل بالك ويستعصي حلها عليك؟

فأجاب وهو ما زال يبتسم:

ـ لا اعرف قضية واحدة يعجز أي مسؤول نمساوي عن حلها.

قلت: حتى ولو سألتك عن قضية معينة بالذات هي قضية ما تسمى جنوب التيرول واحتمال عودة ضمها الى النمسا. أليست هذه مشكلة نمساوية ما زالت تبحث عن حل؟

أجابني كرايسكي:

ـ جنوب التيرول لن يعود الى النمسا. ولا أحد في اوروبا قادر على ان يجري ان تبديل

جزئي أو شامل في خريطة اوروبا الحالية. لا أحد يقدر ان يجري أي تعديل في الحدود دون أن يغامر بنشوب حرب عالمية جديدة؟

قلت: وماذا تقول أنت عن القيادة السوفياتية الحديثة والقيادة السوفياتية المنتظرة؟ ان هناك من يؤكد بأن الشباب السوفياتي سيتولى بعد غياب الرئيس السوفياتي الحالي زمام الامور في الاتحاد السوفياتي. كما ان هناك من يؤكد بأن مجيء رجل مثل جورباك شو في المستقبل سيخدم سياسة السلام في العالم فماذا تقول؟

وأجابني كرايسكي:

ـ انا رجل لا احب التنجيم ولا التنبؤات. ان الانبياء قد ماتوا جميعا.. كان النبي محمد هو اخر الانبياء عند المسلمين أليس كذلك؟ ولذا فمن الممكن ان يجيء التغيير في القيادة السوفياتية على عكس ما يشتهي أنصار الوفاق والسلام وقد يجيء هذا التغيير بأناس يريدون بالفعل ارساء قواعد وأسس سلام عالمي دائم وقوي.

جوابي أنني لا أعرف وهذا في حد ذاته دليل المعرفة.

سألته: ألا ترى أي احتمال لكي يتولى قيادة السوفيات جيل جديد يختلف عن كل الاسماء الكلاسيكية المعروفة التي قرأنا عنها وسمعنا عنها طيلة الربع قرن الماضي؟

أجاب: أنا اعتقد ان القيادة السوفياتية الحالية تخدم سياسة الرئيس الاميركي ريغان على طول الخط.. هل تفهم؟ ان الزعامة الممثلة بمجلس السوفيات الاعلى تريد وتعمل من أجل اعادة انتخاب رونالد ريغان رئيسا للولايات المتحدة الاميركية.

واستطرد كرايسكي يشرح كلامه لي قائلا:

ـ هذه هي نبوءتي التي اقولها لك.. ذلك ان الشعب الاميركي لن يسمح بطبعه وطبيعته لاي جهة خارجية ان تتدخل في المعركة الانتخابية الاميركية.. ولكن هذا الشعب عندما يجد السوفيات يضغطون على ريغان ويشتمونه ويحاصرونه بالاقتراحات والتصريحات والاتهامات والاشاعات.. عندئذ سيقول الشعب الاميركي ما دام ان الروس يكرهون ريغان الذي هو رئيسنا فلا شك ان رئيسنا رجل عظيم وان من واجبنا ان نؤيده وان ننتخبه وان يبقى رئيسا للبيت الابيض.

ثم اضاف كرايسكي:

ـ لعلك تسألني لماذا يتمنى السوفيات ان يبقى ريغان رئيسا للولايات المتحدة الاميركية. الجواب: ان ريغان في الظروف الحالية الدولية هو احسن رئيس يخدم السياسة السوفياتية.. كيف؟ اجيبك بأن ريغان هو اقدر سياسي في اميركا قادر على ان يبقي هوة الخلاف بين اميركا من جهة وبين دول اوروبا الغربية من جهة اخرى على حالها من الاتساع والعمق والحجم.

ثم اكمل كرايسكي:

- الا تسمع ريغان يتحدث عما اسماه «بالحرب النووية المحدودة».. الا تراه يصر في سذاجة الاطفال على الاحتفاظ بارتفاع قيمة الدولار رغم كل ما يسببه ذلك من اضرار للدول والشعوب في اوروبا؟

ان الروس يعتقدون ان ريغان هو القادر الوحيد على ان يخدم سياستهم. ان مونديل لا يهمهم. ان فوز مونديل لا يخدم الروس. الوحيد المقبول لديهم هو ريغان. ان ريغان هو الشخص الذي اجمعت شعوب المانيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والدول الاسكندنافية على معارضته. ويهم الروس بقاء بل واستمرار هذه المعارضة لاميركا في اوروبا. ان الهدف هو القضاء على الحلف الاطلسي روحا ودما مع القضاء على اي تحالف سياسي او اقتصادي او عسكري بين اميركا من جهة ودول اوروبا الغربية من جهة اخرى.

سألته مقاطعاً:

- الا يخشى الروس من سياسة ريغان واصراره على بناء اميركا القوية والقادرة على مواجهة التحدي السوفياتي العسكري؟

أجاب كرايسكي:

- لقد استوعب الروس جيدا سياسة ريغان في هذا المجال ورضوا بها وراحوا بدورهم يواجهونها عن طريق مضاعفة قواتهم في البحر والبر والجو بحيث لا تقل قوتهم عن القوة الاميركية مجتمعة.

ثم اضاف:

- ان ريغان قد اطلق مؤخرا نكتة سخيفة روى فيها كيف انه ينوي ضرب الاتحاد السوفياتي بالصواريخ.. لعله لا يجهل ان روسيا تقدر بدورها ان تضرب اميركا بالصواريخ. ولن تقدر اميركا ان تكون وحدها المسيطرة. اذا ضربت اميركا كييف او موسكو فان السوفيات سيضربون بدورهم سان فرانسيسكو ونيويورك ولا احد قادر على ان يمنعهم. انهم قادرون على رد الضربة بالف ضربة وبكل قوة وبكل تصميم.

سألته وانا اعود به الى قضايا العرب الساخنة:

- هل تعتقد نفسك صديقا لشعوب الشرق الاوسط؟

وأجابني كرايسكي:

- انا لست بحاجة لكي اثبت صداقتي للعالم العربي. ولكني اعتبر نفسي - بالاضافة الى ذلك - صديقا لكل شعوب العالم لاني رجل اشتراكي تفرض عليه الاشتراكية حب الشعوب كلهم. قد اكره الحكومات قد أعارضها قد احاربها ولكني لا اقدر الا ان احب الشعوب.

قلت له: عال. من هذه الزاوية بالذات يهمني ان اسألك كيف سمحت لنفسك ان تشجع انور السادات على الذهاب الى القدس وانت تعلم ان تلك الزيارة وما تبعها قد

قسمت العرب واثارت زوابع الفرقة بينهم؟

وأجابني كرايسكي :

ـ ان زيارة السادات للقدس قد خدمت معاني السلام . وانا اعتقد ان هذه الزيارة تنطوي على شجاعة وجرأة فائقة . لقد سمعني الكثيرون غيرك اقول ان تشرشل هو اعظم سياسي في النصف الاول من القرن الحالي وان انور السادات هو اعظم سياسي في النصف الثاني من القرن الحالي!!

ثم اضاف كرايسكي :

ـ ولكني اشعر بالندم عندما قلت ان خطوات السادات تجاه السلام لم تلق الصدى المناسب الذي تستحقه . نعم . لقد استردت مصر سيناء وآبار البترول وقناة السويس ولكن كل هذه المكاسب تصب في جيب مصر وحدها وهذا ليس كافيا، والمكاسب المصرية وحدها ليست كافية لان اتفاقية كامب ديفيد التي تعرضت الى موضوع مصير الفلسطينيين والتي تعرضت الى موضوع السلام في المنطقة لم تعط مصر من هذا الموضوع اي مكسب تجاه شقيقاتها العربية . من هنا فاني افسر كلامي بان اقول بان السلام بين مصر واسرائيل له قيمته بالنسبة للطرفين المصري والاسرائيلي . اما هذا السلام بالنسبة للعرب وخاصة بالنسبة للفلسطينيين وللبنانيين وللسوريين فهو لا شيء . . !

ثم اضاف كرايسكي قائلا :

ـ وانا اقول بان سياسة اسرائيل والمطبوعة بالحرف الواحد ضد العرب لهي غلطة شنيعة يقترفها حكام اسرائيل بل هي اكثر اخطاء هؤلاء الحكام الاسرائيليين .

اننا نعيش حاليا بمرحلة زمنية دقيقة تفرض على الاسرائيليين واجب التعايش مع العرب وخاصة بعد نشوب الثورة الايرانية والحرب العراقية مع ايران، هذا الظرف بالذات هو انسب الظروف امام اسرائيل لكي تتعايش مع جيرانها، بل هذا هو اعظم الظروف امام هذا التعايش العربي الاسرائيلي .

ثم همس كرايسكي وكأنه يحدث نفسه :

ـ لعلك تعلم ان هناك في هذا الوقت بالذات مفاوضات او مباحثات صامتة ومكتومة تجري في جنيف بين اسرائيل وسوريا .

قلت وكأني أرفض ان اصدق ما اسمع :

ـ هل سمعتك تقول سوريا وتقول ايضا اسرائيل؟

أجاب كرايسكي نعم! هذه معلوماتي . مفاوضات تجري حاليا حول مواضيع معينة في جنيف بين سوريا واسرائيل!!

قلت : هل هذا كلام اشاعات ام كلام تمنيات ام تخمينات يا مستر كرايسكي؟

قال كرايسكي: معلوماتي مؤكدة حول هذا الموضوع ولا شك فيها . .
قلت: هل تذكر لي اسماء بعض المفاوضين من الجانبين السوري والاسرائيلي؟
أجاب كرايسكي بالحرف الواحد:
ـ انا اسميها اتصالات اكثر منها مفاوضات.
قلت:
ـ هل هذا الكلام للنشر؟
أجاب كرايسكي: الموضوع ليس مهما لاني اعتقد ان على الاسرائيليين انتهاز الفرصة والجلوس للتفاوض مع العرب. . وهذا هو المهم!.
قلت: ولكن المشكلة ان اسرائيل يا سيدي لا تريد ان تفاوض العرب الا بشروط اسرائيل ذاتها؟!
أجاب كرايسكي: لا تحاول ان تقنعني بذلك لاني ارى في نفسي اكبر خصم للسياسة الاسرائيلية.
قلت: هكذا اراك تفكر اليوم. ولكني ـ اعجب يا سيدي المستشار ـ لمن كان في مثل رجاحة عقلك وقوة خبرتك وتجاربك وثقافتك وذكائك ومع ذلك كان عندما ذهب السادات الى القدس يظن ان اسرائيل ستفتح صدرها وتصفق للزيارة وتعيد لمصر والعرب كل شبر سبق لها احتلاله في حرب ١٩٦٧. هذه هي المأساة التي غاب عنها قلبك الطيب يا سيدي المستشار!.
وأجابني كرايسكي:
ـ انا لم اشجع السادات على الذهاب الى القدس. انا لم ادفعه ولم اساعده على تلك الزيارة. كل دوري في الموضوع انني سألت السادات بعد عودته من زيارة القدس عن احساسه وعن توقعاته فأجابني ان جميع العرب سيلحقون به ويفعلون ما فعل هو خلال ستة شهور فقط!.
ثم اضاف كرايسكي يقول لي:
ـ ولكني قلت للسادات انني لا اعتقد بان اية دولة عربية مجاورة لاسرائيل ويقيم على ارضها لاجيء فلسطيني واحد ستلحق بك او تفعل مثلك. انني لا اتصور ان الاردن او السعودية او الامارات او الكويت ستفعل مثلك يا سيد السادات. انك تعيش في الاحلام. ثم ان العناصر المتطرفة داخل الدول العربية ستمنعها من ان تحذو حذوك حتى لو كان بعض حكام هذه الدول يتمنون ذلك. . .
وسألت كرايسكي:
ـ وكيف تفسر مثل هذه الافتراضات الخاطئة التي كانت تساور تفكير انور السادات تجاه

حقيقة الموقف العربي منه ومن زيارة القدس؟.

وأجاب كرايسكي:

ـ كان هذا هو اقتناعه. وقد قلت لانور السادات ان العرب لن يمشوا وراءك ولكنه هزأ مني وقال: اعطني يا صديقي كرايسكي ستة شهور فقط!.

وقلت للمستر كرايسكي:

ـ ولكنك انت شجعته على الذهاب الى القدس قبل ان يذهب... اليس كذلك هذا ما يقوله الناس؟!.

أجاب كرايسكي:

ـ لا مطلقا! كل ما جرى بيني وبينه قبل رحلة القدس ان انور السادات قال لي انه مستعد للتفاوض مع اي رئيس وزراء اسرائيلي لمعرفة المواضيع السياسية المعلقة بين العرب واسرائيل والتي تقبل التفاوض آملا ـ اي السادات ـ ان يكون رئيس الوزراء الاسرائيلي هو شمعون بيريز. ولكن شمعون بيريز كما تعلم لم يفز يومئذ في الانتخابات ولم يصبح رئيسا للوزراء. وانما الذي جاء الى الحكم في اسرائيل بدلا منه هو مناحيم بيغن.

سألت كرايسكي:

ـ وكيف تفسر انت اصرار السادات على الذهاب الى القدس وفي تلك الزيارة المحفوفة بالخطر؟

واجاب كرايسكي:

ـ لقد اعطاني السادات تفسيره القائل بأنه ذهب لكي يعثر على السلام او بالأنكليزية TO FIND THE PEACE ولكنك لو سألتني عن تصوري الشخصي لاسباب الزيارة فاني اجيبك باختصار شديد ان الرئيس السادات ومستشاريه قد تعبوا وملوا من بقائهم اعضاء في الجامعة العربية حيث يجدون انفسهم مقيدين بآراء بقية الدول العربية الصغيرة والكبيرة بينما مصر هي الدولة العربية الكبرى التي ترى ان من حقها ان تقود لا ان تقاد وان من حقها ان تختار نوع سياستها بعيداً عن ضغط او تدخل الاخرين.

قلت: ولكن بقاء مصر بعيدا عن العرب قد اصبح كما يبدو اليوم امرا غير مرغوب فيه لا من شعب مصر ولا من حكام مصر.. فماذا تقول؟.

قال كرايسكي:

ـ مصر كسبت عودة سيناء كما كسبت القروض الاميركية الهائلة والمساعدات الاميركية وكسبت القناة ولا اظن ان مصر غير سعيدة بما هي فيه الان...

أجبني بالتحديد يا مستر كرايسكي هل كانت اتفاقية كامب ديفيد خطوة سياسية الى الامام ام خطوة سياسية الى الوراء بالنسبة لاحتمالات السلام بين العرب واليهود؟.

وأجابني كرايسكي قائلا:

ـ في تصوري ان كامب ديفيد لم تخدم سوى فكرة السلام بين مصر واسرائيل فقط لا غير اما بالنسبة للقضية العربية ولبقية القضايا المعلقة بين العرب واليهود فان كامب ديفيد لم تستطع ان تحقق شيئا. . .

سألته: ترى الى اي حد يتأثر الصراع العربي الاسرائيلي بموجات الحرب الباردة بين الشرق والغرب؟.

وأجاب كرايسكي:

ـ اقدر ان اؤكد لك ان الدول الكبرى لا تريد ان تشهد حربا جديد في الشرق الاوسط لانها تخشى ان يتطور الامر فتجد هذه الدول الكبرى نفسها محشورة في موقف المواجهة الساخنة ولكن هذه الدول تريد ان تبقى المنطقة في حالة غليان شديد لان هذه الدول تريد ان تصل الى ابرام صفقة سياسية شاملة حول مصير هذه المنطقة!.

سألته:

ـ اية صفقة تعني وحول ماذا؟.

أجاب:

ـ صفقة شاملة حول دول الخليج بالذات! تماماً كما جرى بالنسبة للصفقة الشاملة المبرمة حول المانيا وحول كوريا وحول فيتنام وحول اوروبا. ان السوفيات يعلمون ان الحرب بين العراق وايران قد انهكت العراق وايران بحيث ان كلا من الدولتين ستخرج من هذه الحرب منهوكة القوى ضعيفة وفقيرة ولذا فلا خطر هناك يأتي من هاتين الدولتين على السوفيات. وان اميركا بدورها يسعدها ان تعقد صفقة تضمن لها بقاء الدول العربية الخليجية الغنية في المنطقة ضمن نطاق النفوذ الاميركي. ان الصفقة لن تهدف الى ضم المنطقة تماما وانما ستهدف الى تحديد نوعية القوى المسيطرة على المنطقة ونوعية القوى المهيمنة على ثروات المنطقة. هذه هي مصلحة الدولتين الاعظم!.

قلت له: هل تفسر لي كلامك انه كلام خطير؟!.

أجابني الهر كرايسكي وكأنه يرسم بيده خريطة جديدة لمنطقة الشرق الاوسط:

ـ اميركا تحافظ على نفوذها في الجزء الجنوبي من الجزيرة وعلى شواطىء الخليج مقابل ان يسيطر السوفيات على ايران والعراق. . . !!!.

ثم اضاف:

ـ اليس هذا ضربا من الخيال. هذه فكرة قديمة موجودة عند السوفيات وعند الاميركان. هذه امنيات تاريخية عند الدولتين الاعظم. ومثل هذه الامنيات قد تحولت الى حقائق في بلاد كثيرة كالمانيا وكوريا واوروبا وفيتنام. انا اعتقد ان العرب سيرفضون هذه الافكار ولكن

الطرق والوسائل القادرة على تحويلها الى حقائق ستبقى موجودة وكثيرة ومتعددة. . ؟.

سألته:

ـ وماذا عن مساهمتك الشخصية في قضية الشرق الاوسط ترى هل كانت مساهمتك خدمة للسلام ام ضربة للسلام؟.

وأجابني كرايسكي:

ـ انا الآن بصدد اعداد مقال سياسي صحفي اقول فيه انني بالنسبة لقضية الشرق الاوسط لست وسيطا يجب ان يحوز على ثقة جميع الاطراف وانا لا احوز على ثقة الاسرائيليين. وكذلك فان كل ما فعلته كواجبي تجاه القضية وبالاخص قضية الفلسطينيين وجوانبها المأساوية والانسانية والاجتماعية والسياسية. وان اشعر باني قد اديت واجبي واني اشعر بالسعادة لذلك. فقد رأيت ثمرة جهودي في اقناع الكثيرين في المانيا وفرنسا. انا لا اقول باني الوحيد الذي قمت بهذه المهمة. ولكني اقول باني كنت اول من حاول بان يقوم بالذي قمت به. ترى ماذا يرجو رجل مثلي وصل الى هذه السن وعاش مثل هذه الحياة طولا وعرضا؟ انني الان اشعر باني غير قادر ان احقق السلام الذي حلمت به وعرفته. انا رجل عملي. ولكنني استطعت رغم ذلك ان احقق الفهم الصحيح في البرلمان الاوروبي وفي المجموعة الاوروبية للقضية الفلسطينية حيث القيت الخطب الكثيرة والمحاضرات وشهدت المناقشات واشتركت في الاحاديث التي اثمرت وتركت آثارها الواضحة في المجتمع الاوروبي.

سألته: وكيف يكون تصورك يا سيدي للحل الاخير للقضية الفلسطينية؟.

أجاب: في تصوري ان للفلسطينيين كل الحق في اقامة دولتهم رغم معارضة اسرائيل. هذا طلب واقعي. وهناك عدة دول صغيرة في العالم فلماذا لا يكون للفلسطينيين دولة مثل غيرهم ولماذا لا نؤيد طلب الفلسطيني بان يصبح صاحب دولة؟.

قلت له: انهم يكرهونك في اسرائيل يا سيدي!.

قال: اعرف ذلك جيدا.

قلت: وقيل على لسان غولدا مائير انها جاءت لزيارتك في فيينا يوم ذاك لكي تعطيك درسا اخلاقيا قاسيا تعيدك به الى رشدك!.

اجاب كرايسكي: جاءت غولدا مائير واتهمتني بانني لم اقدم لها كأس ماء. وهذا كذب. لقد اكرمتها ووضعت مكتبي تحت تصرفها وطلبت منها ان تشعر بالراحة كلها. ولكنها طلبت مني وهذا هو المهم ان اسحب طلبي او قراري باغلاق المعسكر الذي كان يستقبل اللاجئين اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي. ولكني رفضت وقلت لغولدا مائير يوم ذاك ان الوكالة اليهودية هي التي تسيطر على المعسكر المذكور ونحن هنا في النمسا بلد مستقلة ولا نرضى ان تشاركنا الوكالة اليهودية في سيادتنا واستقلالنا وغضبت غولدا وسافرت وهي حانقة علي. ثم

عدت انا وزت اسرائيل ضمن جولة لي في بلدان المنطقة فوجدت غولدا مائير اكثر ادبا وكياسة مما كانت عليه في زيارتها الاولى لي في فيينا.

سألته: قيل انها حاولت ان تذكرك بضرورة الاخلاص لدينك اليهودي اي ليهوديتك... فهل هذا صحيح؟.

أجاب: انا لست بحاجة لأحد كي يذكرني باني يهودي. انا يهودي طول عمري وانا اعرف ذلك تماما وأعي ذلك تماما. ولكن الفرق كبير بين اليهودي والاسرائيلي. انني اكتب حاليا مقالا لصحيفة هآرتس الاسرائيلية كانت الصحيفة قد طلبته مني بمناسبة قرب حلول عيد رأس السنة اليهودية بعد اسبوعين، وسألوني: ما هي علاقتي باليهودية وبالدين؟ فأجبتهم في مقالي باني لست صهيونيا واني نمساوي ولا اعترف بازدواج الولاء حيث تطلبون من كل يهودي ان يكون اول ولائه لاسرائيل ثم بعد ذلك لوطنه الاصلي.

قلت لهم - والكلام لكرايسكي - ان هذا شيء لا ارضى به ولا اوافق عليه. انا نمساوي اولا ونمساوي ثانيا ووطني فوق كل شيء؟.

● وماذا قلت لهم عن دينك.. اعني عن موضوع علاقتك بالدين اليهودي؟.

أجاب كرايسكي: كل نمساوي يعرف انني اتبع الديانة اليهودية. وكل طفل في النمسا يعرف ذلك. ولكن رغم ذلك فقد فزت الاغلبية الانتخابية في سنوات ١٩٧٠ و ١٩٧١ و ١٩٧٥ و ١٩٧٩ وفي عام ١٩٨٣ فزت بـ٤٨٪ من اصوات الشعب النمساوي. هذا الشرف يكفيني. ثقة الشعب النمساوي تسعدني وتكفيني. الكل يعرف بانني يهودي. ان مصير الشعب اليهودي في المانيا يختلف عن مصير الشعب اليهودي في بولونيا مثلا. ان اليهود في نظري ليسوا شعبا ولكن اسرائيل يمكن اعتبارها شعبا مثلا. اليهود ينتسبون الى دين معين مثلهم مثل بقية الناس الذين ينتسبون الى اديان اخرى ولكن هذا الانتساب لا يجعل من الذي ينتسب الى الدين شعبا قائما بذاته.

ثم اضاف كرايسكي:

- عجبا لهؤلاء الذين يتجاهلون عن قصد نوعية انتسابي الديني وحقيقة ايماني مع عائلتي. عائلتي أنا منبع القضاة والوزراء قبل مئات السنين. كان شقيق جدتي عضوا في البرلمان النمساوي. هنا منذ مئات السنين كان اجدادي يجلسون هنا في هذا البرلمان ويمثلون الشعب النمساوي!.

ثم قال وصوته يهدر كالبركان:

- انني اتهم الصهيونيين بانهم يعملون لاحياء اللاسامية في العالم لانهم يحتاجون الى اللاسامية لكي يستمر تدفق الاموال عليهم وتستمر الهجرة اليهودية المفتعلة الى اسرائيل. ولكن اسرائيل لا تريد لليهود الملونين مثلا الهجرة الى اسرائيل لانهم يخشون سيطرة اليهودي

الملون على اليهودي العادي. لقد كتبوا على الجدران (اشكنازي.. اشكنازي.. اشكنازي).

ومضى كرايسكي يردد على مسمعي كلمة اشكنازي.. اشكنازي.. اشكنازي.. وكأنه يستغيث.

وسألته:

- هل سبق للمتعصبين اليهود توجيه اي تهديد لك بالقتل؟

وتألم كرايسكي من سؤالي.امتعض سكت صمت لم يجب وهز رأسه في عنف ثم قال: وكأنه يستنجد:

- اجل! لقد هددوني بالقتل في اميركا. كما هددوني هنا في فيينا. وفي اميركا هددني الحاخام كاهانا كما هددتني جماعات تسمي نفسها (الارهاب ضد الارهاب) ولن انسى الحماية الشديدة التي لازمتني خلال زيارتي لاميركا خوفا على حياتي من امثال الحاخام كاهانا وجماعته...

قلت له:

- ولكن هذا الحاخام الارهابي قد اصبح اليوم نائبا في الكنيست الاسرائيلي.. فماذا تقول في ذلك يا سيدي المستشار؟.

أجابني كرايسكي:

- لقد نجح كاهانا بمفرده وهذا ليس بالكثير ولا بالخطير. ورغم ذلك فان نجاحه علامة لا تبشر خيرا. انه من المؤسف جدا ان ينجح في اسرائيل رجل مثل كاهانا ويخسر رجل مثل اليات الذي يبشر بالسلام وبالتعايش بين العرب واليهود...

سألته: وما هو رأيك الشخصي في الحاخام كاهانا.. هل هو رجل عادي؟.

أجاب كرايسكي: ماذا تعني بكلمة عادي؟ هل كان هتلر رجلا عاديا مثلا؟ انا ارفض الكلام عن مثل هذا الرجل؟ من هو الرجل العادي ومن هو الرجل غير العادي في العمل السياسي؟

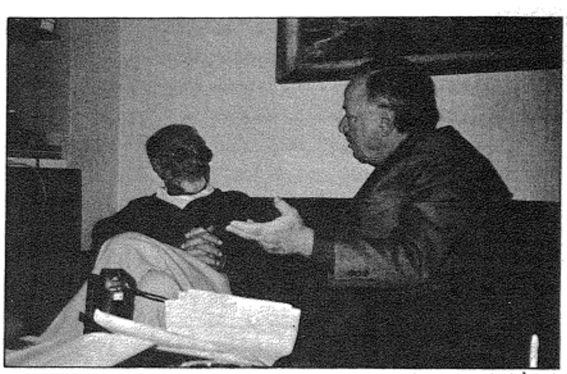
سألته: هل يعمل هذا الحاخام لحسابه ام ان هناك جهات تقف وراءه وتسنده وتقطف ثمرة اعماله المجنونة؟.

وأجابني كرايسكي:

- لا ادري!.

قلت: الا ترى في نجاح كاهانا ظاهرة جديدة في عقلية الناخب الاسرائيلي؟.

وأجاب: اجل ولكنه ما زال كما قلت لك اقلية وضئيلة ولا قيمة له. ولكني ارى ان الشعب اليهودي سيجد نفسه قريبا مرغما على محاربة مثل هذا الحاخام الذي يهدد بالخطر المجتمع اليهودي بأسره.



وكنت أنظر اليه وعلامات المرض بادية على وجهه

سألته: وماذا تقول في مناحيم بيغن؟

أجاب: قلت ما اراه في بيغن على صفحات جميع صحف اسرائيل وكل ما قلته كان سلبيا وضد بيغن ومنذ البداية.

سألته: هل قابلت بيغن؟.

أجاب: نعم ولكن قبل ان يصبح بيغن رئيسا للوزراء وقد قلت له ما اراه فيه ومنذ ان اصبح رئيسا لوزراء اسرائيل رفضت ان ازور اسرائيل!.

قلت لمستر كرايسكي:

ـ اما زلت تدعو لفكرة عقد مؤتمر دولي في جنيف لحل قضية الفلسطينيين؟.

أجاب: نعم وبكل تأكيد وهذا هو الحل الوحيد.

سألته: واي نوع من الحكومة تتمنى ان تقوم في اسرائيل لكي تخدم السلام؟.

أجاب: انا اؤيد اية حكومة تسعى فعلا للسلام. ولكن شمعون بيريز وهذه الحكومة لن تعمل للسلام.

سألته: ومن ترشح لرئاسة حزب العمل الاسرائيلي بدلا من شمعون بيريز؟.

أجاب: ليس من صلاحيتي ولا من واجبي ان اختار رئيسا لحزب العمل الاسرائيلي.

سألته: لعلك تفضل رابين على بيريز؟.

أجاب كرايسكي: لا! ان رابين اكثر قسوة وصعوبة من بيريز. انني سأتخلى عن واقعيتي لو سمحت يا صديقي لنفسي ان اختار رئيسا لحزب العمل الاسرائيلي فهذا ليس من اختصاصي

ولا من حقي .

سألته : اليس لديك اصدقاء في اسرائيل تتحاور معهم او تراسلهم؟ .

أجاب : طبعا وهم كثيرون وخاصة في حزب المابام ولكني لا استطيع ان اتصور ان جماعة حزب المابام يجلسون اليوم جنبا الى جنب مع جماعة الليكود من امثال اسحق شامير وشارون! .

سألته : وماذا تقول عن الحالة في لبنان؟ .

أجاب كرايسكي :

ـ عندي تمنيات كثيرة اهمها ان تكف الدول الكبرى عن التدخل في لبنان وان تستطيع مختلف الاحزاب اللبنانية ان تخلق السلام المطلوب والجو المطلوب للسلام .

قلت : وهل تطالب بانسحاب جميع القوى الاجنبية من ارض لبنان ايضا؟ .

أجابني كرايسكي : مثل هذا الطلب غير واقعي ! .

قلت : وهل يبقى لبنان موحدا وواحدا؟ .

أجاب كرايسكي : انني قلق على وحدة الارض اللبنانية واخشى ان يجري التقسيم! .

سألته . وانا احاول ان اشجعه على الاستمرار في الكلام عن طريق السؤال عن جوانب عظمته الشخصية وخدماته الجلا للسلام والعالم .

فقلت له :

ـ قل لي يا مستر كرايسكي هل قدرت من خلال الاشتراكية الدولية ان تحقق عملا معينا تشعر بأنك تفخر به اليوم وتعتز؟ .

وأجابني ابن الرابعة والسبعين :

ـ نعم . لقد رشحني مؤتمر الاشتراكيين الدوليين كرئيس للجنة تقصي الحقائق والبحث عن احتمالات الحلول السلمية بقضايا الشرق الاوسط ، وقد كان جوابي الايجاب مع التوصية بانشاء الدولة الفلسطينية وهذا نجاح عظيم افخر به وقد استطعت ان اصل الى الاسباب وان اضع العلاج .

سألته : اذن فانت لست متشائما كما يبدو من حديثك؟ .

أجابني : انا بطبعي لا احب التشاؤم ولكني في الوقت الحاضر لا اقوى على كتمان تشاؤمي .

سألته : الا ترى يا سيدي نهاية سريعة وقريبة للوبي اليهودي الاميركي الذي سيطر على الحكم الاميركي وعلى الحاكم الاميركي وحطم دور اميركا الكبير في السعي الى السلام العالمي عامة وفي الشرق الاوسط خاصة؟ .

وأجاب كرايسكي : لا ادري . انا افضل ان اقول لا ادري . وانا اعرف مدى نفوذ اللوبي اليهودي في اميركا . ولكن اقول لك ان اي رئيس اميركي قوي يريد ان يخدم السلام في

الشرق الاوسط هو قادر ان يحقق هذا الهدف النبيل رغم ارادة اللوبي اليهودي لو كان مثل هذا الرئيس مخلصا في امنيته وجادا في قراره.

قلت: والى اي مدى يحرص مثل هذا اللوبي اليهودي في انحاء العالم على بقاء الحرب الباردة بين الدولتين الاعظم لكي يقطف ثمار ذلك لحسابه؟

أجاب كرايسكي: ان اللوبي اليهودي ينطلق باسلحته المعادية لاي سلام في اية جهة في العالم فهذا اللوبي على استعداد لان يؤيد اي حكومة اسرائيلية في اي عمل تقوم به مهما كانت نوعية هذه الحكومة! لقد رأينا اللوبي المذكور يؤيد بيريز ويؤيد بنفس القوة مناحيم بيغن ويؤيد بنفس الحماس اسحق شامير.

ثم اضاف كرايسكي:

ـ انه موقف رهيب يدعو الى اليأس وخيبة الامل خاصة اذا عرفنا ان هذا التأييد الاعمى لم يخدم سمعة اسرائيل ولا امنها ولا السلام الذي تسعى اليه..

ثم انهى قائلا حول هذا الموضوع:

ـ ويبدو ان ضمائر الكثيرين في اميركا قد بدأت تستيقظ وبدأ الانقسام الشديد في الجاليات اليهودية الاميركية حيال سياسة اسرائيل يظهر بعمق ووضوح.

وعندما سألت كرايسكي فيما يقوله عن الاتحاد المنطلق الجديد بين المغرب وليبيا؟

أجابني كرايسكي:

ـ لقد سألت اصدقائي الكبار المقربين في ليبيا عن معنى هذا الاتحاد فاجابوا بانه اتحاد بين شعبين وليس اتحادا بين نظامين وليس هناك ما يدعو الى الظن بان النظام الملكي سيأتي الى ليبيا او ان الاشتراكية الليبية ستحكم المغرب. وانا انظر الى هذا الاتحاد واستعرض امامي صورا لكثير من الاتحادات والوحدات التي قامت في التاريخ المعاصر بين مصر وسوريا وبين ليبيا وتونس وبين دول عربية كثيرة.

... انا افضل ان اقول لا ادري... اتركني من هذا الموضوع...

سألته: والان يا سيدي المستشار وقد جاوزت الرابعة والسبعين من العمر هل انت راض عن حياتك الطويلة المطبوعة بالاحداث والسجون والنفي والصراع الفكري والمسؤولية الخطرة؟

وأجابني كرايسكي:

ـ نعم! انا راض عن حياتي كل الرضا. ولو اردت التركيز لقلت اني احب حياتي كما سبق لي وعشتها. كل خطوة لي فيها مصدر سعادة لي. لقد مرت علي سنوات قاسية وسنوات مرة ودخلت السجن وذقت مرارة النفي واستلمت المسؤولية والسلطة ولكني الان لا املك الا ان اقول انني كنت سعيدا في كل لحظة من حياتي في كل ما مر بي..!

سألته : ولكني لا اعرف شعورك بالضبط وانت ترى اليوم جهودك من اجل السلام العالمي لم تثمر بشيء؟

وقاطعني كرايسكي :

ـ ان الحالة الدولية سيئة جدا وخطرة جدا وليس في الدولتين الاعظم ولا في الدول الكبرى قيادات او زعامات او احزاب قادرة على ان تخلق الاجواء المطلوبة للسلام . لا في موسكو ولا في واشنطن ولا في لندن ولا في باريس . . كل الزعماء هناك وكل احزابهم يفتقرون للمقدرة من اجل العمل والايمان بالمثل السامية النبيلة السليمة . .

ثم سكت برونو كرايسكي قليلا ثم قال:

ـ سآتي لزيارة اصدقائي الكثيرين في العواصم العربية وفي مقدمتهم امراء الخليج والملك حسين والملك فهد وحسني مبارك والرئيس الاسد والملك الحسن . ان مهماتي لم تنته بعد . انني اضع حاليا كتابا جديدا عن المنطقة وعن قضاياها وعندما افرغ منه سأقوم بزيارة الاصدقاء .

قل لهم على لساني ان برونو كرايسكي بخير وانه يهديكم سلامه . . . ! »

وسكت رجل النمسا وقطبها السياسي الكبير . . وعاد يمسح قطرات العرق المتصببة من جبينه . . .

ومشى معي الى باب منزله الخارجي وهو يحاول ان يبدو امامي شابا قويا . . .

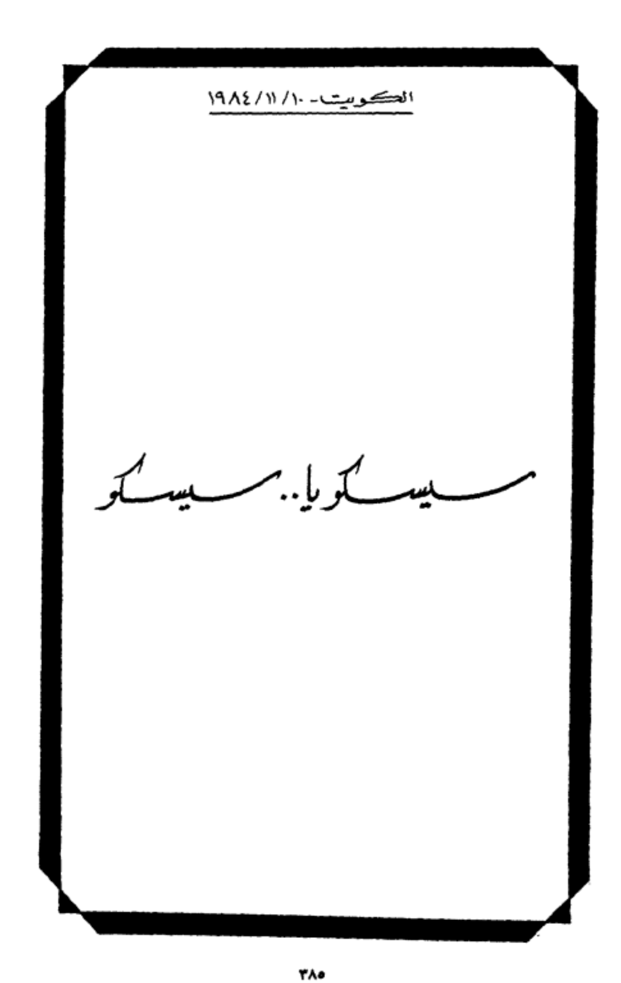
ولكنه كما رأيته قد ارخى لحيته لكي تغطي آثار المرض المرتسمة بوضوح على وجهه الضعيف .

وارتدى امامي ثيابا ملونة جديدة لكي يبدو لامعا مشرقا .

قلت له : ان المرض كالسياسة ، كالفقر ، كاسرائيل ، كلها آثام وكلها شرور . . !

وودعت كرايسكي شاكرا وسعيدا .

★★★



الكويت - ١٠/١١/١٩٨٤

سيسكو يا.. سيسكو



الكويت - ١٩٨٤/١١/١٠

سيسكو يا.. سيسكو

عند بعض كبار الوزراء والمستشارين في الولايات المتحدة الامريكية، تتحول المهنة الرسمية احياناً الى ما يشبه التجارة او سوق البورصة او مصدر رزق دائم يوفر لصاحبها الدخل المستمر عن طريق تأليف الكتب او تقديم المحاضرات او الجلوس وراء مكتب خاص مهمته تزويد الزبون بالأجوبة اللازمة على كل سؤال يتعلق باختصاص ذلك الوزير او هذا المستشار حول قضايا الدنيا الواسعة.. !

هكذا فعل هنري كيسنجر بعد استقالته من المنصب، وهكذا فعل عشرات غيره ومن بينهم الأمريكي الايطالي الأصل المستر جوزيف سيسكو!

وكل شيء بثمن. المحاضرة بثمن. والجواب العابر بثمن. والحديث الصحفي بثمن. واللقاء التلفزيوني بثمن.

وعندما قيل لي في الكويت ان هناك لقاءاً عابراً سيجري بين بعض الزملاء من جهة وبين الدكتور «سيسكو» من جهة اخرى وذلك في العاشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٨٤، وانني مدعو للاشتراك في هذا اللقاء الذي كان يتم عبر الاقمار الصناعية، لم اتردد في القبول مع الكثير من السعادة.

وجرى اللقاء الذي دام اكثر من ساعتين، كان حظي الشخصي منها، هذه الاسئلة المتعلقة بقضية بلدي طرحتها على الدكتور «سيسكو»، وسمعت اجوبته عليها، وكلها مسجلة للتاريخ.. وللأرشيف الصحفي معاً!

الدكتور جوزيف سيسكو

- يعتبر من ابرز الخبراء الاميركيين في شؤون الشرق الاوسط.
- حصل على بكالوريوس من كلية فوكس عام ١٩٤١، وعلى الماجستير من جامعة شيكاغو عام ١٩٤٧، وعلى الدكتوراه في العلاقات الخارجية من جامعة شيكاغو عام ١٩٥٠.
- كان مسؤولا في وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٥٠.

● عين مستشارا سياسيا للوفد الاميركي في الامم المتحدة من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٦، وكان ممثلا للولايات المتحدة في الجلسة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة المتعلقة بالشرق الاوسط عام ١٩٦٧.

● تولى العديد من المناصب السياسية منها:

- مساعد وزير لشؤون المنظمة الدولية في ادارة الرئيس جونسون من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٩.

- مساعد وزير في قضايا وشؤون جنوب شرقي اسيا من عام ١٩٦٩ الى عام ١٩٧٤.

- مستشار ومفاوض رئيس في قضايا الشرق الاوسط حيث تفاوض على اتفاق وقف اطلاق النار بين المصريين والاسرائيليين عام ١٩٧٠.

- مساعد وزير للشؤون السياسية في ادارة الرئيس فورد من فبراير ١٩٧٤ الى يوليو ١٩٧٦، وهو منصب يعتبر الثالث في وزارة الخارجية.

- رئيس ثم مستشار الجامعة الاميركية من عام ١٩٧٦ الى مطلع عام ١٩٨١.

- شريك مجموعة سيسكو التي تضم مستشارين دوليين واميركيين منذ عام ١٩٨١.

- محلل للشؤون الخارجية في شبكات الاذاعة والتلفزيون الاميركية والدولية، ومحاضر في معهد الخدمات الخارجية، وكاتب في عدة مجلات وصحف ودوريات اميركية وعالمية.

* * *

● النشاشيبي: دكتور سيسكو.. يسعدنا التحدث اليك. وسوف ابدأ بسؤالي الاول وهو بالطبع حول الشرق الاوسط: ما الذي سوف يفعله الرئيس ريغان ازاء الشرق الاوسط في فترة رئاسته الثانية؟

- سيسكو: دعني اقول قبل كل شيء ان الانتخابات كانت بارزة وذات اهمية من حيث تجسيدها الواضح لاراء الاميركيين. ان افضل فترة تاريخية في العلاقات الخارجية وفي الشرق الاوسط على وجه التحديد كانت تلك التي شهدت رئاسة قوية مؤيدة بشكل اساسي من قبل الحزبين في الكونغرس. ولذلك فانني اعتقد بان الانتخابات تعكس دعم اميركا لزعامة قوية وكذلك انعكاس لجهود استعادة الاقتصاد لعافيته وحقيقة ان الولايات المتحدة قد تمكنت من تحقيق الزيادة في مساعدة جهود الانعاش الاقتصادي على نطاق عالمي. ولست بحاجة لان اؤكد لكم مدى اهمية العلاقات الاقتصادية بين الشرق الاوسط والخليج وبين الولايات المتحدة والغرب ككل وفي ما يتعلق بالشرق الاوسط فان الشيء المهم في اعادة انتخاب ريغان هو الاستمرارية التي تعني في ما يختص بلبنان في المدى القريب والمتوسط:

● اولا: تحقيق انسحاب القوات منه وبالتالي المصالحة النهائية بين مختلف الفرقاء هناك.



جوزيف سيسكو . . . من لاجئ ايطاليا الى وزارة الخارجية الامريكية

● وثانيا: ضمن الاطار الاوسع للمنطقة ـ اعادة احياء التزامنا بعملية السلام، خاصة ان الرئيس ريغان قد اعاد تأكيد التزام الولايات المتحدة بخطة ريغان لعام ١٩٨٢ في عدد من المناسبات ابان حملاته السياسية.

● والعنصر الثالث يتمثل في القيام بكل ما نستطيع من اجل محاولة تحقيق نهاية للحرب العراقية ـ الايرانية المستعصية جدا.

وهكذا فسوف تكون هناك طريقة براغماتية في المعالجة عبر ثنائية القوة والحوار. والادارة الاميركية تؤمن ـ كما اؤمن انا ـ بانه رغم النكسات التي تعرضنا لها في لبنان فان الولايات المتحدة تبقى الطرف الثالث الذي لاغنى عنه في المنطقة، ونأمل ان يستمر قبولها من قبل الجانبين.

● النشاشيبي: سؤالي واحد لكن له ثلاثة عناوين فرعية.

ـ سيسكو: لااستطيع ان اجيب على اكثر من سؤال كل مرة.

● النشاشيبي: هل تعتقد ان سياسة الولايات المتحدة نحو الشرق الاوسط بصورة عامة

ونحو المشكلة الفلسطينية بصورة خاصة كانت ستكون هي نفسها لو لم يكن هناك «لوبي» يهودي واصوات يهودية وضغوط يهودية في الولايات المتحدة وعليها؟

ـ سيسكو: دعني اتحدث عن الضغوط اليهودية واللوبي اليهودي، ولنتحدث عنها بصراحة تامة كأصدقاء.

ان الولايات المتحدة تتميز بالتعددية وهي متنوعة، وهي عدة اشياء معا. وانا اعلم يا سادة انكم تعرفون الكثير عن الولايات المتحدة وذلك هو احد اوجه القوة بالنسبة للولايات المتحدة. انني لن انكر وجود نفوذ يهودي ولكن عليكم ان تتذكروا ان السياسة فيما يتعلق بالشرق الاوسط تتعرض لضغط من جميع انواع المصالح المفهومة، وعندما يدخل الرئيس الى المكتب البيضاوي في البيت الابيض، فان الاعتبارات الداخلية لايمكن تجاهلها كليا. لكنني سوف ارفض بشدة فكرة ان السياسة الاميركية كانت او انها مشتقة من عمل او تحت نفوذ غير صحيح من قبل اية مجموعة واحدة.

نعم لدينا التزام من الحزبين بضمان امن وبقاء اسرائيل. ولكن لدينا التزام مماثل من قبل الحزبين باستمرار العلاقات الودية مع الدول العربية. ووصول العالم الغربي الى مصادر الطاقة هو امر غاية في الاهمية. ولذلك، فعندما يحدد الرئيس المصالح الوطنية فانه يحددها ضمن اطار المصلحة الشاملة،

ودعوني اقدم لكم مثلا ثابتا: اذا كان الرئيس مهتما بشكل اولي بما وصفتموه بالنفوذ اليهودي، فلماذا تقدم مثلا في سبتمبر من عام ١٩٨٢ بخطة ريغان التي رفضت بقوة من قبل حكومة بيغن بعد ٢٤ ساعة من اعلانها. ومن وجهة نظر الاصدقاء العرب فان ذلك الاقتراح كان غير مقبول، وبكل صدق يجب على المرء ان يقول ان الرد الذي صدر عن الدول العربية وكذلك قمة فاس كان اقل حدة في رفضه من الرد الذي تلقيناه من اسرائيل في ذلك الصدد.

كانت هناك خلافات حقيقية بين هذه الدولة واسرائيل فيما يتعلق بمجمل عملية الحرب اللبنانية. والان من وجهة نظركم ايها الاصدقاء العرب اريد ان اقول ما يلي لكم: ما من احد منا ساذج لا انتم ولا نحن، وليس ثمة شك ان هناك علاقة خاصة قائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل.

لكن هذه العلاقة الخاصة اذا نظر اليها بصورة صحيحة فانها يمكن ان تشكل ميزة كبيرة جدا للعالم العربي للسبب التالي: ان دورنا الخاص وعلاقاتنا الخاصة تعني ان الولايات المتحدة وحدها فقط التي تستطيع حقا التأثير على السياسة الاسرائيلية في اتجاه التسوية. خلال ثلاثين عاما بعد قيام اسرائيل لم يكن هناك اعتراف ولا اتصالات ولا مفاوضات واذا ما نظرتم الى دور الولايات المتحدة خلال الاثني او الثلاثة عشر عاما الماضية، فانه رغم النكسات في لبنان ستجدون انه امكن التوصل الى اتفاقيتين لفصل القوات بين مصر واسرائيل وواحدة

بين سورية واسرائيل اضافة الى المعاهدة المصرية الأسرائيلية وكامب ديفيد والان هناك المرحلة الفلسطينية من المشكلة التي ارجو ان نتحدث عنها اكثر في هذا اللقاء.

وهكذا مع ادراك الولايات المتحدة لكون منظمة التحرير الفلسطينية هي اليوم اضعف من الناحيتين السياسية والعسكرية، وأن جزءا كبيرا منها يخضع لنفوذ سوريا وان جزءا مماثلا موزع في ثماني بلدان في العالم العربي، وان الانقسام مستمر بين اولئك الفلسطينيين الذين يريدون محاولة التفاوض وبين اولئك الذين لايزالون لسوء الحظ ملتزمين بمتابعة الكفاح المسلح. ومع ذلك فاننا في الولايات المتحدة على يقين تام انه لن يكون هناك سلام في المنطقة، ليس فقط اذا لم تؤخذ الخلافات بين العرب والاسرائيليين بعين الاعتبار وتحقيق السلام للجانبين، وانما ايضا بالاعتراف بان القومية الفلسطينية، بغض النظر عن الخلافات ضمن منظمة التحرير، هي حقيقة سياسية في المنطقة ولذلك لايمكن تحقيق السلام في المنطقة الا بالاعتراف بتلك الحقيقة وبأنه يتوجب اخذ تلك المصالح وتلك القومية بصورة تامة في الحسبان.

● النشاشيبي: دكتور سيسكو هل استطيع ان اشير الى جوابك عن سؤالي لماذا تقدم ريغان بمبادرته لشهر سبتمبر ١٩٨٢، وان اعفي نفسي من الرد تاركا ذلك لشخصية مهمة في السلك الدبلوماسي الاميركي تعمل في اعلى منصب وهي ممثلة اميركا لدى الامم المتحدة السيدة كير كباتريك والتي قالت في اسرائيل منذ شهرين وقبل مغادرتها لها ان هذه المبادرة كانت غير عملية وانها لن تطبق وان الهدف من طرحها كان بعض الاسباب السياسية المحلية العربية وهي تعني بذلك انها - اي المبادرة - قد اعدت من اجل قمة فاس التي كانت منعقدة في ذلك الحين. وهكذا اذا اردتني ان اقتنع بان مبادرة السلام اتخذت لارضاء العرب ولتحدي اسرائيل فهل يمكنني ان اقول بانني لا اوافق على ذلك. هذا اولا. وثانيا.

- دكتور سيسكو يقاطعه (انا لم اسمع عن ذلك التصريح)

● النشاشيبي: لقد نشر في صحيفة جيروزاليم بوست منذ شهرين واستطيع تزويدك بنصها.

- سيسكو: استطيع ان اقول انني لا اوافق على ذلك مطلقا، وانني اشك في صدور اي بيان ضمن تلك التعابير المحددة.

● النشاشيبي: انني اؤكد لك يا دكتور سيسكو..

- سيسكو: انني اعلم قدرا كبيرا عن تطورات ما يدعي بخطة ريغان لعام ١٩٨٢. وصدقني عندما اقول لك بانه اذا ما ترجمت ووصفت تطورات تلك الخطة بأنها مجرد رد تكتيكي لقمة فاس فانك تضيع الهدف الاساسي الحقيقي منها.

● النشاشيبي: هل لي ان اقاطع يا سيد سيسكو. لم يكن انا من قال ذلك وانما.. «جين كيرك باتريك»

سيسكو: ان الادارة الاميركية هدفت منها الى تحقيق بدء لعملية التفاوض. لانه مع اعترافنا جميعا بانه في الوقت الذي كانت فيه المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية خطوة الى الامام، فان اهميتها يجب ان يبني عليها وان غاية اميركا لاتزال التوصل الى تسوية سلمية شاملة لا تشمل فقط القضية الفلسطينية وانما ان تشمل الاردن وسوريا ولبنان. وعليه فان خطة ريغان لعام ١٩٨٢ قد قصد منها وهي بالمناسبة لاتزال حية تماما في ما يتعلق بالولايات المتحدة. والغاية منها توفير المزيد من التقدم. والهدف النهائي منها هو تحقيق تسوية سلمية شاملة.

● النشاشيبي: شكرا. واود ان اصدق ذلك.

ـ سيسكو: اذا تحدثنا معا عدة مرات فقد اتمكن من اقناعك.

● النشاشيبي: لا حاجة للتحدث مرات عديدة. مرة واحدة كافية. ولكن عندما اسمع سفيركم في اسرائيل وهو يلقي محاضرة لم تكن مؤيدة لريغان. وقد هاجم فيها مبادرة ريغان ـ ومن جديد اريدك ان تقرأ الجيروزاليم بوست ـ واعلن في نهايتها ان تلك كانت على اية حال واحدة من المناورات الاميركية المتعلقة بالشرق الاوسط. وانها لن تستمر ولن تكتب لها الحياة.

ـ سيسكو: سأترك الامر للسفير ليدافع عن نفسه. لكنني سأقول لك بانني لا اعتقد بان خطة ريغان كانت غير ملائمة او انها كانت في غير حينها. وفي الحقيقة فان الرد الاولي من جانب الملك حسين الذي قمنا باستشارته قبل المضي في تلك الخطة المحددة كان ايجابيا. لكن احد الاسباب الذي دفعه في النهاية الى عدم المضي قدما هو عدم تمكنه من تحقيق تأييد كاف داخل العالم العربي وضمن الحركة الفلسطينية. وانا لا اقول ذلك انتقادا. ان كل ما اقوله ـ وآمل في ان تتمكن من اكتشاف نبرة الحزن في صوتي ـ هو انني امضيت حتى الان ثلاثين سنة في معالجة شؤون هذه المنطقة وقد اصبح لدي مرض عضال، اي ان اهتمامي في هذه المنطقة يواجه دائما العراقيل الكبيرة والمستمرة. ولكن عندما ينظر اي شخص الى تاريخ السنوات الثلاثين الماضية فانني اقول لكم بكثير من الحزن انها فترة حفلت بضياع فرص من قبل الجانبين.

● النشاشيبي: لطيف منك ان تقول ذلك ياسيد سيسكو. ولكن اسمح لي ثانية ان اؤكد الاهمية التي اعلقها على تصريحين صادرين عن اثنين من كبار الدبلوماسيين الاميركيين: الاول عن شخصية تمثل حكومتكم في الامم المتحدة، والثاني عن شخصية تمثل بلادكم في البلد الذي يتمتع بأكبر نصيب من ثقتكم وهو حليفتكم العزيزة اسرائيل. وهكذا فانني عندما آخذ ذلك في الاعتبار فانني ابدأ بالشك في جدية تلك المبادرة وخاصة عندما اسمع شخصية عريقة الخبرة مثلك تصرح منذ شهرين او ثلاثة اشهر «بأن سلامة واستمرار النفط العربي يعتمد على سلامة واستمرار اسرائيل». وانا الان لا استطيع ان أرى اية علاقة بين النفط

العربي واسرائيل.

ـ سيسكو: دعني اوجه حديثي الى ما اخذته من كلامك. ان الحقيقة هي ـ وانا احاول التأكيد على ذلك ـ ان هناك علاقة خاصة قائمة وسوف تستمر بين اسرائيل والولايات المتحدة. وما احاول قوله لك هو ان تلك العلاقة الخاصة تعني ان تأثير اميركا اساسي. وقد كان كذلك في الماضي اذ ساعد على تحقيق تقدم نحو التسوية. وان دور اميركا سوف يستمر كذلك اساسيا في التأثير على اسرائيل في ذلك الاتجاه. وان على اصدقائنا في العالم العربي ان يأخذوا تلك العلاقة الخاصة لاستمرار اسرائيل كدولة على انها مسألة مفروضة ومسلم بها. واكثرية اصدقائنا العرب يأخذون ذلك على هذا النحو. لكن الحقيقة هي ان دور اميركا الخاص النابع من تلك العلاقة الخاصة يجب ان يحقق في النهاية التغييرات في التسوية والبدائل. وانني استمر في ثقتي بأنه سوف يؤدي اخيرا الى مزيد من التقدم نحو السلام. وانا لا انكر وجود تلك العلاقة الوثيقة بين هذين البلدين. وان ما احاول التأكيد عليه لكم ولاصدقائنا العرب هو ان تلك العلاقة الخاصة يمكن ان تقود الى منفعة مشتركة للعالم العربي وللاخرين في المنطقة. ولكن تلك العلاقة يمكن ان تساعد في دفع الامور الى الامام. وهكذا فانني اعتقد بأننا قد اتبعنا سياسة متوازنة.

● النشاشيبي: دكتور سيسكو اسمح لي بأن اقاطع ثانية هنا.. اعطني دقيقة واحدة فقط.

ـ سيسكو (مستمرا): واميركا لن تأخذ مصلحة اسرائيل وحدها فقط في الحسبان وانما مصلحة الفلسطينيين ايضا.

● النشاشيبي: انني ارغب في تقدير تلك العلاقة الخاصة بين بلادكم واسرائيل ولكن بشرط واحد، هو ان يكون احد الاطراف مؤثرا على الاخر وليس العكس.. ان تكون الدولة الكبرى هي التي تؤثر على الصغيرة.. ان تؤثر الولايات المتحدة على اسرائيل وليس العكس. واذا ما حدث ذلك فإننا جميعا سوف نصلي لاستمرار تلك العلاقة بين بلادكم واسرائيل كي تزداد قوة. اما اذا كان العكس فإننا نأمل في ان تتوقف تلك العلاقة تماما.

ـ سيسكو: ان استراتيجية متابعة تقدم عملية السلام تبدو انها التحدي الذي سنواجهه خلال السنوات الثلاث او الاربع القادمة.

شكراً يا دكتور..



المنامة - البحرين - ١٩٨٤/١١/١٩

حوار مع الوزير الدبلوماسي الذي لا يؤمن بالدبلوماسية

مع الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة
وزير خارجية البحرين



المنامة - البحرين - ١٩٨٤/١١/١٩

حوار مع الوزير الدبلوماسي الذي لا يؤمن بالدبلوماسية
مع الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة
وزير خارجية البحرين

صديقي الشيخ «محمد بن مبارك آل خليفة»، وزير خارجية البحرين، في تصوري ـ كنز من الأسرار التي لايقوى صاحبها على كتمانها طويلاً، وانما يتلذذ في الكشف عنها، وبكل مهارة وفن وذكاء، امام الصحفي القادر على ان يتجاوب معه في الحديث، ويثبت له القدرة على ممارسة فن الاستماع.

هل هي جرأة الأحرار؟

نعم..!

هل هي الشعور بالحرية التي تؤدي الى الانطلاق والتحاور والاسترسال في الحديث؟

نعم.!

هل هي الثقافة الخاصة التي يتمتع بها وزير مسئول فتمكنه من الثقة بنفسه لكي يقول ما يشاء بلا حذر ولا تردد؟

نعم..!

وانا اشعر دوماً بالضعف امام «البحرين» التي سبق لي وزرتها على ايام الشيخ سلمان بن خليفة عام ١٩٥٣، فأحببتها في شخص «اميرها» وأحببت اميرها الطيب الامين، في شخص البحرين الحلوة الطيبة.

بلد كل ما فيه: اصيل، حتى لؤلؤه..

وارض كل من عليها، حرّ: صحافتها وبحرها ومجالسها وشعر شعرائها!

ومن هذه الجزيرة الصغيرة تطل شمس الأدب والفكر والثقافة على دنيا الخليج بأسره.

وفي التاسع عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٨٤، كنت مع صديقي الوزير محمد بن مبارك آل خليفة في مكتبه بالعاصمة.. البحرانية!

وكان هذا الحديث..

بدأ الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة الكلام فأعرب عن استعداده للاجابة على أي سؤال يطرح وبكل الصراحة والواقعية، لانه لا توجد هناك اسرار او اتفاقات سرية تجعل المرء يتردد في الحديث. واضاف: «ان هناك علامات استفهام لدى الناس تظل تتردد الى ان يجدوا



امير البحرين يستقبل ناصر الدين النشاشيبي

الجواب عليها، ومهمه الصحافة ان تطرح هذه الاسئلة وتنقل الاجوبة عليها، لانه من صميم عملها ومسؤولياتها، وانا على استعداد لان اوضح واعطي الصورة الحقيقية التي تمت حتى هذه المرحلة، بكل ما لدي من معلومات، لان من مصلحتنا ان نطلع الناس ونعرفهم على الواقع».

● اود ان اتوسع ولو قليلا في قضايا مجلس التعاون قبل ان ننتقل الى المواضيع الاخرى.

ـ سأتكلم في المجالات الثلاثة: السياسي. الاقتصادي والامن والدفاع فنحن في هذه المنطقة انجزنا عملا مكثفا على جميع المستويات القيادية والادارية والفنية بين وزارات الدفاع، وتم التوصل الى تصور شامل لحاجة المنطقة الدفاعية. والمنطقة هنا ليست البحرين، او الكويت او السعودية.. بل المنطقة هي من اقصى شبه الجزيرة الى الكويت. وهذا تصور بدأ الان ينفذ بشكل تدريجي، بمعنى ان الكويت تنسق دفاعها في هذا الاطار وكذلك البحرين.. الخ.. كنا قبل مجلس التعاون لاتستطيع دولة ان تقول انها قادرة على الدفاع عن انفسنا، يعني ان هذا الكلام كان انشائيا ليس له قيمة. وكنا نقول ان مسؤولية الدفاع عن هذه المنطقة مسؤولية دول الخليج، وكان الشعار مثل الشعارات الاخرى ليس له قيمة. اما الان فعندما نقول ان دول الخليج مسؤولة عن الدفاع، يعني قيمة. نحن بدأنا نتحدث عن العمل الجماعي. فالكلام الدفاعي عن المنطقة كان كلاما وشعارا فارغا ليس له معنى، اما الان، بعد قيام مجلس التعاون، فعندما نقول ان مسؤولية الدفاع عن المنطقة هي مسؤولية دول المنطقة، فهذا الكلام له معنى، لماذا؟ لاننا بدأنا نضع تصورا جماعيا لهذا الدفاع. ان

الخطر يهدد الجميع فيجب ان ندافع عن انفسنا بشكل جماعي، وضعنا الخطط على هذا الاساس، وتمارين درع الجزيرة الاول والثاني ترمز الى شيء.

يا اخي، عندما انشيء كيان اسرائيل، لم يقم جيش عربي بمناورة مع جيش عربي اخر، وكل ما نقوله عندما تقوم الحرب سوف نقدم كل ابنائنا للمعركة، وكل هذا كلام فارغ ليس له قيمة، لان العمل العسكري ليس ان نكتب مقالا او قصة او ننظم قصيدة، هذا عمل عسكري فني، يجب ان تتحرك هذه القوة حسب خطة وتفاهم وانسجام. وكان العرب عندما يقولون ذلك، لم يكن للكلام صحة. نحن اليوم خلال الثلاث او الاربع سنوات استطعنا ان نحرك قوة مشتركة تتفاعل وتتعامل معا. وهذا انجاز عسكري. ولكني احب ان اؤكد ان مشوارنا العسكري طويل وطويل جدا، وبين ابناء المنطقة هناك رأي يقول ان المجلس ليس له فائدة، ورأي يقول بتأييد المجلس لكنه متأخر. وانا اخاف من هذا الرأي اكثر من رأي ناقد، لان الناقد ينتقدك، ويقف سلبيا منك، ولكن الايجابي اكثر من اللازم يضرني، ويطلب مني السرعة الاكثر من اللزوم، وهذا يضر اكثر. واحب ان اقول انه على صعيد العمل العسكري تمت اشياء كثيرة ايجابية وملموسة، سواء من ناحية التطور العصري او الشؤون الفنية، واستطعنا ان نقيم قوة دفاعية موحدة بالتكوين العسكري، وبالمفهوم العسكري هذا يحتاج الى وقت طويل.

● لماذا سميتموه تعاونا؟.

ـ سؤال وجيه. وقصدنا منه ن نعبر عن هذه المرحلة، وان يكون هناك تعاون حقيقي بين دول مجلس التعاون. هذا هدفنا كلنا. وانا متأكد ان هذا التضامن يقود الى مراحل متقدمة من التعاون والتنسيق والمشاركة في المستقبل، لكن هذا هو التعبير الحقيقي لهذه المرحلة، ولا نريد اعطاءه اسما اكبر، ولا اسما اصغر.

● هل صحيح ان هذا الاسم عرض على رئيس عربي كبير وكان له رأي فيه؟.

ـ كل ما اعرفه في هذا الموضوع انه كانت هناك اسماء عديدة مطروحة يوم كنا في اجتماع اسلامي عربي، واجتمع الملوك والرؤساء وبحثوا اسم مجلس التعاون فطرحت الاسماء.

● ما هي الاسماء التي طرحت؟.

ـ اسماء عديدة. . طرح ان يكون اسمه اتحادا، يعني الكونفيدرالية، وغيره، ولكن وجدنا ان مجلس التعاون هو انسب الاسماء.

● لماذا لم يدخل العراق في المجلس؟.

ـ عندما فكرنا في الموضوع، فكرنا بالدول التي يمكن ان تنسق مواقفها وتوجهاتها وتنسجم من اجل ان ينجح المجلس، وكان التوجه ان تكون هناك اربع او خمس دول، بمعنى ان يضم الدول التي تقبل السير في هذا الاتجاه، كما اننا وجدنا ان ٦ دول ـ في هذه المرحلة ـ يمكن ان

تحقق سرعة اكثر في العمل لانها اكثر تجانسا واستعدادا. فالهدف ان يبدأ تعاون حقيقي في هذه المنطقة وبدأنا بـ ٣ ثم ٤ ثم ٥ و ٦، واعتقد ان كثرة عدد الدول قد يعوق المسيرة، وارجو ان لايصبح الموضوع موضوع تكتل، ولاتنس ان هناك اليمن واليمن الشمالي ايضا في شبه الجزيرة العربية.

● ايها اكثر الدول حماسة واندفاعا في هذا التعاون وايها التي تسير ببطء؟.

ـ والله يا اخ ناصر، السؤال يدور في مخيلة الكثيرين. في البداية كان هناك اتجاه بالدعوة الى التفكير وعدم الاستعجال، ولكن المشاركة والروح التي سادت والثقة دفعت كل الاطراف للتمسك بمجلس التعاون اكثر من اي وقت مضى، وهناك من يقول بتثبيت كل ما تم تحقيقه والانتقال الى مراحل اخرى. فالحماسة شديدة لتطبيق ميثاق مجلس التعاون. كان عندنا في البدء تخوف، ولكننا اليوم نؤمن اكثر من اي وقت مضى بالعمل، واعتقد انه اصبحت هناك قناعة. والايمان يزداد يوما بعد يوم، والظروف التي مرت بها المنطقة اثبتت ان اي عمل ايجابي لايمكن تحقيقه الا من خلال مجلس التعاون.

● يعني انهم كلهم في نفس درجة الحماس والتمسك؟ هل تسمح لي ان اخالفك؟.

ـ طبعا خالفني واضرب لي مثلا؟.

● اهم ما يشغل بال المنطقة وجود عناصر تهدد من الداخل وليس من الخارج. لا السوفيات سيزحفون على المنطقة ـ واعتقد ان هذا غير وارد حتى ولو كان وصية من وصايا ستالين ـ فانهم لن يفعلوها. انا مقتنع بهذا واميركا مقتنعة به. ونتيجة احاديثي مع المسؤولين الكبار في اميركا، حتى بريجنسكي، في اخر مشوار له سألته في هذا الموضوع. انهم خائفون من الطابور الخامس، هذا الطابور الذي يشكل لكم مشكلة امنية للخليج. جاءت دول مجلس التعاون واقترحت موضوع الاتفاقية الامنية. وقد تحفظت الكويت ولم توقع الاتفاقية حتى الان رغم مرور اكثر من سنة. فهل تقول لي ان الجميع متساوون في الحماس بينما ارى ان هناك من يقول ان لا قيمة لهذا التعاون الا بابرام هذه الاتفاقية، والكويت ترى ان الاتفاقية ينبغي الا تتعارض مع دستورها وسيادتها. . فما رأيك؟.

ـ يعني ان هذه الاجتماعات التي ستتم من اجل ان نعبر لكم عن حقيقة ما يدور في الواقع. فاولا، ليس هناك منظمة في الدنيا ولا مجموعة من الدول، ولا حتى دولة لا يوجد فيها خلاف في الرأي او في التوجه، والا فان الامور تصبح غير طبيعية. ويجب ان نعلم وان نفهم انه ستكون هناك وجهات نظر متفاوتة في بعض الامور، ولكنها ليست على القاعدة، ولا على الاسس، بل حول الاشياء الجانبية والمتفرعة. لقد ضربت لي مثلا بالاتفاقية الامنية. فدعني اوضح. فكل ما يثار حول الاتفاقية الامنية مبالغ فيه وبشكل كبير. ان للكويت اعتراضا واحدا على بند واحد ليس فيه اخلال بالامن ولا السيادة. وهذا حق كل دولة في العالم. دول

السوق الاوروبية التي سبقتنا بعشرات السنين، كانت تحدث بينها مشاكل على اللحوم والبيض. فارجو من العرب ان يستفيدوا من الدروس. عندما يريدون ان يتعاونوا سوف تبرز قضايا يجب حلها بالصبر والمثابرة وبالعمل. واحب ان اؤكد ان ما بين دول المجلس بدون الاتفاقية الامنية ـ ثنائيا ما هو موجود في الاتفاقية المشتركة. فالاتفاقية عبارة عن اطار كامل لهذا التعاون واذا لم توقع اليوم ستوقع غدا. وكل ما يقال حول هذا الموضوع هو استنتاج اعلامي. . صحيح انه عندنا اختلافات في وجهات النظر، ولكن ذلك لا يعني اختلافا على الاسس التي قام عليها مجلس التعاون. ولدينا قضايا اخرى غير الاتفاقية الامنية، كل دولة لها تحفظ عليها بشكل او بآخر. ونحن كان لدينا تحفظ على بعض الامور.

● اسمح لي ان اقول انه ليس استنتاجا اعلاميا وانما ثقافة اعلامية تجعلنا نسأل هذه الاسئلة؟.

ـ هناك من ضخم الامور اكثر من حجمها وهذا مؤلم، ونحن نعتقد انه بالاخذ والعطاء وبالتفاهم سنصل الى حل جميع المشكلات، نعم هناك خلاف وستسمعون عن قضايا اخرى، وحتى نسير الى الامام يجب ان تبرز اشياء نختلف عليها والا لن نسير الى الامام. ارجو ان يكون هذا الامر واضحا.

● الخلاف موجود. . ولكنك متفائل في الحل؟.

ـ احب ان اقول ان هناك قضايا سيحصل حولها اختلاف، سواء كانت هذه الاتفاقية او اي اتفاقية اخرى. حتى الاتفاقية الاقتصادية او الاتفاقية الاجتماعية سوف تبرز فيها اشياء.

● تتفاوت علاقات دول مجلس التعاون بالدول الكبرى. . فالكويت هي الدولة الوحيدة التي تقيم علاقات مع الاتحاد السوفياتي من بين دول المجلس. من ناحية اخرى تتردد بعض الانباء ان هناك قواعد اجنبية في بعض دول المجلس. . فما رأيك في ذلك؟.

ـ احب ان اجيب عن هذا السؤال بخلفية تاريخية. اولا، هذه المنطقة رزحت تحت استعمار بريطاني وكان على مراحل. وخرج الانكليز من هذه المنطقة على مراحل وكانت هذه المنطقة تغطى بدفاع شرقي السويس كما تعلم، فهذه الدول بدأت تنشىء قواتها الدفاعية. نحن نتكلم على اثنتي عشرة سنة مضت وكما قلت في البداية انما نريد ان نحول شعار الدفاع عن هذه المنطقة الى حقيقة، اما بالنسبة للتعاون مع الدول الكبرى فجميع دول العالم وبدون استثناء تتعاون مع هذه الدول بشكل او بأخر بما يخدم مصالحها القومية، اما ان تتحدث عن قواعد في هذه المنطقة فأحب ان اقول لك انه ليست هناك قواعد في هذه المنطقة. هناك تعاون مع الولايات المتحدة الاميركية ولدينا في البحرين تسهيلات في التجارة البحرية، وهذا من اختصاص كل دولة وفي تعاملها مع الدول لاننا دول مستقلة ذات سيادة ومجلس التعاون لن يسلب هذه السيادة من هذه الدول وكذلك التعاون الخارجي، لكن ليس هناك قواعد، هناك



المؤلف مع امير البحرين

تعاون بين دول المنطقة والولايات المتحدة او غير الولايات المتحدة الاميركية، لكنني اقول: ان هذا التعاون في اطار مصلحتنا القومية. والدول العربية جمعاء تتعامل مع المعسكرين بشكل او بأخر، وارجو ان لايكون التعامل مع جانب خطر والتعاون مع جانب اخر سلمي، يجب ان نتعامل مع الدول الكبرى بمنظور انها دول كبرى لها مصالح لكن انا يجب ان استغل هذا التعامل لمصلحتي ومن حقي ان اتعامل مع الدول الكبرى، ومن يطلب مني ان ابقى في هذا العالم في هذا البحر وحيدا في شراع صغير هذا لايطلب مني الا الانتحار، ومن يتعامل. التعامل له مفهوم سياسي وانت من يفهم السياسة وعشرتها ـ يجب ان يضع باعتباره هذه الموازين لا ان يبقى بدون صديق فكسب الاصدقاء وخاصة الدول الكبرى امر ضروري ومحتم على كل دولة تريد ان تعيش في هذا العالم المضطرب والخطير. وساحتنا العربية اكثر مناطق العالم التي تشهد هذا الوضع، لان قيادات هذه الدول لم تعرف الموازين وحقيقة هذه الموازين الدولية، وهذه النتيجة، احب ان اقول اننا حافظنا على هذه المنطقة وهي اخطر منطقة للصراع بين الدولتين العظميين لانها اهم المناطق. لماذا حافظنا عليها اننا استطعنا ان نتعامل مع هذه الدول بأسلوب يبقي هذه المنطقة مستقرة طوال هذه السنين من قبل الاستقلال وبعد الاستقلال. منذ ان انفجرت الحرب العراقية الايرانية ـ وهذا معروف ـ كنا منذ البداية نعمل بأي شكل او بأخر لاسكاتها، ونجاحنا في سياستنا بالتعامل مع الدول الكبرى، ترك هذه المنطقة منطقة مستقرة، فأرجو ان لايلومني احد على سياستي، لاني استطعت ان ابقي هذه المنطقة منطقة امن واستقرار. وهذه السياسة حكيمة وناجحة ومن

يطلب مني تغييرها ويطلب مني ان اغير الموازين يعني ان احولها الى منطقة غير مستقرة.

ـ اجتماع وزراء الخارجية هو عبارة عن مناقشة وتصديق او رفض ما تم عمله في عام واحد من قبل لجان المجلس والتي هي خمس عشرة لجنة، كل وزراء الدول اجتمعوا، الوزراء والخبراء خلال هذا العام، من المقاييس والمكاييل الى السياسة والامور العسكرية وتأتي هذه الحصيلة الى القمة، فبالقمة نناقشها.

● ما هي المواضيع التي سيعجز مجلس الوزراء عن معالجتها ويتركها او يترك تقرير مصيرها لمؤتمر القمة؟.

ـ ليس ما سوف يعجز عنه، وانما المواضيع التي ليس من صلاحيته كمجلس ان يصادق عليها ويرفعها الى القمة لانه ليس من صلاحيته المصادقة عليها، وكل ما يختص بإصدار القوانين والتشريعات والاتفاقيات تعود الى اعلى سلطة وهي التي تقرر فيها وليس المجلس الوزاري.

● في هذا المؤتمر هل يوجد شيء معين؟.

ـ نعم اعتقد هناك بعض القضايا القانونية وبعض القضايا التي سوف تطرح، واعتقد ان هناك الاتفاقية الاقتصادية، وتطبيقها. ففي كل مرة يطبق جزء من الاتفاقية الاقتصادية يجب ان تصدر مراسيم بقوانين من الدول. وهذه تبحث في اللجان وعندما يكون هناك تطبيق نحيله الى القمة للمصادقة عليه لانه تطبيق يخص اقتصاد البلد، وكذلك عندنا مواقف بالنسبة للقضايا السياسية المطروحة اليوم نعالجها، مثل المساعدات لبعض الدول، اشياء من هذا النوع فمثل ذلك لايبت فيها الا على مستوى القمة كالقضايا الاساسية التي تحدثنا عنها في المجال الاقتصادي والدفاعي والقانوني فهذه تكون على مستوى القمة، لان القمة هي الوحيدة التي تصدر التشريعات والقوانين اما الاشياء الادارية فالمجلس الوزاري يصفي هذه الامور.

● بالنسبة لحرب الخليج . . . هناك بعض افكار جديدة مطروحة وهي محاولة تحيد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لوقف تزويد اي جهة متحاربة بالسلاح والضغط على بعض الدول بعدم تزويد الجانبين حتى تنتهي الحرب، هذه احدى الافكار المطروحة؟.

ـ لا اعتقد ان هذه الافكار مطروحة، الافكار المطروحة ذكرت في عدة مناسبات، اولا: لانستطيع ان نوازن بين موقف العراق وموقف ايران ووقف السلاح مشروع ياباني، واوقف المشروع الياباني، لان العراق كطرف وافق على جميع قرارات مجلس الامن والامم المتحدة والمجتمع الدولي، ويقول انا مستعد ان اتفاوض واوقف اطلاق النار فورا، وجانب يقول لا لذا لانستطيع ان تعامل الطرفين بنفس المستوى ويجب الضغط على الجانب الذي يرفض التفاوض مهما كان ويجب الضغط على الجانب الذي يرفض تطبيق الشرعية الدولية والذي

يرفض المفاوضات. ونحن نأمل انه بالسعي مع جميع دول العالم لتعمل لدى ايران على وقف اطلاق النار وبدء المفاوضات، والتحييد الذي اشرت اليه نقطة مهمة في عملية السلام، عملية السلام خطت خطوة واحدة في الصيف الماضي في الرد على نداء دي كويلار لتحييد المناطق الاهلة بالسكان من القصف، ونحن في دول الخليج مجلس التعاون طلبنا خطوة اخرى هي تحييد الموانيء والمنشآت ككل. بما فيها موانيء العراق. فنحن نقول كل المنطقة لانها حساسة بالنسبة لنا وللعراق، فنأمل ان تكون هذه الخطوة هي الثانية التي نخطوها في مجال تحييد المدن والمنشآت. فالحرب المقصود منها شل هذه الامة وارجو ان لايكون المقصود من الحرب العراقية الايرانية استنزاف الامة الاسلامية ككل لعشرات السنين القادمة. يجب ان ننبي هذا الموضوع ان لم يكن فجأة فعلى مراحل.

● هل تشعر البحرين بوجود خطر ايراني عليها الان؟.

ـ نحن نشعر بخطر الحرب في الواقع ونحن نأمل دائما ان تكون لنا علاقات جيدة مع ايران ونتعامل معها بحسن جوار وتنتفي الاخطار علينا. ونشعر بأنه على ايران ان تلتزم بحسن الجوار، فاتصالاتنا مع ايران ضمن اطار حسن الجوار والعلاقات الاخوية التي تخدم مصالح البلدين.

● هل تنازلت الثورة الايرانية عن مطالبها المزعومة بالنسبة للبحرين؟.

ـ ليس هناك شيء اسمه تنازل، موضوع البحرين منته ومحسوم، وليس من حق لاحد في هذه الارض ان يثير هذا الموضوع لانه موضوع منته الان البحرين عربية.

● بالنسبة للحرب العراقية الايرانية هل ترى لها نهاية قريبة؟.

ـ يجب ان تكون لها نهاية قريبة ويجب ان نسعى لنهاية قريبة، ونتمنى ان لاتتحول هذه الحرب الى حرب استنزاف لكل المنطقة، ويجب حل هذا الموضوع وانهائه ونحن على استعداد لان نسعى في اي لحظة وفي اي مكان.

● بالنسبة لمصر وعودة مصر هل هي مدرجة على جدول اعمال القمة الخليجية؟.

ـ هذا الموضوع يجب ان يدرج على جدول جامعة الدول العربية.

● الملك حسين يقول ان مقاطعة مصر وعزلها في مؤتمر بغداد لم يكن قرارا. هل كان هناك قرار بمقاطعة مصر ام لا في مؤتمر قمة بغداد؟.

ـ والله اعتقد انه كان فيه توصية واحيلت الى الاجتماع الوزاري، والاجتماع الوزاري هو الذي وضع النقاط على الحروب. هذا الموضوع وموضوع السيادة وهذا المستوى من القضايا لاترتبط بتوصيات وبمواقف معينة بوقت من الزمن كل هذه القضايا قابلة للاخذ والعطاء.

● في قمة بغداد اتخذ قرار بمقاطعة مصر بعد موافقتها على كامب ديفيد وعلى زيارة انور السادات لاسرائيل وخروجها عن التضامن العربي ام لا؟.



واستقبلني امير البحرين وحدثني عن رأية في مجلس التعاون الخليجي

ـ اتخذ هذا القرار. وخروج مصر موضوع سياسي ويجب ان يحل على اعلى المستويات. وخروج مصر عن الصف العربي اضعاف للصف العربي، ويجب عودة مصر لكن بالشكل الذي ينسجم مع المواقف العربية.

● نعيد مصر بلا كامب ديفيد او نعيدها بكامب ديفيد؟.

ـ عندما تبرز حقائق يجب ان يتصرف الانسان على ضوء هذه الحقائق. الاو: ماذا نريد في هذه المرحلة.. وعندما نقرر ماذا نريد نستطيع ان نتصرف. اهم شيء يجب ان يكون هناك موقف فلسطيني وموقف عربي واضح لاتستطيع الادارة الاميركية ولا الادارة الفرنسية ولا الامم المتحدة ان تقدم لنا شيئا ان لم يكن لنا نحن تصور. الموقف العربي في فاس مر بمراحل وانقسامات عربية. يا اخي دعنا نقول بصريح العبارة: الاخوان في منظمة التحرير في هذا الوضع كيف استطيع ان اناقش موضوعا كهذا لاتخاذ قرار.. المطلوب من العرب ان يتحدثوا ويتخذوا قرارا. من هم العرب الذين نريدهم ان يتخذوا القرار. الوضع العربي سيء. ويجب ان نعترف بانه سيىء ، ويجب ان نعمل على اصلاحه حتى نطلب من العالم ان يتخذ موقفا جيدا.

● انت مسؤول في الصف العربي؟.

ـ كلنا مسؤول. انبح صوتنا ونحن نفسر فلا يوجد حل لقضايانا الا بموقف عربي متجانس.

● ما هو الحل الذي تراه الان؟.

ـ يجب ان نخرج بقرار عمل جماعي نحترمه ونجعله مطلوبا. مشروع فاس موجود واعتقد انه اسلوب صحيح ولكن اعتقد انه يجب ان نتمشى مع هذا لاننا نواجه عدوا شرسا.

● الخلافات داخل منظمة التحرير. ماذا تقول عنها؟.

ـ انه شيء مؤسف وشيء مؤلم. ولكن يجب ان نسعى كدول عربية لتطويق هذه الخلافات، وكان المؤتمر الماضي، مؤتمرنا في الدوحة وذهب وفد منا وتوسطنا وكنا دائما نسعى لان يكون لمنظمة التحرير صوت واحد واتجاه واحد. اي انقسام في الموقف الفلسطيني هو انقسام للعالم العربي وهو اضعاف للقضية.

● الان وقد تبين لكم ان المعنيين من الدول العربية لا يريدون حل المشكلة؟.

ـ نحن نؤيد كل مصالحة فلسطينية وكل اتفاق فلسطيني.

● ما رأيك بمشروع ريغان؟.

ـ يجب ان يكون هناك موقف عربي من قبل الاطراف المعنية بهذا.

● لو كنت انت فلسطينيا هل تقبل بمبادرة ريغان؟.

ـ صاحب القضية يجب ان يباحث ويناقش ويدرس اي مشروع يقدم اليه يفاوض على الافضل ولا يقبل بالحل الذي لايعطيه حقوقه ويسلب منه مكاسبه لكن عندما يقدم للانسان اي مشروع يجب ان يناقشه ويجب ان يطوره ان وجده مناسبا قبل فيه، اما الرفض الرفض الرفض، اعتقد ان هذا اسلوب سياسي في هذه المرحلة، يجب ان اناقش كل المشاريع.

● لو كنت انت مكان ابو عمار وتواجه هذه الاعاصير الان من دولة عربية من دول المواجهة ماذا سيكون موقفك؟.

ـ ان الاخ ابو عمار في موقف صعب، وكان عندي في البحرين قبل فترة قصيرة جداً ونحن نؤمن بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الوحيد الذي يمثل هذه الشرعية. ويجب اعادة نقد ذاتي لانفسنا.

● ما رأيك بفوز ريغان؟.

ـ بالنسبة لفوز ريغان، اعتقد ان السياسة الاميركية في الشرق الاوسط سياسة متفق عليهاولكن الفرق بين ادارة جديدة وادارة مستقرة ان هذه الادارة قد بدأت حوارا مباشرا مع معظم الزعماء العرب ولديها اتصال معهم فبالنسبة للقضية تكون هذه الادارة افضل من ادارة جديدة. لكن السؤال هو الموقف العربي المفاوض والموقف العربي السياسي والعسكري. اذا لَم تفاوض ولديك انت كعربي موقف عسكري يساعدك بالموقف السياسي فانت ضعيف فكلنا نقول التعاون التجانس والا فلا.

● ألم تر اننا نحاول ان نحمل الفلسطينيين اكثر مما يجب ونقول هذه الخلافات نتجت عن الخلاف العربي وان الذي سبب هذه الخلافات هو الخلافات العربية؟.

ـ ليس هو الفلسطيني وحده الذي يتحمل المسؤولية لكن يحملها كذلك الاشقاء العرب.
لكن يا اخي جاء وقت الفرز. فعلى منظمة التحرير الفلسطينية ان تفرز قيادة قادرة على مواجهة هذه العاصفة واذا ساير التمزق العربي تمزق فلسطيني فعلى قضيتنا السلام، فعلى الموقف الفلسطيني ان يتفهم هذا الوضع ويتصرف على ضوئه. يجب ان تكون القيادة الفلسطينية قادرة على اتخاذ القرار بغض النظر عن الخلافات العربية.

● ما هي مشاكل البحرين في الوقت الحاضر؟.

ـ ما في شك ان الوضع الاقتصادي الراهن من اهم القضايا فشاغلنا الان هو الوضع الاقتصادي وقضية التنمية والتحدي الحضاري يتطلب منا العمل بدون توقف وتراجع، ونأمل ان تستمر مسيرتنا في التطور حتى نلحق بهذا الزمن.

● ما هي النتائج التي ستترتب على افتتاح جسر السعودية ـ البحرين؟.

ـ الجسر سيكون فاتحة خير على البحرين، انا اقول دائما ان البحرين عاشت ما قبل النفط على تجارة اللؤلؤ ودخلنا عصر النفط ونحن الان نعيش مرحلة ما بعد النفط لان نفط البحرين ينخفض يوما بعد يوم، ونعتقد ان الجسر يمثل المرحلة الثالثة في نمو البحرين الاقتصادي في هذا القرن، ويمثل مرحلة جديدة والبحرين هو مركز اتصال، ولكل بلد الحق ان يحافظ على تقاليده».

ألف شكر يا أخي الوزير. . .





البيت الابيض - ٢٧/٦/١٩٨٥

مع رونالد ريغان
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية



مع رونالد ريغان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

أنا فخور بهذا السبق الصحفي العالمي الذي اجريته مع رونالد ريغان، الرئيس الحالي للولايات المتحدة الامريكية في شهر يونيه - حزيران عام ١٩٨٥.

ولا حاجة للتواضع المصطنع حيال ضرب صحفي، كان يتمناه كل صحفي، عربي واجنبي، لنفسه او لصحيفته، او لقارئه.

وكان رونالد ريغان، في حديثه المذكور، يقابل لاول مرة صحفياً عربياً ويخصه بمثل هذا الحديث وبحضور كبار مستشاريه في البيت الابيض وفي مقدمتهم مستشاره للأمن القومي المستر «روبرت ماكفلرن» الذي استقال في اوائل ديسمبر من عام ١٩٨٥..

وقد ظهر الحديث المذكور - وفي يوم واحد - في لندن بالسعودية والكويت والأردن والقدس حيث نشرته مفصلاً على عدة صفحات مصورة جرائد الحوادث، وعكاظ، والشعب، والرأي، والدستور، والسياسة، والقدس.

كما وزعته وكالات الأنباء على جميع دور الصحف والاذاعات في مختلف انحاء المعمورة. واذاعته «صوت واشنطن» في جميع نشراتها الاخبارية طيلة ٤٨ ساعة ونشرت فصولاً منه صحف اسرائيل وترجمته حرفيا جميع صحف ايران ونشرته في صفحاتها الأولى..

وقال الملك الحسن الثاني، ملك المغرب في ايلول - سبتمبر من عام ١٩٨٥ إنه دعا الى مؤتمر القمة العربي الاستثنائي على ضوء الحديث السياسي الهام الذي ادلى به الرئيس ريغان الى كاتب هذه السطور.

وعلقت عليه اذاعات الاردن، وبغداد، و«مونت كارلو». كما نشرته عدة صحف امريكية كبرى في لوس انجلوس، وميامي، ونيويورك وتبرعت بعض الصحف «العربية» لكي تشكك في الحديث وتحيطه بالشبهات تمشياً مع الشاعر القائل:

قال هذا حصرماً لما رأى ان لاينالهُ!

وهذا هو نص الحديث كما ظهر يوم الخميس الموافق ١٠ شوال عام ١٤٠٥ الموافق ٢٧ يونيه - حزيران عام ١٩٨٥ ميلادية:

★★★

■ دار هذا الحديث مع الرئيس الامريكي رونالد ريجان في مكتبه البيضاوي بالبيت الابيض في واشنطن.

وكان الرئيس مجاملا كعادته ورقيقا وودودا. وسمعته يرحب بي وبالصحافة العربية التي يقابل احد أفراد أسرتها للمرة الأولى. ورأيته ممتلىء النشاط وافر الصحة حاضر النكتة يوحي لزائره بالراحة والاطمئنان، ويتحدث بأسلوب الواثق من نفسه ومن سياسته ومن صحة آرائه.

وقد رأيت فيه لمعة من شعاع الفنان الكبير.. فقد أحال مكتبه البيضاوي في «البيت الابيض» الى مسرح حي ينبض بالحركة الدائمة ويبعث الدفء ويزهو «بالفتى الأول» الذي يصر على ان يصول ويجول بنشاط الممثل الناجح في رواية تاريخية طويلة ومستمرة منذ اربع سنوات مضت، والى أربع سنوات اخرى قادمة.

وشعرت بأنه لم يعد يكترث ليومه بقدر اهتمامه بغده. إن ما يهمه بعد اليوم هو حكم التاريخ. فلا الصوت الانتخابي، ولا صيحات الكونجرس، ولا آراء الصحافة ولا الشعبية التي يسعى اليها جميع الرؤساء باتت تشغل ذرة من تفكيره، فهو يحس بأنه قوي وبأنه بات واقفا على ابواب التاريخ يدق بيديه لكي يدخل ويتبوأ مكانه بين العظماء والخالدين، فهو وبشهادة انصاره وخصومه معا أقوى واحب رئيس امريكي لدى شعب الولايات المتحدة الامريكية منذ فرانكلين روزفلت حتى اليوم!

وعندما دخلت عليه في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم الخميس الماضي، رأيته محاطا بكبار مستشاريه في جهاز الامن القومي، وفي الخارجية الامريكية، وفي شؤون الصحافة الخارجية بالبيت الابيض، وصافحني بكلتا يديه. ورأيت الابتسامة تملأ وجهه وتبعث بريقا في عينيه الزرقاوين وقسمات وجهه المعبرة عن الراحة والثقة بالنفس.

وعندما دلني على مكاني بجانبه في مكتبه «البيضاوي» رفعت جهاز التسجيل وقلت له إنها فرصة تاريخية لأي صحفي ان يتحدث الى رئيس اكبر دولة في العالم، ويسعدني شخصيا ان اكون أول صحفي عربي يحظى بمثل هذا التقدير.

واجاب رونالد ريجان قائلا انه يستقبلني ويرحب بي كمساهمة شخصية منه في السعي من اجل تحقيق السلام المطلوب في اغنى واهم وادق منطقة في شرق البحر الابيض المتوسط، وانه يرى في هذا اللقاء فرصة ثمينة تمكنه من التحدث والكشف عن مساعيه المستمرة من اجل تحقيق السلام.

وبدأنا الحديث..

★★★

● قلت للرئيس ريجان: لماذا تبقى الولايات المتحدة مترددة في القيام بخطوات تقدر معها ان

تبعث من جديد مبادرات للسلام المطلوب في الشرق الاوسط؟

واجابني الرئيس على الفور وهو يبدأ كلامه في العادة بكلمة حسنا. قال:

ـ حسنا.. إن مبادرتي التي اعلنتها في خطابي بتاريخ اول «ايلول» سبتمبر من عام ١٩٨٢ مازالت مطروحة على المائدة، ونحن مازلنا على اعتقادنا المستمر بأن هذه المبادرة تمثل اعظم اقتراح يعد بالتقدم نحو السلام عرف حتى الان! ونحن لم نتردد في حث الاطراف المعنية بالنزاع على ضرورة العمل من اجل العثور على الطرق الكفيلة بتحريك عملية السلام ودفعها اى الامام. وأقول لك بأنه يوجد في المنطقة حاليا زخم وقوة دفع باتجاه السلام وسنقوم من جانبنا بكل مانراه مناسبا للحفاظ على هذا الزخم شريطة ان نعترف بأن السلام المطلوب لايمكن تحقيقه إلا من خلال استعداد جميع الاطراف على التفاوض مباشرة فيما بينهم.

● قلت للرئيس ريجان: كان الملك حسين هو آخر مسئول عربي يقوم بزيارة واشنطن. فما هو تقديركم للزيارة التي قام بها ملك الاردن لكم ولقائه معكم واجابني الرئيس الامريكي قائلا على الفور:

■ اعتقد انني والملك حسين نفهم بعضنا جيدا واني معجب بشجاعة الملك وبإخلاصه. وان الخطوات الاخيرة التي قام بها الملك حسين، وآخرون غيره، في منطقة الشرق الاوسط قد أعطت قوة دافعة لعملية صنع السلام في المنطقة.. وقد كشف الملك حسين في زيارته الاخيرة لواشنطن عن رغبته الواضحة، ورغبة شركائه الفلسطينيين، حول الوصول الى تسوية سلمية للقضايا من خلال مفاوضات يشترك فيها وفد اردني فلسطيني مشترك من جهة، ووفد اسرائيلي من جهة اخرى ضمن اطار دولي مساعد..

ثم اضاف الرئيس ريجان قائلا:

ـ إن الملك حسين ينشد تسوية سلمية تقوم على اساس قرار مجلس الامن الدولي رقم (٢٤٢) وقرار مجلس الامن الدولي رقم (٣٣٨). وقد كانت زيارة الملك حسين الاخيرة لنا بمثابة فرصة مناسبة مكنتنا من إعادة تثبيت وتأكيد رأينا بأن اي سلام عادل ودائم في المنطقة يجب ان يعالج الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني جنبا الى جنب مع الحفاظ على أمن وسلامة جميع دول المنطقة. وقد أكد لي الملك حسين التزامنا المشترك للسير قدما وبحزم وسرعة نحو المفاوضات المباشرة بين الاطراف المعنية. وقال لي الملك إن هذا اللقاء سيجري ضمن هذا العام بالذات. ونحن نأمل ان نساعد الاطراف المعنية لكي تتمكن من الاستفادة والبناء فوق ما ستتمخض عنه هذه اللقاءات. وإني على يقين بأن الاحداث تسير حاليا في الاتجاه الصحيح.

● وسألت الرئيس ريجان:

ترى لو قمنا بعملية مزج سياسية جمعنا فيها مشروع الملك فهد او مشروع فاس مع مبادرة

ريجان مع الاتفاق الاخير المبرم بين الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية مع القرار الدولي رقم (٢٤٢) فهل سيؤدي ذلك إلى مولد مبادرة سلام جديدة مع الاخذ بعين الاعتبار التحفظات الاسرائيلية على كل ذلك.

واجابني الرئيس الامريكي قائلا:

□ انا اعتقد بأن الاتجاه الجديد والعملي، نحو السلام قد بدأ يتطور. وهذا الاتجاه قائم على مساهمات عديدة من بينها المشاريع والقرارات التي ذكرتها لي. ولكن القرار الدولي رقم (٢٤٢) يبقى القاعدة الرئيسية في المفاوضات القادمة. ولا اريد ان أتنبأ سلفا بالنتائج النهائية ولكني واثق بأنك قادر بعد تحقيق السلام ان تتلفت الى الخلف وتقول بأن الكثير من هذه المشاريع والقرارات قد ساهمت بقسط مهم جدا في عملية السلام. وانه لمن الاهمية بمكان ان نلاحظ بأن مقترحاتي الموجودة في «مبادرتي» للسلام إنما هي ملخص للمواقف التي ستؤيدها الولايات المتحدة خلال المفاوضات. ونحن لم ولن نطالب غيرنا ان يسهم معنا في مواقفنا. نحن نعتقد ان كل طرف من الاطراف يملك حريته في ان يتقدم بآرائه الخاصة الى مائدة المفاوضات، ونحن نتوقع من كل طرف ان يفعل ذلك. فالمهم ان تبدأ المفاوضات المباشرة حيث ان عملية التفاوض وما تتضمنه من حوار في الاخذ والعطاء تبقى وحدها قادرة على حل جميع الخلافات وتحقيق السلام العادل والدائم.

وقلت للرئيس الامريكي رونالد ريغان:

●● ترى ما الذي تتوقعه الولايات المتحدة من العرب، ومن اسرائيل القيام به مادامت اطراف النزاع قد بدأت تسير نحو التفاوض وتستعد للجلوس على مائدة المفاوضات؟

□□ واجابني الرئيس:

نحن نحاول ان نبتعد عن اي عمل او قول قد يبدو وكأننا نريد ان نفرض «من هنا» حلولا للمشاكل القائمة. إن كل ما نحاول ان نحققه لايزيد عن سعينا لكي نجمع الاطراف الى بعضها البعض. ويبدو ان الحلول ستؤدي الى ان يتخلى احد الاطراف عن «الارض» مقابل قيام حدود يمكن الدفاع عنها ويشملها سلام مضمون. وان على العرب ـ اي الدول العربية ـ الاعتراف لاسرائيل بحق البقاء كشعب، وان السلام سيضمن للعرب ايضا الامن اللازم.

●● سألته مقاطعا:

ـ وما الذي تتمناه سيدي الرئيس على العرب القيام به منذ اليوم وحتى بدء المفاوضات القادمة؟

□□ واجابني رونالد ريغان قائلا:

ـ اتمنى على العرب إظهار المزيد من التأييد والموافقة للملك حسين بدلا من تركه وحيدا مع نفسه.



ناصر الدين النشاشيبي يدخل المكتب البيضاوي في البيت الابيض والرئيس ريغان يستقبله باسماً

●● قلت: هذه نقطة مهمة سيدي الرئيس فهل اطمع منك تفسيرها لي؟.

□□ اجابني الرئيس على الفور:

ـ إن من حق الملك حسين ان يعرف بأن العرب يؤيدونه في الشيء الذي يسعى من اجله ويقوم به حاليا.

●● قلت له: وما هو الشيء الذي تتمناه ـ بالمقابل ـ على اسرائيل؟

□□ واجابني الرئيس ريغان

ـ الاسرائيليون كما اعلن المستر شمعون بيريز يتطلعون قدما للجلوس على مائدة المفاوضات مع العرب.

●● وقلت للرئيس رونالد ريغان:

ـ إن الزيارات الاخيرة التي قام بها بعض الزعماء العرب إلى امريكا قد تركتهم يشعرون بانعدام الرغبة لدى إدارة الرئيس ريغان في العثور على حل شامل لمشاكل الشرق الاوسط. أليس هذا بالضبط هو الواقع؟ وهل انعدام الرغبة هنا وما جرى من تفتيت للوطن اللبناني، تعجز عن تحريك دولة عظمى كالولايات المتحدة وتجعلها تتدخل فورا لكي تأخذ بزمام الأمور وتمسك بأطراف النزاع في الشرق الاوسط وتفرض عليهم حلا عادلا وشاملا بالنسبة للجميع؟

□□ وعبس الرئيس الامريكي من سؤالي ورفع صوته وهو يجيب مع نبرة حادة قائلا لي:

ـ انا لا أوافق على كلامك هذا! وأنا لا اعتقد ان أيا من الزعماء العرب قد شعر بانعدام

الرغبة لدى الولايات المتحدة الامريكية في تحقيق السلام في الشرق الاوسط. انا اجيبك بأن افتراضك المذكور يبعد كثيرا عن الحقيقة. فالولايات المتحدة تملك مصلحة عميقة ودائمة في مجيء تسوية شاملة في منطقة الشرق الاوسط، وكنا دائما ننقل هذه الفكرة. باستمرار الى جميع اصدقائنا في المنطقة.

ثم صمت رونالد ريغان قليلا قبل ان يقول مستطردا:

ـ ولكني ـ رغم ذلك ـ لا اعتقد بأن فرقاء النزاع يرحبون بأية تسوية يجيء فرضها عليهم من الخارج او ان عملية فرض التسوية من الخارج امر ممكن! إن الحقيقة الكبرى تقول بأن تحقيق السلام لا يتم إلا من خلال استعداد اطراف النزاع للجلوس معا والتفاوض حول الامور التي يختلفون حولها! ولقد تضمنت مبادرتي المعلنة في اول شهر «ديسمبر» المواقف التي ستؤيدها الولايات المتحدة في مثل هذه المفاوضات رغم اعتقادي بأن السلام الحقيقي لن يتم الوصول اليه إلا على يد الاطراف المعنية وحدها ومن خلال المفاوضات المباشرة.

●● وسألت الرئيس ريجان وكأني أعود لكي امسك أمامه بالخيط من أوله:

ـ سيدي الرئيس.. الى متى يا سيدي تستمر امريكا على موقفها الحالي من احداث المنطقة ويستمر تجاهلها او عدم اكتراثها للأرواح البريئة التي تزهق في لبنان.. وفي العراق.. وفي ايران.. وفي إسرائيل.. وفي الضفة الغربية وقطاع غزة؟ وهل يساوي هذا الموقف المتجاهل او المتساهل كل مشاعر الكراهية لأمريكا وللامريكيين والتي نشهدها ونلمسها حاليا في المنطقة؟

وأطرق الرئيس الامريكي برأسه قليلا وكأنه يخفي مشاعر دهشته او مشاعر المه، لا أدري، وقال يجيب على سؤالي:

□□ ان الولايات المتحدة الامريكية تشعر بالقلق والاهتمام الشديدين من جراء ما تتعرض له شعوب منطقة الشرق الاوسط من الام وعذاب نتيجة وجود الصراعات المتضاربة هناك.. وإن الرئاسات الامريكية «الثمانية» الماضية قد جعلت مهمة البحث عن الحلول المطلوبة لهذه الصراعات على رأس اهتماماتها الدولية الأولى.. ويجب ان لا ننسى ان ما بذلته امريكا من مجهود وخسائر في الارواح وموارد مالية في هذا المجال كان هائلا! واؤكد لك بأننا لن نتراجع في هذا المسعى الذي نحن بصدده رغم أننا نعتقد بالحقيقة التي تقول ان الحلول المطلوبة لا يمكن العثور عليها الا عندما يقرر اطراف النزاع حتمية التمسك بالوسائل السلمية لحل خلافاتهم. ان المفاوضات كفيلة بالوصول الى النتائج المطلوبة. وقد برهنت كل من مصر واسرائيل وبصورة واضحة عن صحة هذه النظرية. ونحن هنا في امريكا نعمل بجد لكي نؤيد ونساند كل مفاوضات جديدة تهدف لحل المشاكل الاخرى في المنطقة.

ثم سكت الرئيس الامريكي قليلا قبل ان يستأنف حديثه معي قائلا:

ـ ومن المهم جدا ان نتذكر دائما بأن الشعب الامريكي يشترك مع شعوب منطقة الشرق الاوسط في التمسك بالكثير من القيم الاخلاقية والمصالح المشتركة. إنها اشبه بمستودع مشترك مليء بالقيم والمصالح. وهذا المستودع والانجازات يتضاعف ويكبر يوميا من خلال العلاقات التجارية والنشاطات المدرسية والانجازات العملية التي نشترك فيها معا. إنني اقول بأن مساهمة «رجل فضاء سعودي» في عملية اطلاق مركبة الفضاء عربسات تعتبر عندي بمثابة حدث هام يرمز الى الانجازات العملية والحسابية مع الخطوات الهائلة التي قطعها العرب في هذا الميدان قبل ان تتم عملية اكتشاف العالم الجديد.. إن هذا بالتالي يذكرنا جميعا بمدى الروابط المتينة والوثيقة التي تجمع بين مستقبلنا وشعبينا ومصيرنا.

●● وسألت الرئيس الامريكي عن السودان؟

قلت للرئيس ريجان: نحن جميعا نعلم ان امكانيات السودان الزراعية الهائلة قادرة ان تجعل منه بمثابة «معدة» العالم او سلة الخبز العالمية وليس فقط لتأمين الغذاء لمصر والمنطقة فلماذا نعجز عن استغلال خيرات السودان في انقاذ الشعب السوداني وجاره شعب اثيوبيا من الجوع؟ اليس في مقدور حكومة الولايات املتحدة الامريكية ان تجند امكانياتها وتشحد مواردها البشرية وتزود السودان بعملية نقل جوي تحمل معها لذلك البلد اليد العاملة والاخصائيين والاجهزة ووسائل النقل مما ينقذ الموقف ويعيد الحياة؟

□□ وأجاب الرئيس رونالد ريجان على سؤالي قائلا:

ـ انت تعلم ان السودان وجيرانه من الدول الافريقية يئن في العام الحالي تحت وطأة أسوأ قحط عرفته تلك البلاد منذ قرن من الزمن، وان انحباس المطر قد ادى الى عجز ضخم في محصول الحبوب مع هجرة ملايين من الافواه الجائعة والبطون الخاوية. وقد استجابت الحكومة الامريكية الى هذه الكارثة بشحن اكثر من مليون طن من الاطعمة. وهذه المساعدات تنطوي في حد ذاتها على مجهودات ضخمة للتغلب على الابعاد والمسافات الشاسعة ومشاكل النقل المعروفة. والذي اعرفه شخصيا ان شخصا واحدا من بين ستة سودانيين يعول على مساعدات الاطعمة التي ترسلها امريكا للسودان. وقد تحمل السودان عبئا اضافيا بفتح ابوابه لاستقبال مئات الالوف من ضحايا القحط الذين فروا من وجه المجاعة والحرب في البلدان المجاورة.

واستمر الرئيس ريجان يقول لي في موضوع السودان:

ـ لقد استجابت الولايات المتحدة بسخاء للنداءات المتعددة التي صدرت عن حكومة السودان، وعن الامم المتحدة تناشدنا مساعدة هؤلاء اللاجئين الذين اربى عددهم الان على المليون شخص. وعلى الرغم من الاضرار الفادحة الناجمة عن هذا القحط فاننا نعترف دوما بوجود الامكانيات الزراعية المفيدة على المدى البعيد في اراضي السودان. وان مساعدتنا

للسودان في مجال التطوير والتنمية تؤكد اهتمامنا بتطوير التكنولوجيا الحديثة وتحسين المؤسسات المختصة لكي تستطيع ان تستخدم على وجه افضل تلك الاراضي القابلة للزراعة التي تعاني حاليا من الاهمال، إننا بالتعاون مع غيرنا من المتبرعين والمساهمين والمؤسسات الدولية قد اخذنا نولي اهتمامنا الخاص لمشكلة انقاذ الزراعة السودانية من افات القحط. . وهذا يتطلب بالطبع مجهودات عظيمة من جانب السودان ونحن ـ دوما ـ على اتم الاستعداد لتقديم المساعدات المطلوبة منا على الوجه الاكمل.

●● وقلت للرئيس رونالد ريجان ونحن ننتقل الى موضوع دولي آخر:

ـ سيدي الرئيس: الا تشعر بالقلق. اعني ـ الا تخشى مثلا ـ ان يستعيد السوفيت مكانتهم ونفوذهم في دنيا الشرق الاوسط لزعزعة المكانة التي تتمتع بها الدول الغربية في الوقت الحاضر إذا ما استمرت مشكلات المنطقة بلا حل؟

□□ وأجابني الرئيس رونالد ريجان:

ـ انني اعتقد ان نفوذ الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط يجب ان يكون في مستوى استعداد السوفيت للقيام بدور ايجابي وفعال في حل مشكلات المنطقة ولكن السوفيت ـ والكلام للرئيس ريجان ـ لم يفعلوا شيئا من الايجابية المطلوبة فقد بقيت سياستهم معدومة العنصر والبناء وخالية من الايجابية، وهي حقيقة لم تخف على زعماء المنطقة.

●● وسألت الرئيس الامريكي قائلا:

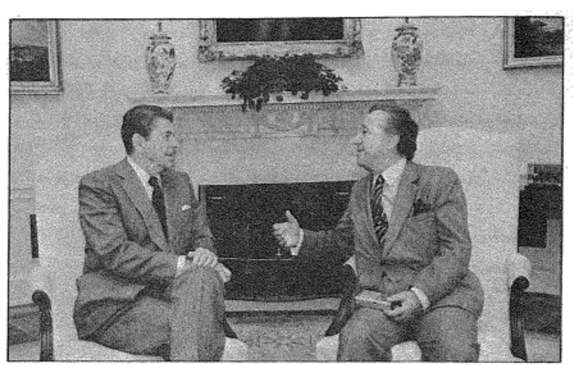
ـ نحن يا سيدي نعلم ان القرب الجغرافي لدول امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية له اهميته الخاصة بالنسبة للولايات المتحدة. ترى الا تولون اهتماما مماثلا متساويا لدول البحر الابيض المتوسط من امثال تركيا واليونان، وقبرص، . . مثلا؟

□□ أجاب الرئيس الامريكي يقول لي:

ـ نحن نرى ان في دول العالم الغربي وفي حوض البحر الابيض المتوسط مناطق حساسة وخطيرة بالنسبة لسلامة وامن الولايات المتحدة الامريكية. . وان تركيا واليونان شريكانٌ مهمان في منظمة حلف الاطلنطي ـ الناتو ـ ولكل منهما اهميتها الخاصة في الحفاظ على الاستقرار في تلك المنطقة الاستراتيجية من العالم. وكما تعلم فإن للولايات المتحدة ـ كذلك ـ علاقات ودية مع حكومة قبرص.

●● وسألت الرئيس ريجان قائلا:

□□ لا نعرف بالضبط ما هو موقف ادارة الرئيس ريجان من العلاقة الاتحادية الجديدة بين المغرب وليبيا؟ ولماذا احجمت امريكا عن ابداء رأيها في هذا الموضوع كما اعتادت في مواضيع اخرى كثيرة؟



الرئيس الامريكي رونالد ريغان يتحدث الى المؤلف

□□ وأجابني ريجان قائلا:

ـ لقد دخلنا مع المغرب في مناقشات جادة وشاملة بشأن الاثار المترتبة على علاقة امريكا بالمغرب بعد مولد اتفاقية الاتحاد بين المغرب وليبيا. وان المغرب إذ يدرك جيدا معارضتنا لاتفاقيته الاتحادية مع ليبيا. إننا ـ على كل حال ـ مستمرون في مراقبة الموقف..

وبعد لحظة صمت، استمر الرئيس ريجان في شرح موقف السياسة الامريكية من المغرب ومن ليبيا فقال لي وبالحرف الواحد:

ـ ان نظرة الولايات المتحدة في علاقتها مع المغرب تتسم بالتقدير التام، ونحن نأمل ان تبقى علاقتنا قوية مع المغرب شعبا وملكا. وقد اعلن الملك الحسن مرارا وتكرارا الاسباب التي دعته الى ابرام الاتحاد مع ليبيا. ونحن لا نخفي حقيقة موقفنا فهو موقف معروف للجميع. وليس في نيتنا ان نبدل من موقف امريكا الحالي تجاه ليبيا.

قلت له مقاطعا: لكن؟.. اسمح لي يا سيدي..

ولعل الرئيس الامريكي لم يسمع مقاطعتي، او انه تجاهلها حيث راح يكرر على مسمعي مفهومه للعلاقات الحالية بين امريكا وليبيا، قائلا لي:

ـ ان علاقتنا مع ليبيا محصورة في اضيق الحدود. وفي واقع الامر فليس للولايات المتحدة الامريكية اي تمثيل رسمي في ليبيا ولكن يكون لنا فيها او عندها اي تمثيل ما لم تبادر ليبيا الى تغيير سياستها...!!

قلت مرة اخرى:

ـ ولكن سيدي الرئيس . . ؟
ومرة اخرى تجاهل الرئيس عبارتي حيث سمعته يسألني في لهجة هادئة :
ـ هل لديك اسئلة اخرى؟
قلت ضاحكا: ما زلنا يا سيدي في أول الطريق وأمامنا أسئلة كثيرة قادمة . .
وضحك الرئيس للمرة الأولى فقلت له :
ـ ما هو الحل الذي ترونه لحرب الصحراء المشتعلة بين المغرب والبوليساريو؟
وأجابني الرئيس ريجان :
ـ ان الولايات المتحدة الامريكية تؤيد الجهود الرامية للوصول الى مفاوضات سلمية تتبعها تسوية تقوم على اساس إعلان وقف اطلاق النار ومن ثم اجراء استفتاء عام . وإننا نعتقد ان الحل السياسي هو السبيل الوحيد القادر على انهاء النزاع .
●● سألته: اليس في وسع ادارة الرئيس ريجان ان تحاول تجزئة مشاكل الشرقين: «الادنى والأوسط»، وتعمل على ايجاد الحلول العادلة المطلوبة لكل مشكلة على حدة بدلا من التيه وسط زحمة عشرات من المشاكل المتفرقة؟
وسألني ريجان: ماذا تعني؟
●● قلت: لماذا لا تنظرون الى دول هذا البحر الممتد من الاطلسي الى الخليج ومن حلب الى حدود اثيوبيا على اساس واقعه الجيوبوليتكي القائم والذي ينقسم الى اربعة اقسام هي : دول شمالي افريقيا ثم مصر والسودان ثم الجزيرة العربية ودول التعاون الخليجي ثم الهلال الخصيب الذي يضم العراق والاردن وسوريا وفلسطين واسرائيل ان التسليم بالمنطق الجيوبوليتكي قادر على تسهيل الامور وتبسيطها بدلا من الوقوف عاجزين امام مشكلة كبرى واحدة ان اربع قضايا صغيرة اقرب الى الحل من قضية واحدة مستعصية وكبيرة اليس كذلك اليس هذا ممكنا؟
وابتسم الرئيس الامريكي رونالد ريجان وقال ضاحكا:
ليس عندي اي جواب سهل على هذا السؤال، ثم قال:
□□ نحن ننظر الى الشرق الاوسط كمنطقة ضخمة كثيرة التنوع ولكن مع الكثير ايضا من التجانس ونحن اذ نتعامل مع الشرق الاوسط كمنطقة واحدة الا اننا نأخذ بعين الاعتبار الحقيقة التي تقول ان لكل بلد هناك مصالحه وقضاياه الخاصة به وهناك قطعا بعض الشواهد على التفاعل الموجود بين الاحداث المختلفة والقضايا المتفرقة في المنطقة ولكن هذه الشواهد ليست موجودة دائما ولا نراها في جميع الحالات. ومن هنا فان معالجتنا لقضايا المنطقة تعتمد اعتمادا كليا على نوعية القضية اولا ومن ثم فنحن نبادر بعدها لكي نقرر اسلوب معالجتها سواء على الصعيد الثنائي او من خلال التعاون مع اطراف ودول اخرى. . . »

●● وللمرة الثالثة سمعت نفسي اقول للرئيس الامريكي: ولكن يا سيدي الرئيس ان العهود الامريكية السابقة من ايزنهاور الى جيمي كارتر مرورا بكنيدي ونيكسون وفورد كانت تحاول دائما وتقترب دائما من الوصول الى الحل المطلوب لمعضلة الشرق الاوسط والان وقد تربعتم على كرسي الرئاسة للفترة الثانية وبكل اطمئنان وثقة فلماذا لا تحاولون حشد الاطراف المتصارعة في منتجعكم المسمى سنتا باربارة وتصلون معهم الى الحل العادل والشامل طالما وقد سبقكم الى ذلك سلفكم جيمي كارتر في منتجع كامب ديفيد واعطى مصر واسرائيل صلحا منفردا يحمل هذا الاسم.

●● ومن جديد عادت الابتسامة تملأ وجه الرئيس الامريكي وهو يجيب على سؤالي قائلا:

●● اسمع.. اسمعني جيدا ان المطلوب الحقيقي هو ان يبدأ موكب المفاوضات في مسيرته وهذا هو الاساس أما اختيار مكان المفاوضات فليس بمشكلة..!»

□□ سألته مقاطعا من جديد ولكن يا سيدي الرئيس؟

●● وسمعني الرئيس جيدا فسألني على الفور ولكن ماذا ماذا؟

●● قلت: لقد رأيناك في الشهور الماضية القليلة وبالاسلوب الدبلوماسي الشيق وضد كل الصعاب والعراقيل تنجح في حمل السوفيت على المجيء الى مائدة المفاوضات في مدينة جنيف بسويسرا وأنا بصراحة يا سيدي الرئيس ارفض ان اصدق بانك عاجز عن ان تفعل هذا الشيء مع اطراف النزاع في الشرق الاوسط فلماذا وهل في الامر سر يا سيدي الرئيس؟ بين مفاوضات السلاح في جنيف ومفاوضات السلام في الشرق الاوسط.

●● واجابني رونالد ريجان: تعجبني مقارنتك بين مفاوضات السلاح وغيرها من انواع المفاوضات وانا اقول لك بانني وبكل اخلاص اتمنى على جميع فرقاء النزاع في الشرق الاوسط الجلوس معا على مائدة واحدة والتفاوض معا للوصول الى الحل. واني مؤمن باننا نسير حاليا في الاتجاه الصحيح ولعل الطف ما في مقارنتك التي اعجبت بها شخصيا اننا قد اتفقنا مع السوفيت على ان تجري مفاوضات السلاح بيننا وبينهم وجهاً لوجه وبصورة مباشرة هل تفهمني نحن نعرف اننا لسنا على اتفاق في مواقفنا واننا لسنا واثقين من الوصول الى نتائج مثمرة لاننا نجهل نتيجة هذه المفاوضات بين امريكا والسوفيت ولكننا رغم ذلك مقتنعين بالفوائد المترتبة على ان نحاول الوصول الى اتفاق مشترك من خلال الحوار المباشر بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان ما يحتاج اليه الشرق الاوسط لينحصر في ان يدرك اطراف النزاع ان عليهم اتخاذ القرار بانفسهم ولانفسهم في الاعراب عن رغبتهم الحرة بالسعي للوصول الى السلام العادل والدائم عن طريق المفاوضات المباشرة...»

●● وسألت الرئيس الامريكي على الفور ولماذا تعارضون في اشراك الاتحاد السوفياتي للمساهمة في مؤتمر دولي حول الشرق الاوسط اي حول القضية الفلسطينية طالما وقد اقترح

مثل هذا الشيء عدد من المسؤولين العرب والفلسطينيين وحتى الاتحاد السوفياتي نفسه؟ لماذا يا سيدي الرئيس يبقى مثل هذا الفيتو الامريكي قائما حول الدور السوفيتي المطلوب من العرب ومن السوفيت؟

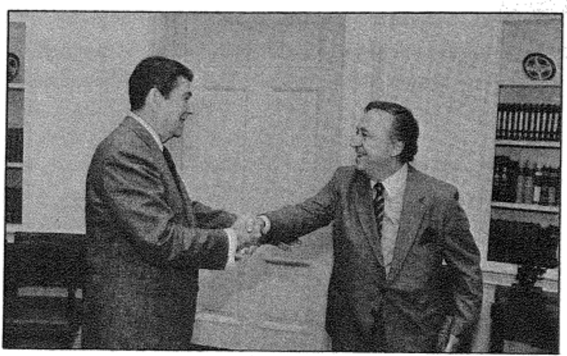
□□ وأجابني الرئيس رونالد ريجان وهو يرفع يده لكي يعد على اصابعه: في الواقع ان سؤالك يحتوي على سؤالين اثنين او لعله شطرين ويحتاج الى جوابين اجيبك اولا لماذا تشعر الولايات المتحدة ان اي مؤتمر دولي لن يسهم في الوصول الى تسوية سلمية.. اننا على ضوء خبرتنا العملية نعتقد بان النتيجة الوحيدة لعقد مؤتمر دولي حول الشرق الاوسط ستكون في تحويل هذا المؤتمر الى تياترو سياسي والذي يعجز عن المساعدة في تحضيره الحلول واننا نقول بان المفاوضات المباشرة قادرة وحدها على ان تحقق النتائج الحقيقية «اننا نفهم تماما حاجة الاردن ـ المملكة الاردنية الهاشمية ـ الى اطار دولي مساعد للبدء في عملية المفاوضات المباشرة وسنمضي في مباحثاتنا الجارية مع الاردن ومع اسرائيل حول الموضوع لكي نتحقق من كيفية تأمين او تدبير مثل هذا الاطار على الوجه الاحسن والاكمل.»

ثم رفع الرئيس الامريكي اصابع يده مرة اخرى وقال لي مستطردا:

□□ اما الشطر الثاني فيتعلق بمدى صحة الارادة السوفياتية في المساهمة بصدق للوصول الى حلول لقضايا الشرق الاوسط فقد سبق لنا والمحنا في مناسبات عديدة سابقة الى اننا نرحب باية معالجة بناءة وايجابية يقوم بها السوفيت تجاه قضايا المنطقة كما اننا قمنا بشرح مفهومنا الامريكي للخطوات او المعالجات التي نعتقد بانها تدخل في الاطار الايجابي وتساعد على الوصول الى السلام. ولكن وحتى هذا اليوم بقي الموقف السوفياتي من قضايا المنطقة خاليا من اي تعاون يهدف للسلام وبقيت سياستهم بعيدة عن المساعدة ولسنا نرى امامنا اي مؤشر يجعلنا نعتقد بان السوفيت سيغيرون من موقفهم هذا...»

●● وسألت الرئيس ريجان الا تعتقد «مستر بريزيدانت» ان القيادة السوفياتية الجديدة في موسكو ستكون اكثر قدوما واكثر انفتاحا للتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية في قضايا الامن الدولي والسلام العالمي وخاصة في افريقيا ومنطقة الشرق الاوسط؟

وأجاب الرئيس: وهو يهز برأسه علامة الرفض او علامة الرضا لم ادر هذا سؤال اترك الاجابة عليه للمستر كوربا تشيف اما فيما يخصنا نحن فاننا نعتقد بان على بلدينا معا امريكا والاتحاد السوفياتي ـ المساهمة في حل قضايا المناطق الملتهبة في العالم على اسس سليمة وبالاسلوب الهادىء السليم بدلا من العمل على صب الزيت فوق النار وجعل تلك المناطق اكثر تفجرا وخطرا.. ونحن نؤمن كذلك بان علينا ان نحاول دوما ان نتجنب الوصول الى حالة المواجهة العسكرية بسبب الخلاف حول هذه المناطق ولاجل هذا كله جاء اقتراحي الاخير بضرورة عقد مشاورات ثنائية بين الخبراء السوفيت والخبراء الامريكيين للبحث في



قال لي رونالد ريغان رئيس الولايات المتحدة: «أنا اعدك بأن اسعى للسلام»

بعض القضايا المناطق المذكورة انني امل ان تتمكن مثل هذه اللقاءات المقترحة بين الخبراء في الدولتين وفي البلدين من أن تمنع اي سوء فهم بيننا قد يؤدي الى مواجهة عسكرية وقد تبادلنا النقاش خلال اجتماعات اخيرة حول قضية جنوب افريقيا وحول قضايا الشرق الاوسط وكان نقاشا مفيدا بدون شك ولكن هذا كله لم يتمكن من ان يكشف امامنا عن اي استعداد سوفيتي في العمل معنا من اجل تنشيط وتشجيع الحلول السلمية في العالم بدلا من عرقلتها او تعويقها.

●● وعدت احمل الرئيس الامريكي معي الى مشاكل المنطقة فسألته كيف تتصورون نهاية الحرب العراقية الايرانية؟

●● ثم اكملت سؤالي وقلت ترى هل يحق لنا ان نعتقد بان هذه الحروب الصغيرة التي تجري ضمن حدود محدودة في مناطق مختلفة من هذا العالم انما هي ضرورة اقتصادية هدفها ان تساعد الاقتصاد الغربي على الانتعاش كما تعلمنا قديما في بعض الجامعات الامريكية في بلادنا؟

ـ وشعرت بأن الرئيس الامريكي لم يسترح لسؤالي وبالفعل سمعت الرئيس ريجان يقول لي على الفور وهو يخفي يأسه بابتسامة:

●● انا اقول بأنّ اي كلام للجدل يقول بان الحروب الأقليمية تخدم بصورة او باخرى مصالح الاقتصاد الغربي انما هو كلام «ماركسي» خال من المنطق ولا وجود له مطلقا في اي من ادوار السياسة الامريكية...»

ثم اضاف: اننا نملك مصلحة انسانية في ان ينتهي سفك الدماء باسرع وقت ممكن وكذلك فان سلامة وامن الولايات المتحدة الامريكية ومصالحها الاقتصادية ومصالح حلفائنا الغربيين ومصالح اصدقائنا في المنطقة كلها تستوجب وضع حد سريع لهذه الحرب لكي تتمكن بعدها الدولتان المستقلتان من الاستمرار في بناء تقدمها القومي ونشاطاتها الانشائية.»

●● وقلت للرئيس رونالد ريجان محاولا ان ارسم الصورة السوداء امامه: الا تعتقد ان استمرار الضطرابات والصراعات في الشرق الاوسط تؤثر مباشرة على سلامة الباب الخلفي لحلف الطلنطي؟

وأجابني رونالد ريجان على الفور: نعم وبكل تأكيد وهذا الموضوع يستحق الاهتمام الشديد لان العالم لا يقدر ان يتجاهل النتائج الخطيرة المترتبة على انعدام الاستقرار في اي جزء من اجزاء من الكرة وان علينا ان نتكاتف جميعا في مجهود مستمر ومخلص لكي نحقق الحلول المطلوبة للمشاكل الاقليمية.»

●● وسألت رئيس الولايات المتحدة الامريكية: هل انت يا سيدي راض عن الوضع في منطقة الخليج وتهديدها من اي عدوان خارجي؟

وأجابني رونالد ريجان قائلا لا! وانا لست راضيا عن الوضع الحالي في منطقة الخليج ما دامت حرب ايران والعراق مستمرة وما دامت ايران ترفض ان تستأنف القيام بدورها المسؤول كعضو حضاري في العائلة الدولية فان استقرار منطقة الخليج وسلامتها ستبقى مهددة وفي خطر محدق! ويجب ان يكون مفهوما للجميع ان للولايات المتحدة مصالح حيوية في تأمين وضمان حرية الملاحة في مياه الخليج وفي استتباب الاوضاع العامة في ذلك الجزء من العالم وقد سبق لنا وعملنا متعاونين مع اصدقائنا في المنطقة من اجل تأييدنا لحاجاتهم الدفاعية الشرعية وتشجيعنا لجهودهم المشتركة في ضمان سلامتهم وامنهم ونحن على اتفاق مبدئي مع دول الخليج بان الوسيلة الوحيدة لانهاء الحرب العراقية الايرانية هي المفاوضات السلمية ولذا فقد ايدنا وباستمرار جهود تلك الدول في الخليج سواء داخل الامم المتحدة ام في خارجها من اجل ايصالها الى النجاح المطلوب وتحقيق المسعى الذي ذهبت اليه كما اننا ايدنا موقف الكويت وسياستها في عدم الاستسلام امام الارهاب وان الوسيلة الوحيدة لاستئصال هذا الارهاب تكون في رفض الاستجابة المطالب الارهابية وعدم الاذعان للاستفزاز الارهابي ثم العمل التعاوني مع بقية الدول المعنية في العائلة الدولية من اجل العثور على الوسائل الكفيلة بالقضاء على وباء الارهاب والخلاص منه الى الابد.»

●● ثم سألت الرئيس الامريكي عن قضية افغانستان. قلت له وهل يمكن لك ان تتنبأ بأي حل قادم للحالة المتأزمة في افغانستان؟

وأجابني الرئيس ريجان: حسنا. ان حرب افغانستان هي نتيجة وجود مائة وخمسة عشر الف جندي سوفياتي في تلك البلاد بقصد ارهاب واخضاع وقهر الشعب الافغاني وهناك كما اعتقد يوجد حل واحد فقط لهذه الحرب يتلخص في عبارة واحدة هي الانسحاب الكامل للجيش السوفياتي من افغانستان ولكي يتحقق ذلك فان الوصول الى تسوية سياسية تعقب مفاوضات مباشرة هي الركن الاساسي في موقف بلادنا وفي سياستها وفي هدفها ثم استطرد الرئيس الامريكي يقول:

ـ وسيبقى الجيش السوفيتي في حالته الحاضرة في افغانستان عاجزا عن ان يهزم المقاومة الافغانية هناك رغم ان هذه المقاومة ستبقى عاجزة عن ان تطرد الجيش السوفياتي من بلادها من هنا فان اول ما نحتاج اليه هو الانتقال من ميدان القتال الى مائدة المفاوضات ونحن نؤيد ذلك كما اننا نؤيد موقف حكومة باكستان في صمودها الرائع القوي امام الاستفزازات القادمة عبر الحدود.

واكمل رونالد ريجان كلامه عن افغانستان فقال ويشجعنا في هذا المضمار ان نسمع بان الامم المتحدة قد اعلنت عن محاولة اخرى للقيام بمحادثات مباشرة او عن كثب حول قضية افغانستان في اواخر شهر يونيو وفي مدينة جنيف بسويسرا واننا نأمل في ان تحقق تلك المفاوضات تقدما ملحوظا يؤدي للوصول الى تسوية رغم ايماننا بان الزيادة الملحوظة التي طرأت على نوعية وعدد القوات السوفياتية الموجودة في افغانستان لا تدعو الى التفاؤل وقد اكدنا للسوفيت خلال اتصالات مؤخرة جرت بيننا وبينهم تأييدنا لفكرة الوصول الى تسوية سياسية وقلنا لهم ذلك في لقاءاتنا التي تمت معهم على مختلف المستويات وسنمضي في التمسك بهذه الفكرة وسنستمر في ترديدها على مسامع السوفيت في لقائنا معهم في المستقبل.

ـ وسكت رونالد ريجان بعد حديثه عن افغانستان ولكن موضوع الشرق الاوسط وقضيته ومشاهد الصراع الدامي فيه بقيت كلها تشدني وتدق مسمعي فاذا بي أسأله: سيدي الرئيس هل تقدر ان تنسى ولو لحظة واحدة انك زعيم العالم الحر ورئيس الولايات المتحدة الامريكية وتحدثني بصراحة الانسان الطيب العادي كيف وماذا ومتى واين ستجد الحل المطلوب لقضية الشرق الاوسط؟

●● ـ قال لي الرئيس ضاحكا: اسمعني جيدا انا لا استطيع بحكم الدستور الامريكي ان انسى او ان اتناسى منصبي او وظيفتي او لقبي كرئيس للولايات المتحدة الامريكية ورغم ذلك فاني اعتقد بكل صراحة وقوة بان «الموقف» الذي سبق وشرحته في اول شهر سبتمبر من عام ١٩٨٢ يمثل اكثر المشاريع والاقتراحات حيوية امام اتخاذ الخطوة القادمة في طريق حل الصراع العربي الاسرائيلي وعليك ان تفهم وعلى من يهمه الامر ان يفهم بانني قد كشفت للجميع عن المواقف التي ستبادر الولايات المتحدة الى تأييدها خلال عملية المفاوضات القادمة ونحن لا

نطالب اي طرف من الاطراف ان يسهم معنا في تأييده لمقترحاتنا سلفا بل لعلنا نتوقع من غيرنا من اطراف النزاع التقدم بتفاصيل مقترحاته وارائه الى مائدة المفاوضات ان اختلاف الآراء صفة تلازم المفاوضات بل لعل المفاوضات تصبح ضرورة فقط عندما تتضارب الآراء بين المتفاوضين ويبدأ العمل من اجل الوصول الى الحلول الوسط والتسوية المطلوبة اقول لك ان ما يهمني الان هو ان ارى الاستعداد لبدء المفاوضات قد دخل مرحلته الجدية وان ارى هذه المفاوضات وقد بدأت وان ارى الاطراف المتنازعة وقد اجتمعت في شكل مباشر وجها لوجه لكي تحل مشاكلها باسلوب سلمي في جو هادىء سليم . . »

● وانتهى حديث الرئيس . ! وشكرته على ما سمعته منه من كلام وما اخذته منه من وقت وما لمسته عنده من مجاملة وتكريم . قلت له ان قدرته المنتظرة للوصول الى الحل العادل والشامل لقضية الشرق الاوسط ستفتح له ابواب التاريخ . ثم انهيت كلامي معه وانا اودعه :

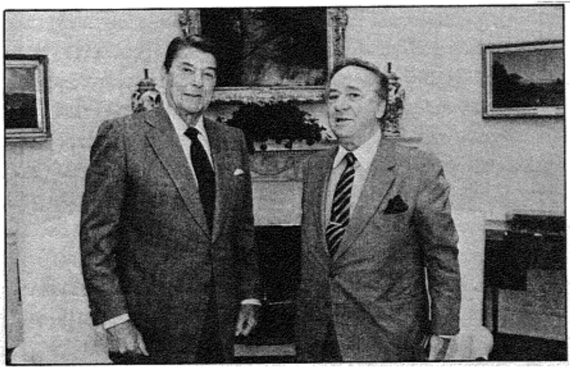
● وما نحن يا سيدي الرئيس سوى مجموعة مسافرين عابرين ترانزيت في حياة محدودة لن يبقى بعدها سوى حكم التاريخ وشهادة المؤرخين . فليوفقك الله .

وأجابني رئيس الولايات المتحدة ابن الرابعة والسبعين من العمر :

ـ انا اعدك بانني سأمضي في محاولاتي وفي مسعاي من أجل السلام . وانا اشكر لك مجيئك للتحدث معي . وقد أسعدني زيارتك فليوفقك الله . »

وانتهى اللقاء . . !

★★★



صورة تذكارية بعد انتهاء المقابلة بين الرئيس ريغان وناصر الدين النشاشيبي

باريس - ٤/١٠/١٩٧٣

الثعلب الأسود إسمه: "موبوتو"!



باريس - ١٩٧٣/١٠/٤

الثعلب الأسود إسمه: «موبوتو»!

في الرابع من اكتوبر من عام ١٩٧٣ وقف على منبر الجمعية العامة للامم المتحدة المسيو «موبوتو سيسي سيكو» واعلن باسم بلاده - زائير - التي يرأسها انه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل.

وكان ذلك قبل نشوب حرب رمضان بايام قليلة.

وفي يوم ١٥ مايو من عام ١٩٨٢، اعلن رئيس زائير المسيو «موبوتو سيسي سيكو» اعادة العلاقات الدبلوماسية بين بلاده واسرائيل!

وكان ذلك قبل غزو اسرائيل للبنان بثلاثة اسابيع!

وفجأة كان قطع العلاقات! وفجأة اعادها الرئيس الثعلب..

وعندما قطعها، مشت وراءه دول افريقية اخرى لا يقل عددها عن عشر دول! وعندما اعادها قبل ثلاثة اعوام مشت وراءه ليبيريا.. وسوازيلاند.. وملاوي.. وساحل العاج! وغدا تلحق بهم غانا وكينيا وتوجو والجابون!

وفي بلد كنيجيريا - مثلا - يعيش اكثر من الفي اسرائيلي من «الخبراء» والجواسيس والتجار حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين نيجيريا واسرائيل اكثر من مائة وخمسين مليون دولار في العام الواحد. فاذا كان هذا هو الموقف بالنسبة لدولة يقال ان للمسلم فيها رأياً وحظوة ومالاً، ونفوذاً، فما بالك ببقية الدول الافريقية التي تتمتع فيها الولايات المتحدة - وبالتالي اسرائيل - بالكثير من النفوذ والهيمنة وفي مقدمتها دولة اسمها زائير؟!

وقد تكون هذه الـ «زائير» اهم دولة في قلب افريقيا!

وقد يكون رئيسها موبوتو اخطر سياسي في القارة السوداء!

فمساحتها لا تقل عن ربع مساحة الولايات المتحدة الاميركية كلها! وجيرانها أو جاراتها هم اهم دول افريقيا حيث السودان، واوغندا، ورواندا، وبورندي وتانزانيا، وشرقي زامبيا، وانجولا..! كما ان لها مخرجا على المحيط الاطلسي!

وثرواتها لا حصر لها حيث تتنوع الارض بخيراتها وتأتي المحاصيل خيرة وفيرة بالقهوة، والارز، والسكر، والموز، والمانجو، والشاي، والكاكاو، والبلح! اما الخيرات في بطن

الارض فأهمها «الكوبالت» ـ ويشكل اكثر من ستين في المائة من المخزون العالمي ـ والنحاس والذهب، والفضة، والصفيح، والزنك، والحديد، والمغنيسوم، والأورانيوم، والراديوم! كما انها تملك البترول، والمطاط، والعاج، واللؤلؤ!

يضاف الى ذلك كله، ان رئيسها الحالي، المسيو «موبوتو» وقد تولى الحكم في نوفمبر من عام ١٩٦٥، مازال شابا في السادسة والخمسين من العمر، ويتمتع بصحة جيدة، وبنية رياضية، ونظرته الى الحياة مليئة بالعطش، والثقة وحب الاستمرار، والمزيد من السلطة ومن المال ومن السعادة.. ومن الزوجات!

وتهمني ـ فوق هذا ـ زائير، مادام ان «١٥» في المائة من مجموع اهلها، يعتنقون الاسلام..!

وتهمني زائير، وقد كانت المصيدة التي قتلت المسيو «همرشولد» واغتالت «لومومبا» وشغلت الامم المتحدة وشهدت فوق ارضها مزيجا من مختلف جيوش مصر، والمغرب، ودول العالم نتيجة دسائس الاستعمار ومكر الكبار! كانت الكونجو ـ زائير ـ موضوع اكثر من خطبة من خطب «جمال عبد الناصر». وعندما قتلوا «باتريس لومومبا» في عام ١٩٦١، مشت المظاهرات في قلب القاهرة تهتف ـ ويا للعجب ـ الى «جنة الخلد يا لومومبا»!؟ وقد شهدت ذلك وسمعته بنفسي!

وتهمني زائير كدولة حرصت على ان تصبغ نفسها باللون الافريقي الاسود، فاذ برئيسها الجنرال جوزيف موبوتو يصبح اسمه موبوتو سيسي سيكو. واذ بالكونجو تصبح في عام ١٩٧١.. زائير.. واذ بالقانون الرسمي يطلب من جميع المواطنين المسيحيين بتبديل اسمائهم القديمة الى اسماء افريقية جديدة..!

واخيرا.. تهمني زائير ـ بلد الاربعين مليون افريقي ـ لأن قصتها مع افريقيا، وقصتها مع العرب، وقصتها مع اسرائيل، وقصتها مع سائر جيرانها، لم تنته بعد!

وعندما وصل الى باريس الرئيس الزئيري ـ موبوتو سيسي سيكو ـ لحضور مؤتمر الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية في الخريف الاخير من عام ١٩٨٥ كان لي معه اكثر من لقاء طويل واكثر من حوار ساخن.. ومثير!

قال لي وهو يجيب على بعض اسئلتي المتعلقة بالاعتراف الزائيري باسرائيل واعادة العلاقات الدبلوماسية معها:

ـ انت لا تحب بلدي! انت تكره زائير..!

فاجبته:

ـ ان الذين يكرهون زائير هم وحدهم الذين يفتحون ابوابها امام الغزو الاسرائيلي... وانا لست منهم!

قال: ولكن معلوماتك عن زائير ليست مضبوطة!

قلت: معلوماتي استقيتها من الاوساط الاميركية والافريقية والاوروبية التي تتغنى زائير بصداقتها، واذا كان الاصدقاء هم أعداءكم فلا ادري اين اجد الحقيقة ولا ادري اين اجد الاصدقاء؟

وبدأنا الحديث عندما سألت رئيس زائير ان يقارن امامي بين حالة الكونجو ـ زائير ـ في الستينات على ايام لومومبا، وتشومبي، والامم المتحدة، وبين زائير في الثمانينات.. فقال:

ـ اسمع يا صديقي. انه ليس من السهل ان يتحدث المرء عن نفسه ولكني ارجو ان تتمكن من زيارة زائير لكي توجه هذا السؤال الى شعب زائير بالذات وتطلب الاجابة عنه؛ وعندئذ ستدرك الفرق بين الامس واليوم. او بين «الكونجو» وبين زائير، وستعرف ان ليس هناك اي مجال للمقارنة بين الحالتين حيث تجد امامك اليوم دولة عصرية تتمتع بالاستقرار وأرأسها بنفسي.. ولها سمعة دولية حسنة، بينما كانت هذه الدولة عند ايامها الاولى في الاستقلال مسرحا للاضطرابات وللتقاتل وللعنف وللاعمال البدائية المكروهة! ان زائير اليوم بلد كبير وشعب كبير، يستحق الاعجاب والاحترام من جميع دول العالم. لا.. لا يا صديقي انا اكره ان اقارن بين الامس واليوم، واكره ان اتذكر ما شهدته بلادي في سنوات استقلالها الاولى..!

سألته: ولكني اكره ـ كذلك ـ ان احسب أن هذا الاستقرار الذي تتحدث ـ يا سيدي ـ عنه قد جاء نتيجة غياب الحرية وانعدام الحكم الديمقراطي من حياة بلدكم.. زائير!

وفجأة، بدأت لمعة الغضب ترسم نفسها فوق نظرات الرئيس «موبوتو» فسمعته يقول لي:

ـ ولكننا حقا بلد حر.. وبلد ديمقراطي! ولكن الحرية التي نتمتع بها في بلدنا تختلف عن نوع الحرية المعروفة في بلدان اوروبا وامريكا! والديمقراطية في زائير ليست كالديمقراطية في دول اوروبا الغربية او في اليابان او في بعض دول اسيا. ان حريتنا وديمقراطيتنا من نوع خاص..!

ثم استطرد بعد لحظة صمت يقول لي:

ـ سأضرب لك مثلا، اسمع يا صديقي؟ في الايام القليلة التي أعقبت استقلال بلدنا، حاولنا، بل اردنا ان نقلد غيرنا من «البيض» في العالم، وان نستورد، بل نقلد نوع الحكم الديمقراطي الموجود في اوروبا وامريكا. واذ بنا نجد امامنا ـ فجأة ـ اكثر من «٤٤» ـ اربعة واربعين ـ حزباً سياسياً.. أي احزاب تفوق في عددها احزاب فرنسا والمانيا وبريطانيا وامريكا وبلجيكا مجتمعة! وكانت النتيجة الطبيعية لمثل هذه الفوضى مجيء الدم وسفك الدم وحكم الدم ومقتل ما لا يقل عن نصف مليون مواطن من شعب الكونجو..!

ثم قال لي:

ـ واليوم، وبعد ان طبقنا في بلدنا نوع الديمقراطية الافريقية، ـ وهي ديمقراطية خالية من ان تجد فيها ـ مثلا ـ رئيسا للقبيلة، او زعيما للقرية وامامه يختبىء شخص يعارضه ويتآمر عليه! لا! هذه حالة لا وجود لها في بلدي! ويقول المثل الاوروبي «ان النور لا يظهر الا من تبادل الاراء». لذا، ففي بلدي يلتقي الجميع ويتحدثون ويتبادلون الاراء، ولكن، بدلا من المواجهة المحمومة بينهم او بدلا من الصراع الدموي بين افراد الشعب، اصبحنا نرى شعاع النور يلمع امامنا من خلال النقاش الهادىء وتبادل الرأي البناء!

سألته وكأني اوشك ان اقاطعه:

ـ وهل تسمى مثل هذا النوع من الحكم.. ديمقراطية؟!

وارتفعت نبرة موبوتو وقال لي:

ـ بالتأكيد هي كذلك! وسأعطيك مثالا اخر. اسمع. في جلسات مؤتمر حزبنا الحاكم في زائير يقتصر دوري كرئيس جمهورية على القاء الخطاب الافتتاحي ثم اعود بعده الى مقعدي واترك للمجتمعين حرية النقاش والبحث..! ارجوك يا صديقي.. ارجوك ان تأتي لزيارة زائير وسترى امامك وفودا يتراوح عددها بين الفين وثلاثة الاف مندوب.. وعندما تسمعهم يتكلمون تنسى انهم اعضاء في الحزب السياسي الحاكم لأن كل واحد منهم يتكلم على هواه، وبملء حريته، ودون رقابة من احد! ستسمع رأي اليساري واليميني والشيوعي والمعتدل والمتطرف وكل ذلك في جلسة واحدة! وسترى العامل العادي يقف لكي يعارض رئيس الوزراء! واذا احتدم النقاش أو ضاع النظام، يأتي من يطلب مني الحضور أو التدخل لانقاذ الموقف، وعندما يعود النظام الى حالته، اعود انا الى مكتبي واترك للمؤتمرين الوصول الى القرارات المطلوبة حيث اتسلمها بنفسي واتولى ـ بالتشاور والتعاون مع بقية رؤساء اللجان ـ نقلها الى الشعب في الداخل والى العالم الخارجي. هذه هي ديمقراطيتنا! هذه هي الحرية في بلدنا. كل واحد من افراد الشعب حر في ان يقول ما يشاء، بدون ضغوط، ولا رقابة، ولا خوف ولا اغراء..!

قلت وكأني امسك بيدي مخرزا حادا اداعب به جسد الرئيس الزئيري:

ـ ولكن هذا النوع من الديمقراطية الخاصة جعل البلاد ترزح تحت وطأة ديون مالية باهظة بسبب حرية التصرف التي ادت الى حرية انتشار الفساد.. وخاصة بين افراد الطبقات العليا!

وازدادت لمعة الغضب في عينيه احمرارا وقال:

ـ وما علاقة الديمقراطية.. بالدين العام؟

قلت على الفور:

ـ العلاقة واضحة في عدم الاشراف الصحيح على موارد الدولة بسبب الميوعة السياسية



الرئيس الزائيري موبوتو يستقبل ناصر الدين النشاشيبي

التي تسمونها عندكم: ديمقراطية!

فأجاب: هذا كلام مرفوض من اساسه! لقد اخذنا بعض القروض المالية من الخارج لأننا اردنا ان نطور بلدنا. ان مجموع الديون على بلدي لا تزيد عن «خمسة مليارات» دولار سددنا منها ملياراً فبقي علينا اربعة مليارات.. فقط؟!

قلت على الفور: اربعة مليارات.. فقط؟.. فقط؟

وادرك الغمزة فاجاب:

ـ وما الضرر في ذلك؟ لقد سددنا من خلال «نادي باريس» ثمانمائة مليون دولار، والباقي دفعناه بوسائل اخرى. ولم يبق اكثر من اربعة مليارات! هل هذا كثير؟؟

اسمع يا سيدي.. اسمع انك توجه لي اسئلة عجيبة لعل سببها ان هناك من زودك باخبار معادية عن زائير! لا بأس! اسمع.. وتأكد أن حكومة زائير تستخدم خبراء ماليين اجانب. بينهم خبير بلجيكي كبير وعالمي ـ وهؤلاء يشرحون لي وباستمرار، تفاصيل الحالة المالية في البلاد، ومدى ما تمثله الديون العامة بالنسبة للثروة الوطنية! هل تعرف؟؟ ان جميع ديوننا لا تمثل اكثر من «اثنين ونصف» في المائة بالنسبة لثروتنا القومية! هناك «٩٧ ونصف» في المائة من هذه الثروة مازالت سليمة وقوية ولم تمس! الا تشعر باني اكلمك الصدق واني لا ابالغ في حديثي معك؟!

سألته: ولكني اسألك لماذا تصر الدوائر المالية المسؤولة في نيويورك وفي لندن، وباريس، وبروكسل، ان تشكك في هذه الارقام وفي هذه الاقوال التي سمعتها منك وسبق لي وقرأتها في

بلاغات حكومية رسمية من بلدك، فلم اصدقها!

اجاب موبوتو ولم ينفد صبره بعد:

ـ انا لا اريد ان انتقد الصحافة او اهاجم الاعلام الغربي! لا! هذا لا يهمني. !

وقاطعته اقول:

ـ معلوماتي ليست مأخوذة من الصحف والاعلام.. وحدها.

قال وكأنه لم يسمع كلامي:

ـ اولا: اقول لك ـ بادىء ذي بدء ـ ان ديون زائير تكاد لضآلتها تكون مجرد صفر. انها ليست مشكلة. ولكني اعجب كثيرا عندما اسمعك تقول لي، إنك تستمد معلوماتك عن زائير من اوساط امريكية واوروبية واسيوية؟ هذا شيء عجيب! هل يريد الامريكيون اتهامنا بالفساد؟ حسنا.. سأرد على ذلك بمثال بسيط. لقد سبق ووقعنا مع شركات امريكية خاصة اتفاقيات لبناء سد مائي كبير في زائير من اجل نقل القوة الكهربائية من منطقة «اينجا» الى ولاية «شيبا» بقصد تشغيل المصانع المعدنية هناك. والمسافة تقارب الالفي كيلومتر. وفي يوم التوقيع على الاتفاق كان المبلغ المتفق عليه هو بالتحديد ستمائة مليون دولار. اكرر: ستمائة مليون دولار! ولكن.. وهؤلاء الامريكان جماعة لا نشك مطلقا في نزاهتم وطيبة اخلاقهم.. هؤلاء الناس عندما ينتهي العمل في بناء السد تكون التكاليف التي يطلبونها منا... من زائير.. قد زادت عن «مليارين» من الدولارات! اكرر: مليارى دولار بدلا من ستمائة مليون!

وتنهد «بوتو» قليلا قبل ان يقول لي وقلبه يلعن امريكا بالسر:

ـ سندفع المبلغ كاملا.. اي مليارى دولار.. ويمكنك ان تفهم الآن كيف تتم عملية «سلخ» دولة صغيرة افريقية كزائير. هل مازلت تقول لي ان هناك فساداً في زائير؟ من يقول ذلك؟ الفساد عندهم.. هم.. وكذلك الجشع والسرقة! هل تريد مني مثالا اخر. اسمع! عندما توليت السلطة اتفقت مع شركة ايطالية على بناء مصنع كبير للتكسير والحفر في مدينة «موبندا» عند فم نهر زائير! وعندما انتهى العمل في المصنع المذكور، كان المتفق عليه ان ندفع تكاليف لا تزيد عن ستة مليارات دولار واذ بنا نجد ان علينا ان ندفع ضعف هذا المبلغ.. اي «١٣ مليار» دولار! هذه امثلة حقيقية وصادقة تروي لك قصصنا مع هؤلاء الذين يتهموننا بالفساد! ترى من هو الفاسد بيننا.. نحن ام هم؟

وضاق صدري نتيجة الحديث عن الفساد والامور الاقتصادية المعقدة فسألت رئيس زائير:

ـ ان من يسمع «سعادتك» ـ وانت تهاجم الشركات الامريكية يتصور وكأن زائير قد تمردت على امريكا او تحررت من نفوذها وصداقتها ومن سيطرتها! اريد ان اسألك ـ يا

سيدي ـ ما هي بالضبط سياسة زائير. . واين هي من جاراتها؟ واين انتم من العالم؟!
واجابني موبوتو وهو يهز كتفيه:
ـ انا لا احشر نفسي في شؤون «جيراني». انا اقول دائما ان لكل واحد منا «الحق في ان يوضب فراشه على النحو الذي يريحه في النوم». لقد اختارت زائير ـ تحت رئاستي ـ نظام الاقتصاد الحر كما هو الحال في امريكا واليابان. وقد حازت هذه السياسة المنفتحة على العالم على تأييد دول كثيرة منها الولايات المتحدة واليابان وبلجيكا، وفرنسا، واسبانيا وغيرها. . وهذا بالضبط ما يشجع زائير على ان تمضي قدما في هذا الطريق! انا مع المنافسة الحرة المشروعة. وهذه السياسة قد اخترناها بملء حريتنا واعطت للبلاد نتائج طيبة لا حصر لها. انا اقول لك ما يلي: في هذه اللحظة التي اتحدث فيها اليك، لن احتاج مطلقا الى ان ابذل اي جهد لكي اقوم بالدعاية لبلدي امامك، لأن هناك من يقوم بهذه الدعاية نيابة عني في مختلف انحاء المعمورة، كالبنك الدولي، وصندوق النقد، والبنوك العالمية التي نتعامل معها! كلها اصبحت تثق بنا وتقوم بالدعاية لبلادنا نيابة عنا. . !
قلت اسأله:
ـ اذا كان هذا صحيحا على الصعيد الاقتصادي، الا ان الوضع السياسي في بلادكم قد لا يكون في المستوى نفسه بالنسبة لثقة العالم بكم وخاصة الدول المجاورة لكم!
وللمرة الثالثة، تلمع شرارة الغضب في نظرات «موبوتو» فيقول لي:
ـ نحن اعضاء في نظام الدول غير المنحازة رغم اني اعترف لك بأن الاوضاع الحالية في العالم قد أصبحت تستوجب اعادة النظر في تعريف ماهية الدولة غير المنحازة بل وفي تعريف معنى عدم الانحياز حيث ان الجميع. . جميع دول الارض قد اصبحت تزعم انها غير منحازة سواء كانت منحازة الى السوفيت ام الى الولايات المتحدة. . وسواء كانت هذه الدولة من الدول الرأسمالية ام كانت دولة ماركسية يسارية تسير في فلك موسكو. . .
قلت: ولكن يا سيدي الا تشعر زائير بأنها شبه معزولة. . وقاطعني على الفور لكي يقول لي:
ـ اسمع يا صديقي! انك سيء الحكم على زائير! انت تحسب ان زائير معزولة بينما الحقيقة تؤكد ان زائير ـ وحدها ـ هي التي «تختار اللحن» فيتبعها الاخرون! نحن لا نتجاهل غيرنا من الدول المجاورة، وهذه الدول لا تقدر ان تتجاهلنا! ولذا فليست هناك عزلة بيننا وبين غيرنا! ابدا! مطلقا! هل تعرف لماذا لن يكون هناك عزلة لنا، او لغيرنا؟ لأننا نتمتع بموقع جغرافي خاص وممتاز. . ! ولأن موقعنا على الخريطة فريد وشاسع! ولأننا اصحاب وزن في الامم المتحدة، وفي منظمة الوحدة الافريقية، وفي مؤتمرات عدم الانحياز! هل نسيت ان زائير تشغل منصب نائب الرئيس العام لمكتب مؤتمر عدم الانحياز؟ اسمع مني يا صديقي. .

صدقني ان زائير ليست معزولة ولن تكون . . !

قلت: انا اسألك بكل صراحة: هل تعتقد ان عضوية زائير في منظمة الوحدة الافريقية، هي موضع ارتياح وتقدير من بقية اعضاء المنظمة؟؟

واجاب: زائير هي دولة مؤسسة في منظمة الوحدة الافريقية منذ عام ١٩٦٣، ولا تنتظر شهادة من احد!

سألته على الفور: والان . ؟ كيف حالكم مع هذه المنظمة في الوقت الحاضر؟

قال: لقد جمدنا مشاركتنا في المنظمة منذ عامين بسبب قبول «البوليساريو» عضوا - وبمساعدة الجزائر - في منظمة الوحدة الافريقية! ان البوليساريو ليست دولة . . وليست حتى - امة او شعب! . وليس من حقها ان تزعم أنها دولة مستقلة مادامت لا تزيد عن كونها حركة مقاومة . . عادية!

قلت للرئيس الزائيري، وفي نيتي ان اصل به ومعه الى المواجهة الساخنة:

- اغفر لي صراحتي يا سعادة الرئيس ولكني لا اخفي عليك مبلغ دهشتي من وفرة هذا «التذبذب» العجيب في سياسة بلدكم تجاه العرب وتجاه العالم العربي! فقد ساعدكم «المغرب» ثم انقلبتم عليه! وساعدكم جمال عبد الناصر، فتحالفتم مع اسرائيل. لقد كنتم اول دولة تقطع علاقتها مع اسرائيل بعد حرب ٧٣ ثم اذ بكم اول دولة تعيد علاقتها مع اسرائيل منذ ثلاثة اعوام! كيف يا سيدي تفسر لي هذا التراقص العجيب في سياسة بلدكم؟!

وراح موبوتو يتمتم ببضعة كلمات ليتحدث بها الى نفسه وكأنها لعنات يصبها - بلغته - فوق رأسي قبل ان يقول لي:

- انا اقدر ان اتحسس مدى الضيق الذي يفترسك وانت توجه لي هذا السؤال! انك متضايق وقد تكون في ضياع فكري تام مع شيء من العداء لي او لبلدي؟ لا بأس! انك نسيت ان زائير بلد مستقل وصاحب سيادة وتمارس سياستها بحرية تامة! واذا كانت الولايات المتحدة - مثلا - تمنحنا بعض القروض المالية. فان ذلك لا يعني - بالضرورة - ان ليس في وسعنا ان نتخذ سياسة لا تتفق مع سياسة امريكا! ان موافقتنا على ان نقبل المعونات المالية لا تعني التبعية للدول التي تعطينا تلك المعونات! وليست هناك معونة في الارض مهما بلغت قيمتها - قادرة ان تمنع زائير من ممارسة حقها كدولة مستقلة ذات سيادة! ان العالم لا يساعد زائير لكي يستعمر زائير او يسلبها حريتها او يضمها الى خط سيره. هذه نقطة مهمة اريد منك ان تستوعبها جيدا طيلة استمرار هذا الحديث بينك وبيني. ان سياستي تقوم على الحفاظ الدائم المستمر على حرية بلدي واستقلاله وسيادته!

وسكت موبوتو قليلا قبل ان يرفع نبرة صوته قائلا لي:

- لقد سمعتك تتحدث عن العرب، وموقفهم من زائير وموقف زائير من العرب. ان

سياستي خالية من اي حقد على العرب او عداء لدولهم! ولكني اريدك ان توافقني الان لكي نتحدث قليلا عن موقف العرب. . تجاه الدول الافريقية؟ هذا الموضوع اقدر من غيره على كشف الحقائق! ان ما سمعته منك قد يكون صحيحا. ولكن ما سأقوله لك الان يبقى صحيحا مائة في المائة! ان الدول العربية المنتجة للبترول. . . اين توظف اموالها؟؟ انها توظفها في البنوك الامريكية والاوروبية التي يملكها او يسيطر عليها اليهود! هذه حقيقة ثابتة. . وانت لاشك تعرفها ولا تنكرها!!

ثم رأيت موبوتو يصوب نظراته المليئة بالشك والريبة نحوي قبل ان يقول وبالحرف الواحد:

ـ هذه اول نقطة يهمني ان اضعها امامك! اما النقطة الثانية فان جميع الدول العربية ـ وبدون استثناء ـ لها علاقات دبلوماسية متينة وقوية مع الولايات المتحدة الامريكية! ودعني اسألك: من يساعد اسرائيل؟ ومن يمد اسرائيل بالقروض والمعونات والسلاح والتأييد المعنوي الدائم؟ من؟ اليست هي الولايات المتحدة الامريكية؟؟ انت تعرف ذلك! فلماذا نلعب على انفسنا. . ولماذا نلوم زائير اذا أعادت علاقتها الدبلوماسية مع اسرائيل؟ لماذا نبحث عن «كبش فدا» في دول افريقيا السوداء لكي نحملها مسؤولية سخف السياسة التي يمارسها البعض من العرب؟ ان سياستي لا تتغير! انا رئيس دولة مستقلة ذات سيادة وقراراتي تنبع من سيادتي ومن استقلالي ولا يقدر احد ان يفرض علي نوعا من السياسة لا ارضاه. . !

قلت مقاطعا قبل ان يشعر «موبوتو» بأنه قد كسب الجولة الاولى في الكلام:

ـ اكاد اشعر يا سيدي وكأنك لم تجب عن سؤالي المتعلق باعادة العلاقات بينكم وبين اسرائيل؟!.

قال غاضباً: انا لست ضد العرب! ان بلدي المستقل قد فتح ابوابه لايواء اكثر من خمسة الاف لبناني بعد ان استنجد بي الرئيس اللبناني «سركيس» ومن بعده «الجميل»، لانقاذهم من ويلات حرب لبنان. . ! لقد جاؤوا الى زائير، وبدأوا يمارسون حياتهم الطبيعية على أرضها ويعملون في التجارة والبناء والاقتصاد، وأنا اساعدهم وأحميهم! هل يفعل ذلك رجل يكره العرب؟!»

قلت: مازلت اطمع ان اسمع ردّ الرئيس على موضوع عودة العلاقات مع اسرائيل. . وخاصة ان اسرائيل مازالت تحتل جزءاً من لبنان وتحتل الجولان وتحتل الضفة الغربية والقدس واجاب موبوتو ومازال في حالة تأهب نفسي:

ـ انت قاطعتني ولما انتهي من كلامي بعد. اسمع «يامستر»: انا لم اصل معك الى نهاية الحديث بعد. انا سأجيبك على سؤالك حول اسرائيل. هناك «خمسون» دولة في افريقيا. وكانت زائير اول بلد تنادي بقطع العلاقات مع اسرائيل. انا فعلت ذلك بنفسي عندما القيت



رئيس زائير المارشال موبوتو يتكلم والمؤلف النشاشيبي يستمع اليه صاغرا

خطابي الشهير في يوم الخميس ٤ اكتوبر من عام ١٩٧٣ اي قبل ما يزيد عن ١٢ سنة. ربما تسألني ماذا قلت في خطابي المذكور؟؟ قلت بالضبط ان مصر ـ وهي دولة مؤسسة في منظمة الوحدة الأفريقية ـ قد اقدمت اسرائيل على احتلال جزء من اراضيها. وامام هذا «العمل» الاسرائيلي، كان على زائير ان تختار بين ان تقف مع دولة «شقيقة» هي مصر، او مع دولة «صديقة» هي اسرائيل، فاختارت الدولة الشقيقة ـ مصر ـ وقطعنا علاقتنا الدبلوماسية مع اسرائيل ـ الصديقة ـ! وقلت يومذاك ان زائير ستبقى بدون علاقة دبلوماسية مع اسرائيل ما دامت اسرائيل تحتل ارضاً افريقية تخصّ مصر. وفي ابريل من عام ١٩٨٢ أعادت اسرائيل الأرض الافريقية ـ سيناء ـ الى أهلها..!»

وخلع موبوتو نظارته الكثيفة من فوق عينيه ومسح بعض العرق المتجمع فوق وجهه ثم اعاد النظارة الى مكانها وقال وكأنه يعلن انتصاره في معركة حربية:

ـ وعندما اعادت اسرائيل سيناء الى مصر، وقامت مصر بانشاء علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ـ هه. ؟ أليس كذلك ـ لم يعد امام بلدي اية حجة نتذرع بها لكي نستمر في قطع علاقتنا الدبلوماسية مع اسرائيل. انت تعرف انني رجل عسكري! والرجل العسكري يحترم كلمته! ومن واجبي ان احترم كلمتي التي اعلنتها على منبر الأمم المتحدة، وأمام «١٣٠» دولة قلت فيها انني لن اعيد علاقتي مع اسرائيل مادامت اسرائيل تحتل ارضاً افريقية. وعندما عادت الارض «الافريقية» الى اهلها، اصبح من واجبي ان اعيد علاقتي الدبلوماسية مع اسرائيل!..»

وعاد «موتوبو» يبحث في سقف الصالون عن كلام جديد يقول لي ويدافع به عن نفسه وعن بلده تجاه علاقته الودية مع اسرائيل، فسمعته يقول بعد برهة صمت:

ـ لا يهمني ان ازعج العرب باي كلام يصدر عني. انا أقول لك حقيقة لم تعد سراً، وخاصة على شعب زائير! اسمع: عندما قطعت علاقتي مع اسرائيل، وعدني العرب بتوظيف ستمائة مليون دولار من اموال البترول التي في حوزتهم، داخل زائير! ولكنهم لم يوظفوا سوى مائة وخمسين مليون، والباقي لم نره ولم نعد نسمع عنه!! لا! لا أريد ان أنبش الماضي او أعود الى التذكير بهذه القصص مع العرب من جديد. لا اريد ان يتهمني احد او يتصور احد انني اكره العرب او أني احمل عنهم افكاراً سوداء.. كل ما يهمني هو احترام الكلمة.. او احترام الوعد المقطوع لي.. وعدهم.. هم!»

قلت وكلي اصرار على البقاء في نطاق الحديث عن علاقته باسرائيل:

ـ وهل يبرر لك غضبك على العرب لكي ترمي بنفسك في احضان «عدوهم» فاذ باسرائيل هي وحدها التي تدرب لك جيشك، واذ بك تزور اسرائيل أكثر من ثلاث مرات؟ لماذا هذا اللعب ياسيدي؟ لماذا يزورك قاتل يهودي مثل ايرل شارون؟ واجاب موبوتو غدراً وكأنه يرفض ان يجيب:

ـ لا اعرف ياعزيزي..

قلت أسأله: الم يجيء شارون لزيارتكم في زائير.؟

اجاب: اجل جاء. ولكني لا اعرف..

قلت مقاطعاً: شارون في القاموس العربي والاسلامي والشرقي وحتى في القاموس الاسرائيلي، إنسان قاتل، ومجرم وسفاح، وفي عنقه دم الآلاف من اطفال فلسطين ونسائها وشبابها وشيوخها!»

واجابني موبوتو:

ـ اولاً اريد منك ان تعود الى دفتر مذكراتك ـ او الى دفتر معلوماتك ـ لكي تعرف أن «شارون» قد زار زائير قبل احداث مخيمات صبرا وشاتيلا.. وليس بعدها.!»

قلت: لعله ترك المهمة لشخصيات اسرائيلية اخرى بعد ان دلها على ابواب زائير..

وصرخ موبوتو: طبعاً! ولم لا؟ لقد جاء لزيارتنا رئيس دولة اسرائيل كما قمت انا بزيارتها! وما المانع؟! انا لا اعرف ما هو مفهوم الدبلوماسية عندكم؟ عندما اعيد علاقتي الدبلوماسية مع اي بلد لن يعود باستطاعتي ان امنع رئيس ذلك البلد من زيارتي في بلدي! لم يمنعه احد من المجيء. ولم يمنعني شيء من الذهاب لزيارة اسرائيل. بل ماذا يمنعني من الطلب من اسرائيل ان تساهم في تدريب بعض الاجنحة في جيش زائير. لقد قمت بتوجيه طلبات مماثلة الى البلجيك، والى فرنسا، والى الصين. لقد سألت بلجيكا ان تدرب سلاح المشاة في

جيشنا، وسألت فرنسا ان تدرب سلاح المظليين، وسألت الصين ان تدرب فريق الكوماندو، وسألت اسرائيل ان تدرب الحرس الرئاسي الخاص وبعض فرق الكوماندو! وهذا هو كل شيء. إن في زائير خبراء عسكريين من الصين وفرنسا وبلجيكا، فلماذا لايكون بينهم خبراء من اسرائيل؟ ان اسرائيل لاتدرب جيش زائير بأكمله؛ ولكنها تدرب جزءاً بسيطاً منه. اعني: «القوة المختارة.. او قوة الرئاسة إذ ان لها اكثر من اسم!»

وقال لي موبوتو مستطرداً:

ـ «إن في بعض اسئلتك لي مسحة العداء والتحدي، وعليك ان تقبل اجوبتي، رغم صراحتها..»

قلت: كل ما يهمنا ان يكون اساس علاقتكم مع الدول الخارجية هو خدمة زائير ومصلحتها، لا خدمة تلك الدول او خدمة مصلحتها.؟

أجابني: «نحن نعرف مصلحتنا... ونعرف ايضاً مشاكلنا!»

قلت: هلا حدثتني عن اهم مشاكل بلادكم.؟

قال: «مشكلتنا الكبرى هي الزراعة..! ان تطورنا يعتمد عليها. وحياتنا تمشي معها!»

قلت: وماذا غير الزراعة؟

قال: الصحة والتعليم وبناء الطرق..!»

قلت: إن السماء راضية على زائير فليس عندكم قحط، ولاظمأ، ولا جوع، ولا موت!

قال: «إن هذه المشاكل التي يشكو منها بعض جيراننا، كالسودان مثلاً، لا وجود لها عندنا. إن زائير تشكو من كثرة المطر؛ لا من قلته كما هي الحال في اثيوبيا او السودان!»

قلت: لقد جاء «سوار الذهب» لزيارتكم مؤخراً والمشاركة في احتفالات زائير بعيد استقلالها العشرين مما لفت الانظار وأثار التساؤلات، وخاصة بعد سقوط النميري!

اجاب موبوتو: «ولماذا تقوم الدنيا وتقعد اذا جاء رئيس سوداني لزيارتنا؟ لماذا؟»

قلت بصراحة: لأنه قيل ان وراء زيارة سوار الذهب رغبة سودانية في التشاور معكم من اجل حل مشكلة جنوب السودان..!

قال موبوتو: «هذه ملاحظة ذكية لولا اننا لانتدخل في شؤون جيراننا. إننا نؤمن بان الجوار الحسن هو الجوار الذي يؤدي الى تفاهم دبلوماسي حسن. وقد دعونا ٤٧ دولة للاشتراك معنا في عيدنا الوطني الاخير، وبدأنا بدعوة تسع دول من الدول المجاورة لنا. وقد لبى الدعوة ستة رؤساء بينها اشترك ثلاثة منهم على مستوى الوفود. لقد اردنا ان نثبت للجميع مدى ما نحس به من مودة لجيراننا. وهذا بالضبط ما جعلني اوجه الدعوة لسوار الذهب السوداني..»

ثم اكمل موبوتو قائلاً:

ـ «ولكننا لم نبحث معاً في موضوع مشاكل جنوب السودان فقد اقتصر حديثي معه على

اسس «الجوار الطيب» وسياسة عدم التدخل في شؤون الغير! انا اعرف مشاكل السودان ولكني لن اتدخل فيها. ولست في موقع يمكنني من ان افرض على السودان اية سياسة معينة او ان انصحه بالشيء الذي يجب ان يفعله. ان السودان دولة حرة، ذات سيادة ويعرف مصلحته. !»

قلت: أليس من حق الجار ان ينصح جاره. . ؟!

اجاب وقد تراجع قليلاً عن تحفظه وشكوكه:

ـ اجل! لقد بحثت مع «سوار الذهب» كيف يمكن الحفاظ على السلام والهدوء في بعض مناطق الحدود بيننا. . !؟

سألته: وهل تحس بوجود اي تدخل اجنبي في شؤون السودان في الوقت الحاضر؟

اجابني بسذاجة تمثيلية ومصطنعة: «وكيف لي ان اعرف ذلك؟ كيف؟! إن كل ما أعرفه ان السودان قد اعاد علاقته الدبلوماسية مع ليبيا! أليس كذلك؟ كان النميري قد قطع تلك العلاقة ولكنها اليوم عادت اكثر قوة! إن كل ما أعرفه هو كل ما اسمعه. وهذا شيء ليس من اختصاصي. . »

سألته: انا أشعر وكأنك لاتشعر بالارتياح من الدور الليبي في افريقيا. . . فلماذا؟

قال موبوتو: «ان ليبيا تلعب دوراً سلبياً في شؤون القارة الافريقية! إنها تحشر نفسها في شؤون الغير. . . تماماً كما فعلت في «تشاد»! وهذا أمر مرفوض من ميثاق الامم المتحدة، ومن منظمة الوحدة الافريقية! ان سياسة ليبيا ليست بالسياسة التي تليق بدولة افريقية مجاورة وشقيقة! لقد سبق لي وارسلت قوات من زائير ـ ولأكثر من مرة واحدة ـ الى تشاد لمساعدة الرئيس التشادي ضد التدخل الليبي!»

وعندما سألته عن علاقته بالاتحاد السوفيتي، اجاب:

ـ «إنها علاقة حسنة. . نسبياً! إن لي في موسكو سفارة ولموسكو عندي سفارة. وفي حفلات الاستقلال الاخيرة في زائير اشترك الاتحاد السوفيتي وارسل وزيراً كبيراً للتهنئة. . »

سألته: ألم يعتذر احد عن حضور حفلات الاستقلال الأخيرة في زائير بسبب وجود الوفد الاسرائيلي فيها. ؟

اجاب: لم يعتذر احد. .

قلت: ولا العرب. ؟!

قال: ولا العرب. !

سألته: هل صحيح ما يقال بان سمعة العرب و«نفوذهم» قد أصابها الوهن في أوساط الدول الافريقية وفي السنوات الاخيرة؟ وللمرة الثانية خلع «موبوتو» نظارته وراح يمسح عرق جبينه ويصوب نحوي نظراته المليئة بالحذر والود المفقود، وقال:

ـ «أرجوك ان لاتذكر امامي كلمة «نفوذ»! لا اريد ان اسمع شيئاً عن نفوذ «البيض» ـ مثلاً ـ او نفوذ الامريكيين او نفوذ العرب في الدول الافريقية! هذه شروطي واضحة امامك! على الجميع احترام سيادة واستقلال وكرامة كل دولة افريقية! وليس من حق احد ـ مثلاً ـ وخاصة العرب ـ ان يقول لزائير لماذا اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل. !؟ وليس من حق اي عربي ان يتهم زائير بانها ضد العرب لأنها اعادت علاقاتها مع اسرائيل! لو كنت انا ضد العرب لما آويت خمسة الآف لبناني مشرد في بلدي! ليس لدي شيء ضد العرب. عظماؤهم يأتون لزائير وانا ازورهم في بلادهم ونلتقي معاً في العواصم الاوروبية ونأكل معاً ونشرب معاً! إننا نتبادل الاحترام، والثقة. !»

قلت اسألة والغرض في سؤالي لايحتاج الى تفسير:

ـ ولعلك مازلت تذكر لبعضهم انه مدّ زائير بالقروض والمعونات الاقتصادية في السنوات الماضية. ؟ أليس كذلك؟

قال: «قلت لك في بدء هذا الحديث ان العرب وعدوني بتوظيف «ستمائة مليون دولار» ولكنهم لم يوظفوا اكثر من مائة وخمسين مليون فقط. !»

قلت: وهل انت عاتب عليهم من اجل ذلك. ؟

قال: لا تعليق. !

قلت: بكل فخر لاينقصه التواضع هل يقدر الرئيس الزائيري ان يزعم بانه قد انتصر على معظم مشاكل بلاده خلال السنوات العشرين الأخيرة؟

وأجاب الرئيس الذي لاينقصه الفخر وينقصه التواضع:

ـ «مشاكل زائير هي جزء من مشاكل القارة الافريقية! انها الزراعة. . والانشاء. . والتطور! إن في وسع افريقيا ـ لو ارادت ـ ان تجد الغذاء لكل طفل افريقي، ولكنها ـ الآن ـ عاجزة عن ان تحقق هذا الهدف! إن القحط والجوع والفقر يضربنا. ان علينا ان نكسب احترام العالم عندما نثبت قدرتنا على ان نضمن الغذاء لشعوبنا! وانا شخصيا اشكر الله لأن زائير لم تركع ولم تستجدِ لقمة العيش من احد! انا اشكر السماء انه خلال العشرين سنة الاخيرة من عمر وجودي في السلطة، لم تمد زائير يدها الى احد للحصول على الارز او السكر. . ! لقد اصبحنا نصدر للخارج بعض مانتنجه وما نصنعه داخل بلادنا!»

قلت: ترى هل يبقى عامل النقص في تطور «الزراعة» عندكم، قلة المطر ـ كما سمعت ذلك من الرئيس الامريكي السابق «ريتشارد نيكسون» ـ ام قلة المعرفة وانعدام العلم والتكنولوجيا. ؟

قال موبوتو: «نحن لانشكو من قلة المطر! ان المطر ينهمر في قريتي لمدة تسعة شهور كاملة في العام الواحد! ولكننا نفتقر الى الوسائل التكنولوجية الحديثة لكي نستفيد من وفرة المطر

واساليب توزيع المياه وتطوير الزراعة . . »

والآن . . هل نترك موضوع الزراعة ونخرج معاً الى موضوع اخر . ؟

قلت لرئيس زائير:

ـ اريد ان اسألك عن موقف بلدك من التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا . !

واجابني على الفور: هذه القضية ـ المأساة ـ تبقى اسيرة الموقف الامريكي مع موقف بقية الدول الكبرى كبريطانيا والمانيا وفرنسا . انهم قادرون على حلها ـ لو ارادوا ـ! نحن كأفريقيين نشعر بالعجز التام عن حل هذه المأساة! نحن نصرخ بملء افواهنا ضد التفرقة العنصرية لأنها تشكل اهانة للانسانية وخاصة في نهاية القرن العشرين! نحن لانقول بان نرمي البيض في البحر؟ لقد عاش هؤلاء البيض في جنوب افريقيا طيلة القرون الخمسة الماضية ولهم الحق في البقاء حيث هم ولكننا ننادي بضرورة احترام رأي الاغلبية! صوت واحد للفرد الواحد! ولانرضى ان يستمر غيرنا في استعمارنا والطغيان علينا والتحكم بنا باسم اللون . هذه مأساة لانقبلها . !»

قلت: ولكن زائير تعالج هذه المأساة بأسلوب مؤدب جداً وخجول جداً ومتأنٍ جداً ودبلوماسي جداً . . جداً!

أجاب موبوتو: «كان صوتنا، ومازال، أعلى الاصوات المناهضة لسياسة جنوب افريقيا في كل مؤتمر دولي سواء في الامم المتحدة ام في منظمة الوحدة الافريقية! كنا ومازلنا، ندين سياسة التفرقة العنصرية بكل وضوح وبكل قوة . ماذا علينا ان نفعل اكثر من ذلك؟!»

سألته :

ـ وماذا تقولون في السياسة الخارجية لبعض الدول الافريقية المجاورة لكم، كأنجولا . . . وموزامبيق . . واثيوبيا . ؟!

اجابني موبوتو:

ـ «لا اقول شيئاً . ! لأنني اكره ان اقول اي شيء عن اية دولة مجاورة . . سواء كانت قريبة منا في افريقيا، ام صديقة لنا في اسيا! انا لست القاضي بين الدول! إن لكل دولة الحق ـ كما قلت لك في ان «توضب» فراش سريرها على النحو الذي يريحها عندما تنام . ليس لي ان اطلب من غيري شيئاً ما دمت لا أسمح له ان يطلب مني أي شيء . !»

كان موبوتو يتكلم بلسان الثعلب الافريقي الاسود، وكنت اراقب عينيه وأرى فيهما مزيجاً من غرور «لومومبا» واقليمية «تشومبي» وافريقية «كاذا فوفو»، ومجموعة من رجالات الكونجو ـ زائير ـ التي عرفناها وكتبنا عنها في الستينات، فسألته، وانا ابعث امامه ذكريات الماضي :

ـ وما هو رأيكم في الزعيم الراحل . . لومومبا؟

قال وهو يفتح ذراعيه . .

ـ لقد قررنا في احتفالات مرور ربع قرن على استقلالنا، عفواً . . قررنا ذلك قبل الاحتفالات، وقبل ٣٠ يونيو ان نقيم تماثيل كبيرة في وسط العاصمة لتمجيد ابطالنا الوطنيين من امثال لومومبا، وكاذافوفو . . وغيرهم! هذا يدلك على مدى تقديري واجلالي لهذا الزعيم!»

سألته : ومن ياسعادة الرئيس ـ المسؤول عن اغتيال لومومبا؟

اجاب وقد عاد «الزعل» يترك بصماته فوق نظراته :

ـ «اسمع! لقد اغتيل لومومبا في مقاطعة «تشيبا» ـ اسمها السابق كانتجا ـ عندما كان تشومبي يتزعم حركة الانفصال هناك . وقد اغتيل لومومبا وسط ظروف غامضة لم نستطع ان نكشف ألغازها . إن «تشومبي» مات واخذ السر معه . !»

قلت : وماذا تقول انت في رجل مثل تشومبي؟

قال : «قلت ومازلت اقول انه رجل خائن . . خائن!»

قلت : وماذا تقول في كذافوفو؟

قال : انه بطل وطني . . تماماً . . مثل لومومبا!

قلت : ولماذا قتلتم سكرتير الامم المتحدة الاسبق داج همرشولد في بلادكم؟

قال : ان مقتل داج همرشولد مرتبط بالحياة السياسية والقومية لبلادي زائير حيث سقطت به الطائرة عندما كان في طريقه الى «كانتجا» ـ إسمها الحالي «تشيبا» ـ وقد جرى سقوط الطائرة فوق ارض روديسيا . . اي زامبيا . . . ومات همرشولد وهو يؤدي واجبه!»

وسكت رئيس زائير . .

وسألته وكأني ابحث معه عن صفحة من صفحات المستقبل :

ـ وكيف ستكون علاقتكم مع العرب في المستقبل؟

قال : حسنة بالطبع! ولماذا لا؟ ان علاقتي الحالية مع العرب حسنة! وفي يوم الاحد الماضي كنت في باريس اتناول الغداء مع الملك الحسن في دار السفارة المغربية بالعاصمة الفرنسية! وفي يوليو ١٩٨٥ كنت في زيارة رسمية لمصر . ! وعلى عكس ما تتصور، وعكس ما تعرف، وعكس ما تتمنى . . هه . . هه . . ـ الرئيس يضحك ـ فان لدولة تونس العربية سفارة في زائير، ولجمهورية الجزائر العربية سفارة في زائير، ولجمهورية السودان سفارة في زائير، ولموريتانيا سفارة في زائير، وكذلك مصر، والمغرب، وغيرها . إن الدولة العربية الوحيدة ـ الافريقية ـ التي ليس لها سفارة في زائير، هي . . ليبيا!»

ـ وهل كان هذا الموقف ـ العجيب ـ من العرب مشجعاً لكم على استمرار زياراتكم لاسرائيل وتعاونكم معها . ؟

واجابني موبوتو:

ـ لقد زرت اسرائيل مرات ثلاث. وهي دولة عضو في الامم المتحدة.. شأنها شأن اية دولة اخرى عضو في المؤسسة الدولية..

سألته: الم تكن زيارتكم لاسرائيل ولمرة واحدة فقط تكفي بدلاً من ثلاث مرات.؟ لماذا مرات ثلاث؟ ولاسرائيل؟ لماذا ياسيدي؟

قال وهو يزفر انفاسه:

ـ زرتها مرة كرئيس اركان الجيش. وفي المرة الثانية زرت اسرائيل كعضو في وفد افريقي ارسلته منظمة الوحدة الافريقية كمراقب للاوضاع في مصر وفي اسرائيل معاً. وفي المرة الثالثة زرتها كرئيس دولة!؟»

قلت اسأله:

ـ وما رأيك في اسرائيل، كدولة ؟؟

قال: هي دولة كبقية الدول..!

قلت: ولكنا نسمع عن عدة اصدقاء لكم في اسرائيل..

قال: «ليس لي هناك صديق معين.. لأنه ليس لي مرشحون في السياسة الاسرائيلية!» ثم ضحك..!

قلت: ألم يكن «موشيه دايان» من بين اصدقائكم؟

قال: كان ديان قائداً عسكرياً عظيماً!! هكذا عرفته!

قلت: ألم يكن عزرا وايزمن من بين اصدقائكم؟

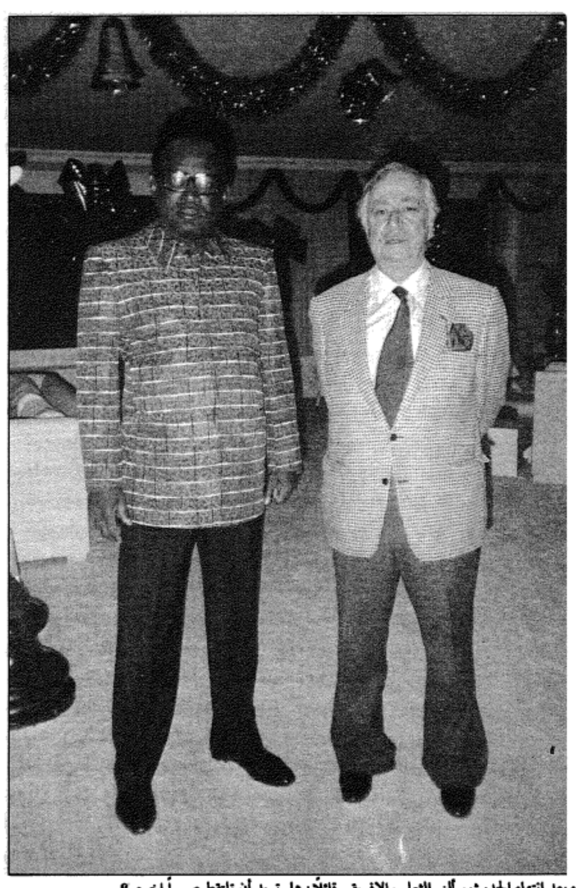
قال: عرفته عندما كان قائداً للطيران الاسرائيلي في عام ١٩٦٣!»

قلت: الم تكن جولدا مائير من بين اصدقائكم؟!

قال: نعم.. نعم!.. فقد عرفتها عام ١٩٦٣ عندما كانت هي وزيرة خارجية وكنت انا رئيساً للجيش.!»

قلت: وهكذا يصح قولي ان لكم عدة اصدقاء في اسرائيل! ترى، هل حاولت الدعاية الاسرائيلية ـ المحكمة ـ ان تخدعكم وتلفق الاكاذيب عن العرب وتزعم امامكم ان اسرائيل قد احالت الصحراء الى جنات خضراء.؟

قال موبوتو: «لايقدر احد ان يخدعني! انا اعجبت بالتطور الزراعي في اسرائيل! هذه حقيقة! بل هي اهم شيء في اسرائيل! بعضهم يظن ان قوة اسرائيل في جيشها. لا! إن قوة اسرائيل في تطورها الزراعي! انني رأيت صحراء النقب وقد اصبحت بستاناً كبيراً من الورود والخضار والفواكه! إن زهور اسرائيل تغزو اوروبا وتملاء اسواقها وتأتي للخزينة الاسرائيلية بما لايقل عن «مائة مليون دولار» في العام الواحد.! هذا شيء مدهش! أن تقدر الصحراء



وبعد انتهاء الحديث سألني الثعلب الافريقي قائلاً: هل تريد أن تلتقط صوراً اخرى؟

على تحقيق المعجزات، فهذه في حد ذاتها. . معجزة! الزهور والخضار تشحن من صحراء النقب الى اسواق هولندا وباريس وسويسرا وبريطانيا. هذا شيء عظيم. !»

سألته: والى متى تستمر هذه الدولة التي اسمها اسرائيل في تدريب اجزاء مهمة من جيشكم؟

قال: سيستمر التعاون الى ان يتم إنشاء فرق عسكرية كاملة في جيش زائير!»

قلت: والخبراء الاسرائيليون. . باقون عندكم!

قال: بالتأكيد. !»

قلت: الى متى؟!

قال: الى عامين او ثلاثة. !»

قلت: أتمنى لو سألتك عن الشخصية التاريخية التي تعجب بها ولايكون جوابك عن شخصية. . اسرائيلية!

قال: بل اني معجب بشخصية فرنسية تاريخية لم تكن معروفة بتعاطفها الشديد مع الصهيونية! انا معجب بشخصية شارل ديجول ! انه مثال للجندي المؤمن بقوميته وبشجاعته السياسية. !»

ـ ومن يعجبك من شخصيات التاريخ البعيد. ؟!

وأجاب رئيس زائير بكل ارتياح:

ـ تعجبني شخصية قيصر. . إنه القيصر. . !»

ولم ادهش لأن رئيس زائير معجب بشخصية قيصر! كان قيصر ـ مائة سنة قبل الميلاد ـ قد اقام في روما نظام حكم نصف ديكتاتوري يتولى فيه الديكتاتور زمام الحكم بمساندة الجيش وبجزء بسيط من الشعب! هذا النظام إسمه: «سيزاريزم»! وهكذا يسمونه في علم السياسة! وعندما يتولى الديكتاتور مسؤولية البلاد، يحرص على ان يحافظ على «المظهر الديمقراطي» للحكم فيبقى البرلمان مشلولاً. . وتبقى الانتخابات مزورة. . ويبقى الحكم للفرد وحده رغم ادعائه بانه يستمد سلطاته من الشعب. !

لم ادهش ان رئيس زائير معجب بشخصية قيصر! ان نظام «السيزاريزم» كما يقول علماء السياسة في الوقت الحاضر، وعلى رأسهم الفيلسوف السياسي الالماني «اوزولد سبنجلر» سيحل محل الديمقراطية في معظم دول عالم القرن العشرين. . !

. . . وخاصة في الدول الافريقية!

. . . . وفي دولة زائير، بالذات.

وانتهى الكلام. .

★★★



جنيف - كانون الاول ١٩٨٥

مع "آخر السَّنَة" في لبنان!
أو: ما بيصائب إلاّ الصائب!



مع "آخر السُّنَّة" في لبنان!
أو: ما يصائب الاصائب!

عرفت الزعيم العربي ورئيس وزراء لبنان السيد صائب سلام منذ اكثر من ثلاثين سنة. ومنذ ان عرفته أحببته! لقد التقينا مراراً. وتحدثنا كثيراً. وقلما خلا حديث لنا من ذكر فلسطين. وقلما نسي ان يسرد لي لمحة من ذكرياته عن القدس! وعندما عشت في مصر كان صائب سلام أقرب اللبنانيين الى قلب جمال عبد الناصر. وعندما زرت «سرسنك» على ايام عبد الاله ونوري السعيد وصلاح سالم، كان صائب سلام هناك يسعى لتأليف القلوب وتوحيد الصف وتنسيق المشاريع..!

وهكذا عاش هذا الزعيم اللبناني موزع القلب والجهد بين وطنه من جهة، وبقية عواصم العرب المجاورة من جهة اخرى.! وكان في كل خطوات حياته السياسية جريئاً حتى الخطر، وعنيداً حتى الموت، يجامل ولا يعطي، ويساير ولا يركع، ويبعد ولا يفارق، ويحالف بشروط ويحارب لأسباب، ويقبل الحكم من اجل لبنان ويترك الوزارات من أجل.. العرب!

وعندما قامت حرب لبنان، كانت مدينة «جنيف» هي المحطة الثالثة او الرابعة للالتقاء عن قرب مع صائب سلام! وعرفت فيه ـ وهو بعيد عن لبنان ـ القدرة الحلوة في ان يستعيد الذكريات الطويلة عن وطنه المعذب وان يحدثني عنها كرجل دولة، وسيد مجلس، وصديق قديم بكل قلب مفتوح، وعقل نير ولسان جريء..!

ـ قلت لأبي تمام:

ـ وما هي اخبارك الجديدة.؟

وأجاب على الفور: ليس هناك ما يبشر بالخير.!

قلت وأنا أتبين سر مرارته:

ـ كيف تفسر لي مأساة المسلمين السُّنة في لبنان؟. وهل لديك التفسير لماذا يجري ذبحهم هناك؟

واجاب صائب بك، وكأنه يعزي نفسه:

ـ في الواقع ان احداً لم يذبح السّنة في لبنان! ان المسلم السُّنّي باق وراسخ الوجود في ارضه بلبنان! ولكن ـ يا صديقي ـ عندما ارتفع صوت المدفع والبندقية والصاروخ، ضاع «السُّنّة»

في البلد! لماذا؟ كان المسلم السني في بادىء الامر يؤيد النضال المسلح في لبنان ويشترك في بعض اعماله ولكن ـ عندما انقلب السلاح المناضل في لبنان من سلاح شريف الى سلاح «مأجور» يتعاطى في القضايا الرخيصة.. وبعد ان أفلت الزمام من يد الذين يزعمون انهم يتزعمون المليشيات المسلحة في البلد وانتشرت الفوضى؛ وضاعت المسؤولية وخلت الساحة من اصحاب السلطة وتسلل الى لبنان كل من «يضرب طبلاً» واصبح لبنان يسمى «مستشفى دار الشقاء للتوليد» يعمل على توليد العنف السياسي المدمر.. وانقلبت الرياح القادمة من قريب ومن بعيد الى رياح سامّة قلبت الأمور وجعلت الاعمال المسلحة بالداخل تضاهي في عنفها وجبروتها اعمال اكبر الجيوش في العالم.. هنا، يا أخي، تفشت المبادىء الهدامة، واللااخلاقيات والتجرد من كل طيب او حسن، وبقيت طائفة السُنّة تلتزم باخلاقها، وتتمسك بقيمها، وبقيت تعيش حيث كانت دوماً، ولكن دون ان يرتفع لها صوت مسموع بسبب قوة صوت المدفع وصوت الصاروخ واصوات الهدم المرتفعة في البلد..

واستطرد صائب سلام قائلاً:

ـ انا ارفض التفرقة المذهبية بين المسلمين! ويؤلمني الحديث عن السُنّة، كسُنّة، وعن الشيعة كشيعة! هذا كلام لا يليق ولا يسعد ولا يرضي الله! لقد عشتُ حياتي وانا احارب التفرقة بين المذاهب الاسلامية، واعمل على تعزيز الاسلام، كدين واسع وشامل دون التفرقة بين مذهب ومذهب. وفي حوزتي وثائق تحمل تواقيع رؤوساء الشيعة والدروز والسُنّة وكلها تنطوي على الوحدة الاسلامية وتنبذ التفرقة بين المذاهب! وفي الاحتفالات بمولد القرن الخامس عشر الهجري، وفي دار «الأونيسكو» ببيروت، عقدنا لقاءاً شاملاً بين المفتي وشيخ الشيعة، وشيخ الدروز، وألقينا الخطب واعلنا كلنا بلسان واحد: «نحن مسلمين.. مسلمين.. فقط مسلمين.!»

قلت لصائب بك: ولكن..؟!

قال مقاطعاً:

ـ ولكن الدسّ ما زال مستمراً.. من الاستعمار.. ومن الاجنبي.! وكان الجنرال فؤاد شهاب ـ مثلاً ـ اكثر الرؤوساء اللبنانين تعصباً وحرصاً على انماء التفرقة بين السُنّة والشيعة في لبنان. انا عندي الدلائل. انا مازلت اذكر كلامه الذي كان يردده لنا في كل مناسبة ان الطائفة التي «اكلت» حقوق الشيعة في لبنان هم السّنة وليسوا الموارنة! انا أقر بأن الشيعة يشعرون بالحرمان، ولكن «السُنّة» ليسوا مسؤولين عن هذا الحرمان، كما كان يزعم فؤاد شهاب! عندي قصة حول هذا الموضوع. ذات يوم خلا منصب مهم في رئاسة مجلس الوزراء وكنت انا رئيساً للحكومة وأراد فؤاد شهاب ان يعطي المنصب لشخص ماروني! وقلت انا باعطاء المنصب لشخص شيعي! وغضب فواد شهاب وراح يردد اغنيته اياها بان المسلم السُني هو

الذي هضم حقوق الشيعة! وثرت عليه! وطالبته ان يثبت ذلك بالأرقام والاحصاءات! ولكنه عجز! وصحتُ فيه: «بوصفي رئيساً مسلماً وسنيا اوافق بأن من حق اي شيعي ان يأخذ اي منصب في الدولة.. ولكني لن اسمح لأحد ان يكيل الاتهامات للطائفة السُنية كي يحجب الحقيقة عن الناس ويبرر تعصبه ضد المسلمين لحساب غيرهم من الطوائف اللبنانية..»!

قال لي صائب سلام:

- وحدث ذات يوم ان ذهبت الى منطقة في جنوبي لبنان لكي اكشف على مزارع الدخان هناك واطلع على قصة خلافات المزارعين المالية مع شركة دخان «الريجي» التي كانت تشتري المحصول لحسابها وتنفرد بتسويقه في البلد. وبحضور رئيس المجلس النيابي السابق - آنذاك - السيد يوسف الزين - وكان موجوداً معنا، قلت للمزارعين انني سأعطيهم حقوقهم المشروعة ضد تسلط شركة «الريجي» عليهم! وعدت الى بيروت في المساء، وإذ بفؤاد شهاب يقيم الدنيا فوق رأسي وهو يقول لي انه ليس من حقي ان انصف المزارعين لأن هذا العمل من إختصاص مجلس الوزراء، وليس من إختصاص رئيس الوزراء بمفرده!! ولم التفت اليه! ومضيت في تنفيذ ما وعدت به.. وهذا هو فؤاد شهاب!!»

قلت لصائب بك: ألا تشعر - مثلي - بالقلق على مستقبل اهلنا المسلمين «السُنَّة» في لبنان امام هذا الطوفان من العداء والكراهية..؟

قال: إنهم باقون حيث هم، ومحتفظون بكرامتهم، ومعهم عائلاتهم واهلهم.. ولكنهم يرفضون الانغماس في ممارسة المآسي اللاخلاقية التي تجري هناك! لقد انسحب شبابنا من الساحة اللبنانية المسلحة عندما رأوا الموبقات امام أعينهم! لقد رفض شبابنا ان يعيش على خيرات دول خارجية - عربية واجنبية، قريبة وبعيدة - ! إن الذين يحملون السلاح حالياً في لبنان انما يأتمرون بأمر دول ليست لبنانية، ويقبضون من دول خارجية وكل من يزعم خلاف ذلك، فهو إما جاهل أو مخطىء.. كلهم يقبضون من روسيا او امريكا او الخميني او ليبيا او اسرائيل... مع الأسف!»

سألته: ولماذا وصل لبنان يا أخي الرئيس الى الحالة التي اشعلت حرب ١٩٧٥... ومن المسؤول عن ذلك؟

قال صائب بك:

- انا اقول مايلي. هناك من يقول - عن خطأ - ان الحرب اللبنانية قد بدأت في ابريل عام ١٩٧٥ عند الاعتداء على سيارة «البوسطة» الشهيرة. لا يا أخي! ان الحرب اللبنانية قد بدأت كما اراها من زاويتي الخاصة في ابريل عام ١٩٧٣ عندما هاجم الاسرائيليون بيروت وقتلوا الفلسطينيين الثلاثة: كمال ناصر، وابو يوسف، وكمال العدوان، واشتد الخلاف بيني وبين

رئيس الجمهورية حول قائد الجيش والتقصير بالرد والواجب المطلوب وقررت على اثرها الاستقالة من رئاسة الحكومة. !»

واستطرد قائلاً لي:

ـ وللتاريخ اقول لك ان إستقالتي يومذاك قد وضعت حداً لفترة من الحكم اللبناني كانت بشهادة الجميع «العهد الذهبي» للفترة الاستقلالية في تاريخ لبنان! لقد دامت تلك الفترة ثلاث سنوات من عام ١٩٧٠ الى عام ١٩٧٣.. وبالتعاون مع سليمان فرنجية.. توطد الأمن.. وانتشر الازدهار.. وتوثقت علاقتنا مع العرب.. واتخذنا لأنفسنا سياسة الحياد التام بين المحاور العربية! هل تريد ان تسمع؟؟ انا اذكر يوم سافرنا الى بغداد وأنا رئيس وزراء عام ١٩٧٠ وقابلنا أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية.. وكان الجو متأزماً بين العراق ومصر، وسمعت احمد حسن البكر وهو يهاجم امامنا مصر ويتساءل عن جدوى وجود جيش مصري مجمدّ؛ لايفعل شيئاً ولا يحرك ساكناً؟ وقلت لرئيس العراق وعلى مسمع من سفير لبنان وسفير العراق انني لست مستعداً ان اسمع اي هجوم من أي عربي مسؤول على اي عربي مسؤول آخر.. وانني على استعداد لأن أستمع منكم وبالوسائل الهادئة الرصينة الى اية تفاصيل عن اي خلاف قائم لكي نسعى لازالته! وتراجع رئيس العراق عن كلامه وراح يعتذر في تفسيره لمقصده من الكلام ضد مصر ولكن عدت وكررت على مسمعه ان احداً لايستطيع ان ينكر تضحياتها وثرواتها من اجل العرب.. وهز الرئيس العراقي رأسه والتزم السكوت. !

سألت صائب سلام وأنا اعود به الى الحديث عن ذلك «العصر الذهبي».

ـ وماذا جرى لهذا «العصر الذهبي» بعد استقالتك من الوزارة؟

قال على الفور: الدنيا «فَلَتَت! انا تركت سليمان فرنجية وكل شيء «فَلِتِتْ» بعدها! انا استقلت يومذاك مرغماً لكي لايقع الانفجار وأجنب البلد من ويلاته بين الجيش اللبناني من جهة وبين الفلسطينيين الذين هزهم الاعتداء الامريكي الغادر على اخوانهم الثلاثة، وارادوا الرد بعمل حاسم داخل لبنان، من جهة اخرى! انا اخذت الضربة بصدري! لقد قامت يومذاك مظاهرات الفلسطينيين تضم عشرات الألوف بين صيدا وطرابلس، ولو تصدى لهم الجيش كي يمنع تلك المظاهرات لوقعت الكارثة وسالت الدماء! لقد استقلت ورحت اعالج الموقف من منزلي. كانت الثقة بيني وبين الفلسطينيين متبادلة. وكذلك بيني وبين المسؤولين في الدولة. ورأيت الشيوعيين يندسون في صفوف الفلسطينيين المتظاهرين. ورأيت بدء التضامن «الحقيقي» ـ منذ ذلك اليوم ـ بين الفلسطينيين من جهة والشيوعين من جهة اخرى. !

قلت اسأله مقاطعاً، ومداعباً:



المؤلف مع الرئيس صائب سلام

ـ هل هذا غمز في الفلسطينيين الذين هم أهلنا؟
قال صائب سلام:
ـ يا أخي اسمع! عندما وصل الفلسطينيون الى لبنان فتحنا لهم قلوبنا.. وبيوتنا.. ومنحناهم أرواحنا.. ولكن مع الزمن انفرد لبنان ـ وحده ـ بحمل هذا «العبء» الفلسطيني! هل يقدر بلد مثل لبنان ان يحمل العبء الفلسطيني بمفرده! لبنان البلد الصغير المعرض دوماً الى الغزوات الصهيونية هل يقدر على ذلك؟ وبدأنا نرى في الصحف صوراً غريبة لشباب غريب لم نسمع عنه ولانعرف انه من بلدنا!؟ من هم هؤلاء الناس؟ ومن هم أصحاب هذه الاسماء من الذين نشرت صورهم في الصحف بعد استشهادهم على الحدود؟؟ هم ليسوا من لبنان!! والفدائي الحقيقي لاينشر اسمه في الصحف! انا نصحت «ابو عمار» ان لاينشر اسمه ولايفصح عن اسم عائلته في الصحف! انا قلت له: «يا ابو عمار.. ان «الفدائي» لايشتغل بالصورة التي نراكم فيها.!» ولكن مع الاسف، وبعد الضربة التي وقعت على رأس الفلسطينيين في الاردن ـ جاءوا الى لبنان وتمركزوا هنا وأنشأوا شبه حكومة تدافع عن الوجود الفلسطيني في لبنان! أنا اعذرهم في هذا الموقف! انا اعترف بأن للفلسطيني المسؤول الحق يومذاك في ان يقرر اتخاذ مثل تلك الخطوة بعد الظلم الذي تعرض له الفلسطينيون في المخيمات على يد رجال المكتب الثاني اللبناني! هذه حقيقة اشهد بها امامك! انا اذكر يوم جاء لزيارتي في المنزل رئيس المكتب الثاني السيد «انطون سعد» وقال لي مبرراً عمله التعسفي ضد اللاجئين «إن المخيمات مليئة بالحزبيين! وعندما سألت عن اسماء هؤلاء «الحزبيين» لم يستطع انطوان سعد ان يقدم لي اكثر من بضع اسماء راح يؤكد لي ان اصحابها من «القوميين العرب!» عندئذ صحت في وجه انطون سعد: «وهل يلام الفلسطيني اذا اصبح قوميا عربياً؟ وهل تريدون له ان يصبح شيوعيا ام يتحول الى ارهابي مطلق الرصاص على الناس في «الروشة» وساحة البرج؟! قلت لانطون سعد: «من واجبنا ان نشجع هؤلاء الناس على الفكرة التي جذبتهم لاعتناقها! ولكن.!»
وتنهد صاحب سلام طويلاً.. وسكت.
فسألته: ولكن ماذا، يا أخي الرئيس؟
قال: لقد اشعرنا هؤلاء اللاجئين بحسن معاملتنا لهم ولكن وبدلاً من التعاون المنتظر منهم معنا لكي تستمر تلك المعاملة الحسنة، اذ بهم يبدأون الزحف البطيء باتجاه الجنوب، ويبدأون التحرشات والضربات! وبدأت اسرائيل ترد! وجاءت الضربة الاولى عام ١٩٧١ ثم عام ١٩٧٢ وتصدى الجيش اللبناني لرد العدوان. ودعوت ابو عمار لمقابلتي في منزلي ببيروت، وقلت له «يا ابو عمار لقد وصلنا معكم الى نهاية المطاف. نحن الآن في «ايلول» ١٩٧٢، والى هنا، وبس! ونحن لانقدر ان نتحمل اكثر من ذلك! ووافقني ابو عمار على

مطلبي! ومنذ ذلك اليوم وحتى ابريل نيسان عام ١٩٧٣ ودون الرجوع الى اتفاق القاهرة، لم تطلق رصاصه واحدة من جهة لبنان في اتجاه الجنوب! وهكذا ضمنا الحماية للبنان! ولكن، وبعد ان استقلت من الوزارة، «ضاعت الطاسة» بين الفلسطينيين وبين الجيش اللبناني، وانغمس الأخوة الفلسطينيون في معترك السياسة اللبنانية الداخلية، واجتمع ابو عمار مع «الحركة الوطنية» ـ وكنت اسميها الحركة اللاوطنية ـ ومعهم كمال جنبلاط وعشرون اخرون واعلنوا عزل الكتائبيين والموارنة في عام ١٩٧٣! وعلى الفور ـ والكلام لصائب سلام ـ ذهبت الى البرلمان ووقفت مع «بيار الجميل» وطلبت من المصورين التقاط الصور لنا معاً. . وقلت للصحفيين: «نحن نرفض العزل. . ونرفض ان يعزل احد الكتائب او الموارنة!» هل تدري لماذا فعلت ذلك؟ لأنه لايمكن لأي لبناني ان يعزل الموارنة من لبنان! لايمكن عزل المسيحي عن المسلم في لبنان! إن لبنان لايقوم الاّ على «توافق» إسلامي مسيحي. . . وهذا هو الذي يسمونه الميثاق الوطني في لبنان. . ! هذا هو ميثاق عام ١٩٤٣ . ! انا مع الميثاق الوطني. هناك من أعطى الميثاق الف تفسير وتفسير ولكن الامور بعد ذلك تطورت وبدأ المسيحي في لبنان يشعر بالخوف من ان يذوب الكيان المسيحي في محيط اسلامي واسع تضيع معه شخصيته الخاصة! وانا أقر هذا الخوف للمواطن المسيحي! انه نوع من الخوف ـ الذي لايبدده مرسوم عابر وانما يبدده تبادل الثقة المستمرة بين المسيحي وبين اخيه المسلم! يبدده ان يتفهم المسلم الوضع اللبناني والوضع المسيحي في لبنان! وعندما ولد لبنان المستقل، بادر المسيحي الى ان يضحي بالحكم الافرنسي والوجود الافرنسي لصالح لبنان. . كما ان المسلم قد ضحّى من جهته، بأن تنازل عن فكرة الاندماج بالوحدة العربية للحفاظ على الكيان اللبناني المستقل! واتفقا معاً على ان يكون الولاء كله للبنان الواحد المستقل. ولكن ـ ومرة اخرى ـ بدأ المسلمون يشعرون بالخوف على مصالحهم وعلى كرامتهم وعلى وجودهم وعلى وضعهم الاجتماعي! وكان على أخينا المسيحي ان يدرك اسباب هذا الخوف ويعمل على ازالته. هذا ما اسميه بالتفهم والتفاهم، ولكن بدلاً من ذلك بدأ «التخويف بعد الخوف! وصرت اقول للشيخ بيار الجميل: «يا شيخ بيار خاف الله. . وكفاية تخوف المسلمين»! كما صرت اقول لابو عمار ولكمال جنبلاط: «كفاية تخوفوا المسيحيين»! وانتقلنا من مرحلة الخوف البسيط الى «التخويف» الرهيب، والذي اوصلنا الى الحالة اليائسة التي نعيشها اليوم. !

ومرة اخرى سكت صائب سلام. .

ومرة اخرى عدت أسأله عن مأساة انتحار الوطن اللبناني قائلاً:

ـ ولكني أسألك لماذا اشتعلت حرب عام ١٩٧٥؟؟ وهل الانتقال من مرحلة «الخوف الى مرحلة» «التخويف» هو السبب الكافي لاشتعال هذه الحرب؟ هل يقدر الخوف ان يقتل وطناً يا صائب بك؟

واجابني صائب سلام:

ـ كان التخويف من الاسباب الجوهرية لنشوب الحرب. يضاف الى ذلك ان التيار الاسلامي يومذاك قد وجد ـ وعن قصد مجرم ـ من يلبسه اللون الاشتراكي وبدأنا نسمع إذاعة لندن ونقرأ صحف انجلترا وفرنسا وامريكا وهي تصف كيف «يقف» اليمين» المسيحي ضد «اليسار» الاسلامي او ضد الاسلام اليساري». وتصديت شخصياً لهذه الحالة! وعملت على إنشاء التجمع الاسلامي يومذاك الذي قصدت به ان نسحب من كمال جنبلاط والحركة الوطنية اي حق يزعمونه لانفسهم في التحدث باسم المسلمين! قلت «لكمال» يومئذ: انت لاتقدر ان تتحدث باسم المسلمين ما دمت تصور نفسك اشتراكيا ويسارياً متطرفاً! ان الاسلام ليس يسارياً! ودخل مع كمال جنبلاط مجموعة من الشيوعيين الاشتراكيين وامينهم العام «محسن ابراهيم» وكان له تأثيره الكبير على ابو عمار وعلى كمال جنبلاط معاً! . ورحت ابحث عن العقل والعقلانية ولكني فشلت امام تسلط الشيوعيين على مثل الحركة التي اسمها «الحركة اللاوطنية» . !

وضحك صائب سلام وهو يقول لي:

ـ انا كنت اسمي محسن ابراهيم: «ميني» برجنيف! او برجنيف الصغير. !

وقلت للزعيم «اللبناني» صائب سلام:

ـ الا تحدثني عن مسؤولية اللبنانين ودور اللبنانين في ما اصاب لبنان «بعد» قيام حرب ١٩٧٥ . . و«عند» قيام حرب ١٩٧٥؟؟!

قال: انا لا انكر المسؤولية اللبنانية في نشوب الحرب! نحن مسؤولون عن فتح الساحة اللبنانية بعد ان تخليت شخصياً عن الوزارة! كان هناك استقرار ثم ضاع! وانتشرت الرشاوي! وانطلق اهل «زغرتا» وراء مصالحهم الخاصة! وفَلَتَ الموقف كله! وانتشر الاجرام! وراحت الصحف تشهر بسليمان فرنجية وتطعن في نزاهته وامانته في الحكم، الأمر الذي دعاه للمجيء ذات صباح ـ الى مجلس الوزراء وفي يده مجموعة اوراق رسمية اراد بها ان يدلل على نزاهته، وان الأملاك التي في يده هي كل ما ورثه عن ابيه. ! وسمعت بالقصة فقابلته ولمته على ما قام به وقلت له هل وصلنا الى حالة اصبح يتوجب فيها عليك ان تثبت نزاهتك بأوارق «الطابو» وإيصالات الضرائب؟! هذا لايجوز يا سليمان! إن الدنيا من حولك مليئة بالفساد! وان «الارتكاب» يملأ لبنان! ولكن سليمان لم يفهم! واستمر الفساد في طوفانه حتى اشتعلت الحرب. !

قلت لصائب بك:

ـ ترى الم يكن في وسع خليفتك «أمين الحافظ»، وقد جاء الى رئاسة الوزراة من بعدك ان يحافظ على نصاب الأمور؟!

واجاب صائب سلام:

ـ انا طول عمري اعمل على تشجيع الشباب! وطول عمري اصفق للشباب واسندهم وارحب بهم! وعندما جاء الحافظ الى الحكم نشرت بيانا اعلنت فيه استمرار تعاوني مع سليمان فرنجية لأنه كان بحاجة الى تأييدنا. هذا عمل ايجابي! وانا طول عمري اشجع الايجابية. وعندما اختير الحافظ لرئاسة الحكومة، ورغم ان الاختيار لم يكن موضع رضاي. الا اني عملت على تشجيعه ـ على شاشة التلفزيون ـ وطمأنته على استمرار منحه تأييدي! ولسوء الحظ، راح الحافظ يتعثر ويتخبط ويقوم بأمور لايقرها له المجتمع الاسلامي بأسره ولا يوافقه عليها. !»

سألته: وماذا فعل الحافظ.. من لخبطات يا صائب بك؟

قال: كان يدخل على رئيس الجمهورية ويستلم منه اوامر ضد الفلسطينين، وعندما كان يحاول ان يبرر هذه الاوامر على شاشة التلفزيون، كان جماعة «سليمان فرنجية» يحاصرونه ويشدونه على مرأى من الناس ويأمرونه بالتوقف عن الكلام والدخول لمقابلة «الرئيس»! جرى هذا امام قصر بعبدا. واحس المسلمون ان الاهانة كلها لهم.. لا للحافظ وحده!»

قلت: وبعد الحافظ؟ ماذا جرى!

قال: جاء تقي بك ـ صاحبك ـ جاء تقي الدين الصلح!

قلت: اجل! ان تقي بك صاحبي يا صائب بيك!

قال: وصاحبي انا ايضاً!

ثم اضاف:

ـ وساعدنا تقي الدين!.. واعطيناه الثقة! وحكم! ثم راح وجاء رشيد الصلح. وايدناه وسندناه كما سندنا غيره».

قلت: ولكن تأييدك للكتائب يا صائب بك، مازال حتى اليوم موضوع مؤاخذة عليك، وموضوع محاسبة خصومك لك في لبنان! فماذا تقول؟ قال صائب بك:

ـ يا سيدي انا لم اتعاون مع الكتائب اكثر من اللازم! انا تعاونت معهم على قدر اللازم!. ليس هناك احد في لبنان حمل على الكتائب وانتقدهم كما حملت وانتقدت. كان المسلم يقرأ جريدة «العمل» ويحقد على الكتائب، بينما كنت انا أقرأ صحيفة «الكتائب» المذكورة واتصل تلفونيا بالشيخ «بيار» واعاتبه وانتقده وأتساءل معه كيف يشعر الشاب المسيحي تجاه المسلم اللبناني بعد ان يقرأ صحيفة الكتائب؟ ولمصلحة من يجري تسميم الآبار ونشر السموم؟؟ انا دائماً مع التفهم والتفاهم! ودوماً انا متمسك بديني ومذهبي وعروبتي. ولبنان لايقوم على العداء. وانا ضد العنف وضد الدماء. انا كمسلم اتبع قول القرآن: وجادلهم بالتي هي احسن». وقوله «وجادلوا اهل الكتاب بالتي هي احسن» وقوله: «ادع الى سبيل ربك

بالحكمة، والموعظة الحسنة»! القرآن لايقول بالبندقية والسيف، والعنف! . »
ثم سمعته يقول وكأنه يطرح امامي شعاراً جديداً من شعاراته السياسية التي كان صائب سلام يطلقها على النواب وعلى الصحفيين على مر الايام فاشتهر بها واشتهرت به:
ـ العنف لايحل مشكلة في لبنان!
وقال:
ـ العنف ادى الى الخراب والى الموت والى الضياع!
سألته والحديث مازال يدور في صميم السياسة اللبنانية:
ـ إذن فأنت تبرر قضية استقالتك من الوزارة عام ١٩٧٣ بعد اغتيال الفلسطينيين الثلاثة في بيروت!
قال: طبعاً! ان استقالتي قد حجبت وقوع كارثة رهيبة على الفلسطينين والجيش لم يعلم مداها الا الله. !»
ثم اضاف
ـ لقد تسلمت يومئذ عشرات من برقيات التهاني من ملوك العرب. . ومن رؤسائهم لأني ضحيت بالمنصب من اجل ان اصون الدم اللبناني والدم الفلسطيني. ! لقد رأى الفلسطينيون في استقالتي الترضية التي كانوا ينتظرونها من السلطة اللبنانية بعد اغتيال بعض رجال القيادة الفلسطينية.
وسكت محدثي قليلاً عن الكلام. .
وقررت ان أعود به الى الماضي. . ان أعود به الى حديث الذكريات فسألته؟
ـ ترى كيف يتفق موقفك الحالي في معارضة العنف ورفض السلاح في لبنان، بينما كنت انت الذي رفعت السلاح ومارست العنف عام ١٩٥٨ ومن فوق ارض لبنان؟!
واجاب بطل أحداث عام ١٩٥٨ و«برنادوت» احداث الثمانينات:
ـ ياسيدي. . كنا في عام ١٩٥٨ عبارة عن مسلم مع مسيحي ضد مسلم مع مسيحي! لم نكن مسلمين ضد مسيحين! كان معنا في ثورة عام ١٩٥٨ مسيحيون كبار مثل البطريرك المعوشي ـ او بطرك العرب كما اسموه في مصر ـ والشيخ بشاره الخوري، وحميد فرنجية، وفؤاد عمّون واميل الخوري! كلهم كانوا مع ثورة ١٩٥٨ ضد كميل شمعون! وكانت ثورة ديمقراطية، في بلد ديمقراطي برلماني! والديمقراطية هي سر حياة لبنان، ولا حياة للبنان الا بالحفاظ على ديمقراطيته وبرلمانيته! وجاء كميل شمعون يمارس ضرباً من الديكتاتورية! واختلفنا معه حول مجموعة من المبادىء السياسية العامة، كمشروع ايزنهاور وحلف بغداد. نحن وقفنا ضده بعد ان تبرع ـ شمعون نفسه ـ بالوقوف ضدنا! كان دورنا في ثورة ١٩٥٨ مجرد الدفاع عن النفس ومنع شمعون من التجديد! كانت ثورة غير دينية!»

قلت: ولكنك يا صائب بك.. سمحت لنفسك ـ ايضاً ـ باتخاذ موقف الحيادي، ولانقول المنتقد المعادي للثورة الفلسطينية. فماذا تقول؟

ولأول مرة، ارتج صوت صائب بك. وارتفع. وتهدج وتسابقت الكلمات الى لسانه لكي يقول لي وكأنه يخطب في ساحة البرج او في دار المقاصد الاسلامية التي انشأها في بيروت:

ـ ارجع ياسيدي الى التاريخ لكي تعلم دور صائب سلام في موضوع فلسطين! لست متحفظاً تجاه فلسطين! انا الذي ضحيت داخل الحكم، وخارج الحكم، وفي منزلي، وفي خارج منزلي، دائما وابداً، من اجل فلسطين ومن اجل ثورة فلسطين! انا صاحب النصيحة المخلصة الى الفلسطينيين. بينما الاخوة في الثورة الفلسطينية ارادوا الاستئثار بالحكم وبمسؤولية الحكم في مناطق كثيرة من لبنان! لقد حذرتهم! قلت لأبو عمار ان يسجل نصائحي له في دفتره الصغير! قلت له انت يا ابو عمار تفعل اشياء ضد مصلحة الثورة الفلسطينية! وعندما بدأ اهل الجنوب يتذمرون من تصرفات رجال الثورة الفلسطينية عندهم، دعوت ابو عمار للاجتماع مع مجموعة من رجالات الجنوب اللبناني ونوابه، وقلت له يا ابو عمار ان الشيعة في الجنوب يستعدون لحمل البندقية ضدكم.. وهذا الصوت يضر ثورتكم.! وكان ابو عمار يجيبني، ان رجاله يؤكدون له عكس ذلك! انا قلت له ان رجالك قد حكموا.. وتحكموا! وكان ابو عمار يجيبني بانني اقسو على الثورة الفلسطينية. «والله يسامحك يا صائب بك.. انت قاسي علينا!» ورغم ذلك، فقد كنت انا صائب سلام، الرجل الذي يحميهم، ويداريهم، ويساعدهم، ويعمل داعية دولية وعربية لهم! كنت اخصص اذاعاتي لامريكا واوروبا في الدفاع عن وجهة النظر الثورية الفلسطينية، وان الثورة تضم ثواراً شرفاء ليس بينهم مخرّب او مغامر او وصولي! وعندما خرجوا من بيروت، كان حرصي على ان يكون الخروج في شبه مظاهرة توحي بانهم يخرجون مظفرين ومنتصرين واصابعهم مرفوعة بعلامة النصر. ولكن..»!

ومرة اخرى، خامسة او سادسة سكت صائب سلام.!

وقال: لا اريد ان استرسل في هذا الموضوع الشائك المحزن!

قلت: بل ان التاريخ حريص على ان يسمع الحقيقة.. منك، أو من غيرك.. وسواء كانت تدعو للفرح ام تدعو الى البكاء!

قال: هل اكذب عليك وأقول انني كنت سعيداً عندما سمعت «ابو اياد» يهددني بالقتل؟! كانت الثورة ـ ذات يوم ـ تريد ان تنفذ مشروع «المجالس المحلية» التي دعا اليها الشيوعيون وكمال جنبلاط! وهاجمت المشروع واتهمته بالشيوعية التي كنا نعرفها منذ سنوات، وبكل صدق! واغتاظت «الثورة» من كلامي! وراح ابو اياد يهددني بالقتل!... ليش يا ابو اياد؟ انا رجل لا اخاف الموت! وتاريخي معروف! ولكن لماذا اللجوء الى لغة التهديد؟؟ انا اعمل في

الحقل العام ولايخيفني التهديدا! وبعد خروج الثورة من بيروت، فوجئت بابو اياد يصل الى طرابلس ويعطي تصريحاً صحفياً يقول فيه بكل حماس «انه - وبالحرف الواحد - سيعود الى «عاصمتنا» بيروت!». واهتزت اعماقي! واتصلت بابو اياد بالتلفون كي اسأله: «وين القدس عاصمتك؟ هل اصبحت بيروت وحدها هي عاصمة الثورة؟ هل استبدلتم بيروت بالقدس، ام استبدلتم القدس ببيروت؟ ماذا يا ابو اياد؟ هل تنازلتم عن القدس؟ لقد جندت نفسي لخدمة الثورة الفلسطينية! قد سعيت لاطلاق المئات من سجون بيروت وصيدا! وبقيت القضية الفلسطينية أعزّ، وأغلى قضية على قلبي.. هل ينسى الفلسطينيون ذلك؟

وسألت صائب سلام:

- هل هذه هي كل مآخذك على الثورة الفلسطينية؟

وسمعت صائب بك يكرر:

- الفساد! الفساد! الفساد!

ثم يقول لي:

- سر عظمة ابو عمار انه رجل نظيف! ولكن ماذا نقول عن الذين كانوا حوله؟ إن قوة الرجال العظام كعبد الناصر محصورة في نظافتهم! نعم! ابو عمار كان يخطىء. كان يغلط. كنت أنصحه دائماً واقول له: «يا ابو عمار.. انت نظيف.. ومعنوياتك نظيفة -. ولكنك اصبحت مجرد رد فعل لأي فعل! هذا لايليق بالثورة ولا بالقضية! عليك ان تفكر وفي ابعاد إستراتيجية وطويلة، لا ان تنتظر ماذا يقول الملك «فلان» لكي ترد عليه، او ماذا يريد الرئيس «علان» لكي تجيب او تعلق! المهم انت ماذا تريد؟؟ انت ماذا تفعل؟ انت ماذا تخطط؟ لا ان تبقى صدى للغير، ورد فعل لما يفعله سواك.! حولك الفساد كثير، والكباريهات.. والانفاق الكثير. والرقص وسهرات حمراء.. كل ذلك «مشهور» ومعروف.. وهذا كله خطأ.. كله ضد الثورة الشريفة! كنت انصح ابو عمار واكاشفه بكل هذه التفاصيل حرصاً على الثورة وعلى القضية.»

قلت لصائب بك؟

- امازلت تلوم العرب على تخريب لبنان؟؟

واجاب على الفور وكأنه كان ينتظر سؤالي:

- اعتدت ان اقول دائماً، للملوك وللرؤساء العرب، إحذروا مما يجري في لبنان.. وما يجري عندنا قد ينتقل الى اي بلد عربي اخر. ولأن تفتيت لبنان قد يؤدي الى تفتيت كل بلد عربي! قال «ديان» «ان العرب لايقرأون»! وأنا اقول ان العرب لايقرأون، واذا قرأوا لايفقهون، واذا فقهوا لا يعملون! القرآن يقول: «اقرأ وربك الاكرم!» ومنذ زمن ونحن نقرأ - وانت تقرأ مثلي واكثر - ان كل ما نسمع عنه بلسان اسماء اسرائيلية ومعلقين اسرائيليين يقول

إن اسرائيل لم تعد تعتمد على سلاحها العسكري وحده للانتصار على العرب، وانما هي - تستعين بسياسة «التفتيت» والتشتيت لكي تضمن استمرار الضعف العربي! الم تسمعهم يستعملون كلمة: «Fragmantation و كلمة Disintegration » وبدأت اسرائيل تطبق هذا «التفتيت» في اضعف البلدان العربية واعني به لبنان! واذا تم تفتيت لبنان - واقول لك ذلك وقلبي يتفطّر حزناً والماً - عندئذ لن يسلم بلد عربي واحد من التفتيت!»

ثم اضاف وصوته يتهدج بالسعال العصبي:

- لقد بدأت البوادر! وبدأنا نرى مظاهر هذا التفتيت تجري في اكثر من بلد عربي! دعني من ذكر الاسماء.. وتعال ندعو الله ان تسلم الجرة.!»

قلت لصائب سلام وقلمي يصرُّ على ان يتحدث اولاً وآخراً عن مسؤولية اللبناني في تخريب لبنان:

- الم يكن الوضع اللبناني المهترىء هو الذي ساعد هؤلاء العرب الذين تتحدث معي عنهم على استغلال الموقف ودخول الساحة اللبنانية بغية تنفيذ اغراضهم وسياساتهم؟؟

واجاب صائب بك:

- طبعاً، هذا كله معروف ومسلّم به! والمسؤولية بالدرجة الأولى لبنانية وكبيرة! ولكني قلت «لابو عمار» كما قلت لغيره «يا عرب انتم بخير في بلادكم فلماذا تريدون تخريب لبنان»؟ لماذا ابو عمار - مثلاً - لم يحاول ان يضبط قيادته ويمنع طوفان التصرفات غير السليمة وغير المنضبطة وغير الثورية وغير الاخلاقية من ان تقع وبأيدي جماعته فوق التراب اللبناني؟ لماذا؟ لماذا انغمس ابو عمار مع الشيوعيين؟ مع المعارضين؟ مع اليساريين؟!»

وقلت لصائب بيك والحديث لاتنقصه الصراحة:

- يا اخي صائب بيك: انت سبق لك وتخانقت مع جميع رؤوساء لبنان.. من بشارة الخوري الى امين الجميل! ترى هل هكذا تكون خدمة لبنان ؟

واجاب الرجل الذي لم يهادن رئيساً لبنانياً واحداً:

- انا لم اصبح رئيساً للوزراء منذ المرة الاولى عام ١٩٥٢ حتى آخر مرة الا وكان ذلك رغم إرادة رئيس الجمهورية اللبنانية!!

ثم اضاف:

- كان مجيئي يشبه «الفرض» العنيف على رئيس الجمهورية. حتى في المرة التي جئت فيها على زمن سليمان فرنجية، كان مجيئي الى الوزارة رغم انفه! كان «سليمان» صديقي الأول والأخير الذي ساعدته على المجيء الى رئاسة الجمهورية. الكل يعلم ان مأساة او معركة «المقاصد الخيرية» التي جرت في ربيع عام ١٩٧٣ هي السبب المباشر في كسب معركة الرئاسة في ايلول - سبتمبر ١٩٧٣ لصالح سليمان فرنجية! لقد انتصرت يومذاك على «زعران» المكتب

الثاني اللبناني ورأى فيها المسلم اللبناني انتصاراً له على رجال المكتب الثاني، وعلى سياسة المكتب الثاني، وعلى نفوذ المكتب الثاني!! كان المكتب الثاني هو سلاح فؤاد شهاب للفتك بالمسلمين! فجاء انتصارنا في معركة المقاصد الخيرية المقدمة المباشرة لانتصارنا في معركة رئاسة الجمهورية! كان «سليمان» يومذاك عضواً معنا في الكتلة التي كانوا يسمونها الكتلة السلامية!. واستعملت هذا النصر لخدمة لبنان وتأمين استقراره واستمرار ازدهاره. !»

قلت: وبعد ذلك؟. ماذا جرى بعد ذلك؟

اجاب: وبعد ذلك ـ كما قلت لك ـ استقلت انا من الحكم، «ففرطت» المسألة وضاعت وتهلهلت الامور.. وباختصار «ضاعت الطاسة» وانتشر الفساد مع استغلال النفوذ وضاعت هيبة الحكم، وتحطم القانون وتجرأ البلطجية؛ وكانت المقدمة المطلوبة لاشتعال الحرب التي مازالت قائمة حتى اليوم! كنت ادخل الوزارة واسعى لكي يكون عهدي مع اي رئيس لبناني ماروني متسم بالوفاق والتعاون. ولكن رؤساء جمهورية لبنان جماعة لايقدر ان يطيقهم بشر! كنا نبدأ على وفاق ثم اذ بهم يستغلون مركز رئاسة الجمهورية لاقتراب المحسوبيات، والرشاوي، واللاأخلاقيات وممارسة التعصب والعداء للطوائف الأخرى بأوضح الصور.. !

ـ وسألته مقاطعاً:

ـ ولكن فؤاد شهاب كان ـ كما يقال ـ مثالاً للنزاهة وعفة اليد!

واجاب صائب سلام برأسه:

ـ يكفي انه جاء الينا «بزعران» المكتب الثاني. ! جاء الينا بحكم المكتب الثاني! وجاء شارل حلو بعده، وإذ به امتداد لعهد فؤاد شهاب! كان رئيس المكتب الثاني هو الذي يؤلف لشارل حلو وزاراته الحكومية! وكان بشارة الخوري ـ بعد التجديد وبعد استشهاد رياض الصلح ـ يرتكب الموبقات ويترك لأنسابه وأولاده ارتكاب الفضائح! انا اقول للتاريخ ان بشارة الخوري كان رجلاً كبيراً.. وله اكبر الفضل على الاستقلال.. وكان مع «رياض» وحميد فرنجية آباء للإستقلال.. وقد جاء الاستقلال نتيجة توافق ذهني ومبدئي وسياسي، لانتيجة رصاص البنادق. وكان «بشارة» كبيراً، وله وزنه، وله خدماته، ورجلاً واسع الصدر، ولكنه ترك لابنه وزوجته اقتراف الآثام..

واستطرد صائب سلام يقول في استعراضه لمجموعة من رؤساء الجمهورية اللبنانية، الذين عرفهم عن كثب، وعمل معهم واختلف واياهم جميعاً وبدون استثناء.

ـ أما كميل شمعون فقد كان ذات يوم «فتى العروبة الأغر» ولكنه غرق. ! وقد قلت له ذلك!. وانتهى كمجرد زعيم ماروني متعصب. !»

وسألت صائب سلام قائلاً، وانا اعد امامه على اصابع يدي:

ـ بقي سليمان فرنجية.. فماذا تقول فيه؟



مع صائب سلام في اوروبا

واجاب، وعلى فمه مشروع ابتسامة:

ـ طيلة السنوات الثلاث التي عملت فيها مع سليمان كرئيس للوزارة كانت علاقتي به اشبه بالمصارعة اليابانية ـ وليسمعني سليمان جيداً ـ لقد تحملته من اجل خدمة بلدي. ومن اجل الاستقرار.. وتعاونت معه، واثمر التعاون اشياء كثيرة.. مهمة ومفيدة! هل اسرد لك بعض ما أثمره تعاوني مع سليمان؟ انا المسلم السني اللبناني صرت اتولى يومذاك مسؤولية إصلاح البين وحل المشاكل القائمة في تلك الايام بين مختلف اهل مدينة «بشرّي»، الموارنة القائمة في طرف الجبل اللبناني! هه. ما رأيك؟ اصبح في وسع المسلم اللبناني ان يتوسط بين المواطنين المارونيين ويحل لهم مشاكلهم ويقبلون منه الحل الذي يراه..»

وسألته وهو الزعيم المسلم السني البيروتي وابن العائلة المسلمة:

ـ لماذا ـ بالله عليك ـ لم تقبل ان تتعاون مع شخصية اسلامية بيروتية او لبنانية واحدة، تتمكن معها للوقوف امام هذا المدّ المسيحي العنيف: في لبنان للحفاظ على الوجود الاسلامي في البلد.؟

وأجابني صائب سلام:

ـ لم يمض يوم واحد، ومنذ الاستقلال حتى اليوم، الا ورأيت نفسي متعاوناً مع أول قوة اسلامية اجدها امامي! انا الذي انشأت «التجمع الاسلامي»! انا الذي أعددت اللقاء الاسلامي الأخير في دار الافتاء ببيروت.. إنما.. ماذا اقول؟!»

وعاد صائب سلام، الى التنهد والتألم.. يزفر الحسرات قبل ان يقول لي:

ـ انما ـ كانوا في الماضي ـ ينشئون ما يسمى «بالمجلس الاسلامي» ويضمون اليه «٢٤» عضواً . . وكلهم من بيروت وحدها . . ومن أحياء رأس النبع . . والبسطة . . والمصيطبة . . ورأس بيروت! وكنت اعارض انا هذا الاجراء وانصحهم بأن هناك جماعات اسلامية كثيرة في بيروت وفي خارجها لم تمثل في هذا المجلس! كما ان هناك مسلمين من الشيعة يجب الالتفات اليهم ومحاولة ضمهم ايضاً! «يا عمّي هذا مش حق!» وكنت اجد هؤلاء الاخوة المسلمين يتخذون ـ احيانا ـ مواقف متسمة بالجهل والغرابة معاً! مثلاً . ذات يوم جاء الى بيروت في زيارة رسمية الكاردينال الذي اصبح فيما بعد «البابا يوحنا الثالث والعشرون»، وقد جاء يومذاك للاشتراك في مهرجان او مؤتمر «مريمي» مسيحي في بيروت نيابة عن البابا . واذ بالمجلس الاسلامي ـ فجأة ـ يعقد اجتماعاً برئاسة الحاج «حسين العويني» ويتخذ قراراً بمقاطعة المهرجان، ومقاطعة والمؤتمر معاً! وجن جنوني! واتصلت باعضاء «المجلس» تلفونياً؛ وبيّنتُ لهم سوء عملهم! ثم تركت فراشي ـ وكنت يومذاك مريضاً في السرير ـ وذهبت الى منزل «نجيب سرسق» ـ حيث كان يقيم الكاردينال الموفد من عند البابا، وقابلته ورحبت به باسم المسلمين كلهم! أنا لا اقدر ان اختلف مع المسيحيين . . في لبنان . . ولست مستعداً لذلك!»

سألته مقاطعاً :

ـ ولكنك قد تخانقت واختلفت مع سماحة «المفتي» ايضاً يا صائب بيك! ـ لم تترك حتى سماحة المفتي!؟

واجاب صائب بك وهو يسرد القصة من أولها :

ـ ياسيدي . . هذا المفتي . . أرادوا ان يصنعوا منه زعيماً سياسياً! وانا ضد ذلك! كنت اقول للمفتي ياسيدي ان لك مقامك الديني الكبير وواجبنا كلنا ان نسعى اليك، ونعزز مقامك . . ونلتف حولك، ونصيحتي ـ ياسيدي ـ لك ان لاتنغمس في تيار السياسة . . لأن السياسي العادي قادر على ان يتحمل اوساخ السياسة اما انت . . فلا . . ولو اني «توحلت» شخصياً فأنا المسؤول . . اما المفتي فلا يجوز أن «يتوحل» . . لأن ما يضره او يصيبه يضر المسلمين ويصيبهم معه! واقول اليوم «شهادة لله» ان الأحداث الاخيرة قد صقلت المفتي ـ ولعلها تجارب الـ «١٨» سنة الماضية ـ فأصبح يتخذ الموقف الكريم والسياسة الحكيمة التي تتطلبها حراجة الموقف . !»

قلت لصائب بك، ومازال حديثي معه عن خناقاته التي لاتنتهي :

ـ ولكنك ياسيدي لم تختلف مع المفتي وحده وانما انتشر خلافك في لبنان لكي يشمل جميع الشخصيات الاسلامية! انا اعرف قصص خلافك مع كمال جنبلاط، ومع قليلات، ومع الشخصيات البيروتية الاسلامية المعروفة فلماذا يا صائب بيك هذا الحرص الشديد على

مناطحة الرؤوس؟

وأجاب صائب سلام وقد هدأ صوته قليلا:

ـ ياسيدي انت تعرف كمال جنبلاط وتعرف انه من اصعب الصعوبات ان يبقى المرء على اتفاق دائم معه! انا الذي أتيت به الى الوزارة عام ١٩٦٠! يومذاك طلب مني جنبلاط ان يتولى وزارة التربية! . وقد وعدته بها! واعطيته اياها رغم معارضة رئيس الجمهورية يومذاك الجنرال فؤاد شهاب! كان شهاب يقول لي ان جنبلاط لو تولى وزارة التربية، سيعمل على «تطفيش» الموارنة.. و«تطفيش» الكاثوليك.. ويقلب الدنيا! ولكن الله سلّم ومضت الامور على مايرام! وبعد ذلك، بدأت رياح «المنافع الخاصة» تهب من جانب جنبلاط وتنفث سمومها! وسمعنا فؤاد شهاب يشكو لأحد المقربين من جنبلاط يومذاك انه ـ اي جنبلاط ـ لا يهمه ان يأتي لمقابلة الرئيس الاّ وفي يده «عشرون» مطلباً! وان هذا المقرب من جنبلاط قد أجاب الرئيس قائلا له: لاتهتم يا فخامة الجنرال واقرأ قائمة الطلبات التي يقدمها لك «كمال» من آخرها وستجد انه لايريد اكثر من تعيين شاب درزي في سلك الدرك.. فقط لاغير!!»

قال لي صائب سلام مستطرداً:

ـ كنت اسمع على لسانه تهجمات ضدي. فأضحك واسامحه! ولكن الصراع الماروني ـ الدرزي التقليدي مع الزعامة اللبنانية كان يتجلى في تصرفات كمال جنبلاط وفي اعماله! ولم يكن ـ الله يرحمه ـ يقبل او يتصور ان من حق اللبناني الماروني ان يصبح رئيساً للجمهورية وليس من حق الدرزي ان يصل الى ذلك المنصب؟! انا اذكر يوم اصبح كمال جنبلاط وزيراً للداخلية وراح يوزع تصريحاته على الصحف ويقول فيها، وبالحرف الواحد:

ـ انا اليوم وزير داخلية.. يعني انا حاكم لبنان الاداري.. كله!

وسألني صائب سلام:

ـ كيف تريد مني ان ابقى متعاوناً مع وزير هكذا هو مفهومه للدور الدرزي، وللدور الوزاري في لبنان؟

سألت صائب سلام وانا اضع إصبعي على الجرح:

ـ هل لأجل هذا نراك تؤيد ما يسمى بالميثاق الوطني اللبناني؟

وأجابني بلا تردد:

ـ انا اؤيد الميثاق الوطني ـ أي ميثاق ١٩٤٣ ـ وليس لي عليه اية مآخذ! هذا الميثاق ماهو؟؟ هو تكريس التفاهم والتوافق بين المسلم والمسيحي داخل لبنان المستقل! وانا اؤيد الميثاق بلا تحفظ ولكني آخذ على «صيغة» الميثاق اشياء كثيرة! هل تفهمني ؟؟ الصيغة شيء والميثاق شيء آخر! انا اقول ان بقاء لبنان رهن ببقاء الميثاق! ولكن...؟»

ـ ومرة اخرى.. آه.. والف آه.!

ـ ماذا يا صائب بك؟؟

واجاب البيك:

ـ عندما نبحث في الشكليات المنبثقة عن الميثاق، اي، رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزراء، ورئاسة البرلمان. . هنا نقف قليلاً لكي نقول شيئاً! إن المسلم اللبناني قد تولى رئاسة الوزارة ـ حتى ـ قبيل وجود الميثاق المذكور. والأمر ليس جديداً علينا. اما رئاسة البرلمان فاني «انا» الذي رشحت «صبري حماده» ـ الشيعي ـ لرئاسة المجلس، وعلى مرأى ومسمع من بشاره الخوري، ورياض الصلح مع أربعين نائباً كانوا مجتمعين يومذاك لترشيح بشارة الخوري رئيساً لاول جمهورية لبنانية مستقلة. !

ثم اضاف قائلاً، وهو يستعرض شيئاً من صفحات التاريخ المعاصر:

ـ وحاول بشاره الخوري الاعتراض على ترشيح «صبري حماده» وطلب ترشيح يوسف سالم رئيساً للبرلمان! واعترضت! واعلنت تمسكي «بحماده» ووعدني «بشارة» بأن ينفذ اقتراحي. وهكذا كان! وأصبحت رئاسة المجلس معقودة اللواء للمسلم الشيعي! واريد هنا ان اضيف شيئاً! إن اخواننا الموارنة ـ وعلى مدى الاربعين سنة الماضية ـ كانوا «قصار النظر» في تصرفاتهم المليئة بالمحسوبية والمنافع، حتى اوصلونا الى هذه الحالة التي تهدد بكسر الجرة كلها! كان ينقصهم التفهم للأطراف الاخرى! لقد امعنوا في تحقيق مكاسبهم ومنافعهم على حساب حرمان الآخرين! كان الجنرال شهاب ـ مثلاً ـ يزعم بأن جيش لبنان ـ كله ـ يعجز عن إعادة الهدوء والاستقرار الى جبال «الهرمل» الحاقدة على النظام والقانون! ولكني عندما توليت الحكم استطعت مع «سليمان فرنجية» ان نحقق الاستقرار في اخطر المناطق اللبنانية وذلك عندما قمنا ببناء بضعة آبار للمياه في منطقة «الهرمل» رضي بها الأهالي ورموا سلاحهم واصبحوا اشد الناس حفاظاً على القانون والنظام. المسألة ليست كلها حقد! وانما هناك الحرمان والجوع والخدمات المفقودة، والعلاج، والمستوى الاجتماعي والعلمي، وكلها كانت تدعو الى الانتباه الشديد قبل ان ينفجر البركان! لقد اصبح اشقياء «الهرمل» اصدقاء لنا بعد ان فتحنا لهم مدرسة واوصلنا لهم التيار الكهربائي وجعلنا منهم شبه بشر. !

سألته مقاطعاً:

ـ ولماذا يقال ـ إذن ـ إن «الوجود المسيحي في لبنان قد قوي وانتصر، بينما الوجود الاسلامي قد ضعف وانحسر؟؟».

وأجاب: هذا صحيح! لأنه مع مرور الزمن، كان الوجود المسيحي يستمد لنفسه كل أسباب القوة المطلوبة، بينما الوجود الاسلامي لم يجد مصدراً واحداً يستمد منه بعض اسباب هذه القوة! وبصريح العبارة ـ وكما كان اخواننا الموارنة يقولون لنا ـ إن كل ما يشكو منه المسلمون في لبنان كان يتم بالاتفاق بين رئيس الجمهورية الماروني، ورئيس الوزراء المسلم!

وهذا صحيح ! وكان رئيس الوزراء المسلم يضع توقيعه على كل هذه الامور جنبا الى جنب مع توقيع رئيس الجمهورية رغم معرفته بأن الشيء الذي وضع توقيعه عليه لن يفوز برضى اهله المسلمين. !.

واضاف:

ـ هنا، نعود الى سؤالك السابق حول خلافاتي المستمرة مع رؤساء الجمهورية في لبنان لكي اقول لك: انا كنت أرفض ان اضع توقيعي على الكثير من الأمور التي يطلبها رئيس الجمهورية لكي يخدم بها اما نفسه واما أهله؛ وإما طائفته! كنت ارفض التوقيع على ضلال! كنت اقاوم رغبات رؤساء الجمهورية التي لم تكن تنتهي!.

سألت صائب سلام معقبا على كلامه:

ـ ولماذا هذا التفاوت العجيب بين موقف الرئيس اللبناني الماروني، الذي يحرص دوماً على خدمة اهله وطائفته، وبين موقف رئيس الوزراء المسلم الذي لم يكن يهمه الحرص على خدمة اهله او طائفته؟؟ لماذا يبقى الماروني هو القوي، ويكتفي المسلم بالضعف والمسكنة؟!

واجابني الرئيس البيروتي المسلم قائلاً:

ـ السر ياصديقي في شيء اسمه «الديمومه»! إن فترة رئيس الجمهورية في الحكم لاتقل عن ست سنوات، بينما رئيس الوزراء الذي يأتي الى الحكم اليوم قد يجد نفسه معزولاً او مطروداً في اليوم التالي! إن الديمومة قوة! إن الاستمرار قوة! إن رئيس الجمهورية هو الذي يملك الاكثرية في مجلس النواب. هو الذي يوعز للنواب باعطاء الثقة لرئيس الوزراء او يحجبها عنه. هل تريد أمثله؟ اسمع ياصديقي! عندما جاء الدكتور امين الحافظ الى الحكم ـ وكان ذلك بدون ارادة المسلمين في لبنان ـ ذهبت انا الى سليمان فرنجية وقلت له ان المسلمين يقفون ضد الدكتور الحافظ ونصيحتي لك ـ اي للرئيس فرنجية ـ ان لاتقف ضد ارادة المسلمين! ولكنه اجابني بأنه يتمسك بشخص الدكتور الحافظ، وانه لن يتنازل عنه مهما كانت الظروف! وفجأة، جاءني صاحبك وليد الخالدي.. و..».

قلت مقاطعاً:

ـ وليد الخالدي ـ للعلم ـ يا صائب بك صاحبك مش صاحبي!

وضحك صائب بك واستطرد قائلاً:

ـ جاءني وليد الخالدي وهو يحمل لي رسالة شفهية من سليمان فرنجية يقول لي فيها «قل لصائب ان الاكثرية النيابية التي جئت من خلالها الى رئاسة الجمهورية سأمنحها الى الدكتور الحافظ عندما يتقدم بوزارته الى البرلمان، وسيفوز بالثقة.. وينجح.. ويبقى في الحكم.!.

قال صائب مستطرداً:

ـ وعلى الأثر ذهبت في صباح اليوم التالي وقابلت سليمان فرنجية لمدة ٣ ساعات، قلت له:

«ليش ياسليمان بدك تتحركش بالمسلمين!؟ ولماذا تتحدى الرأي العام الاسلامي بهذه الصورة؟ حتى «شمعون» جاء من «السعديات» الى عندي واخبرني انه مستعد لأن يصوت معنا وضد امين الحافظ! لمصلحة مين ترسل لي مع «وليد» انك ستعطي الأصوات الواحد والخمسين التي فزت بها لكي تصبح رئيساً للجمهورية الى امين الحافظ للفوز بثقة البرلمان؟ اولاً هذه الاصوات الواحد والخمسين لم تعد معك. . إن صوتي الذي كان معك في انتخابات الرئاسة لن يكون معك اليوم في منح الثقة لأمين الحافظ. ولكن هذا سيكون اشارة عداء وتدخل سافر وغير دستوري في نظر المسلمين مع الكثير من التحدي الكريه لهم. !»

ثم قال لي صائب سلام:

ـ أريد ان أدلل لك كيف كان رئيس الجمهورية يتدخل في أوساط النواب ويتسلح بالضغط والاكراه لكي يبقي الوزارات او يعزلها. إن أمين الحافظ شاب نظيف، وواع . . ومن احسن وأكفأ شبابنا، ولكن المسلمين أرادوه ضعيفاً امام تسلط اهل «زغرتا» فنفروا منه!! المسلمون ثاروا على «امين» عندما شاهدوا ذلك الرجل «الزغرتاوي» على شاشة التلفزيون وهو يشد الحافظ من يده في قصر «بعبدا» ويدفعه الى الداخل لمقابلة رئيس الجمهورية! هذا الاستسلام «لسمير فرنجيه» وجماعة زغرتا أمر غير مقبول! انا ـ أحب امين ـ ولكن الرأي العام الاسلامي لم يسمح له بالبقاء في الوزارة طويلاً لأسباب كان أمين نفسه هو ضحيتها!

قلت لصائب بك:

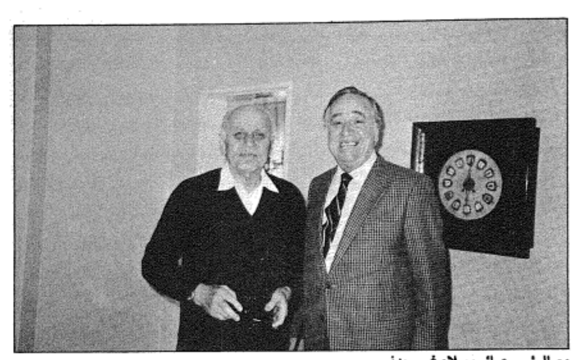
ـ وهكذا يصّح في هذه الحالة قول المرحوم «سامي الصلح» ان رئيس وزراء لبنان بالنسبة للنفوذ والسلطان مجرد «باشكاتب. . صغير!»

وصاح صائب سلام:

ـ هذا صحيح مائة في المائة. !

ثم استطرد قائلاً:

ـ إلا اذا كان رئيس الوزراء «قد حاله» ، وتصرف بالرجولة والجرأة! سأقول لك شيئا من الذكريات. عندما أنشأوا كلية خاصة للحقوق ـ او معهد للحقوق ـ في الجامعة العربية ببيروت، اعلن المحامون في العدلية إضراباً لمدة «٧» شهور! وقيل لي يومها ان «العدلية» لن تعود عن اضرابها الا اذا جرى الغاء معهد الحقوق في الجامعة العربية! وعلى الفور اذعت أنا بياناً رسمياً عاماً قلت فيه ان كلية الحقوق في جامعة بيروت العربية قد أنشئت ولن تقفل ابداً! وجن جنون فؤاد شهاب! وطار صواب بيار الجميل! وأجبتهم بان هذه هي مسؤوليتي ؛ وانا امارسها! وبقي معهد الحقوق على حاله. انا اعرف سرّ حقدهم على انشاء معهد الحقوق المذكور. سمعت «يوسف السودا» . ـ وهو يمثل الفكر المسيحي المتزمت إياه، يقول لي ونحن



مع الرئيس صائب سلام في جنيف

نشهد حفلاً لتأبين الريحاني - بالحرف الواحد! «هذه الجامعة العربية في بيروت يا صائب بيك شيء - لانقبل به لأسباب ان كنت انت لاتعرفها فنحن نعرفها! أجبته - والكلام لصائب - انا اعرف لماذا، ولكن قل لي انت لماذا انتم ترفضونها؟ أجاب: نحن لم نصبح ابناء فرنسا، وحلفاءها.. وأصدقاءها، والمخلصين لها ولسياستها، إلا من خلال المعاهد الفرنسية الموجودة في لبنان، فهل تريد للمسيحيين ان يصبحوا عرباً «نتيجة وجود المعاهد العربية في هذا البلد؟؟»

سألت «صائب» وانا أخرج بالحديث معه من لبنان الى مصر:

- هلا نتحدث قليلاً عن صديقك الراحل جمال عبد الناصر؟

وسألني صديق عبد الناصر في الخمسينات:

- ولم لا.؟ ابدأ انت..

قلت: لماذا سمحتم لمصر بالتدخل في شؤون لبنان الداخلية في الخمسينات واوائل الستينات؟

وأجاب: اؤكد لك ان جمال عبد الناصر كان يطلب مني دوماً وبالحاح، ان لانقطع حبل التعاون او التفاهم مع الموارنة في لبنان! ولم اقابله مرة واحدة الا وطلب مني الاعتناء الشخصي بالاتفاق مع المسيحيين! وانا عملت بهذه النصيحة. بينما كان «شمعون» وجماعته وفؤاد شهاب وانصاره يرفضون مساعينا في هذا المضمار! انا عندما ذهبت الى ايطاليا مع زوجتي نتيجة إصابتي في شرخ برأسي عام ١٩٥٨، قابلت البابا، وتحدثت معه رغم كل جهود كميل

شمعون لكي يفسد هذه المقابلة ويحول دونها! كان «شمعون» يحذر الفاتيكان من مقابلة صائب سلام، لأن ذلك ـ حسب رأيه ـ «يلحق الضرر بالموارنة»! ولكن البابا فتح لي مكتبه وقابلني وحدثني عن ضرورة التفاهم الاسلامي المسيحي في لبنان، وارسل الصور التي التقطناها معاً الى سفيره في بيروت ـ ونشرها في الصحف! وكل ذلك جرى رغم ارادة كميل شمعون ودسائسه. . وسعيه بان لايتم اللقاء بين البابا وبين اي مسؤول او شخصية اسلامية من لبنان.

سألته: ولكني على علم أكيد بأنك كنت انت على رأس الذين كانوا يتذمرون من تدخل الرئيس الراحل عبد الناصر في القضايا اللبنانية! هل نسيت ياسيدي الرئيس؟

واجاب الرئيس:

ـ لا لم انس مطلقاً. وكما قلت لك سابقاً فإن حرص عبد الناصر على إبقاء حبال الود والتفاهم متصلة بين المسلم والمسيحي في لبنان كانت تغفر له كل شيء! رغم أني كنت آخذ عليه موضوع «المباحث». ! هل تعرف ماذا أعني بالمباحث؟ هذه المباحث ـ يا سيدي ـ هي التي فرضت علينا التعاون مع سفير مثل «عبد الحميد غالب» والذي اراد أن يعاملنا كمجرد عملاء. . او اتباع له او لبلده! انا ارفض التبعية وارفض العمالة! وكنت أنصحه دوماً وكان يرفض نصيحتي دوماً! وذات يوم ـ وبعد انتهاء الثورة في بيروت ـ جرت انتخابات الستين، وراح عبد الحميد غالب واختار دون علمي ثلاثة أسماء لثلاث شخصيات اسلامية سنية في منطقتي ببيروت! بل انه اعد لائحة خاصة مستقلة تضم رشيد الصلح ومحمد الجارودي وصبحي المحمصاني! واكتفيت انا بالسكوت ومراقبة هذه التمثيلية الى ان دعانا عبد الحميد غالب للاجتماع مع عبد الله اليافي والحاج حسين العويني في منزل الأخير. وراح عبد الحميد غالب يحاول اقناعي بضرورة ان نأخذ اسم رشيد الصلح معنا على اللائحة! ودار بيننا وبين عبد الحميد غالب في ذلك اليوم حواراً كالحوار التالي:

قال لنا عبد الحميد غالب: يا جماعة خذوا معكم رشيد . . . ارجوكم.

قلنا: لا نأخذ مرشحاً يفرضه علينا غيرنا. . !

قال: يا صائب مش مسألة فرض. . حاقولك. . اسمع انا حقولك حاجة. . حاقولك حاجة يا صائب. .

قلنا: حاتقولنا إيه يا أخ عبد الحميد؟.

قال: يا أخوانا سيادة «المشير عامر» موجود حالياً في دمشق وقد ارسل لي من هناك رغبته واصراره ان ينضم «رشيد» اليكم في اللائحة الانتخابية!!

وصرخنا ـ والكلام لصائب ـ في وجه عبد الحميد غالب بأننا نرفض هذه التدخلات من أساسها، وما دام «المشير» يحشر انفه في انتخاباتنا فإن إصرارنا على الرفض قد تضاعف

وأصبح قرارنا بعدم التعاون مع السيد رشيد الصلح لا رجعة فيه . ! .
قال لي صائب سلام مستطرداً :

ـ وقلت للسفير المصري عبد الحميد غالب يومذاك انه اذا اصبح من حق المشير ان يختار نواب المسلمين في هذا اليوم ، فاننا نسلم له بالحق في ان يختار لنا القضاة والوزراء . . غداً! وهذا شيء لانقره ولانسمح به ! .

وقال صائب سلام ايضاً :

ـ وفجأة سمعت صوت عبد الله اليافي يقول لي «يا صائب . . . . إن عبد الحميد يقول لك ان هذه هي رغبة المشير . . وليس من الشهامة ان ترفض رغبة المشير!» وعندما سمعت ذلك انفجرت وانسحبت من الجلسة!!»

ثم قال :

ـ كان عبد الحميد غالب بعد ان اتفق عبد الناصر مع فؤاد شهاب في لقاء الحدود السورية اللبنانية الشهير، قد اصبح يلعب دور «المندوب السامي» المصري على لبنان! لقد صار يتدخل، ويحشر نفسه في الصغيرة والكبيرة، ونحن ـ من اجل عبد الناصر ـ سمحنا له بالكثير، فأصيب بالغرور ومضى يتطاول ويتدخل الى ما لانهاية . ! وهذا شيء يدعو الى الأسف الشديد . ! .

قلت للصديق الأخ صائب سلام :

ـ اكاد اشعر ياسيدي وكأنك ـ من اجل المجاملات وفي سبيلها ـ تتسامح كثيراً في القضايا والأمور العامة! فمن أجل عبد الناصر منذ خمس وعشرين سنة؛ تسامحتم مع عبد الحميد غالب، ومن اجل الشيعة من اهل الجنوب وبعض الموارنة، تسامحتم منذ عامين ورضيتم باتفاق مايو ايار بين لبنان واسرائيل فكيف تفسر لي ذلك؟ وهل يجوز للسياسي او رجل الدولة؛ ان يتحول الى ملاك او نبي او عاشق متسامح!؟

قال صائب سلام :

ـ انا لم اعارض اتفاق ايار بين لبنان واسرائيل لأني سعرت بل وعلمت بأن التيار المسيحي والتيار الشيعي يقفان مع تلك الاتفاقية رغم كل المصائب التي تتضمنها! وافقت عليها وفي نفسي الف غصة وغصة . وعليك ان تحاول وتفهم ظروفنا في تلك الأعوام . لقد جرت المفاوضات بين الجانب اللبناني والجانب الاسرائيلي ولم يعترض عليها عربي واحد! واعلنا الاتفاق واذ بالدول العربية كلها ترحب به باستثناء سوريا! وفي لوزان سمعت بيانا للرئيس الأسد يقول فيه عن الاتفاق انه مجرد ابتزاز من دولة منتصرة لدولة مهزومة . وقلت على مسمع من الأخ عبد الحليم خدام ان كلام الرئيس الأسد صحيح وان لبنان بلد مهزوم ومحتل ويحاول تخليص بلده من الاحتلال وبعد ان نتخلص من الاحتلال يكون لكل حادث حديث . .

قلت له:

ـ ولكنك يا دولة الرئيس لم تكن على وفاق مع سوريا، ليس بالنسبة لاتفاق ايار فقط، وانما تجاه معظم القضايا المعلقة بين سوريا ولبنان، او بين المسلمين والمسيحيين، او بين لبنان واسرائيل! فلماذا الاصرار على هذا الخلاف من طرفك؟

واجاب:

ـ اريد ان اكمل لك اولاً الأسباب التي جعلتني اؤيد اتفاق أيار مع اسرائيل. كانت الشيعة ـ كما قلت لك ـ تؤيد ذلك الاتفاق، ولو اني رفضته لخلقت ازمة وانشقاقا بين المسلم السني والمسلم الشيعي! ولكن، وبعد ان تغيرت المواقف، وانقلبت الآراء، وتحول الناس الى معارضين لذلك الاتفاق ـ وفي مقدمتهم اخواننا الشيعة ـ عندئذ انضممت الى المعارضين واعلنت معارضتي جهاراً نهاراً!.

ثم قال:

ـ اما عن خلافي «الدائم» ـ حسب تعبيرك ـ مع سوريا فاني اقول لك انني لم اختلف يوماً واحداً مع سوريا.. وانني طيلة عملي السياسي ادعو للتفاهم مع سوريا.. ودائما اقول لا قبل للبنان ان يختلف مع سوريا.. ومنذ عام ١٩٥٣ وعندما توليت الوزارة، وكان «الشيشكلي» في الحكم، اتصلت به وذهبت لزيارته في دمشق! انا مع سوريا ومع التفاهم معها ولكن بشرط ان يبقى كل طرف داخل حدوده؛ لا ان يتسلط احد على احد! واذكر انني في عام ١٩٧٠ سمعت كمال جنبلاط يقول في احد المهرجانات مهدداً بأنه سيحرق «لبنان الأخضر» ويجعله يابساً حطباً! فانبريت له في مجلس النواب وقلت ان اليد التي ستمتد لكي تحرق لبنان الأخضر سأقطعها من كتفها.. أي اقطع اليد ومن يقف وراءها.. أي.. سوريا! انا ضد التدخل السوري! ومنذ ايام الجمهورية العربية المتحدة وانا اعارض اي تدخل سوري في قضايا لبنان! وعندما ذهبت لمقابلة حافظ الاسد في عام ١٩٧٣، قلت له اننا نود التفاهم ونود الاتفاق.. وبالفعل اتفقنا.. وشعرنا بالسعادة.!

قلت مقاطعاً:

ـ ولكنك لم تكن منزعجاً ـ ياصديقي الرئيس ـ من تدخلات عبد الناصر في قضايا لبنان ـ وما اكثرها ـ فلماذا ينتابك الانزعاج ـ اليوم عندما تشعر بالتدخل السوري في قضايا بلدك؟

ولم يفرح صائب بك لسؤالي فانبرى يرد على الفور:

ـ لا! لا! انا تعاونت مع عبد الناصر للوقوف معاً ضد حلف بغداد!؟ هل تذكر كيف جاء «مندريس» لزيارتنا في بيروت؟ حاول «مندريس» ان يخوفنا لكي ندخل الحلف فلم نأبه له وتمسكنا بالتضامن العربي! انا مشيت مع عبد الناصر على اساس مبادىء عامة آمنا بها معه...

قلت: ولكني ـ وكثيرون مثلي ـ عجبوا لصائب سلام ـ الزعيم العربي اللبناني الكبير الذي قاوم حلف بغداد في الخمسينات وحالف عبد الناصر، يرضى بأن يصبح رسول امين الجميل الى واشنطن في اوائل الثمانينات؟!

وارتفع صوت صائب سلام، مجلجلاً وهو يقول في عنف:

ـ يا سيدي اسمع.. اسمحلي.. شوف.! انا من الذين عملوا على انتخاب امين الجميل، وعلى تأييد امين الجميل، وفي منزلي اجتمع جنبلاط وبري وغيرهم واتفقنا على ترشيح الجميل في ذلك اليوم من عام ١٩٨٢... وقد جرى كل ذلك لاعتقادنا بأن الرجل طيب «وفيه خير».. تماماً، كما كنا نأمل الخير في كميل شمعون عندما انتخبناه رئيساً للبنان؛ تقديراً لمشاعره العربية الصحيحة في تلك الايام، وإذ به ينقلب علينا وعلى كل العرب.!.

ثم اكمل صائب سلام يقول:

ـ واليوم لقد انقلب امين الجميل كما انقلب غيره كثيرون! وعندما اجتمعنا في لوزان قبل عامين قلت له على مسمع من عبد الحليم خدام وبالحرف الواحد: اسمع يا أخ امين.. لقد حملتني من اجلك ما لا طاقة لأحد ان يحمله! ومنذ عامين ونصف وانا احمل عنك ما لاتقدر عليه الجبال الراسخة سواء من المسلمين ام من المسيحيين! وكنت اسدي لك النصائح وكنت انت ترمي بها وراء ظهرك.!»

وقال صائب بك مستطرداً عن أمين الجميل:

ـ هذا شاب مغرور.. وقصير النظر.. وانا اقول ان اهم صفات الحاكم الناجح هي «الموثوقية»... ويسمونها بالانجليزية Credibility. وهذه الصفة لاتتحقق عند حاكم يبقى ضعيفاً امام المال.! و«امين» أضعف من الضعفاء امام المادة! والحاكم في نظري خيار وقرار. وعلى الحاكم ان يكون شجاعاً. وليس من حق الحاكم ان يهتز ويتراقص ويتردد ويتململ ويعتذر عن اتخاذ الخيار والقرار! ما علينا! انا ذهبت الى واشنطن من اجل خدمة لبنان لا من اجل خدمة امين الجميل.!.

سألته: وهل كانت رحلة ناجحة.؟

قال: كانت امريكا تتساءل في موضوعين اثنين: اولاً؛ هل اذا انسحبت اسرائيل يقدر الجيش اللبناني ان يضمن الأمن في البلد؟ وثانياً: هل المسلمون والمسيحيون متفقون اليوم وقد يبقى هذا الاتفاق بينهم قائماً في المستقبل؟؟ وكان ردي للرئيس ريغان عن السؤالين معاً بالايجاب! هكذا كان اعتقادي وظني! في عام ١٩٨٣ شهد لبنان قمة التعاطف الاسلامي المسيحي.! هذه حقيقة ثابتة. وفي مقابلتي لريغان سمعته يؤكد لي «نحن معكم»! فقلت له ان تجربة العرب مع امريكا لاتدعو الى الاطمئنان اذ كلما خطت امريكا خطوة واحدة الى الامام، عادت وتراجعت خطوتين الى الوراء! واذ بالرئيس ريغان يقول لي وقد رفع اصبعه

امامي: «ابداً»! مطلقاً! إن «سيارتي» لاترجع الى الوراء وليس فيها الا جهاز السير الى الامام. !»

يستطرد صائب سلام في الكلام معي ويقول:

ـ ولكني اصبحت اقول بشعار جديد هو «ان لا احد في الدنيا من يقدر ان يستغني عن امريكا، ولا احد في الدنيا من يقدر ان يعتمد على أميركا. . سوى اسرائيل!»

قلت اسأله:

ـ وما رأيك في شخصية ريغان؟

أجاب: نقول عن امثاله عندنا في لبنان: «رقراق». ! يعني؟؟ يعني فارغ. . فاضي!»

قلت لصائب سلام، الزعيم البيروتي، اللبناني، العربي، السني، المسلم وانا اضع امامه السؤال الاخير:

ـ وكيف يكون الخلاص ـ خلاص لبنان ـ ياصديقي الرئيس؟

وعاد صائب سلام يزفر تنهيدات طويلة مملوءة بالألم والشجن ويقول لي مع نبرة حزن:

ـ والله . . الخلاص. . لا أعرف! «بدها حلم ربك. .»!

ثم عاد يردد:

ـ لا اعرف. . بين الشيوعيين والامريكان. . واسرائيل. . والخمينيات. . والمرتزقة . . والمحترفين. . والخراب. . والأزمة الاقتصادية المتفاقمة التي حطمت المجتمع اللبناني وسلبته عوامل حياته! كل الشيعة اصيبوا. كل السنه اصيبوا. . وكل الدروز اصيبوا. ومعظم المسيحيين اصيبوا. . ! لا اعرف . . لا اعرف!.

قلت: اليس في جعبتك السياسية الضخمة، عبرة واحدة جاءت نتيجة تجربتك الطويلة في العمل السياسي قادرة ان تدلك على طريق الخلاص للوطن اللبناني. ؟

واجاب صائب سلام ورأسه يهتز أسى:

ـ تجربتي تقول لي ان التمسك بالاخلاق والقيم هي ضرورة اولى كالهواء والماء، مهما اشتدت الازمات وارتفع صوت الرصاص وانتشر الخراب والموت! الاخلاق اولا والاخلاق اخيراً ! وانا رجل أؤمن بربي وبأهل بلدي. وانا اعتمد على ايماني واقول ان المؤمن لاييأس. . ولن ايأس. . ولن ايأس!.

ثم راح يردد بيت شوقي من الشعر:

ـ وانما الأمم الاخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ـ شكراً يا اخي صائب. وصدق من قال: ما بيصائب الا . . صائب!

ـ انتهى ـ



تصدر قريباً

- من أوراق الشرق الأوسط
- آخر العمالقة جاء من القدس. «قصة موسى العلمي»
- في مملكة النساء.
- نساء من الشرق الأوسط
- الجدران لها آذان.

من كتب المؤلف

- شباب محموم ـ القدس ١٩٤٩ (نفذ).
- «خطوات في بريطانيا» ـ القدس ١٩٤٩ (نفذ).
- «عندما دخلوا التاريخ» ـ بيروت ١٩٥٦.
- فلسطين والوحدة ـ القاهرة ١٩٥٩.
- ماذا جرى في الشرق الأوسط (٤ طبعات) بيروت ١٩٦٠.
- تذكرة عودة ـ بيروت ١٩٦١.
- قصص وأصحابها ـ بيروت ١٩٦٢.
- حفنة رمال ـ بيروت ١٩٦٤.
- عربي في الصين ـ القاهرة ١٩٦٥.
- سفير متجول ـ بيروت ١٩٧٠
- لا رمل ولا جمل ـ باريس ١٩٧٦
- الحبر أسود.. أسود ـ باريس ١٩٧٧.
- من قتل الملك عبد الله ـ الكويت ١٩٨٠.
- صلاة بلا مؤذن ـ بيروت ١٩٨٠.
- هل تعرفون حبيبتي؟ لندن ـ ١٩٨٢.
- قصتي مع الصحافة ـ مدريد ١٩٨٣.
- لماذا وصلنا الى هنا ـ لندن ١٩٨٥.
- المرأة تحب الكلام ـ لندن ١٩٨٦.

الفهرس

" Hadith Al-Kibar "
The Talk of the Great
by
Nasser El-Din Nashashibi

I S B N 84-599-1394-5
Depósito legal: M-11882-1986
Printed in Spain by
NOVOGRAPH, S. A. - MADRID

تمت عملية صف الاحرف
في شركة « لانا Lana » في لندن

مُنذُ أربعين عاماً والكبار يتحدثون إلى الكاتب العربي الكبير ناصر الدين النشاشيبي. ومُنذُ أربعين عاماً وناصر يقابل قادة العالم ملوكاً ورؤساء وحكاماً. ويُسجل معهم وقائع التاريخ ويسجلون في مُفكرته آراءهم وأفكارهم.

و"حديث الكبار" هو دفعة جديدة من أحاديث الكبار إلى الصحفي العر
الذي أضاع وطنه فطاف حول العالم يسأل قادة الدنيا عنه..؟
وفي هذا الكتاب وقفات عميقة مع صانعي السياسة العالمي
من الملك فهد إلى الرئيس ريغان، ومن الملك حسين إلى نيكسون وفورد وكارتر.
يبقى أن "حديث الكبار" كُتب بأسلوب "ناصر" وقلمه فأضاف به إلى المكت
العربية السياسية عنواناً جديداً من عناوينها البارزة، وإنتاجاً أدبي
جديداً من تلك المؤلفات التي عرفها القارئ العربي وأحبها وأدمن عليها.

"الناشر"